

إعلان الاستقلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على أرض الولادات المعاوية التي البشر، على أرض فلسطين، ولد الشعب العربي الفلسطيني، بما يتطور، ويتجدد، ويتجدد وجوده الإنساني والوطني بعد عملية حضورية، لا انعدام فيها إلا انقطاع، بين الشعب والوطن والتراث.

النّاقلات الْأَهْلِيَّاتُ فِي الْمَكَانِ وَالْمَارِمَ، حَاجَ شَعْبٌ لِلْمُسْكِنِ بِهِوَتِ الْوَطْلَةِ، وَأَتَقْتَلَ بِصَوْبَهُ فِي الدَّجَاجِ عَنْهَا إِلَى مَعْشِنِ الْمَعْدَنِيَّةِ... فَعَلَى الْمَعْشِنِ مَا أَثَارَهُ سُدُّهُ

طبيعة بعثيات الممارسة وتحدد التفاوتات. مستناداً لمعظم برئاسة أبوه والزعيدي، وأول المغير العربي الملاطيماني، غير الماروني، تحاوله دائرة في الوجهة التعليم بين الرؤساء، وعلى خطى الآباء، المنوّحة على هذه الميزة الممارسة، أعمل على كل منحة علامة اليمى للبيان وفق مع درس كل هوية ومحنة الرهبة والسلام.

ومن قبل الى كل دلم ينحوت النصب العربي القائم بخطه عن المقام الياضي من وطنه . ولقد كانت ثروات سينا المتلاطحة يومها يطويها اراده الاستقلال الوطنى .
في الوقت ذاته كان فيه العالم اماضي ينحو قبته الزيجية . وكانت موازيرين الفتوح الجليلة والعلمية تستعين الفاطميين من مصدر العاشر . فما زلت مررة اخرين ان العدل

وبحسب اتفاق العرض الفلسطيني الجديد على مذكرة هاربر، قال رئيس الكونغرس الأمريكي، ويليام روزفلت، في خطابه في مجلس الشيوخ في 22 فبراير 1919: «إننا نتعهد بالاعتراف بحقوق الشعب العربي في فلسطين».

^{١٢} قد اعتبرت بأن الشعب العربي الفلسطيني ، شأن شأن الشعب العربي الآخر الذي اسلخته عن الدولة العثمانية ، هو ضعيف و مسحوق .

لأنهم ينتهيون إلى انتهاك حقوق إنسانهم، ولأنهم ينتهكون بحقوق إنسان الآخرين، ولأنهم ينتهكون بحقوق إنسانهم، ولأنهم ينتهكون بحقوق إنسان الآخرين.

وفي قلب الوطن وعلى سعاده، في المساجد القرية وال البعيدة، لم يفتق الشعب العربي الفلسطيني ايمانه الراشد بحقه في المواجهة، ولا ايمانه العظيم بحقه في الاستقلال. ولم

وهي تجربة معاصرة لـ«الرواية»، وتحاول إحلال «الرواية» بـ«الروايات»، وتحاول إحلال «الروايات» بـ«الروايات». وهي تجربة معاصرة لـ«الرواية»، وتحاول إحلال «الروايات» بـ«الروايات»، وتحاول إحلال «الروايات» بـ«الروايات».

بالرغم من كل هذه القيمة الفلسطينية التي يمتلكها أهلنا من انتساب والتفوق، وأهمية مسانته الشام على طرفة كاملة، إلا أنه في الواقع لا يزال يعاني من تهميش وتجاهله، ومن دون التحريم، وخاص

وأستناداً إلى المرجع الشيعي والشافعري والقاطبي للشاعر العرين الملاطفين في مطلع هذه الأبيات، فإن إدخاله لفظة "لهم" يدل على دعائهما من دونه واستغفاله بـ"الباطل".

من قربات القمم الضربية، ومن قوة الشرعية الدولية التي تصدّعها قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٢٧، ممارسة من الشعب العربي الفلسطيني لحقه في تقوير المحتل:

فإن دوافعهم الأولى هي العلامة، وبما أنهم يعيشون في المراحلة الابتدائية، فتحبّر فيها معتقداتهم الدينية والروحانية، مما يدفعهم إلى اهتمامهم بالعلوم الدينية والأخلاقية، ويتبعون المعايير الأخلاقية في التعامل مع الآخرين.

الغربية، وعلى العمل لإيجاد ملائمة ومحض التبشير من المدحوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون أو بين المرأة والرجل حتى تخلّي محتوى وعمر من سيادة النساء.

مملوک فوج نیوف

وتحت مظلة حقوق الإنسان التي تضم كل حقوق الإنسان، والذى لها تأكيلها بمعانى، عدم الإهانة ومحاسبتها.

وقد سعى تحالفها من أجل إدخال النازحات على أرض المحافظة والعامر، تمهيداً لجلبة فلسطينيين بالاسم المتعهدة التي تحمل مسؤولية تناقص زاده الشعب العبرين الماسجدين، وبهذه

فقال لهم صالح العلامة يعني الذي يعتذر عنه العبد من ذنبه يغفر له ويعذر له

卷之三

مجلة المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

البحث عن الدولة

ممدوح نوبل

The Search for State

Mamdouh Nofal

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian
Institute For the Study of Democracy
P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine
2000

This book is published as part of an agreement of co-operation with the
Heinrich Boell Foundation - Germany

جميع الحقوق محفوظة
مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
ص.ب ١٨٤٥، رام الله
الطبعة الأولى - ٢٠٠٠

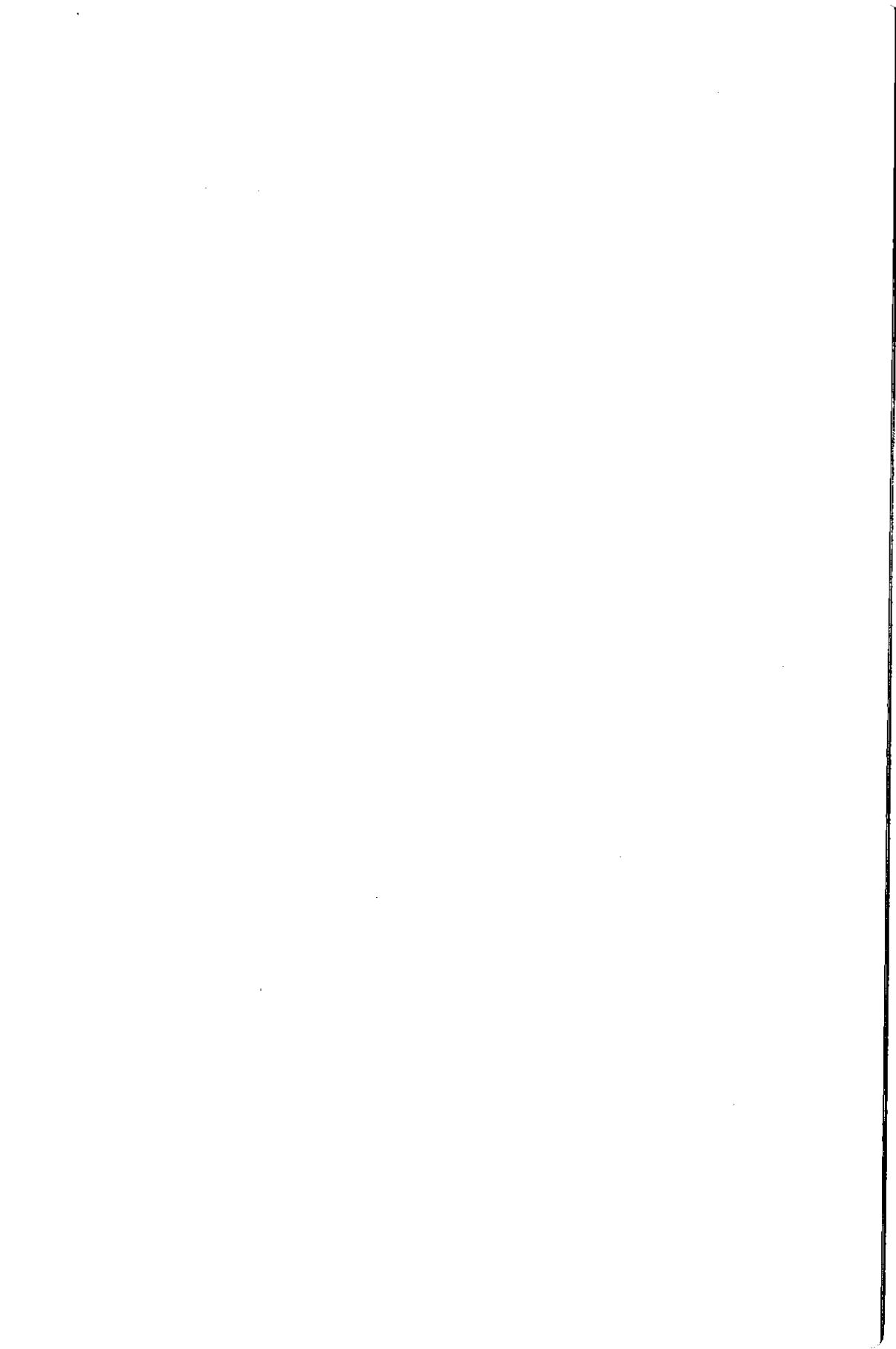
يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع مؤسسة هينريخ بول - المانيا

تصميم وتنفيذ مؤسسة ناكيَا للطباعة والنشر والاعلان والتوزيع
رام الله - هاتف ٩١٩ - ٢٩٦ - ٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس
بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

القرار

إلى كل شهيد وكل من تألم وتعذب لتمكين الشعب
الفلسطيني من استعادة حقوقه المغتصبة وبناء دولته
الوطنية المستقلة والمزدهرة

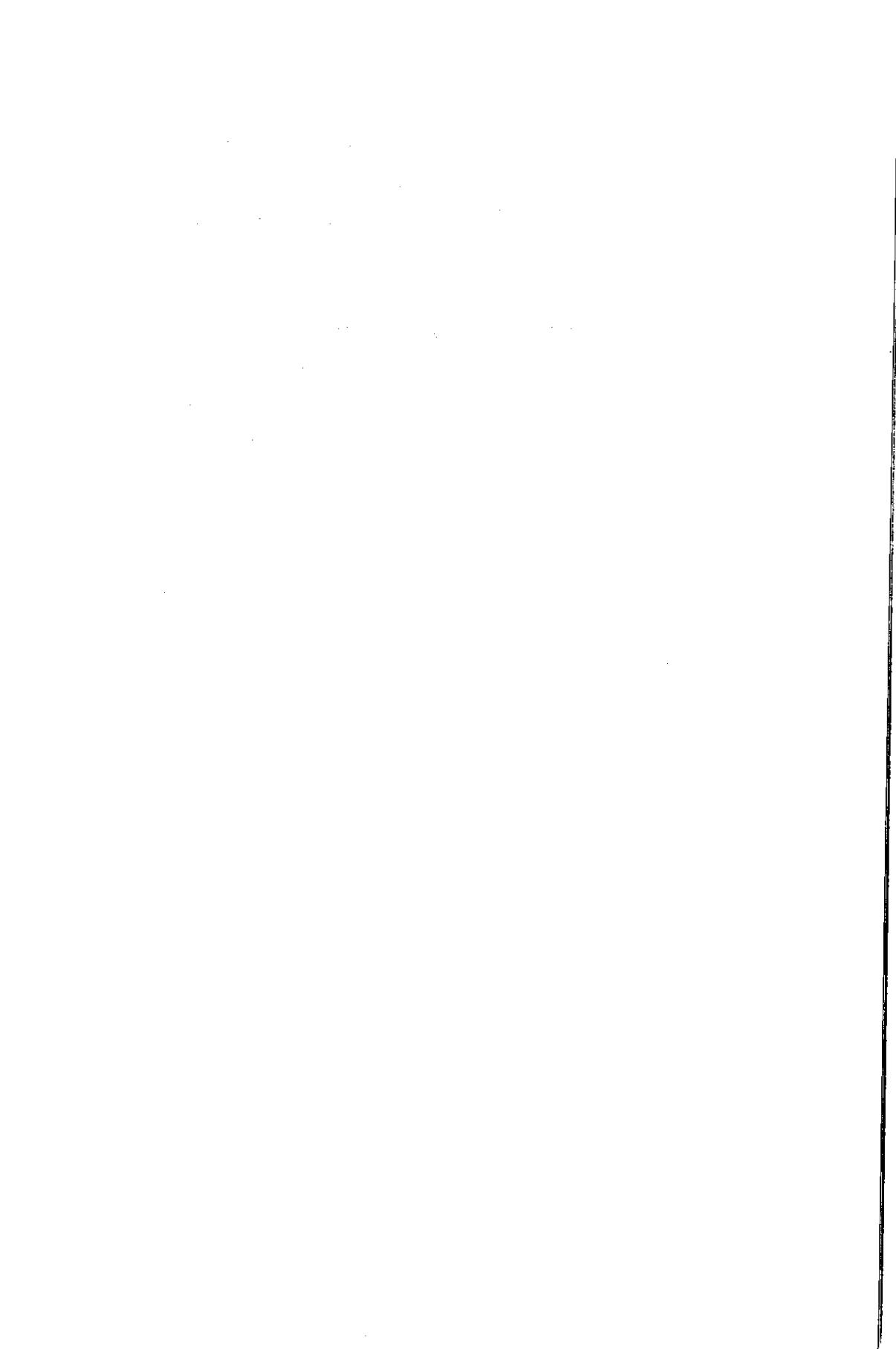


المحتويات

١١	تمهيد
١٣	مقدمة
١٧	لمحة تاريخية: نشوء النظام السياسي الفلسطيني وتبلاور فكرة الدولة الفلسطينية
٣١	الفصل الأول: حرب ١٩٨٢ تشتت فكرة الدولة وتبع الأحلام الفلسطينية
٣٣	السوفيت يشجعون تفجير الرصع في جنوب لبنان
٤٣	رفض مشروع الأمير فهد كرس الحل العسكري
٤٨	الحرب بدأت... فمن يوقفها؟
٦١	الفصل الثاني: الحروب على المخيمات تبدد الآمال بالدولة
٦٣	مجازر بعد رحيل الثورة من بيروت
٧٠	انفجار اوضاع فتح وتمزق وحدة م.ت.ف.
٨٠	اطلاق المارد الشعبي في لبنان ضد الفلسطينيين
٨٥	صدمة فلسطينية من الصدام الاول
٨٨	الحرب الاولى ضد المخيمات
٩١	جولة ثانية من الحروب ضد المخيمات
٩٤	الجولة الثالثة من الحروب ضد المخيمات

١٠٥	الفصل الثالث: الانتفاضة تجدد حلم الفلسطينيين بالدولة
١٠٧	الانتفاضة فاجأت الجميع دون استثناء
١١٥	مراكز الدراسات الاسرائيلية والامريكية والعربية تراجع ابحاثها
١٢١	يقطلة فكرية فلسطينية وتأنيب ضمير في الخارج
١٢٩	اغتيال ابووجهاد والحسابات الاسرائيلية الخاطئة
١٤١	الفصل الرابع: مبادرة السلام تفجر خلافات فلسطينية كبيرة
١٤٣	رياح الحرب الباردة تتحرك نحو المنطقة
١٥١	استجابة متأخرة لتجهات الانتفاضة الواقعية
١٦١	اتفاق على اعلان الاستقلال وخلاف حول المبادرة
١٧٥	الفصل الخامس: وقائع ليلة اعلن الاستقلال وقيام الدولة المستقلة
١٧٧	اشتباكات سياسية فصائلية قوية قبل الاعلان
١٨٥	مداخلة ابو اياد حسمت موقف فتح والمستقلين
١٨٩	صمت... بيان... عاصفة
١٩٤	القيادة ترقص وت بكى فرحا
١٩٨	دولة على الورق بدون حكومة وبدون رئيس
٢٠٥	الفصل السادس: الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة
٢٠٧	اعتراف دولي اسرع من المتوقع
٢١٤	قرارات المجلس الوطني تفجر الجبهة الديمقراطية
٢٢٢	نتائج المجلس الوطني خلقت الاوراق الفلسطينية
٢٣٧	الفصل السابع: مشكلة حول خطاب ابو عمار في الامم المتحدة
٢٣٩	لم تجر الرياح كما تشتته قيادة المنظمة
٢٤٥	موقف امريكي غير مفهوم
٢٥٢	التيار الفلسطيني الواقعى يتولى زمام المبادرة
٢٦٠	الخطاب يمهد الطريق للحوار مع الادارة الامريكية

٢٦٧	الفصل الثامن: الحوار الفلسطيني الامريكي يثير تفاعلات واسعة
٢٦٩	تسارع الاحداث واحتدام الصراع الداخلي
٢٧٧	أبو عمار يحاول لملمة الوضع القيادي الفلسطيني
٢٨٥	السوفيت طالبوا بدورهم واحبوا فكرة المؤتمر الدولي
٢٩٤	اندفاع اوضاع الجبهة الديمقراطية نحو الانشقاق
٣٠٥	الفصل التاسع: الحوار الفلسطيني - الامريكي لم يعمر طويلا
٣٠٧	فتح قنوات تفاوضية سرية موازية
٣١٧	القيادة لم تتكيف مع المطالب الامريكية
٣٢٨	لا ... فلسطينية كبيرة في وجه بيللترو
٣٤٣	الملاحق
٣٨٣	المراجع



تمهيد

يشكل هذا الكتاب أول إصدار في سلسلة التجربة الفلسطينية وهي السلسلة السادسة والجديدة من منشورات مواطن. وسيلبي هذا الكتاب عدد من الإصدارات تسعى بمجملها إلى تعريف القارئ بنواحٍ محددة ومتعددة من التجربة الفلسطينية، وفي الشتات على وجهة الخصوص. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن سبعين في المائة من الفلسطينيين في الضفة والقطاع هم دون الثلاثين، وأنأغلبية عظمى من السكان في فلسطين بما في ذلك فلسطينيو "الداخل"، لم يمرروا بتجربة الشتات ولم يعاينوها وجداً نياً بابعادها المتعددة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو نفسية، فإن نقل هذه التجربة أو جوانب مختارة منها على الأقل، يكتسب أهمية كبيرة خاصة إن تعدى هذا النقل البحث الجاف، ليرسم صورة حية للواقع المعاش سواء كان ذلك في تجربة المقاومة في الأردن أو في تجربة الحياة في مخيم اليرموك في سوريا أو في مخيمات لبنان، أو تجربة الحرب الأهلية في لبنان و"حرب المخيمات"، أو تجربة تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في خضم الصراعات العربية والمساعي المتعدد للاستحواذ على القرار الفلسطيني.

وقد شارك السيد ممدوح نوبل في العمل الوطني الفلسطيني منذ البدايات، تاركاً مهنة التدريس في عام ١٩٦٧ ليسهم في تأسيس العمل العسكري والسياسي ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية. وفي الفترة التاريخية التي يغطيها هذا الكتاب، احتل المؤلف موقعًا سياسياً وعسكرياً متميزاً مكنه من متابعة أحداث هذه الفترة عن قرب وعلى أعلى المستويات، وقام فيها بتدوين وقائعها الأساسية أولاً بأول، ويشكل هذا التدوين أحد المصادر الرئيسية "للبحث عن الدولة".

ويغطي الكتاب فترة عقد من الزمن يمكن اعتبارها من أهم الحقب التي مر بها الشعب الفلسطيني سياسياً. فقد شهدت هذه الفترة خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وانهيار الاتحاد السوفييتي وتأثير ذلك على الساحة السياسية العربية والفلسطينية، واندلاع الانتفاضة في الأرض المحتلة، ومؤتمر مدريد وبداية المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. وكان المؤلف خلال هذه الفترة في دائرة صنع القرار وعلى اطلاع واسع بتفاصيل الأمور واليات اتخاذ القرار وأدوار الأطراف العربية والأجنبية.

ويقع هذا الكتاب في تقاطع محاور عدة. فهو يجمع بين السرد التاريخي، والمذكرات الشخصية، وتدوين وقائع أساسية لشاهد عيان ومشارك في الأحداث. فهو إذن وثيقة أساسية للباحث والمؤرخ، ومصدر معرفة واطلاع للقارئ والدارس، وسجل لجوانب من الحياة السياسية للشعب الفلسطيني تركت أثراً هاماً في مسعاه للبحث عن الدولة.

د. جورج جقمان

رام الله، آب ٢٠٠٠

مقدمة

قصة الفلسطينيين والدولة المستقلة قصة طويلة، ما تزال مليئة بالألم والأمل. ظلوا سنين طويلة يحلمون بها، وكثيراً ما هبط أملهم للحضيض، أو ارتفع إلى أعلى السماء. كانت أحالمهم دوماً مليئة بوقعائب وكوابيس مؤرقة لهم. فقدان الأرض والهوية، وتأمر الانجليز والأمريكان والدول العربية، وتواطئ العالم والأمم المتحدة ضدهم. وظل القدر يحول الكوابيس إلى حقائق وعدايات ملموسة، قال عنها رجال الدين والاتكاليين منهم إنها امتحان من الله.

بقي الفلسطينيون متتسكين بحقوقهم في وطنهم، ورفضوا تقسيم أرضهم لدولتين عربية ويهودية، وكما رفضوا كل الحلول المجنحة التي عرضت عليهم، وتمسكون بشعار تحرير فلسطين واقامة الدولة المستقلة وعودة اللاجئين. ويرغم نجاح الحركة الصهيونية في توسيع دعائم دولة إسرائيل، رفضوا إعتماد المفاوضات وسيلة لحل قضيتهم، ورفضوا الصلح معها، والإعتراف بها أو حتى التعامل معها. ولم يفقدوا الأمل في التحرير والعودة، سواء من خلال التحركات والنشاطات الدولية، أو على يد الجيوش العربية. وبعد هزيمة العرب عام ١٩٦٧ لم يستكן الفلسطينيون، وعقدوا العزم علىأخذ زمام قضيتهم بأيديهم، وشرعوا بالكفاح المسلح، وقرروا تقديم ما يلزم من تضحيات.

أواخر عام ١٩٨٧، وبعد عشرين عاماً من القهر، والنضال من الخارج، إنفجر الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، في إنفراط عارمة في وجه الاحتلال، حددت أهدافها بوضوح "لا للاحتلال ونعم للحرية والاستقلال". وفي ١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٨، أعلن المجلس الوطني الفلسطيني، من الجزائر، وبالاجماع، "استقلال فلسطين

وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة على الأراضي الفلسطينية التي أحتلت عام ١٩٦٧". وأطلقت القيادة الفلسطينية "مبادرة سلام"، قبلاً فيها - لأول مرة - فكرة تقسيم فلسطين، وتبنت شعار "دولتين للشعبين على أرض فلسطين التاريخية"، ووافقت على قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس لحل الصراع الفلسطيني العربي - الإسرائيلي.

وانطلاقاً من قناعتي بأن اعلان قيام الدولة الفلسطينية، حدث تاريخي في حياة الشعب والمنطقة كلها، فقد قررت، جرياً على عادة قديمة، كتابة وقائع تلك الأحداث، دونتها أولاً. كما لو من خلال آلة تصوير، دون رتوش لتجميل الصورة أو تقبيحها، فكلا العاملين تشويه للحقيقة. وتركت للقارئ استخلاص الأحكام، واستصدار ما يشاء منها.

وسيجد القارئ، في الفصول الأولى من البحث عن الدولة، لوحة حية لمعاناة الشعب الفلسطيني، داخل وطنه وخارج، تليها لوحة ثانية تصور جوانب من نضاله مع الذات ضد الآخرين، وبعده عن الطريق الأقصر الموصى إلى الاستقلال. أما الفصول الأخرى فتروي وقائع "ليلة الإعلان"، كما عاشتها القيادة، والمجلس الوطني، وما تلاها من ليالي وأيام آخر، حتى تاريخ المشاركة الفلسطينية بمؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١.

وعند إعداد فصول الكتاب، وجدت نفسي أمام أكثر من خيار يتعلق بالصيغة التي سأروي بها الواقع والأحداث الأول، فأشرت أن لا يكون دراسة اضافية في الصراع العربي - الإسرائيلي الذي صدرت حوله كتب كثيرة وبلغات متعددة، واخترت أن يقتصر على "البحث عن الدولة"، واعتمدت حرب إسرائيل على لبنان عام ١٩٨٢ محطةه الأولى. ولأنها محطة وسيطة أجملت ما سبقها في مقدمة تاريخية موجزة، أملاً أن أتمكن، خلال فترة قصيرة، من استكمال البحث في المحطات التي سبقتها.

وانطلاقاً من قناعتي بأهمية التوثيق في سرد أحداث تاريخية، فقد حرصت أن أكتب الحقيقة كما عاشتها، وكما وردت في المحاضر، برغم معرفتي بأنها جارحة أحياناً. وتبنت الأسماء والأماكن الحقيقية، وفرضت، في أكثر من فصل، على أبطال الرواية - أفراداً وجماعات - أن يعودوا إلى خشبة المسرح ليقوموا بأدوارهم التي قاموا بها في تلك الفترة. وتطرقت إلى آلية إتخاذ القرار الفلسطيني، والعلاقة بين فصائل م.ت.ف.، وانشقاق الجبهة الديمقراطية، برغم معرفتي بأنني قد أثير متابعي سياسية وتنظيمية لبعض المنظمات الفلسطينية وقادتها، ومن جمعنا، سوياً، تاريخ نضالي مشترك واهداف مشتركة.

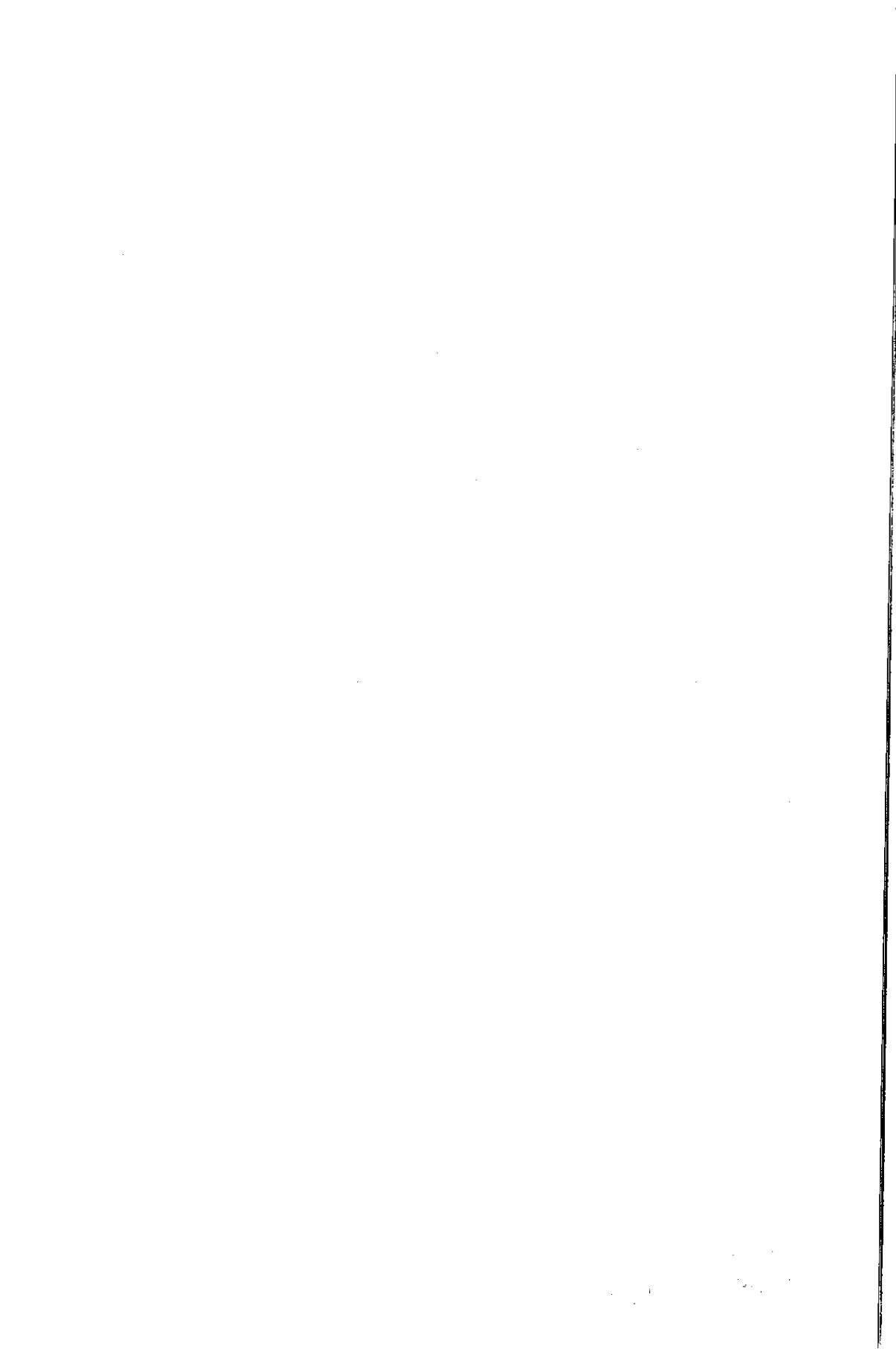
وقد التمس العذر، أولاً من المؤسسات الرسمية الفلسطينية لأنني سمح لنفسي بتزويد الأجيال اللاحقة والمؤرخين بزمرة من الوثائق الفلسطينية لم تنشر من قبل، وثانياً من وردت اسماؤهم في الكتاب، أفراداً وجماعات، منمن قد يجدون نقحاً في رواية أدوارهم أو سهوا في سرد مواقفهم. فلم أقصد الإساءة إلى أحد، ولا الانتقاد من دور أحد، بل تقييد بحجم معين من الصفحات وبأسلوب يشجع القارئ على قراءة الكتاب.

وبعد الانتهاء من الكتابة، حاولت تصنيف ما كتبت: فهل هي مذكرات شخصية، أم رواية تقريرية للأحداث؟ أعرف بأنني فشلت، تاركا لقارئي أمر تصنيفه والحكم عليه. أما حول حكم الأفراد والفصائل الواردة اسمائهم وموافقتهم في فصول الكتاب، فأعملني بهم أن يتعاملوا مع الكتاب وأن يحکموا توثيقاً مجرداً من الدوافع الذاتية، لمرحلة من تاريخ شعبنا ومن تاريخنا المشترك، ليس لأى من التهرب من مسؤوليته عن نصبيه مما صنعته سوية، فهو لم يعد ملك أحد بعينه، والكل يعرف بأن كثيراً من المواقف قد تغيرت.

وأجد لزاماً على الاعتراف بأنّ موقعي في الإطار الرسمية للمنظمة، (وبخاصة عضويتي)، في تلك الفترة، في المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وكقائد قواتها المسلحة، وعضويتي في اللجنة العليا لمتابعة الإنفاضة التي ترأسها أبو عمار، وللجنة متابعة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، وعضويتي في المجلسين الوطني والمركزي الفلسطيني، وفي المجلس العسكري الأعلى، أتاح لي أن أكون شاهداً على وقوع أحداث هذا الكتاب، وفاعلاً في بعضها إلى حد ما. وأجد نفسي ملزماً بالترويج بالشكراً الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود سواء بتقديمه وتصحيحه، أو بإيادء الملاحظات النقدية القيمة التي ساهمت في توازنه وتشذيبه وتخلصه من الشوائب المتعددة، وأخص بالذكر المعينين في مؤسسة مواطن، والأصدقاء سميحة شبيب، فيصل حوراني، حسن البطل، زكرياً محمد، جميل هلال، صالح رافت، أحمد خليفة، بلال الحسن، خليل الهندي وحسن خضر.

إلى ذلك، سأكون شاكراً لكل نقد حتى لو كان قاسياً، فالنقد وتعدد الآراء مفتاح التطور والتقدم. ولا بأس بين الأصدقاء لو ذكر أحدهم الآخر، بخطأ وقع فيه، أو موقف نسيه، أو أساء تقديره.. ما دام الهدف الذي نسعى إليه واحداً.

ممدوح نوqel
حزيران ٢٠١٠



لمحة تاريخية

نشوء النظام السياسي الفلسطيني وتطور فكرة الدولة

على امتداد قرن بكامله، ظل الفلسطينيون يحلمون بدولة مستقلة، وظل القمر يحول احلامهم الى كوابيس مزعجة، والكوابيس الى حقائق مؤلمة. لكنهم لم يبأسو وقدموا تضحيات كبيرة كي تصبح دولتهم حقيقة. وبالرغم من ان مراحل نضالهم من اجل الدولة ظلت مشابكة ومداخلة، الا ان لكل واحدة منها حدودها الواضحة التي تبين ظروفها وخصوصيتها. وتظهر المراجعة التاريخية، ان المرحلة الاولى من نضال الفلسطينيين ضد المشروع الصهيوني بدأت مع بداية القرن واستمرت حتى نكبة ١٩٤٨، وهذه المرحلة يمكن نعتها بمرحلة تبلور الوطنية الفلسطينية، ورسم ملامح صورة الكيان الفلسطيني، وبداية تشكل نظام سياسي فلسطيني موحد.

وبعد الحرب العالمية الاولى، وقعت النهضة الوطنية الفلسطينية الاولى، وبرزت فكرة إستقلال فلسطين في إطار إستقلال سوريا الكبرى. وفرضت التجنزة الاستعمارية للبلاد العربية، ووعد وزير خارجية بريطاني بلغور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧^(١) على الوطنية الفلسطينية طرح تصوّرها لمستقبل فلسطين ككيان منفصل عن سوريا الكبرى. وجاء صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٢٢^(٢) فأخرج المشاعر الوطنية وعزز فكرة النضال من أجل إقامة كيان فلسطيني. وبرزت لاحقاً مطالبة الفلسطينيين باقامة حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان، الا أن دولة الانتداب، بريطانيا، رفضت المطالب الفلسطينية وتاتي توقيف شروط إقامة الوطن القومي اليهودي. ومع تزايد الهجرة اليهودية يتسع إنتشار تيار الوطنية الفلسطينية، ويزّ شعار التصدي للمطامع الصهيونية وإنهاء الانتداب. وتصدى الفلسطينيون بمختلف الوسائل لقوافل المهاجرين

اليهود وقاموا بانتفاضات وأضرابات شعبية و المسلحة عدة، بدأت في العام ١٩١٩ وتواصلت بصورة متقطعة حتى العام ١٩٤٨.

و مع مطلع العقد الثالث من هذا القرن، بلور المجتمع الفلسطيني حركته السياسية، وتعددت أطر النظام السياسي الفلسطيني، وفي شهر حزيران /يونيو ١٩٤٦ تشكلت "الهيئة العربية العليا" كقيادة وطنية للشعب الفلسطيني وظهرت قوى وحركات مسلحة، خاضت نضالاً سياسياً وعانياً غير متكافئاً باتجاهين: الأول ضد القوات البريطانية باعتبارها قوة استعمارية متواطئة مع المشروع الصهيوني، والثاني ضد "عصابات" الحركة الصهيونية المسلحة. ومع احتدام المعارك بين الفلسطينيين واليهود، تكثفت التحركات الدولية لايجاد حل مناسب للصراع، وبرزت فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. وأيدت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والدول الأوروبية مشروع التقسيم، وفي ٢٩ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٤٧، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين حمل رقم ١٨١.^(٢)

وخطى الفكر السياسي الفلسطيني خطوات كبيرة على طريق طرح تصور متكامل لمستقبل فلسطين. وبرز في النظام السياسي الفلسطيني تياران:^(٣) الأول رفض التفاهم مع زعماء اليهود، وتمسك بدولة فلسطينية مستقلة على كل الأراضي الفلسطينية. ودعا الآخر إلى التعايش مع اليهود في إطار دولة يهودية - عربية ديمقراطية موحدة. وحاوت "الهيئة العربية العليا"^(٤) إيجاد إطار دستوري سياسي وإداري مستقل، إلا أن مجلس جامعة الدول العربية الذي انعقد في عاليه بلبنان في تشرين الأول /أكتوبر ١٩٤٧، رفض الفكرة.

وبعد اعلان قيام دولة اسرائيل واعتراف الامم المتحدة بها تكرس وجود الدولة اليهودية وانتقل الفلسطينيون إلى واقع جديد، ودخل الفكر والنظام السياسي الفلسطينيين مرحلة جديدة. وقررت القيادة الوطنية الفلسطينية ممثلة "بالهيئة العربية العليا" رفض الاعتراف بالقرار، وتمسكت بفكرة اقامة دولة عربية على عموم فلسطين. وبعد الحاج شديد من الفلسطينيين وافقت جامعة الدول العربية على تشكيل "جيش الجهاد المقدس". وأزرت الشعوب العربية موقف الفلسطينيين، واقررت الجامعة تشكيل "جيش الإنقاذ" من المتطوعين العرب، وقررت حشد جيوش الدول العربية على حدود فلسطين، وحددت ١٥ أيار /مايو ١٩٤٨ موعداً لدخولها أرض فلسطين. ورفضت الحكومات العربية الاعتراف بدولة اسرائيل، والتزمت بمقاطعتها. وفي ٢٣/٩/١٩٤٨ تم تشكيل "حكومة عموم فلسطين"^(٥) وبعد أسبوع عقد في غزة يوم ٢٠/٩/١٩٤٨ مؤتمر ضم ٧٥-٨٥ شخصية فلسطينية ساندت تشكيل الحكومة، لكن هذه الحكومة لم تنجح في تكريس ذاتها كجزء من النظام السياسي وقادته له وجمدت اعمالها بصورة رسمية في العام ١٩٥٢. وإذا كانت موافق

القوى الكبرى حالت دون حصولها على الاعتراف الدولي المطلوب، فإن رفض قرار التقسيم وتسميتها باسم حكومة "عموم فلسطين" وفر الغطاء لموقف تلك الدول الجائز.

وبعد احتدام المعارك بين الجيوش العربية وأسرائيل اتخذت الأمم المتحدة قرارات عدّة بوقف إطلاق النار، لكن إسرائيل لم تلتزم بها، والحقت هزائم مؤلمة بالجيوش العربية، وارتكبت مجازر عدّة بحق المدنيين الفلسطينيين. وفي الوقت الذي كانت فيه الدول العربية تأمل بتدخل دولي فعال لفرض قرار التقسيم استولت حكومة إسرائيل على مزيد من الأراضي، معتبرة أن ما حصلت عليه بقرار الأمم المتحدة لا يليبي طموحات شعب إسرائيل. وضمت مناطق المثلث والجليل، ودمرت القرى العربية وازالتها من الخارطة، وهجرت من تبقى الفلسطينيين وحولتهم إلى "لاجئين" داخل أرضهم.^(٧) التي صار اسمها إسرائيل. وعجزت الجيوش العربية عن وقف المجازر واتسعت ظاهرة المغادرة، واستقبلت الأردن وسوريا ولبنان ومصر مئات ألف المغادرين، وارتاحت إسرائيل من كابوس وجود أكتيرية عربية في فلسطين، وتحول ما بقي بيد الجيوش العربية من الأرض الفلسطينية "الضفة الغربية وقطاع غزة" إلى تجمع آخر كبير للاجئين. لاحقاً، في ١١ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار حمل رقم ١٩٤، وتضمن حـق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم أو تعويضـهم عنها،^(٨) لكن حـكومـة إسرـائيل رـفـضـت تنـفيـذـ القرـارـ، وـلمـ تـتـحرـكـ الأمـمـ المتـحدـةـ ولاـ الدـوـلـ الكـبـرـىـ لـأـرـغـامـهاـ عـلـىـ تـنـفيـذـهـ. وـتـحـمـلـتـ الأمـمـ المتـحدـةـ "مشـكـورـةـ" مـسـؤـلـيـةـ تـأـمـينـ لـقـمـةـ العـيشـ لـلـلاـجـئـينـ،ـ وـشـكـلـتـ بـتـارـيخـ ٨ـ كانـونـ الـاـولـ /ـ يـانـايـرـ ١٩٤٩ـ،ـ وكـالـةـ غـوثـ الـلاـجـئـينـ الـفـلـاسـطـيـنـيـنـ بـمـوجـبـ قـرـارـ الجـمـعـيـةـ الـعـامـةـ رقمـ ٣٠٢ـ.

وفي ١٢/١٩٤٨، عقد عدد كبير من زعامات فلسطين مؤتمراً وطنياً في أريحا، ترأسه الشيخ محمد الجبعري وتولى سكرتариـاـ اعمالـهـ عـاجـ نـويـهـ،ـ سـحبـ الشـرـعـيـةـ منـ حـكـومـةـ عمـومـ فـلـاسـطـيـنـ،ـ وـقرـرـ خـصـ ماـ تـبـقـيـ منـ أـرـاضـيـ الـقـدـسـ وـدـرـامـ اللـهـ وـالـخـليلـ وـأـرـيـحاـ وـنـابـلـ وـقـلـيـلـةـ وـطـوـلـكـرمـ وـجـنـينـ إـلـىـ إـمـارـةـ شـرـقـ الـأـرـدـ،ـ وـهـيـ مـاـ صـارـتـ تـعـرـفـ "بـالـضـفـةـ الغـرـيـبةـ".ـ وـفـيـ الـيـوـمـ ذـاهـتهـ،ـ رـفـضـتـ جـامـعـةـ الدـوـلـ قـرـارـ الضـمـ وـصـادـقـتـ عـلـىـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ عمـومـ فـلـاسـطـيـنـ،ـ وـيـقـيـتـ اـرـاضـيـ قـطـاعـ غـزـةـ فـلـاسـطـيـنـيـةـ تـحـتـ الـوـصـاـيـةـ الـمـصـرـيـةـ.

وبـوقـوعـ "الـنكـبةـ"ـ،ـ وـتجـسـيدـ نـتـائـجـهاـ السـيـاسـيـةـ وـالـديـمـغـرـافـيـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ تـبـعـثـرـ مـكونـاتـ النـظـامـ السـيـاسـيـ الـفـلـاسـطـيـنـيـ وـدـخـلـتـ مرـحلـةـ جـديـدةـ،ـ اـخـتـلـفـتـ نوعـيـاـ عـنـ تـلـكـ الـتـيـ مـرـتـ بـهـاـ فـيـ النـصـفـ الـاـولـ مـنـ الـقـنـ،ـ يـمـكـنـ تـسـمـيـتـهاـ بـمـرـحلـةـ الـاـنـكـالـيـةـ الـفـلـاسـطـيـنـيـةـ عـلـىـ الـعـربـ وـانتـظـارـ الـحـلـولـ الـدـولـيـةـ.ـ بـدـأـتـ هـذـهـ الـعـرـلـةـ بـهـزـيمـةـ الـعـاـمـ ١٩٤٨ـ وـاستـمـرـتـ حـتـىـ الـنـهـضـةـ الـوـطـنـيـةـ الثـانـيـةـ وـتـشـكـيلـ مـتـفـ.ـ عـاـمـ ١٩٦٤ـ،ـ وـانـطـلـاقـ الـثـورـةـ الـمـسـلـحةـ عـاـمـ ١٩٦٥ـ.ـ تـبـدـدتـ

خلال هذه المرحلة الهوية الوطنية بين "الأردن" و"الاسرلة" وهوية مواطن اللجوء والشتات، فيما احتفظ سكان قطاع غزة بهويتهم الفلسطينية. وتشكلت أرضية حقيقة لقيام جناحين للنظام السياسي الفلسطيني، الاول في "الداخل"، فوق ارضه التي صار اسمها إسرائيل، والثاني في "الضفة الغربية وقطاع غزة" والشتات حيث تواجد اللاجئون. وتلاشت قوى الحركة الوطنية الفلسطينية، وانخرط طلائعها في حركات وأحزاب قومية عربية وأسرائيلية وأممية. وظهر في منتصف الخمسينيات في غزة عدة تنظيمات سياسية لم ترق لمستوى تشكيل حركة وطنية مستقلة ونظام سياسي واضح المعالم.

إلى ذلك، واصلت إسرائيل اعتداءاتها على القرى والبلدات الحدودية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وشاركت في العام ١٩٥٦ في حرب السويس التي شنتها بريطانيا وفرنسا ضد نظام عبد الناصر. وظهر في مصر وسوريا والأردن ولبنان خوف حقيقي من نوايا إسرائيل العدوانية واطماعها التوسعية، التي لم تكن تخفيها في الاراضي والمياه العربية.

في كانون اول / ديسمبر ١٩٦٤، عقد الزعماء العرب في الإسكندرية أول قمة جامعة لهم،^(١) واتخذوا عدة قرارات أهمها: تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية كأطار لتعبئة وتنظيم طاقات الفلسطينيين في معركة التحرير، وإنشاء قيادة عسكرية موحدة للجيوش العربية لردع اعتداءات إسرائيل. واستناداً لقرار القمة العربية، عقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول أولى دوراته في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤، وقرر: اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وإبلاغ جميع الدول والمنظمات الدولية والشعبية وحركات التحرر في العالم بأهدافها، وصادق على الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساسي للمنظمة، وانتخب احمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية، وتم تكليفه باختيار أعضائها وعدد هم ١٤ عضواً فقط.^(٢)

وكان للإعلان عن تشكيل م.ت.ف. دور في اندفاع عدد من قادة فتح، منهم ياسر عرفات، إلى حرق مرحلة الأعداد العسكرية، خشية بدء فصل جديد من الوصاية العربية، واعلنت فتح في الاول من كانون ثاني / يناير ١٩٦٥ عن نفسها حركة فلسطينية مستقلة تعتمد الكفاح المسلح أسلوباً وحيداً للتحرير، واتخذت موقفاً سليماً من م.ت.ف. باعتبارها اداة بيد من شكلها.

اوائل عام ١٩٦٧ ارتفعت وتيرة التهديدات الاسرائيلية ضد سوريا، وتصاعد التوتر بين إسرائيل وكل من سوريا ومصر. وفي ١٢ ايار/مايو ١٩٦٧، اعلن اسحق رابين رئيس اركان الجيش الإسرائيلي "اننا سوف نشن هجوماً خطافاً على سوريا وسنحتل دمشق لنسقط النظام فيها ثم نعود". وفي صباح ٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، بادرت إسرائيل بتشجيع أمريكي إلى شن حرب شاملة ضد مصر والأردن وسوريا، وتمكنـت في سبعة

ايم من احتلال كل صحراء سيناء المصرية، والضفة الغربية من الاردن، وقطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية. وفي ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٧ صدر قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢^(١) الذي أكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب، واقامة سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط وانسحاب الجيش الإسرائيلي من الأراضي العربية التي احتلها. وكرد فعل على الهزيمة رفضت م.ت.ف. الاعتراف بقرار ٢٤٢ ورفضته سوريا ايضاً. وفي قمة الخرطوم التي عقد من ٢/٨/٦٧ حتى ١/٩/٦٧ رفع العرب شعار لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضات مع إسرائيل.^(٢) وتمسکوا بشعار تحرير فلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة. وراحوا يتحدثون عن حرب التحرير الشعبية، ورفعوا القيود التي فرضوها على العمل الفدائي الفلسطيني.

وخلال الفترة ذاتها، اشتد الصراع الفلسطيني الداخلي حول دور م.ت.ف. كأطار موحد للنضال الفلسطيني، وحول علاقتها بالأنظمة العربية. وتعرضت قيادتها المشكلة من مستقلين لانتقادات شديدة من قبل الفصائل المقاتلة. وبتاريخ ٢٥/١٢/١٩٦٧، اصدرت تنفيذية المنظمة بياناً اعلنت فيه انها: ستعمل بالتعاون مع جميع القوى الفلسطينية المقاتلة على بناء مجلس وطني فلسطيني جديد تنبثق عنه قيادة فلسطينية جماعية تعمل على تصعيد النضال المسلح ضد الاحتلال وتحقيق الوحدة الوطنية. وأجرت اتصالات بقيادة فتح والجبهة الشعبية ومنظمة طلائع حرب التحرير الشعبية "الصاعقة"، واتفق على تأليف المجلس الوطني الجديد. لاحقاً، حسمت فتح موقفها باتجاه تحمل المسؤولية الكاملة عن قيادة م.ت.ف. وفي دورة المجلس الخامسة التي عقدت في القاهرة في الفترة ١-٤ شباط/فبراير ١٩٦٩، انتخب المجلس ياسر عرفات، فاروق القومي، خالد الحسن ومحمد يوسف النجار من قادة فتح اعضاء في اللجنة التنفيذية الجديدة، التي ضمت ايضاً كمال ناصر، ابراهيم بكر، حامد ابو ستة، ياسر عمرو، يوسف البرجي واحمد الشهابي. واعد المجلس انتخاب عبدالمجيد شومان رئيساً لمجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني وعضو في اللجنة التنفيذية.^(٣) وبعد انتهاء اعمال المجلس عقدت اللجنة التنفيذية المنتخبة الاولى وانتخبت ياسر عرفات رئيساً لها وقادها عاماً لقوات الثورة، وانتخبت ابراهيم بكر نائباً لرئيس اللجنة التنفيذية.

ومع تصاعد العمليات الفلسطينية من الاغوار الاردنية خشيت اسرائيل تحول الاردن الى قاعدة لنشاط عسكري خطير، ورفعت وتيرة ضغطها على الحكومة الاردنية. وترافق ذلك ضغوط اسرائيل مع تنامي الاخطاء الفردية والجماعية للفصائل الفلسطينية في الاردن، بعض هذه الاخطاء كان نتيجة تصورات وتقديرات سياسية خاطئة، وبعضها الآخر ناتج عن اتساع صفوف المنظمات، وغياب الوعي، وضعف قوانين الضبط والربط داخلها. وعلى خلفية هذه التطورات تدهورت علاقة م.ت.ف. بالحكم في الاردن. وزادت الشكوك

في التوابيا، واقتنع النظام في الأردن أن الفصائل الفلسطينية متورطة في مؤامرة اقلية مية هدفها الاستيلاء على النظام، وأنه يستحيل اقناعها وضبط مواقفها في إطار السيادة الأردنية، وضبط سلوك عناصرها بما لا يمس هيبة السلطة ولا يسيء لقوانين البلد. وبالمقابل كانت الفصائل الفلسطينية مجتمعة مقتنة بأن النظام الأردني متورط في مؤامرة دولية هدفها شطب المنظمة ومصادر التمثيل الفلسطيني، وإنها الوجود الفلسطيني المسلاح في الأراضي الأردنية. وبينما على هذه القناعات راح كل طرف يحضر للصدام. وقامت الجبهة الشعبية يوم ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، باختطاف ثلاث طائرات أنزلت أحدها في مطار القاهرة والأخرين في مطار المفرق الأردني، ويوم ٩ أيلول/سبتمبر خطفت طائرة رابعة وفجرتها كلها بعد اختلاتها من ركابها.

وفي صباح يوم ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠، اندلعت الحرب "المؤلمة" بين الطرفين، وتدخلت القوات السورية لصالح م.ت.ف. وعبرت الحدود الأردنية. وخشيَت الإدارة الأمريكية من تغيير النظام في الأردن، ورممت بثقلها باتجاه انسحاب القوات السورية فوراً من الأراضي الأردنية، وهددت بالتدخل.^(١٤) واتخذت إسرائيل الموقف ذاته، وأعلنت أنها لن تسمح بقيام نظام موالي لسوريا في الأردن. وخشيَّ الاتحاد السوفياتي من وقوع حرب سوريا - إسرائيلية جديدة، وأبلغَ الإدارة الأمريكية أنه ضد التدخل العسكري السوري في الأردن، وطالب سوريا سحب قواتها من الأراضي الأردنية فوراً. وبذل عبد الناصر جهوداً كبيرة رغم مرضه لاطفاء الحرائق الذي أخذ يهدد الوضع العربي برمتته. فنجح في إنقاذ ما يمكن إنقاذه وتم التوصل إلى "اتفاق القاهرة". ومساء يوم ٢٧ أيلول/سبتمبر، ١٩٧٠، تناقلت وكالات الانباء المصرية والعربية والاجنبية خبر وفاة عبد الناصر. وبوفاته أسدل الستار على التحركات الدولية لحل النزاع العربي الإسرائيلي فترة طويلة. واسفر الصراع بين النظام في الأردن وم.ت.ف. عن خروج قيادة م.ت.ف. وقوات الثورة من الأردن، حيث انتقلت منه إلى جنوب لبنان.

إلى ذلك، عملت فصائل الثورة بهمة كبيرة من أجل تعزيز وجودها العسكري والمدني في لبنان أكثر فأكثر، ولم تعارض السلطات السورية هذا التوجه، بل حبنته وسهلته. وخلال عامين عززت قيادة م.ت.ف. وجودها في المخيمات الفلسطينية في لبنان، وهيمنت قوات الثورة على الجنوب اللبناني، بعد مصادمات عسكرية مع الجيش اللبناني. وخشيَت السلطة اللبنانية من تزايد التواجد العسكري الفلسطيني على أرضها، وهي بالكاد تحملت على مضض الأعداد والموقع العسكرية المحدودة التي تم تثبيتها في اتفاق القاهرة الذي رعاه الرئيس عبد الناصر بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير عام ١٩٦٩.^(١٥) وحاولت فرض قيود على الوجود العسكري الفلسطيني ونشاطه م.ت.ف. ونشأت احتكاكات محدودة بين الطرفين، تطورت بسرعة إلى إشتباكات مسلحة، شاركت فيها كل الفصائل دون استثناء.

ومع بدء الصدامات ارتفعت العلاقات التنسيقية بين القوات الفلسطينية وتطورت العلاقة بين قيادة الحركة الوطنية اللبنانية وقيادة الثورة الفلسطينية. وغرق الفلسطينيين، تدريجياً، شعباً ومنظمة وتنظيمات، في حرب "أهلية" مدمرة، وغرفت معهم فيها القوى الوطنية اللبنانية. وبانغماس قوى الثورة فيها، وقع تغير جوهري في أولوياتها.

في حينه، تقاطعت مصالح بعض القوى والاحزاب اللبنانيه مع التوجهات الامريكية، وحرض وزير الخارجية الامريكية، كيسنجر، قوى لبنانية ضد الوجود الفلسطيني المدني والعسكري في لبنان. وتباوبي حزب "الكتائب" بزعامة الشيخ ببير الجميل وحزب "الوطنيين الاحرار"، بزعامة كميل شمعون، وقيادة الجيش اللبناني، مع مخطط كيسنجر الرامي الى اشعال فتيل الحرب في لبنان. وقامت مليشيا "الكتائب" يوم ١٣ نيسان/ابريل ١٩٧٥ بالاعتداء على باص ينقل، عادة، مدنيين فلسطينيين، من بيروت الغربية الى مخيماتهم في شقاها الشرقي، وقتلت وجرحت ركابه. وتعتمدت ارتکاب مجرتها في حي "عين الرمانة" المسيحي، ورفعت وتيرة هجومها ضد الغرباء في لبنان.^(١) وصدمت الجماهير الفلسطينية بالجريمة، وتعهدت قيادة م.ت.ف. وفصائلها بالانتقام من مدبري الحادث، واتهتهم بالعملاء لاسرائيل والامبرالية الامريكية. وهبت "قوى الوطنية الاسلامية اللبنانية"، بقيادة كمال جنبلاط، للدفاع عن الوجود الفلسطيني. وبعد تشيع الشهداء، اشتغلت الاشتباكات المسلحة في بيروت، وسائر المناطق اللبنانية، بين قوات الثورة الفلسطينية ومليشيا الحركة الوطنية، ضد مليشيا "الكتائب" والقوى "الانعزالية" اللبنانية، اسفرت عن تفكك الجيش اللبناني وسيطرة القوات المشتركة على بيروت الغربية والجنوب اللبناني بكامله ومناطق البقاع والشمال ومناطق واسعة من الجبل، وزادت قوات الثورة من تدخلها في الشؤون اللبنانية، واقامت دولة داخل الدولة اللبنانية.^(٢)

بعد وفاة عبد الناصر، وغرق م.ت.ف. في المستنقع اللبناني، تجمدت عمليات البحث الدولية عن حلول المصراع العربي - الاسرائيلي، وظللت اوضاع المنطقة على حالها، وعاشت فترة هدوء ثبت لاحقاً انه خادع. في حينه، ينس الرئيس المصري والسوري من تحرير أرضهما المحتلة بالطرق السلمية، وقررا شن الحرب ضد اسرائيل. وبعد عملية تحضير طويلة، وعملية تضليل بارعة شنت الجيوش المصرية والسويسرية في ٦ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٣، هجوماً منظماً ضد الجيش الاسرائيلي في سيناء والجولان، ونجحت في تحرير اجزاء هامة منها، وشاركت القوات الفلسطينية في الحرب ضمن حدود امكاناتها وحيث تسنى لها. وقبل ان تستقر الاوضاع العسكرية على الجبهتين السورية والمصرية أصدر مجلس الامن الدولي في ٢٢ تشرين الاول/اكتوبر قراره رقم ٣٣٨^(٣) واعترفت سوريا ومصر بالقرار، واستردتا اجزاء هامة من اراضي سيناء والجولان، واعترفت سوريا لأول مرة بالقرار ٢٤٢.

وبالهجوم العسكري المصري - السوري المشترك ضد إسرائيل، والاسناد السياسي العربي الواسع، وخصوصا حظر تصدير النفط العربي للولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان، تغير المناخ السياسي العسكري في الشرق الأوسط. وجدت الادارة الأمريكية مساعيها من أجل حل الصراع بالطرق السلمية، ولم تتجاوز السوفيت، ودعا الجانبان الأمريكي والsovieti مصرا سوريا والأردن وإسرائيل إلى الاشتراك في مؤتمر دولي للسلام يعقد في جنيف تحضيره الامم المتحدة كمراقب. ورغم عدم دعوة م.ت.ف. للمشاركة في المؤتمر فقد انتعشت امال الفلسطينيين في حل قضيتهم عبر التحركات الدولية الجديدة، وفي انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة وحل مشكلة اللاجئين والنازحين، وقيام دولتهم المستقلة.

في حينه رفضت سوريا حضور المؤتمر، واعتبرت انفراد السادات بوقف الحرب خيانة وخديعة. وعلى الرغم من غياب سوريا وغياب م.ت.ف. عقد المؤتمر أواخر كانون أول / ديسمبر ١٩٧٣، ودام اعماله مدة يومين وانتهى دون الاعلان رسميا عن انتهائه وفشلها.

إلى ذلك، ظهر في الساحة الفلسطينية وخصوصا في صفوف الحزب الشيوعي، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وحركة فتح، تيار يدعو الى استثمار الاجواء السياسية الدولية، وتبني فكرة تمييز ما هو مباشر عما هو تاريخي واستراتيجي، ودعا الى مرحلة الأهداف الوطنية الفلسطينية ضمن برنامج مرحلي يقره المجلس الوطني. وبعد صراع فكري وسياسي عميق تمكّن التيار الواقعي من تحويل أطروحاته النظرية الى سياسة رسمية للمنظمة، حين أقر المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشر ١٦/٩/١٩٧٤ برنامج "النقاط العشر"^(١) الذي عرف وقتها ببرنامج السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة. وانقسمت الساحة الفلسطينية على نفسها، وتكللت القرى المعارضه للبرنامج المرحلي، وظهرت "جبهة الرفض الفلسطينية"، وحظيت هذه الجبهة بدعم ليبية وسوريا والعراق. وتسابقت الفصائل الفلسطينية على تنفيذ عمليات عسكرية نوعية ضد اسرائيل ذات اهداف سياسية مباشرة.

إلى ذلك، اشتدت حدة المعارك على الساحة اللبنانية، وتمكن القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة من الحاق هزائم كبيرة بالقوات الانعزالية. وبعد تضعضع اوضاع هذه القوات اعلنت الادارة الأمريكية في ايار / مايو ١٩٧٦ ان تدخلا سوريا محدودا في لبنان سيساعد على استقرار الوضع واستتباب الامن. وتقاطعت التوجهات الأمريكية، في حينه، مع مصالح سوريا و"القوى الانعزالية"، وقررت القيادة السورية حسم المشكلة في لبنان، لحماية اوضاعها في مواجهة تقديم الحل الثاني على الجبهة المصرية، ونجاح كيسنجر، في التوصل الى اتفاقية فك الاشتباك الثانية المصرية - الاسرائيلية وتجاهله موقف سوريا.

وفي الاول من حزيران/يونيو ١٩٧٦، دخلت اولى وحدات الجيش السوري، مناطق البقاع والشمال، بناء على طلب الرئيس اللبناني الياس سركيس، الذي وصل سدة الرئاسة، بعد انتهاء ولاية الرئيس سليمان فرنجية، بدعم سوري. واستقبلت القوى الانعزالية وجماعاتها القوات السورية بترحيب شديد. وعارض الاتحاد السوفياتي هذا التدخل وارسل بريجنيف يوم ١١ تموز/يوليو ١٩٧٦، رسالة الى الرئيس الاسد دعاه فيه الى سحب القوات السورية من لبنان. الى ذلك، استنكرت القيادة المشتركة الفلسطينية - اللبنانيّة، تحالف سوريا مع القوات "الانعزالية"، وعارضت تدخلها عسكرياً في لبنان، ووقعت اشتباكات عنيفة بين القوات السورية ومقاتلي فصائل الثورة في مناطق عدّة، اسفرت عن سيطرة القوات السورية على البقاع والشمال وبيروت الغربية وصيدا، وانكفاء القوات الفلسطينية الى المخيمات ومحيطها. ولم يهدأ الصراع السوري - الفلسطيني في لبنان، الا بعد انعقاد مؤتمر الرياض، في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٧٦، واتخاذه قراراً بتشكيل "قوات الردع العربية" التي مثلت، في الواقع، غطاء عربياً لتواجد الجيش السوري في لبنان.^(٢٠)

واستغلت اسرائيل تمنّق لبنان، واستقطبت الرائد سعد حداد، قائد وحدات الجيش اللبناني في منطقة الجنوب، المتاخمة لحدودها. وبينت لنفسها، عام ١٩٧٦، حزاماً أمنياً، امتد من شاطئ البحر غرباً حتى جبل الشيخ شرقاً، وبعمق بضعة كيلومترات داخل لبنان.

يوم ١٧ أيار/مايو ١٩٧٧، اسفرت انتخابات الكنيست الإسرائيلي عن هزيمة حزب العمل وفوز تكتل الليكود. وتولى مناحم بيغن رئاسة الحكومة، وراح يدير دفة المفاوضات مع الإدارة الأمريكية بصورة مختلفة. وأدرك السادات استحالة انعقاد مؤتمر جنيف للسلام من جديد، واستحالة التقدم في عملية السلام على كل الجبهات العربية في وقت واحد. وأعلن، في ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧، أنه مستعد لبذل أقصى الجهود من أجل السلام، ومواجهة قادة إسرائيل ولو في الكنيست. واعتبرت الفصائل الفلسطينية عزم السادات زيارة القدس انعطافاً خطيراً في الصراع العربي - الإسرائيلي، ومكملاً لمخططات الصهيونية العالمية.

أثرت رحلة السادات لإسرائيل، يوم ٢٠-١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧، بشدة في المناخ السياسي الإقليمي والدولي، وهزت الأوضاع العربية وأطاحت بالتضامن العربي، وفتحت باب الصراعات العربية - العربية على مصراعيه. واشاعت الإدارة الأمريكية أنها فوجئت بخطوة السادات ولم تكن تحبّذها. لكن أحداً لم يصدق أقوالها، وتصرّف السوفيات باعتبار الزيارة خديعة أمريكية مدبرة ضدّهم، وبداية هجوم أمريكي جديد على الشرق الأوسط، يستهدف وجودهم. وكلّفوا حلفائهم في "حلف وارسو" نشاطهم وتحركاتهم في المنطقة، وطوروا علاقتهم بالثورة الفلسطينية، وأعزّزوا لحلفائهم تقديم مساعدات عسكرية.

وفي ٣٠ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧٧، ادان المجلس المركزي الزيارة بشدة، ودعا الجماهير المصرية والعربية الى "مقاومة نهج الخيانة والاستسلام". كما دعا الشعب الفلسطيني، في الداخل والخارج، الى تصعيد مقاومته للاحتلال، وتعزيز التفاافه حول م.ت.ف.، ممثله الشرعي والوحيد.

وبعد عشرة ايام من زيارة السادات للقدس، عقدت قمة عربية مصرية، في كانون الاول /ديسمبر ١٩٧٧، في طرابلس، ضمت ليبيا وسوريا والجزائر واليمن الجنوبي وال العراق ومنظمة التحرير لتنسيق المواقف. ولم يجد الزعماء صعوبة في مصالحة الرئيس الاسد و Yasir Arafat. وقبل استكمال المناقشات، انسحب الوفد العراقي من اللقاء، بعد اصرار الوفد السوري على التمسك باعترافه بالقرار ٢٤٢ و ٣٣٨. وعلى هامش القمة تقرر، مبدئياً، تشكيل "الجبهة القومية للصمود والتصدي"، تكون سوريا وم.ت.ف. نواتها. ومطلع شباط / فبراير ١٩٧٨، اعلن في الجزائر عن تشكيلها، وحددت مهمتها بمعارضة سياسة السادات، والتصدي للحلول الثانية المصرية - الاسرائيلية.

إلى ذلك، صعدت فصائل الثورة عملياتها ضد إسرائيل من جنوب لبنان، وصباح يوم ١١ آذار / مارس ١٩٧٨، نجحت مجموعة دير ياسين، التابعة "الفتح" في تنفيذ عملية "الشهيد كمال عدونان" على شاطئ البحر الأبيض بين حيفا وتل أبيب، واستولت على حافلة ركاب انطلقت بها جنوباً، وجرت معركة عنيفة بين القوات الإسرائيلية والخاطفين، أسفرت عن مقتل أكثر من ٣٠ إسرائيلياً، وجرح ٨٠ آخرين، واستشهد الفدائيون باستثناء واحد.

وبعد اربعة أيام، اخترقت القوات البرية الإسرائيلية، في الساعة الأولى من فجر ١٥ آذار / مارس، الحدود الدولية مع لبنان واشتبكت مع الفدائيين الفلسطينيين والمناضلين اللبنانيين، وطردت الفدائيين شمالاً وشردت قرابة ربع مليون انسان ربهم من الفلسطينيين. وفي اليوم الخامس من القتال ١٩ آذار / مارس ١٩٧٨ اجتمع مجلس الامن الدولي، بطلب من لبنان، وأصدر قراره الشهير رقم ٤٢٥ قدمت الادارة الأمريكية مسودته الأساسية، وأكد القرار على الاحترام الصارم لسلامة اراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي، داخل حدوده المعترف بها دولياً، ودعا إسرائيل إلى سحب قواتها من جميع الاراضي اللبنانية. ولاحقاً اتخذ المجلس قراره رقم ٤٢٦ تم بموجبه تشكيل قوة مؤقتة للأمم المتحدة في جنوب لبنان، مهمتها التثبت من انسحاب القوات الإسرائيلية، ومساعدة حكومة لبنان على عودة سلطتها الفعلية إلى المنطقة. ولم تلتزم إسرائيل بتنفيذ القرار وأعادت تنظيم احتلالها للجنوب، واحتفظت بسيطرة تامة على "حزام أمني" داخل الاراضي اللبنانية طوله قرابة ٩٠ كم ومعدل عمقه ١٠ كم، يمتد من البحر غرباً وحتى جبل الشيخ شرقاً. وفي ١٨ نيسان / ابريل ١٩٧٩، اعلنت، بالاعتماد على سعد حداد عن قيام "دولة لبنان الحر"، في منطقة الحزام. وكرست إسرائيل كانتون حداد وبعد انتowan لحد حزام

أمني لحدودها الشمالية، وأصبح الجنوب اللبناني مسرحاً لاشتباكات يومية بين قوات الثورة والحركة الوطنية من جهة والجيش الإسرائيلي وعملائه من جهة أخرى.

إلى ذلك، تابع الرئيس السادات مفاوضاته الثنائية، وتوصل الطرفان المصري والإسرائيلي يوم ١٧/٩/١٩٧٨، بمساعدة الرئيس كارتر إلى اتفاques كامب ديفيد.^(٢١) وبدأت رحلة السلام الثاني المصري - الإسرائيلي، وإنفردت الإدارة الأمريكية بتمويلها ورعايتها. ومراجعة وقائع مفاوضات واتفاقات كامب ديفيد، تبين أن هدف السادات كان أبعد وأكبر من حل ثنائي بين مصر وإسرائيل، فقد حاول وضع أساساً لحل النزاع العربي - الإسرائيلي برمتها، ودخل في مفاوضات حول الجولان والقضية الفلسطينية..

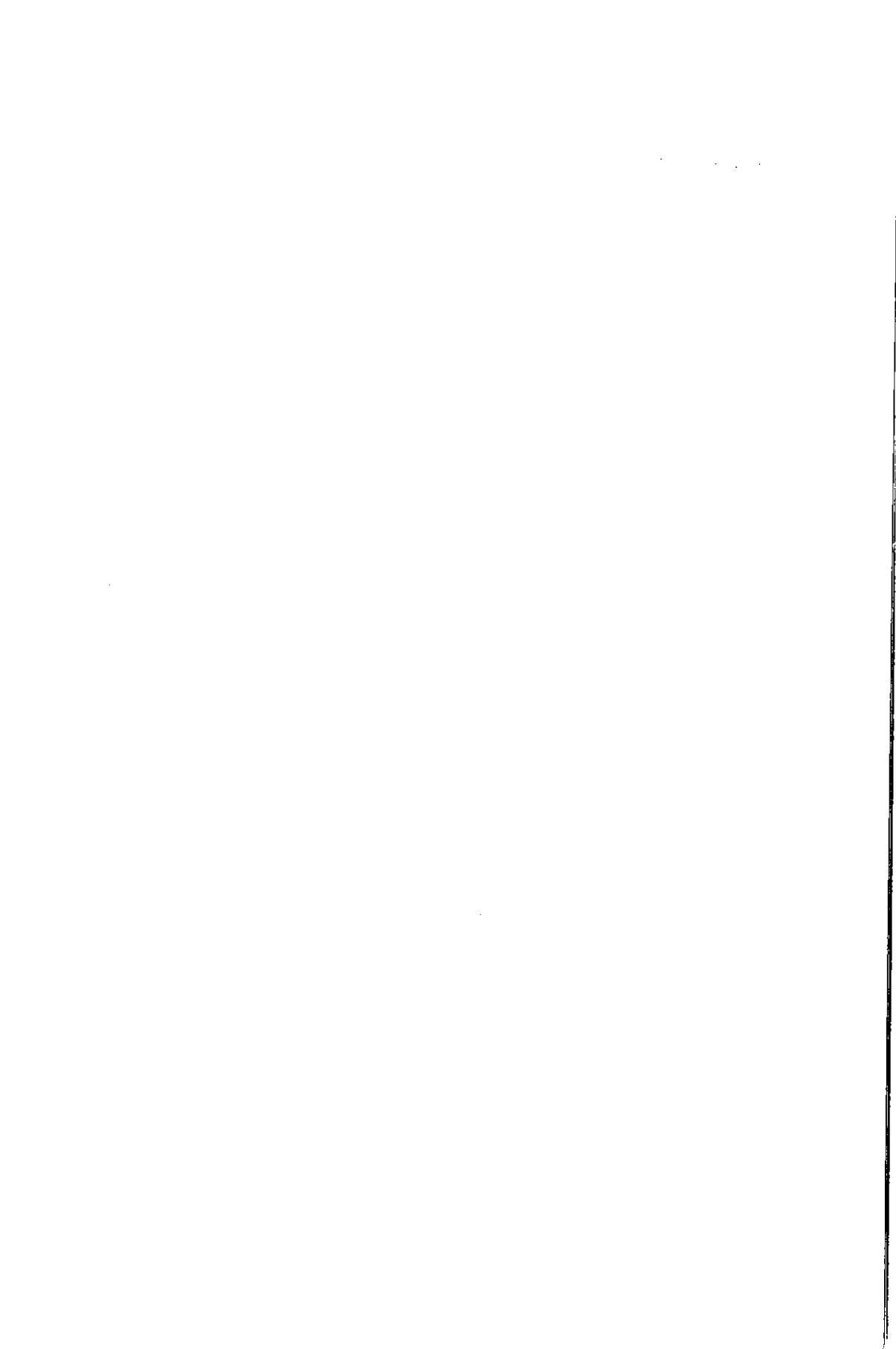
وبعد كامب ديفيد، وقعت تحولات في العلاقات العربية - العربية، وفي ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر توصلت م.ت.ف. والحكومة الأردنية، في عمان، إلى اتفاق "اطار العمل المشترك". وفي الوقت الذي أثار فيه هذا الاتفاق اشكالات فلسطينية داخلية كبيرة، فقد سهل انعقاد قمة عربية في بغداد في ٥ تشرين ثاني / نوفمبر ١٩٧٨، شاركت فيها جميع الدول العربية باستثناء مصر. واتخذت القمة قرارات اهمها؛ رفض اتفاques كامب ديفيد، ومقاطعة مصر، وتجميد عضويتها في الجامعة العربية، ونقل مقر الجامعة من القاهرة إلى العاصمة التونسية.^(٢٢)

ومهما كان حجم تأثير السوفيت في الموقف العربي الذي صدر عن قمة بغداد، فقد كان فعل القيادة السوفيتية عنيفاً. واستنفر السوفيت طاقاتهم السياسية والدبلوماسية، ووظفوا وشبكة علاقاتهم العربية الرسمية وغير الرسمية باتجاه محاصرة اتفاques كامب ديفيد والإطاحة بها، وارتفعت حدة الحرب الباردة في الشرق الأوسط، وكان لبنان ميدان اشتباك غير مباشر بين العمالقين، وعلى أرضه تصارعت استخباراتهم، وجريت اسلحتهم، كما تبين فصول هذا الكتاب.

هوامش المقدمة

- ١) راجع: وثائق فلسطين، مائتان وثمانون وثيقة مختارة، (دائرة الثقافة م.ت.ف.. ١٩٨٧).
- ٢) راجع: نفس المصدر المذكور أعلاه.
- ٣) القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩٩١.١٩١٧، وثائق الوفد الفلسطيني لمؤتمر السلام ١٩٩١.
- ٤) راجع: ماهر الشريف، البحث عن كيان، (تفصيلاً: شركة F.K.A للنشر، ١٩٩٥).
- ٥) بيان الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦).
- ٦) راجع: محمد خالد الأزعر، حكومة عموم فلسطين، (القاهرة: دار الشرق، ١٩٩٨).
- ٧) بن غوريون، يوميات الحرب ١٩٤٨-١٩٤٧، ترجمة سمير جبور (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣).
- ٨) راجع نص القرار ١٩٤، القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩٩١.١٩١٧، مصدر سبق ذكره.
- ٩) راجع: وثائق فلسطين، مائتان وثمانون وثيقة مختارة، مصدر سبق ذكره.
- ١٠) راجع: نفس المصدر المذكور أعلاه.
- ١١) راجع نص القرار ٢٤٢، القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٩١، مصدر سبق ذكره.
- ١٢) راجع: قرارات مؤتمر القمة العربية في الخرطوم، وثائق فلسطين، مصدر سبق ذكره.
- ١٣) راجع: قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وثائق فلسطين، نفس المصدر المذكور أعلاه.
- ١٤) راجع: وليم كوات، الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤).
- ١٥) أثار هذا الاتفاق اشكالات داخلية كبيرة وطلت نصوصه سرية حتى على مجلس النواب اللبناني.
- ١٦) هي "عين الرمانة": احد احياء بيروت الشرقية، سكانه مسيحيون، كان معقلاً لحزب الكتائب، يقابلها غرباً هي الشياح بأغلبيته الشيعية. تحول بعد جريمة الباص الى محور قتال ومعقل للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. ولاحقاً أصبح معقلاً لحركةأمل وحزب الله.

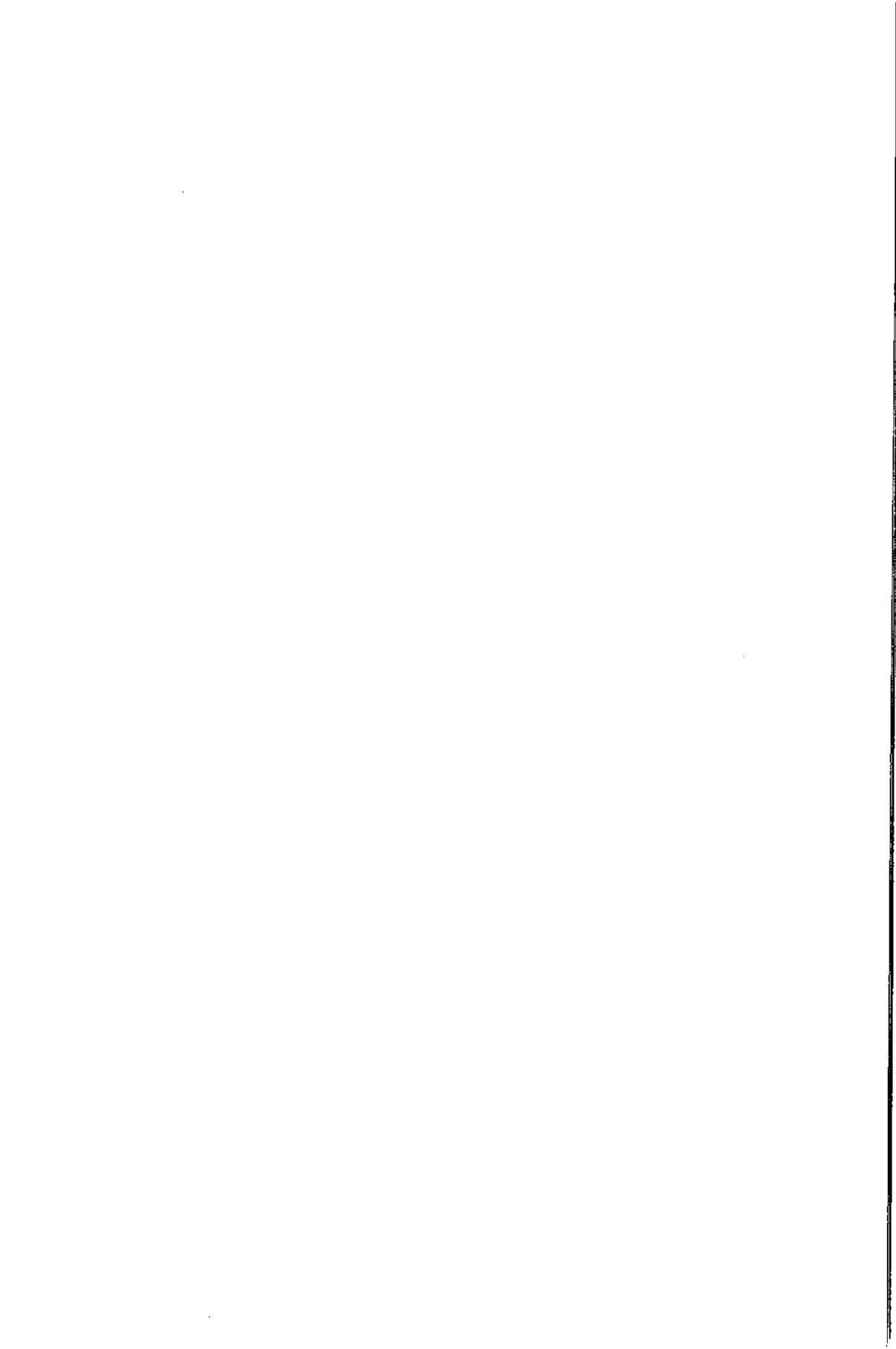
- ١٧) أقامت م.ت.ف. في لبنان هيكل دولة مركزها في حي الفاكهاني في بيروت الغربية. سكانه مسلمون من السنة، يجاوره مخيمات صبرا وشاتيلا وبيير حسن ومار الياس. تحول الحي الى مركز رئيسي للقيادة المركزية الفلسطينية، تجمعت فيه مؤسسات الثورة الادارية والمالية والعسكرية، ومراكز الاتحادات والمنظمات الشعبية. وبلغ معدل اتفاق "دولة الفاكهاني" في لبنان قرابة ١٥٠ مليون دولار سنويا.
- ١٨) راجع؛ **وثائق فلسطين**، القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية، مصدر سبق ذكره.
- ١٩) راجع، **وثائق فلسطين**، قرارات المجلس الوطني الفلسطيني مصدر سبق ذكره.
- ٢٠) اثر الاشتباكات السورية - الفلسطينية، عقدت قمة عربية مصفرة في الطائف، قررت تشكيل قوات عربية مشتركة اطلق عليها قوات الردع العربية شاركت فيها، بالإضافة للقوات السورية، وحدات من الأردن واليمن والسودان وال السعودية، عملت في اطار خطة عربية لوقف الحرب الأهلية. وقدمت قوات الردع العربية مساعدات متنوعة للجبهة الديمقراطية وكان ضمنها كميات من الاسلحة والذخائر.
- ٢١) راجع: **الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧**، مصدر سبق ذكره.
- ٢٢) راجع؛ **وثائق فلسطين**، قرارات القمة العربية مصدر سبق ذكره.



الفصل الأول

حرب ١٩٨٢ تشتت

فكرة الدولة وتبعد الأحلام الفلسطينية



حرب ١٩٨٢ تشتت فكرة الدولة وتبع الأحلام الفلسطينية

السوفيت يشجعون تفجير الوضع في جنوب لبنان

halted الاحوال الصعبة التي عاشتها الساحة الفلسطينية، نتيجة اتفاقيات كامب ديفيد والخلاف حول نسبة التمثيل في اللجنة التنفيذية، دون عقد دوره المجلس الوطني الخامسة عشر في موعدها المقرر. ولاحقاً، عقدت الدورة في دمشق في الفترة الواقعة ما بين ١١-١٩ نيسان/ابريل ١٩٨١، وامتازت بحضور قرابة ٩٠ وفداً رسمياً يمثلون جميع الدول العربية والاشتراكية، ومعظم الدول الأفريقية، وعدداً من الاحزاب الاوروبية ومن احزاب امريكا اللاتينية وآسيا. وأولى المجلس تطورات الوضع العسكري المتواتر في لبنان أهمية استثنائية، وأكد على أهمية تنفيذ قرار التعبئة العامة، لتعزيز قدرات الثورة في الدفاع عن نفسها وعن الشعب في مواجهة الاعمال الحربية الاسرائيلية. وشدد على ضرورة تعميم هذا القرار ليشمل كافة قطاعات شعبنا وتجمعاته بقيادة جبهوية، وكل اللجنة التنفيذية متابعة تنفيذه، ودعا المجلس الوطني الدول العربية والصديقة لتسهيل التحاق الفلسطينيين المقيمين على اراضيها بقوات الثورة تطبيقاً لقرار التعبئة. وكلف المجلس اللجنة التنفيذية والمجلس العسكري الاعلى للثورة انجاز الوحدة العسكرية بين فصائل وقوى الثورة كافة باسرع وقت ممكن.^(١) ودرس على مدى يومين توصيات بقية اللجان واجرى التعديلات الضرورية عليها واصدرها في قرارات. وأشار الى الدور الايجابي الذي تؤديه القوىديمقراطية والتقدمية اليهودية المعادية للصهيونية عقيدة ومارسة في اسرائيل، التي تعرف بمنظمة التحرير مثلاً شرعاً ووحيد للشعب الفلسطيني، وبالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة،

وادان اي اتصال يجري مع الاطراف التي تنتهج الصهيونية عقيدة وممارسة. ووافق المجلس على اعتماد جبهة النضال الشعبي وجبهة التحرير الفلسطينية منظمتين عاملتين في المجلس، وذلك بناء على طلب تقدم به ١٩ اعضوا من اعضاء المجلس. وقرر زيادة عدد ممثلي الارض المحتلة من ١٢٢ الى ١٨٠ اعضوا يتم اختيارهم من ممثلي القوى والاتحادات والكافاءات والبلديات والمجالس القروية والجمعيات في الارض المحتلة، وعدم احتسابهم في النصاب حتى لا تتعطل اعمال المجلس طالما بقي الاحتلال قائما. وقرر تمديد ولاية المجلس الوطني الحالي، وان يبقى في كل الاحوال قائما ومتعملا بكامل صلاحياته الى حين اجتماع المجلس الجديد. وفي نهاية اعماله انتخب المجلس لجنة تنفيذية جديدة وجدد بالاجماع تثبيت ياسر عرفات رئيسا لها.^(١)

وخلال الفترة ذاتها، عمل الاتحاد السوفيفيتي وسوريا وليبية على تسخين الاوضاع العسكرية في لبنان، للتشويش على تقدم المفاوضات الاسرائيلية - المصرية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني، التي تواصلت بعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد. وشجع السوفيفيت القيادة السورية على دفع بعض الصواريخ المضادة للطائرات إلى داخل الأرضي اللبناني. ونشأت أزمة بين اسرائيل وسوريا عرفت بازمة الصواريخ. وأرسلت ليبيا للأراضي اللبنانية وحدات محدودة من قواتها مزودة بالأسلحة المضادة للطائرات: رشاشات شيلكا. وزوالت ليبيا فصائل م.ت.ف. بكميات ضخمة من الاسلحة الثقيلة والذخائر، ونال بعض قوى الحركة الوطنية نصيب منها. ولم يخف السوفيفيت والسوسيون والليبيون امتعاضهم من سياسة قيادة م.ت.ف وخصوصاً مواقف أبو عمار بل ونظروا إليها على أنها تتضمن مرونة ومهادنة كبيرة مع المصريين وسياسة كامب ديفيد. ووجهوا المساعدات العسكرية والمادية، بشكل رئيسي، إلى ما كان يصطلاح على تسميته بقوى "اليسار الفلسطيني". وعقدت عدة اجتماعات فلسطينية في ليبيا شاركت فيها الجبهتان الشعبية والديمقراطية، نوقشت فيها خطط تفصيلية لمواجهة سياسة "اليمين الفلسطيني" المهدامة لكامب ديفيد، والاطاحة به من قيادة المنظمة اذا أمكن، وتقوية موقع اليسار الفلسطيني في قيادتها. وقدرت ليبيا لقوى اليسار مساعدات عسكرية وعينية ونقدية قدرت قيمتها بملايين الدولارات. فقد التزمت، على سبيل المثال، بتقديم دعم مالي للجبهة الديمقراطية قيمته مليون دولار شهرياً، عدا عن تسديد اثمان بعض المشتريات العسكرية وشبكة العسكرية التي قيمتها ملايين الدولارات. ودفعت شهرياً للجبهة الشعبية بزعماء جورج حبش مبلغًا مماثلاً. أما القيادة العامة بزعامة احمد جبريل، فكانت قيمة مساعدتها مليون ونصف المليون دولار شهرياً، عدا مشترياتها العسكرية الثمينة. وحصلت منظمة الصاعقة الموالية لسوريا على نصف مليون شهرياً، وجبهة النضال الشعبي على أربعين ألف دولار، عدا عن كميات كبيرة من الأسلحة والتجهيزات العسكرية الأخرى والتمويل. الى

ذلك، قدمت ليبا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اثنى عشرة راجمة صواريخ BM21، وبطارية مدفعية عيار 130 ملم وبطارية أخرى من عيار 122 ملم مع وحداتها النارية. وقدمت المواد والأعداد ذاتها للجبهة الديمقراطية. أما القيادة العامة بزعامة احمد جبريل فكان نصيبها 15 راجمة من ذات العيار. وحصلت منظمة الصاعقة الموالية لسوريا على أربع راجمات، وجبهة النخيل الشعبي بزعامة سمير غوشة على ست راجمات. هذا عدا الأجهزة اللاسلكية المقطورة، وألاف الرشاشات الخفيفة، ومئات القوافز المضادة للدروع RPG، وعشرات المدافع المباشرة غير المرتد، ومدافع الهاون من عيار 120 و 160 ملم، مع وحداتها النارية الكاملة. وشملت المساعدات أيضاً بعض احزاب وقوى الحركة الوطنية اللبنانية، ومنها الحزب الشيوعي، والاتحاد الاشتراكي العربي بزعامة عبد الرحيم مراد. ويمكن تقدير ثمن كل هذه المواد، فسعر صاروخ غراد واحد يساوي بضعة الآف من الدولارات.

وبعد تزويد هذه الاطراف بالدعم والسلاح طولبت هذه القوى بتصعيد عملياتها العسكرية من جنوب لبنان، وجرى تشجيعها على ضرب المدن والقرى والمستوطنات الإسرائيلية القريبة من حدود لبنان. ولم تكن تلك الفصائل بحاجة لمن يشجعها، ووجدت في ما امتلكت من أسلحة، وسيلة تعوض ضعف قدراتها على اختراق الحدود الإسرائيلية اللبنانية بواسطة الأفراد. وراح تناوش المعسكرات والمستوطنات والمدن الإسرائيلية الشمالية المتاخمة للحدود اللبنانية. وطال القصف، أذاك، مدینتي نهاريا وكريات شمونة ومحيط مدينة صفد وكل المستوطنات والقرى الإسرائيلية الواقعة على امتداد خط المواجهة مع لبنان، من رأس الناقورة غرباً وحتى سفوح جبل الشيخ شرقاً. وبررت ذلك بأنه رد على حرب الاستنزاف التي قررها رئيس الاركان الإسرائيلي روفائيل ايتان والخسائر التي لحقت بصفوف المدنيين^(١).

لاحقاً، في تموز / يوليو ١٩٨١، وقع ما اصطلاح على تسميته "حرب المدفعية" بين قوات منظمة التحرير والقوات الإسرائيلية، ويقدار ما كانت تلك الحرب ميداناً لاستعراض "الغضبلات" والقدرات العسكرية الفلسطينية واختبار الأسلحة الجديدة والخبرات الفنية المكتسبة من الدورات الخارجية، كانت إنذاراً للقيادة الإسرائيلية بخطورة الوضع على الجبهة الشمالية، ومؤشرًا على تحول قوات الثورة الفلسطينية إلى قوة عسكرية فعالة، قادرة على الحقن أذى جدي، معنوي ومامي بإسرائيل وبمدتها وقراها الشمالية. وتحول جنوب لبنان إلى جبهة عسكرية أكثر ازعاجاً من الجبهات العربية الأخرى.

في حينه، كان لأبو عمار رأي خاص اختلف فيه مع المجلس العسكري الاعلى، ومع نائبه أبو جهاد خليل الوزير عضو اللجنة المركزية لفتح، ومدير غرفة العمليات المركزية لقوات

الثورة سعد صايل أبو الوليد عضو اللجنة المركزية لفتح^(٤) وكانت مع رأيهما. فقد عارض أبو عمار كشف القرارات العسكرية الفلسطينية الجديدة، وخصوصاً امتلاكها راجمات الصواريخ ومدافع الميدان الثقيلة. وعارض قصف المدن والمستوطنات الإسرائيليّة وطلب تركيز القصف ضدّ الواقع العسكري والمنشآت الاقتصاديّة وخطوط المواصلات الإسرائيليّة. وحذر من عواقب قصف الأهداف المدنيّة الإسرائيليّة وما قد يترتب عليه من رد فعل إسرائيليّ عنيف قد يلحق أذىً ودماراً كبيرين، بالوضع الفلسطيني العسكري والمدني في لبنان. وقال: "امتلاك الثورة للراجمات والدبابات والمدفعيّة الثقيلة يجب أن لا يدفعها للميل نحو العمل الأسهل، علينا أن نحرص على إدامه الاشتباك البشري المباشر مع العدو". ولريما، كان في ذهن أبو عمار سبباً آخر لم يفصح عنه، هو شكه في نوايا سوريا ولبيبا وفي أهدافهما من تسلیح قوى اليسار الفلسطيني وتشجيعهما على تصعيد عملياتها ضد إسرائيل، لاسيما وأنه كان يلمّس حرص سوريا على بقاء جبهتها مع إسرائيل هادئة تماماً، حيث أنها تمنع الفدائيّين الفلسطينيين من تنفيذ أي عملية عسكريّة من الجولان. وكانت التقارير الأمنيّة التي تصله تباعاً تؤكّد تحريض سوريا ولبيبا لقوى اليسار الفلسطيني ضدّ شخصياً ضدّ قيادة فتح، التي يصفونها أنها حركة يمينيّة مستسلمة، ومهادنة لنظام كامب ديفيد وتلهث خلف الحلول الأميركيّة.

في معارك الاستنزاف، ابرزت الكوادر العسكريّة الفلسطينيّة خبراتها الفنيّة التي تلقّتها في دوراتها العسكريّة بكليات ومعاهد الاتحاد السوفويّي وبلدان دول حلف وارسو. وتحمّس بعض القادة السياسيّين والعسكريّين الفلسطينيّين للقصف المدفعي ونتائجـه المؤذنة للمدن وسكان المستوطنات الإسرائيليّة. أما محمود عباس أبو مازن عضو مركزية فتح، فكان يشدد على التمييز في الأهداف، وتجنب قصف مدن اليهود "السفرديـم" ومجتمعـهم السكنيـ، وتركيز القصف على التجمعـات والمستوطـنات التي يسكنـها الاشـتـakan.

حتـى أوائل شهر تموز/يوليو ١٩٨١، بقي أبو عمار متحفظـاً على استخدام الأسلحة الفلسطينيـة الثقـيلة الجديدة، وبقي يراقب بدقة رد فعل القيادة العسكريـة الإسرائيليـة. ويـ بتاريخ ١٠ تمـوز/يولـيو ١٩٨١، أغارت الطـائرـات الإسرائيليـة على مـوقع قـوات الثـورة في منـطقة الزـهرـاني بالـجنـوب اللبنانيـ، وكانت غـاراتـها قـويةـ ومـدـمرةـ. بعدـ الغـارةـ، راحـ أبو عـمار يـفكـرـ ويـتسـاءـلـ بصـوتـ عـالـ: هلـ التـصـعيدـ الإـسرـائيلـيـ استـدرـاجـ لـقوـاتـ الثـورةـ، أمـ بـداـيةـ تـنـفـيـذـ لـقرـارـ بـتـدمـيرـ الـبنـيةـ الـعـسـكـرـيـةـ الفلـاطـينـيـةـ؟ وـلـمـ يـكـنـ الـأـمـرـ مـحـسـومـاـ فيـ ذـهـنـهـ، وـظـلـ مـتـرـدـداـ فيـ إـصـدـارـ الـأـوـامـرـ الـصـرـيـحةـ بـفـتـحـ كـلـ النـيـرانـ بـالـرـغـمـ منـ تـوـاـصـلـ الـعـمـلـيـاتـ الإـسـرـائيلـيـةـ الـأـرـضـيـةـ وـالـجـوـيـةـ عـلـىـ اـمـتدـادـ ١١ـ١٧ـ تمـوزـ/ـيـولـيوـ، وـظـلـ يـدـفعـ بـاتـجـاهـ اـسـكـمالـ الـاستـعـدـادـاتـ الـقـتـاليـةـ، وـأنـ تـكـونـ الرـدـودـ الـفـلـاطـينـيـةـ مـدـرـوـسـةـ وـمـحـدـودـةـ. وـفـيـ اـجـتمـاعـ

للمجلس العسكري الأعلى عقد يوم ١٩ تموز / يوليو ١٩٨١، دفع أبو عمار باتجاه عدم التسرع في الرد، وصدر بيان عن الاجتماع اراده أبو عمار ان يكون مقتضباً، وقال البيان: "ان المجلس العسكري الأعلى بحث في اجتماعاته الاعتداءات العسكرية الصهيونية اليومية واتخذ عدداً من الإجراءات والترتيبات الميدانية التي من شأنها تعزيز التصدي الفلسطيني للاعتداءات الاسرائيلية الوحشية، وأبقى المجلس اجتماعاته مفتوحة لمتابعة تطورات الوضع العسكري على جبهة الجنوب اللبناني". وكان واضحاً أن أبو عمار اراد البيان اشاره تحذير لاسرائيل من الاستمرار في اعتداءاتها، وتوجيه رسالة سياسية صريحة لمن يريد ان يقرأها وبخاصة الادارة الامريكية، خلاصتها اوقفوا القصف الاسرائيلي والا فسند عليها بطريقة تؤثر على مجمل الوضع في المنطقة. وبدل من التهدئة صعدت اسرائيل غاراتها الجوية وقصصها المدفعي ضد الواقع العسكري الفلسطيني في الجنوب وجنوب بيروت.

وبينما كان عدد من أعضاء المجلس العسكري الأعلى، يوم ١٧ تموز / يوليو ١٩٨١، في جولات ميدانية على الوحدات في جنوب لبنان للتتأكد من سلامه التحضيرات العسكرية الدفاعية والهجومية، أغار الطيران الإسرائيلي على المقر الرئيسي للجبهة الديمقراطية الواقع بضاحية الفاكهاني في بيروت الغربية في بناء رحمة المكتبة بالسكان، وطال القصف مركزاً رئيسياً لفتح، أي مقر "أمن الرئاسة" التابع لقوة الـ ١٧، الذي كان يستخدم احياناً مقراً لأبو عمار وأبو الوليد سعد صابيل. ونجح الطيران الإسرائيلي في إصابة أهدافه بدقة، وأوقع خسائر كبيرة في صفوف المدنيين وصفوف كوادر الجبهة الديمقراطية وفتح. واستخدم القصف ولأول مرة أحدث الأسلحة الأمريكية وخصوصاً صواريخ جو - أرض الموجهة إلكترونياً. ودمرت الغاره بناية نقطتها عشرات العائلات المدنية معظمها لا صلة لها بالمنظمات. وفي الوقت الذي أغار فيه الطيران الإسرائيلي على الفاكهاني كان متذوباً من السفاره السوفياتية في بيروت يتواجدان في مكاتب الجبهة الديمقراطية، البحث في ردود الفعل الفلسطينية المحتملة في حال أغار الطيران الإسرائيلي على المقار القيادية الفلسطينية في بيروت. وقد نقل الاثنان معلومات مستعلجة مؤكدة لقيادة الجبهة الديمقراطية، تفيد بأن قراراً إسرائيلياً قد اتخاذ توسيع نطاق الغارات لتشمل المراكز القيادية الفلسطينية في بيروت. وكانت زيارات افراد السفاره السوفياتية وسفارات كوبا وبلغاريا والمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا لمراكز الجبهة الديمقراطية المدنية والعسكرية والامنية، بمثابة عادة شبه يومية، حيث كانت ابوابها مفتوحة امامهم باستمرار، وكان بامكانهم الاتصال المباشر مع كل كوادر الجبهة وقيادتها الاولى في آية لحظة يشارون، وكانوا دوماً موضع ترحيب الجميع.

وكانت قيادة الجبهة الديمقراطية تنظم لهم السهرات والزيارات والجولات الميدانية الخاصة على موقع قواتها العسكرية في جنوب لبنان والمراکز الجماهيرية في كل المخيمات بصورة متواصلة. وكانت كواحد الجبهة وقيادتها تتباھي داخلياً وخارجياً بالعلاقة المميزة بأركان سفارات البلدان الاشتراكية وعلى رأسها أركان السفارة السوفيتية. وفي الاجتماعات الحزبية الداخلية واللقاءات غير الرسمية والرسمية، كثيراً ما تم الاستشهاد بأقوال الرفاق في موسكو وبمعلومات السفارة السوفيتية في بيروت ودمشق. وعبر العلاقات الحزبية نشأت علاقات انسانية، شخصية واجتماعية حقيقة بين الجانبين، ظلت بعيدة عن العمل الاستخباري او الحزبي. وكثيراً ما أظهر هذا النمط من العلاقات الانسانية انسانية الانسان السوفيتي، روسيا واوكرانيا او من الجمهوريات الآسيوية الأخرى، بما هو انسان صادق طيب بسيط في حياته الشخصية، ووفي لاصدقائه السياسيين والشخصيين الى أبعد الحدود.

مع بدء الغارة على الفاكهاني، تلقيت من غرفة العمليات المركزية للجبهة الديمقراطية برقية مستعجلة تقول: "يقوم الطيران الإسرائيلي الآن بالإغارة على منطقة الفاكهاني، وأستهدف القصف مقرنا الرئيسي في بناء رحمة، ومركز ابو الوليد المجاور في بناء الـ ١٧، الغارة متواصلة والخسائر غير معروفة للآن. الرفيق الأمين العام بطرفنا ويطلب منكم التحدث معه مباشرة على الواسطة". من باب نفق للراجمات اقيم في سفح جبل علي الطاهر شرق مدينة النبطية، تحدثت مع الأمين العام نايف حواتمة، وفهمت أن الطيران الإسرائيلي عاود القصف خلال المحادثة، وطلب الأمين العام اتخاذ الإجراءات اللازمة في كل المراكز والرد فوراً على الغارة حتى لو كنا بمفرتنا، وعدم انتظار قرار المجلس العسكري الأعلى. طلبت منه اقفال الجهاز فوراً خشية ضربه بواسطة صواريخ جو - ارض توجه بالذبذبات الالكترونية التي يبيثها جهاز اللاسلكي. وبعد دقائق محدودة، تلقت راجمات الصواريخ ووحدات المدفعية الثقيلة التابعة للجبهة، والمتمركز في قاطع النبطية حاصبياً وقاطع صور أوامر بقصف الأهداف المدنية والعسكرية المحددة لها، مسبقاً، بشكل عنيف ومركزاً. وخلال دقائق معدودة، فتحت مدافع وراجمات الفصائل الأخرى نيرانها دون تنسيق وطال القصف الفلسطيني مدينة نهارياً وضواحي صفد وكريات شمونة. ورددت المدفعية الاسرائيلية على مصادر النيران، بما هو أشد واعنف، واشتعلت معركة قوية في الجنوب اللبناني، من البحر غرباً وحتى سفوح جبل الشيخ شرقاً، تبادل فيها الطرفان القصف المدفعي وشارك الطيران الإسرائيلي المعركة، واغار على عدد من المراكز الادارية والقتالية الفلسطينية.

إلى ذلك، تحركت مباشرة إلى بيروت لاستطلاع الوضع ومناقشة الموقف المستجد.

وعند وصولي كانت عمليات الإخلاء والإنقاذ في مقر الجبهة الديمقراطية لاتزال متواصلة، وكان "الرجلان" السوفياتيان معتبرين في عداد المفقودين، ولم يتوقف البحث عنهم إلا بعد توقف الغارة بصورة نهائية وبعدما عادت الحركة المدنية إلى مجريها شبه الطبيعي، حيث وصل مندوب من السفارة السوفيتية إلى مقر الجبهة، وتفقد حجم الخسائر البشرية والأضرار المادية، وقال إن رفيقيه وصلا السفارة مهشمين بعد قفزهما من الطابق الثاني في المبني من فجوة كبيرة فتحتها الغارة في جدار الغرفة التي تواجدوا فيها.

وتعليقًا على دقة إصابات الطيران الإسرائيلي لأهدافه راجت في حينه إشاعة مفادها أن عميلاً إسرائيلياً نجح في زرع جهاز الكتروني على ظهر بناية رحمة الضخمة، وهذا الجهاز استخدم في توجيه صواريخ الطائرات. ولاحقاً، استفسر السوفيت والروسونيين والليبيون وأبو عمار عن الموضوع، وبالرغم من نفي القيادة العسكرية للجبهة الديمقراطية لاحتمال وجود مثل هذا الجهاز، إلا أن بعض الأطراف الفلسطينية المرتبطة بسوريا، خاصة منظمتي الصاعقة والقيادة العامة بقيتا تصران على دقة معلوماتها حول الجهاز، وظلت تشكيك في رواية الجبهة. ويمكن القول، الآن، أن قيادة الجبهة الديمقراطية استندت في نفيها لما توفر من معلومات في حينه، ولم يظهر حتى الآن ما يؤكّد العكس، إلا أن ذلك لا يلغي إمكانية وقوع اختراق امني إسرائيلي لفصائل الثورة، وأمكانية قيامها باعمال تجسسية متنوعة ومن ضمنها زرع أجهزة تنصت وتوجيه متطرفة. والتاريخ وحده كفيل بكشف حقيقة الحديث عن هذا الجهاز.

بعد تفقد مكان الغارة، ومواساة بعض الأسر المفجوعة، توجهت إلى مقر العمليات المركزية لقوات الثورة الفلسطينية، وهناك التقى أبو عمار وأبو الوليد وأبو جهاد وعدد آخر من أعضاء المجلس العسكري الأعلى وأعضاء اللجنة المركزية لفتح، وأعضاء القيادة الفلسطينية، ومع دخولي تعمد أبو عمار أن يقول على مسمع من الحاضرين: "جزر الاتنا ماهرون في العمل العسكري، وجميعهم، والحمد لله، ميدانيون، لكنهم مغامرون، وبحاجة إلى دروس في استراتيجية ربط العمل العسكري بالعمل السياسي". وفي اجتماع المجلس العسكري الأعلى قال: " تعرضت لضفوط شديدة من بعض أخوانني.. بعض جزر الاتنا متجلين إلى تجريب أسلحتهم الحديثة، وامتحان اختصاصات وخبرات ضباطهم الصغار. كنت أقول لهم لا تتسرعوا سيأتي الوقت الذي تجربون فيه كل أنواع الأسلحة. على كل حال جاء الوقت". ونظر أبو عمار إلى أبو الوليد وقال: "أخي أبو الوليد، من الضروري عقد اجتماع خاص لضباط المدفعية، الآن، قبل اجتماع القيادة السياسية. ضعوا الخطط التفصيلية بحكمة، وزعوا القواعد والأهداف العسكرية بمسؤولية، وأهم شيء عندنا، هو الاقتصاد الشديد بالقذائف والصواريخ. المعركة فتحت وستكون طويلة،

أريد سيطرة كاملة على كل مدفع وكل راجمة صواريخ، ولا تترددوا في معاقبة كل ضابط يدمر الاسرائيليون مدفعه او راجمته".

مساء يوم ١٧ تموز / يوليو ١٩٨١، ترأس أبو عمار اجتماعاً موسعاً، ضم القيادة الفلسطينية والمتواجدين من اللجنة التنفيذية والمجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية. وفي الاجتماع، اتخذ قرار فلسطيني - لبناني رسمي، بالاجماع، بالرد على القصف وغارات الطيران الإسرائيلي وضرب الاهداف المدنية والعسكرية بعنف. وشدد المجتمعون على ضرورة مرکزة العمل العسكري الفلسطيني - اللبناني في اطار غرفة العمليات المشتركة. ووجه أبو عمار عبر الراديو كلمة إلى القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة، ومن بين ما قاله: "لقد بلغ العدوان الصهيوني، يا أخوانى، أقصى مداه، وأظهرت الجرائم التي استهدفت بيروت والجنوب اللبناني الحد الذي وصله الحقد الصهيوني الأسود، والإجرام الأمريكي الإرهابي، ضد شعبنا الفلسطيني - اللبناني ...". وحث المقاتلين على الصمود في المعركة الدائرة وتحضير ما يلزم لمعركة فاصلة قادمة. وخلال الاجتماع الفلسطيني - اللبناني المشترك، واصلت المدفعية والراجمات الفلسطينية والوطنية اللبنانية قصفها العنيف لاهداف إسرائيلية، وأطلقت بضع مئات من صواريخ الكاتيوشا وقدائف المدفعية. وفي اليوم ذاته، وجه مجلس الأمن الدولي نداء لوقف إطلاق النار في لبنان، إلا أن نداءه لم يجد آذاناً صاغية من الطرفين، وواصل الفلسطينيون اظهار قدراتهم وخبراتهم القتالية.

وبدأ أبو عمار، يوم ١٧ تموز/يوليو، يشرف شخصياً على سير العمليات، ودفع باتجاه تركيز النيران نحو أهداف إسرائيلية حساسة، وشدد على الاقتصاد في الذخيرة وإحكام السيطرة على عمل كل المدافع والراجمات. وتعتمد ابراز دور غرفة العمليات الفلسطينية - اللبنانية المشتركة، في إدارة المعركة السياسية والعسكرية. وفي حينه، لم يكن هدف أبو عمار رفع فعالية القدرة القتالية فقط، بل وأيضاً، السيطرة على الموقف تمهدأ لمواجهة التطورات السياسية والعسكرية، بما في ذلك الاستعداد للمساومة حول وقف إطلاق النار. فراحـت القيادة الفلسطينية - اللبنانية المشتركة تتبع ردود الأفعال العربية والدولية، وضمنها تحركات المبعوث الأمريكي فيليب حبيب، الذي وصل إلى المنطقة لمعالجة الموقف. إلى ذلك، رفض فيليب حبيب إجراء أي اتصال مباشر مع قيادة منظمة التحرير علما أنها الطرف الرئيسي الثاني في المعركة، وحضر لقاءاته ونشاطه بالاتصال مع الحكومة الإسرائيلية، وجعل من رئيس الحكومة اللبنانية السيد شفيق الوزان وسيطاً مع أبو عمار والقيادة المشتركة.

وعلى مدى أسبوع كامل، تواصل التراشق بالمدافع والصواريخ بين بطاريات المدفعية الفلسطينية والإسرائيلية، ورغم غزارة النيران الإسرائيلية واسناد الطائرات، تمكنت المدفعية

الفلسطينية من إثبات قدرتها، والحقت أذى معنوياً ومادياً كبيرين بالقوات الإسرائيلية، وبالمدن والمستوطنات الإسرائيلية على امتداد الحدود الإسرائيلية الشمالية ويعمق ١٠- ١٢ كلم. وطال القصف الفلسطيني مدننا إسرائيلية أساسية، لحقت بها خسائر مادية وبشرية ليست بسيطة. وخلال "حرب المدفعية" تعرضت مدينة نهاريا لقصف صاروخي عنيف، في وقت كان مناخ بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي واركان جيشه وقائد المنطقة الشمالية يقومون بزيارة تفقدية للمدينة. واضطرب هؤلاء ومساعدهم إلى نزول الملاجيء، واختصار جولتهم التفقدية للمنطقة. ويومها، أصدر بيغن تصريحات عنيفة توعد فيها القيادة الفلسطينية، وقال: "إن الفلسطينيين سيفرون الثمن وسيكون غالباً جداً، وذراع جيش الدفاع طويلة وستطالهم جميعاً ولن يفلتوا من العقاب". وهدد حكومات لبنان وسوريا ولبيا، وحملها مسؤولية دعم "المخربين الفلسطينيين المجرمين" وإيوائهم واستنادهم. إلى ذلك، عززت حرب المدفعية مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، إقليمياً ودولياً، وأظهرتها طرفاً سياسياً لا يمكن للولايات المتحدة وكل من يرغب في البحث عن حل لازمة اللبنانية أو القضية الفلسطينية، تجاهله، وظهرت قوات الثورة الفلسطينية بما هي جيش نظامي لديه قدرة قتالية مهمة مؤثرة في الصراع.

على امتداد أسبوع الاشتباكات، كانت القيادة الليبية وأركان الجيش السوري وأركان السفارة السوفيتية على اتصال مباشر مع القيادة الفلسطينية، كانوا جميعاً مسرورين، وشجعواها على الاستمرار في المعركة وتوجيهه مزيد من الضربات المؤلمة للعدو. وأفرجت السلطات السورية عن كميات كبيرة من صواريخ الراجمات وقدائف المدفعية، أرسلت من موسكو وطرابلس الغرب للقوات الفلسطينية، وطلت مجوزة في مستودعات الجيش السوري فترة ليست قصيرة. وتعهدت القيادة الليبية تعويض كل القوى الفلسطينية واللبنانية عن كل قذيفة مدفع أو صاروخ أطلقته. في حينه، حرص أبو عمار على سماع التبجيل والمديح، وسجل الوعود العربية والسوفيتية السخية في دفتره، لكنه بذات الوقت، تابع اتصالات المبعوث الأمريكي فيليب حبيب مع إسرائيل والحكومة اللبنانية باهتمام كبير. وكان أبو عمار يقول لأركانه السياسيين والعسكريين ليس مما أن تبدأ المعركة، فالأهم هو أن تعرف كيف تخرج منها سالماً غانماً، الحرب يبدأها عادة جنرال مغامر ويحصل نتائجها سياسي حكيم عاقل.

بعد أسبوع من الاشتباكات العنيفة، أنسج المبعوث الأمريكي فيليب حبيب، على أصوات المدافع والصواريخ يوم ٢٤/٧/١٩٨١، اتفاقاً لوقف إطلاق النار بين الطرفين. وصدر نداء من الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم، دعا فيه إسرائيل ومنظمة التحرير إلى وقف إطلاق النار. وأذاع فيليب حبيب من إسرائيل بياناً قال فيه: "إن كل الاعمال العدائية بين الأرضي اللبنانية والإسرائيلية ستتوقف اعتباراً من الواحدة والنصف ظهر

اليوم الموافق ٢٤ تموز/يوليو ١٩٨١". وبالرغم من عدم ذكر م.ت.ف. وعدم اتصال المبعوث الامريكي بها، رحب أبو عمار بمبادرة الأمين العام للأمم المتحدة المتمثلة في الحرص على وقف اطلاق النار وإرسال مبعوث آخر إلى بيروت للقاء معه. وانتزع أبو عمار بمساندة الجبهة الديمocrاطية، موافقة القيادة الفلسطينية والقيادة المشتركة على الاتفاق. وقبل وصول المبعوث الدولي نجح أبو عمار في فرض التزام جميع الفصائل بوقف إطلاق النار.^(٥) وهو أول اتفاق رسمي بين إسرائيل ومنظمة التحرير تم التوصل له بصورة غير مباشرة عبر الأمريكيان وبرعاية الأمم المتحدة. ولم يكتف أبو عمار بإبلاغ القرار الفلسطيني لرئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان، الوسيط مع حبيب، وتعمد إبلاغه مباشرة للأمين العام للأمم المتحدة وقائد قوات الطوارئ الدولية في جنوب لبنان ولليم كلاهان. وتعمد إذاعة الاتفاق في بيان رسمي صادر عن "القيادة المشتركة لقوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية"، قبل إبلاغه إلى رئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان، موحيا للجميع بأنه لا يجد دور الوسطاء.

صحيح أن قوات الثورة أثبتت جدارتها العسكرية في تلك الحرب، ونجح أبو عمار بتغييرها، سياسياً، لصالح م.ت.ف، حيث تعززت مكانة القيادة الفلسطينية، وخصوصاً مكانة أبو عمار في نظر الامريكان والأوروبيين، الا أن تلك الاشتباكات إستفرزت القيادة الإسرائيلية ونبهتها إلى المخاطر الكبيرة التي تنتظرها من الجبهة اللبنانية. وبدأت تفكك بتصفيه وجود م.ت.ف في لبنان. والتاريخ وحده هو القادر على تحديد يوم وساعة اتخاذ القيادة الإسرائيلية قرارها بشن حرب ١٩٨٢ تحت اسم عملية "سلامة الجليل"، لكن إسم تلك العملية، وتصريحات القيادات السياسية والعسكرية والأمنية الإسرائيلية، يشيران إلى أن حرب المدفعية تموز/يوليو ١٩٨١ كانت الذريعة التي استندت إليها في شن تلك الحرب، وعليها اعتمدت في انجاز التحضيرات الدبلوماسية والسياسية النفسية التي سبقت بدء الهجوم في ٦ حزيران/يونيو ١٩٨٢.

إلى ذلك، لم يرتع الاتحاد السوفييتي وسوريا ولبيا لموافقة أبو عمار على وقف إطلاق النار وإنجاح مهمة فيليب حبيب دون التشاور معهم. ووُجدت الأطراف الثلاثة في حرب المدفعية، عنصر احراج القيادة المصرية وشعباً فعالاً على اندفاع الادارة الأمريكية في اتفاقات كامب ديفيد. كما اعتبروها تعقيداً اضافياً لاي محاولة امرريكية لتمديد كامب ديفيد على الجبهة الفلسطينية. وخلال حرب المدفعية حذر الرئيس بريجنيف من التدهور الخطير للوضع في الشرق الأوسط. وفي بيان مشترك مع يانوس كادار السكرتير الأول لحزب العمل المجري أظهر السوفييت ان من الأمور الملحة تحقيق تسوية عادلة وشاملة في الشرق الأوسط، بجهود جماعية لكافة الأطراف المعنية، بما يتراوّب مع مصالح الجميع ومع مصلحة السلام العالمي. وأوضحت وكالة نوفوستي الموقف السوفييتي

على حقيقته، اذ قالت إن وقف إطلاق النار الذي اضطر له المعتدي الإسرائيلي هو الجانب العسكري الصريح من النجاح الذي حققه الفلسطينيون والبنانيون في الاشتباكات التي وقعت مع الإسرائيليين. وأشارت نوفستي الى ان الجانب السياسي لا يقل أهمية، واتفاقية وقف إطلاق النار تدل على أن واشنطن شاعت أم أبت، مضطراً إلى التسلیم بأن الفلسطينيين طرف أساسي في النزاع. وحضرت الوكالة السوفيتية من أن واشنطن ستحاول، ولا بد، أن تستغل وقف العمليات بين الطرفين لتكثيف عملية كامب ديفيد، والبحث عن حلول تتجاهل مصالح الفلسطينيين.

رفض مشروع الامير فهد كرس الحل العسكري

منذ تموز / يوليو ١٩٨١، حتى بدء الهجوم الإسرائيلي على لبنان في حزيران / يونيو ١٩٨٢، عاشت القيادة الفلسطينية وقيادة الحركة الوطنية اللبنانية أجواء الحرب والاغتيالات. حيث شرعت المخابرات الإسرائيلية، بالاستناد الى عملياتها المحليين، في تفجير سيارات ملغومة في شوارع بيروت مستهدفة الاحياء السكنية وخصوصا تلك التي تكثر فيها مكاتب المقاومة وسكن القيادات الفلسطينية. وفي النصف الثاني من تموز فجر عمالء اسرائيل سيارة في منطقة الجامعة العربية المكتفة بالمدنيين، راح ضحيتها عشرات المدنيين الابرياء، واستشهد عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية الحاج سامي ابو غوش وزوجته.

إلى ذلك، كانت القيادة الفلسطينية واثقة تماماً من أن اتفاق فيليب حبيب ليس سوى هدنة، وإن هذه الهدنة مؤقتة ولن تدوم طويلاً، وواثقة من ان الاشتباكات القادمة سيكون مختلفاً عما سبقه من اشتباكات وكان التقدير بأنه سيقع في صيغة هجوم بري واسع يستهدف ضرب البنية التحتية للثورة الفلسطينية في لبنان. وجرى تبادل حول توقيته ومداه، وتكتيك الجيش الإسرائيلي في المعركة القادمة حتماً. بعض اركان القيادة السياسية والعسكرية الفلسطينية تحدث عن عملية بعمق ٤٥ كلم داخل الأراضي اللبنانية، أي عن هجوم بري تتجاوز فيه القوات الإسرائيلية نهر الليطاني، وقليلون تحدثوا عن حرب تشمل كل الجنوب اللبناني بما في ذلك مدينة صيدا ومحيطها وحتى جسر الاولى، أما أبو عمار فقد اشار أنها حرب وليس عملاً وستكون أوسع من ذلك بكثير.

في ظل تلك الظروف والاجواء، عقدت القمة العربية مؤتمرها الثاني عشر يوم ٢٥/١١/١٩٨١، في مدينة فاس بالمغرب، وسبق القمة اجتماع تمهددي لوزراء خارجية الدول العربية، درسوا فيه مذكرة تقدمت بها المملكة العربية السعودية عرفت لاحقاً باسم مشروع الامير فهد، تضمن مبادئ لحل عادل وشامل للقضية الفلسطينية منها؛ تأكيد حق

جميع دول المنطقة بالعيش بسلام، وانسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية، وازالة المستوطنات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي العربية بعد عام ١٩٦٧، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس وضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة، وتاكيد حق الشعب الفلسطيني في تعويض من لا يرغب في العودة، وان يتم وضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت اشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور. وتقوم الامم المتحدة بضمان هذه المبادئ. في حينه، فشل الوزراء العرب في الاتفاق على جدول الاعمال ورفعوا الامر الى الرؤساء، وعقدت القمة جلسة واحدة، ورفعت اعمالها تحت شعار استئناف الاجتماع لاحقا. في حينه، عاد ابو عمار من القمة وقال: "فشل القمة العربية يعني تكريس الحل العسكري".

او اخر كانون الثاني / يناير ١٩٨٢، أغار الطيران الإسرائيلي على موقع قوات الثورة ردًا على عملية عسكرية فاشلة نفذتها إحدى الفصائل الفلسطينية من الحدود الأردنية - الإسرائيلية. وتركز القصف الإسرائيلي على مراكز الجبهة الديمقراطية في منطقة الناعمة - الدامور، الواقعة على الطريق الساحلي بين بيروت وصيدا. في حينه، عارض أبو عمار الرد على خرق اسرائيل لاتفاق وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه بواسطة فلبي卜 حبيب، وتسائل أبو عمار؛ هل هذا الخرق استدرج لحرب واسعة اعدت لها اسرائيل؟ وحذر من العواقب السياسية والعسكرية الوخيمة على مجمل الوضع الفلسطيني في لبنان في حال الرد. إلا أن جميع الفصائل الفلسطينية "اليسارية" لم تستمع لذاك الرأي، ووُجدت في نتائج حرب المدفعية اغراء على تكرار الموضوع، وإبراز طاقتها وخبراتها القتالية، واظهار استقلاليتها التنظيمية والسياسية، وقدرتها على تحدي مواقف ياسر عرفات وخرق الاتفاques التي يوقعها. واخذت برأي السوفيت والليبيين والسودانيين، وقامت راجمات الصواريخ التابعة للجبهة، بتشجيع مباشر من الملحق العسكري السوفييتي، بالرد على الغارة بقصف عدد من المدن والمستوطنات الإسرائيلية في منطقة الجليل، ولم تتأخر اسلحة باقي الفصائل في المشاركة في القصف.

الى ذلك ارتفعت، مطلع شباط/فبراير من العام ١٩٨٢، أصوات فلسطينية كثيرة طالبت بوضع خطة سورية فلسطينية موحدة لحماية المصير، وتطوير النضال، في مواجهة مخططات الامبرالية الامريكية واسرائيل. وفي سياق البحث عن امكانية وضع مثل هذه الخطة المشتركة، عقدت في مقر الخارجية السورية بدمشق يوم ٢٧ شباط/فبراير ١٩٨٢، مباحثات فلسطينية - سورية رسمية، أخذ طابعا فتحاويا، حضره عن الجانب الفلسطيني اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح صلاح خلف ابو اياد و محمد غنيم ابو ماهر وهاني الحسن وسميع كوكيك قدرى، وعن الجانب السوري عبد الحليم خدام وزير الخارجية،

ومحمد حيدر وعضو القيادة القومية، وعضو القيادة القطرية السورية توفيق صالح و وهيب طنوس، وفاروق الشرع وزير الدولة للشؤون الخارجية. وجرى استعراض شامل للأوضاع العربية، وسبل مواجهة ما يتهدّد سوريا به. سياسياً وعسكرياً. وخلال جولتين من المحادثات طرحت ورقة عمل، كأساس لاستراتيجية سورية فلسطينية، وعاد الوفد الفلسطيني إلى بيروت لمناقشة المشروع، وواجه انتقادات فصائلية كثيرة، وتحوّف أبو عمار من نتيجة مثل هذا التحالف على استقلالية القرار الفلسطيني، وما قد يكون له من انعكاسات سلبية على علاقة م.ت.ف. بعده من الدول العربية، واتهام المنظمة بالوقوف بجانب سوريا في مواجهة خصومها العرب. ولم يكتب النجاح لهذا التحالف، وتتشنج السوريون من موقف أبو عمار.

مطلع آذار / مارس ١٩٨٢ ، كثُر الحديث في الأوساط السياسية والعسكرية الفلسطينية - اللبنانية عن قرب موعد الهجوم الإسرائيلي. وبدأ المجلس العسكري الأعلى لقوى الثورة الفلسطينية بمناقشة الموضوع بشكل جدي وعملي، وقدم له أكثر من تقيير موقف وتصور لخطة تحضير القوات الفلسطينية للحرب.^(٧) وتم بناء غرف عمليات فرعية مشتركة في كل المناطق، ربطت جميعها عبر شبكة اتصال واحدة بغرفة العمليات الفلسطينية المركزية التي يقودها العميد سعد صائب أبو الوليد. وراحت القيادات العسكرية لفصائل تحضر كواحدة ومقاتلتها، لمواجهة الهجوم المتوقع. واعيد توزيع قوات الثورة في إطار الخطة الفلسطينية العامة. واستنفرت "قوات المليشيا الشعبية" وألحقت بالخدمة في القوات النظامية. وبنية ملاجيء في المخيمات لحماية السكان المدنيين، وحفرت انفاقاً لحماية الاسلحة الثقيلة والذخائر الاحتياطية. وتم توفير احتياط من التموين، واجرت قوات الفصائل تمرينات نظرية وعملية لمواجهة الهجوم في محاور تقدمه الرئيسية المتوقعة وداخل مدن صور وصيدا والنبطية.

ويمكن القول إن حرب المدفعية، والاتفاق على وقف إطلاق النار، وخرق الاتفاق، كلها أمور لم تكن بعيدة عن الصراع الإستخباري الشديد المخفي الدائري بين قطبي الحرب الباردة "الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية". وبذات المقدار الذي حرض وشجع فيه السوفييتي والليبيون والسوريون لثورة فلسطينية، وخاصة اليسارية منها، على شن حرب المدفعية، حرضوها على خرق الاتفاق، والرد على الخرق الإسرائيلي له. لكن بعد الرد، بدا السوفييتي يتحدثون عن الحرب القادمة حتماً. وفي سهرة خاصة سبقت الحرب ب أيام، قال ضابط المخابرات KGB في السفارة السوفييتية في بيروت لمسئول الأمن المركزي في الجبهة الديمقراطية: "الهجوم الإسرائيلي قادم لا محالة، وموعده لن يتأخّر عن حزيران / يونيو وستصل القوات الإسرائيلية إلى هذا الحي، الفاكهاني. وسيتم تدمير قواتكم ومؤسساتكم وستموتون لكم، أرجو أن يبقى بعض الاصدقاء على الحياة

فانتم تستحقونها". وعندما سأله قائد منظمة الامن، اذا كانت المعلومات دقيقة فلماذا لا تتحرك موسكو لابطال هذا المخطط المدمر لنا ولكم في المنطقة؟ رد قائلا: "موسكو نائمة وحالتها من حالة الرفيق بريجنيف، واشك ان بمقدورها فعل شيء مهم في هذه المرحلة لإنقاذهكم".

وبدأ رجال استخباراتهم في بيروت ودمشق يدققون تفصيليا في حجم قوات الثورة وقوات الحركة الوطنية اللبنانية ونوعية اسلحتها ومعداتها العسكرية وحجم احتياطها من الذخائر. وقبل وقوع الحرب أيام قليلة، رحل السوفيت وخلفاؤهم في حلف وارسو، بهدوء، عائلات العاملين في سفارتهم في بيروت، وابقوا أعداداً محدودة من الرجال فقط. والآن يتبرأ سلوك السوفيت قبل وخلال حرب ١٩٨٢ عدداً من الأسئلة الهامة: ما هو موقع تلك حرب في السياسة السوفيتية في إطار الحرب الباردة، بعد كامب ديفيد؟ هل اعتقدوا أنهم يستدرجون الإسرائيليين والأمريكان إلى مغطس "فيتنام ثانية"؟ وهل كانوا لا يثقون في صلابة الموقف الفلسطيني ضد كامب ديفيد ولم يكونوا بالتالي ضد تصفية الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان، خشية مشاركة م. ت. ف. في مرحلة لاحقة، في مفاوضات الحكم الذاتي، بين مصر وإسرائيل؟ أم انهم رأوا في خروج المنظمة من لبنان إنقاذا لها من المستنقع اللبناني الذي غرفت فيه على حساب جهودها في الأرضي الفلسطينية المحتلة؟ وهل راهنوا على دور ما للثورة الإيرانية في لبنان والمنطقة العربية في مواجهة الأمريكية؟.. الخ من هذه الأسئلة، التي لا أعتقد، أن أيها من القيادات الفلسطينية أو العربية قادر على إعطاء إجابات شافية وجازمة عنها الآن.

والى حين ظهور الإجابات الصحيحة الدقيقة، يمكن تثبيت بعض الحقائق منها: الادارة الأمريكية شجعت إسرائيل على شن حرب ١٩٨٢، بأمل شطب منظمة التحرير وإضعاف دور السوفيت في الموضوع الفلسطيني وفي لبنان. الى ذلك، لم يكن السوفيت ضد انفجار الحرب بل مهدوا لاشتعالها، وكانت استخباراتهم على علم مسبق بخطط إسرائيل، وقد وفر لها اختراقها للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية صورة عن تفاصيل خطط الهجوم. ويمكن الجزم ايضا ان جميع الدول العربية، دون استثناء، كانت على يقين بأن الحرب واقعة، ونوقشت امرها في قمة فاس الاولى. يومها، عاد أبو عمار من القمة وقال: "العرب متآمرون على الثورة الفلسطينية، والحركة الوطنية اللبنانية، كلهم يؤكّدون وقوع الهجوم الإسرائيلي ولا أحد منهم يتحرك لمنع وقوعه، الزعماء العرب تحدثوا عن هجوم سيحصل مدها إلى ٤٥ كلم في عمق الأرضي اللبناني، لكن معلوماتي المؤكدة، تشير إلى أنه سيصل بيروت وستتعرض إلى حرب الأكورديون".^(٦) وفي آذار / مارس ١٩٨٢، مضى إلى ما هو أبعد من ذلك، ففي مهرجان ذكرى استشهاد زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط الذي عقد في مدينة عاليه، شرق بيروت، قال أبو عمار: "أتحدى شارون

ويبين، وكل القيادة الإسرائيلية أن يبدأوا الهجوم، وأقول لهم، ستفتاتل، ستفتاتل، وأننا بانتظارهم هنا في هذا المكان في عاليه، وفي بيروت. ستفتاتهم هنا في الجبل، وفي بيروت وفي كل الجنوب والبقاع."

في حينه، رأى معظم قادة فصائل الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في حديث أبو عمار مبالغة مقصودة. لكنه كرر حديثه في اجتماعات المجلس العسكري، واعطى أوامره لقوات فتح بنقل فائض الأسلحة والذخائر من مستودعات صور وصيدا والنبطية والعرقوب في الجنوب إلى مدن بيروت وبعلبك وشحاترا وطرابلس، وشدد على مضاعفة عدد الوحدات النارية في مدينة صور صيدا ومخيّمات الجنوب، وقال: "إذا وقعت الحرب علينا ان نجعلها طويلة ومكلفة، العرب والعالم لن يتدخلوا اذا انتهت الحرب خلال بضعة أيام". وتعامل المجلس العسكري مع معلومات أبو عمار بجدية تامة، وتتابع الاستعدادات العسكرية الميدانية وكثف حجم القوات على امتداد الشريط الساحلي من بيروت وحتى مدينة صور. وفي إطار الاعمال الاحتياطية، بادرت الفصائل الفلسطينية كلها إلى نقل مستودعاتها العسكرية من الجنوب والبقاع الغربي إلى مدينة بيروت وبعلبك، ورصدت الاحتياطات اللازمة لمنطقة صور. وكدست الجبهة الديمقراطية الاحتياطها في بيروت وبعلبك وفي نفقين كبيرين حفرتهما قوات الجبهة في مرتفعات حلقة على الحدود السورية اللبنانية. وساهمت هذه الخطوة في إنقاذ كميات ضخمة من أسلحة المقاومة وذخائرها، ولاحقاً لعبت الخطوة دوراً كبيراً في تمكن قوات الثورة على القتال في بيروت عدة أسابيع بكل أنواع الأسلحة بدون خوف من نقص الذخائر.

يوم ٣ حزيران / يونيو ١٩٨٢، تعرض السفير الإسرائيلي في لندن لمحاولة اغتيال، وأعلن تنظيم المجلس الثوري، جماعة أبو نضال المنشق عن فتح، مسؤوليته عن العملية. لكن بيغن أسرع وحمل قيادة منظمة التحرير المسئولية عن الهجوم الذي تعرض له السفير، وأكد نفاذ صبر إسرائيل على "المخربين القتلة". وبذات السرعة ادانت القيادة الفلسطينية العملية، واتهمت المؤساد بتتنفيذها عبر اختراق امني لها التنظيم المشبوه. ورغم الادانة الفلسطينية اتخذ بيغن من العملية ذريعة، وأعلن الحرب على المنظمة وبدأ الحرب التي حضر لها طويلاً. وأعلن أن أوامر صدرت لجيش الدفاع الإسرائيلي باتخاذ التدابير العسكرية اللازمة لتنمية أمن إسرائيل، والحفاظ على أمن وسلامة الجليل، ومعاقبة "المخربين". وشرعت قوات إسرائيل، البرية والبحرية والجوية، بقصف مواقع قوات الثورة الفلسطينية في جميع أنحاء الجنوب اللبناني، وشمل القصف العنيف مناطق البقاع ومحيط بيروت. ولم تتأخر قوات الثورة في وضع خطتها القتالية موضع التطبيق، وباشرت الرد فوراً وضمن طاقتها، وقصفت مدافعتها وراجماتها ما طالته من حشودات عسكرية إسرائيلية ومدينة إسرائيلية. وكالعادة، نالت مدن كريات شمونة

ونهارياً والمستوطنات الحدودية نصبيها. وتمكن الدفوعات الجوية الفلسطينية في الساعات الأولى من اليوم الأول من اسقاط طائرة مقاتلة إسرائيلية سلم طيارها إلى غرفة العمليات المركزية. والهب اسر طيارها حماس المقاتلين وتتفاوسوا في التصدي للطائرات وصعدوا قصفهم للمدن والمستوطنات الاسرائيلية القريبة من الحدود اللبنانية.

الحرب بدأت... فمن يوقفها؟!

فجر الخامس من حزيران / يونيو ١٩٨٢، عاد أبو عمار من زيارة السعودية، وفور وصوله غرفة العمليات رقم ٨ دعا أعضاء المجلس العسكري الأعلى للاجتماع، وفي الاجتماع قال: "من الضروري تقصي الأخبار وجمع المعلومات عن الجهة العربية أو الدولية التي دفعت العميل أبو نضال، صبرى البنا، إلى تنفيذ محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن. لكم تعرفون أن أبو نضال عميل للموساد، ولاكثر من طرف عربي ودولي". وأشار إلى أن هناك اطرافاً عربية تزيد تدمير الثورة في لبنان لفرض هيمنتها المطلقة عليها، موحياً بأن العملية موجهة من قبل السوريين والليبيين. وعن طبيعة الهجوم اشار أبو عمار إلى أن معلومات القيادة السعودية ان الحرب التي كثر الحديث عنها بدأت، وأن الهجوم الإسرائيلي سيكون في حدود ٤٥ كلم، أي حتى حدود نهر الليطاني، لكن معلوماته الخاصة تؤكد على أنها ستكون حرب "أكروديون"، يتم فيها تطويق بيروت من كل الجهات. ورغم هذه المعلومة واصل المجلس العسكري الأعلى اعتماد خطته المبنية على نظرية الـ ٤٥ كلم. واستبعد غالبية أعضائه إقدام القيادة الإسرائيلية على مغامرة عسكرية تزوج فيها بقوات كبيرة ومعدات ثقيلة، داخل مناطق تضم تجمعات سكنية كثيرة وكبيرة. وأعتبر البعض وصول القوات الإسرائيلية إلى مدينة بيروت، خطأ استراتيجياً ترتكبه القيادة العسكرية الإسرائيلية إن هي اقدمت عليه، وسيكون شمله مكلفاً، باعتبار ان تطويق بيروت وحدها واحتلال نصف لبنان لا ينهي وجود الثورة في البقاع والشمال والهرمل. فإنتهاء الوجود العسكري الفلسطيني كله يتطلب احتلال كل الاراضي اللبنانية. وعملية بهذا المستوى قد تقود إلى تصادم مع الجيش السوري في مناطق جزين والبقاع والجلب والشوف وبيروت، وقد تتطور إلى حرب، اذ من غير المعقول ان تترك القيادة السورية قواتها في لبنان تقاتل وحدها دون استنادها من الاراضي السورية.

رفض أبو عمار معظم جوانب هذا التصور المنطقي، وقال: "خانل العرب يشجع القيادة الاسرائيلية على العدوان، ويدفعها نحو الخروج عن المنطق، اسقطوا كلية من حساباتكم، مسألة حرب شاملة سوريا - إسرائيلية". وقدر دور سوريا بحدود الدفاع عن قواتها في لبنان فقط، وإنقاذ من سيكون منها معنا ضمن الطوق في بيروت، وأعتبر ان الموقف السوري بهذه الحدود مفيد. وشدد أبو عمار على أهمية اطالة امد المعركة أطول فترة

زمنية ممكنة، والحق خسائر كبيرة بالقوات المهاجمة. فالتجربة أكدت أن الخسائر البشرية هي الرادع الوحيد لقيادة الاسرائيلية، والحركة السياسية العربية والدبلوماسية الدولية تأتي بعد قتال طويل.

بعد بدء الهجوم البري البحري الجوي، أعلنت القيادة الإسرائيلية أن عمليتها سوف تكون واسعة، وأنها موجهة ضد م.ت.ف فقط، وهدفها تدمير البنية التحتية العسكرية لمنظمة التحرير، ولا تستهدف المدنيين اللبنانيين، "ولن تستفرق سوى بضعة أيام". وكثفت غارات طائراتها على بيروت، وخصوصاً منطقة المدينة الرياضية والفاكهاني ومحيط جامعة بيروت العربية، ومنطقة المطار، والرملة البيضاء، وأصيب مبني السفارة الألمانية أصابة مباشرة. وراحت الاذاعة الاسرائيلية تبث بيانات عسكرية تتضمن ارشادات للمدنيين اللبنانيين بتجنب الحركة على الطرق وملازمة منازلهم. وفي اطار الحرب النفسية، اذاعت اوامر صادرة عن قيادة الجيش الإسرائيلي، دعت سكان المخيمات الى رفع الرايات البيضاء فوق منازلهم، ودعت المقاتلين الفلسطينيين الى القاء سلاحتهم، وتسلیم انفسهم للجيش الإسرائيلي. وسخر الفدائيون من البيانات الاسرائيلية وتصدوا للقوات الاسرائيلية وفق خطتهم الدفاعية، ونجحوا في عرقلة الهجوم، لكنهم لم يستطيعوا منع القوات البرية والدروع الاسرائيلية من مواصلة الزحف شمالاً، وقد اسرت خلال زحفها اعداداً كبيرة من المقاتلين كان معظمهم من المجتدين الاجانب وغالبيتهم سيرلانكيين وبينغاليين، قدموا الى لبنان للعمل.

الى ذلك، ادانت حكومات الدول العربية الهجوم على لبنان منذ اليوم الاول للحرب، واعلنت مساندتها للبنانيين والفلسطينيين في مقاومتهم العدوان، وطالبت اسرائيل بوقفه فوراً والانسحاب الى الحدود الدولية، وتمسكت ببياناتها بوحدة الاراضي اللبنانية وبسيادة حكومتها عليها. أما الادارة الأمريكية فبررت العدوان. وظهر جلياً، من البداية، تواطؤ وزير الخارجية الأمريكية الكسندر هينغ مع القيادة الإسرائيلية، وانه كان على علم مسبق بالخطوة الاسرائيلية ويتبع ما تقوم به القوات الإسرائيلية اولاً بأول. وبعد توغل القوات الإسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية، واصطدامها بالقوات السورية في منطقة جزين وقبر شمون، ظهر تباين بين الرئيس ريفان ووزير خارجيته الجنرال هين، ورفض ريفان وجهة نظر هين الداعية الى ترك الهجوم الإسرائيلي يأخذ مدة. ووجه ريفان في يوم ٩ حزيران / يونيو ١٩٨٢، رسالة الى رئيس الوزراء الإسرائيلي، طالبه فيها قبول وقف اطلاق مع سوريا. وختمتها بالقول "ان رفض اسرائيل قبول وقف اطلاق سبزيد بدرجة اكبر التهديد الخطير الذي يتعرض له السلم العالمي، وسوف يخلق توتراً شديداً في علاقاتنا".^(٦) وغضب هينج لتجاهل آرائه، وقدم يوم ٢٥ حزيران / يونيو، كتاب استقالته للرئيس ريفان الذي قبلها وعين جورج شولتز بدلاً منه. لكن جل ما قامت به ادارة ريفان، لاحقاً، هو

ارسال فليب حبيب كمبعوث رئاسي لمعالجة الوضع المشتعل، معطلة صدور قرارات حاسمة عن مجلس الامن الدولي. ومنذ بداية حركته، رفض فليب حبيب إجراء أي اتصال أو حوار مباشر معقيادة م.ت.ف. وتوجه مباشرة، كما فعل أثناء حرب المدفعية، إلى رئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان، واعتمده وسيطاً في مفاوضات غير مباشرة مع أبو عمار واركان القيادة الفلسطينية.

إلى ذلك، حمل الاتحاد السوفييتي إسرائيل مسؤولية انفجار الوضع من جديد في المنطقة، وشددت القيادة السوفييتية على ضرورة البحث عن حل شامل للصراع العربي الإسرائيلي، وانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية، التي احتلتها في العام ١٩٦٧، ومن ثم الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، فوق أرضه. وأهم ما قام به الاتحاد السوفييتي على الصعيد العملي، هو إرسال الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي رسالة للرئيس الأمريكي ریغان، طالبه فيها بعمل الممكن لوقف الحرب والزام إسرائيل بالانسحاب إلى حدودها الدولية. وساهم السوفييت عبر اتصالاتهم الثنائية مع الادارة الأمريكية في بلورة اتفاق الخروج من بيروت.

وعلى مدى الأيام الثلاثة الأولى من الهجوم، واجهت قوات المشاة والدروع الاسرائيلية، مقاومة فلسطينية شديدة، وتکبدت خسائر كبيرة، وخصوصاً على محاور القتال المحيطة بمخيّمات مدينّتي صور وصيّدا وساحل الدامور. وكان لخسائر إسرائيل أن تكون أكبر لو لم تنتهي أوضاع غرفة العمليات الفلسطينية المشتركة لمنطقة الجنوب.^(٤) وفي حزيران / يونيو، اصطدمت القوات الاسرائيلية بالقوات السورية المتمركزة في منطقة الشوف والبقاع الغربي ومفرق راشيا الفخار - السلطان يعقوب، الواثق بين الأراضي السورية والبقاع الغربي اللبناني. ودخلت وحدات الدفاع الجوي السوري المعركة، واطلقت صواريخ سام المضادة للطائرات، وتدخل الطيران السوري في المعارك، واشتتب مع الطائرات الاسرائيلية، وخسرت سوريا عدداً كبيراً من طائراتها وسيطر الطيران الإسرائيلي على الاجواء.

يوم ١١ حزيران / يونيو ١٩٨٢، نجح فليب حبيب مبعوث ریغان في التوصل إلى اتفاق لوقف اطلاق النار بين سوريا واسرائيل دون علم القيادة الفلسطينية. ولم تحاول القيادة السورية، ربط موافقتها على وقف اطلاق النار ب مجريات القتال مع م.ت.ف. وعلق أبو عمار على الاتفاق وقال: "ألم أقل لكم أن هناك مؤامرة، وسوريا لن تدخل في حرب مع إسرائيل من أجل عيون الفلسطينيين". ومع اقتراب القوات الاسرائيلية من طريق دمشق - بيروت تجدد القتال السوري الإسرائيلي يوم ٢٢ حزيران / يونيو، في منطقة صوفر وبحمدون. وفي الوقت الذي قاتلت فيه القوات السورية قتالاً تراجعاً في مناطق الشوف، استتبعت في الدفاع على طريق بيروت - دمشق ، وطريق البقاع - دمشق، وخافت

معركة مشرفة في منطقة السلطان يعقوب. ونحو حبيب، يوم ٢٥ حزيران / يونيو ١٩٨٢ في ايقاف القتال الثانية.

إلى ذلك، تعثر تقدم القوات الإسرائيلية باتجاه بيروت، ولم تصل مشارفها إلا يوم ١٣ حزيران / يونيو، وقد وصلت وهي مستترفة بشرياً ومعنوياً، ومرتبكة سياسياً. وبعد تطويق قواته لمدينة بيروت ومحاصرتها من كل الاتجاهات، كشف وزير الدفاع الإسرائيلي شارون، عن أهداف أخرى لم يفصح عنها عند بدء الهجوم، وقال: "إن الهجوم لن يتوقف إلا بعد تصفية م.ت.ف. وتصفية قيادتها واحتلال وجودها من كل لبنان". وطلب شارون من بشير الجميل، قائد القوات اللبنانية، تنفيذ التزامه بدخول أحياء بيروت الغربية وتحريرها من الفلسطينيين. إلا أن بشير امتنع عن القيام بالمهمة، وأرزرت القيادات المسيحية الأخرى موقفه، لا بل ساهمت في بلورته، وأخذت بعين الاعتبار رأي القيادة السعودية وقادة بعض الدول العربية الأخرى، الذين تدخلوا، بناء على طلب أبو عمار، لمنع بشير الجميل من القيام بالمهمة "القذرة". ونصح أبو عمار القادة المسيحيين، عبر أمين الجميل، النظر إلى علاقتهم المستقبلية مع محبيتهم العربي الذي لا غنى لهم عنه. في حينه، توترت علاقة إسرائيل بالجبهة اللبنانية، وحاول شارون انتزاع قرار من حكومته للقيام بمهمة اقتحام بيروت لكنه فشل، وتوترت علاقته بعدد من الوزراء الذين انضموا للمعارضه في اتهامها له بالكذب وتضليل الحكومة والشعب حول سير الحرب.

وتحت سقف قرار الحكومة الإسرائيلية عدم اقتحام بيروت، عمل شارون على تشديد الحصار وتضييق الخناق على القيادة الفلسطينية التي قررت الصمود، ورفضت دعوات شارون للاستسلام. ولم يكتف شارون بتكتيف الغارات الجوية والقصف المدفعي الأرضي والبحري لموقع قوات الثورة والاحياء السكنية التي تمرست فيها، بل أمر قواته بالتقديم والاحتلال المطار وهي الأوزاعي وهي السالم المجاورين له. وحاولت قواته اختراق الدفاعات الفلسطينية في منطقة المتحف وميدان سباق الخيل، إلا أنها فشلت هنا ومنيت قواته بخسائر كبيرة. وتحت ظلال دخان الحرائق الدamar، واصل فيليب حبيب مفاوضاته لوقف إطلاق بين م.ت.ف. وإسرائيل. وكثيراً ما طلب حبيب من شارون، عند تعقد المفاوضات، تكتيف غاراته وقصفه على بيروت الغربية، لرهاب القيادة الفلسطينية واحتضانها لشروطه.

بدأ فيليب حبيب مفاوضاته بطلب الاستسلام ثم استبدلها بفكرة الخروج من بيروت، بعد اقتناعه بـاستحالة موافقة م.ت.ف. على الاستسلام. ودارت مفاوضات طويلة وشائكة حول طبيعة الخروج وشكله، طرح خلالها حبيب خروج قوات الثورة بلباس الصليب الأحمر الدولي وبدون أسلحة. في حينه، طلب العقيد القذافي من القيادة الفلسطينية في أكثر من اتصال تلفوني مباشر الصمود وعدم الخروج من بيروت، حتى لو أدى ذلك إلى استشهاد

الجميع. اما السفير السوفيتي في بيروت سولدادوف وأركانه، فقد نصحوا القيادة الفلسطينية بالموافقة على شروط حبيب "للخروج"، وكانوا على قناعة تامة ان شارون لن يوافق على خروج القيادة الفلسطينية من لبنان سالمة، فخروجها سالمه يعني انتصارها وبقاء م.ت.ف. ممثلا شرعا وحديدا للفلسطينيين، ونهاية حياة شارون السياسية.

وفي اجتماع القيادة الفلسطينية اختلف زعيم القيادة العامة احمد جبريل مع الآخرين، ونصح بالموافقة على الخروج بحرا وبدون سلاح ويلباس الصليب الاحمر الدولي، واستشهد برأي سولدادوف، وقال: "ما قاله سولدادوف يعبر عن موقف حليقنا الاتحاد السوفيتي، والقيادة المسئولة لا تخضع مواقفها للعواطف، المهم خروج القيادة والمقاتلين سالمين ولباس الصليب نرميه في البحر، رصيدهنا التاريخي الكبير وما راكمه خلال هذه الحرب يمكننا بسهولة من تعويض السلاح". في حينه، قام أبو عمار بعمل "استخاره"^(١٠) وجاءت النتيجة لصالح الصمود، ورفضت القيادة الفلسطينية والمجلس العسكري، رسميا، شروط حبيب المهينة، ورفضوا النصيحة السوفيética وتمسكونا بانسحاب مشرف، وشددوا على أن يتم بالسلاح الفردي واللباس العسكري الكامليين. واشتد القصف الاسرائيلي ودفع سكان بيروت ثمنا غاليا. وكررت القوات الاسرائيلية محاولة التقدم من محور ميدان السباق - المتحف، ففشلت، وتبدلت خسائر كبيرة، وارتقت وتيرة مطالبة الاسرائيليين بالانسحاب أكثر فأكثر.

وخلال المفاوضات طرح حبيب، مسألة اعتراف م.ت.ف. بالقرارين ٢٤٢ و ٣٢٨ وبحق إسرائيل في الوجود، وادخلها في المساومة حول شكل خروج قوات الثورة وقيادتها، وسبيل انسحابها، ورد أبو عمار برفع سقف مطالبه وضمنها مطالب سياسية رئيسية، كالاعتراف بالمنظمة ويحق الفلسطينيين في دولة مستقلة. وفي يوم ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٨٢، سلم أبو عمار لعضو في البرلمان الامريكي وثيقة تؤكد قبول م.ت.ف. كل قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية، وظن البعض للحظات ان م.ت.ف. قدمنت تنازلًا، واعترفت بالقرارين ٢٤٢ و ٣٢٨، لكنهم لاحقا ادرکوا ان الموافقة على قرارات الشرعية الدولية يعبرعن تصلب ولا يتضمن مرونة. فقرارات الشرعية الدولية تتضمن بجانب القرارين ٢٤٢ و ٣٢٨، القرار ١٨١ لعام ١٩٤٧ الذي يتحدث عن تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية، والقرار ١٩٤ الذي يتحدث عن عودة اللاجئين الى ديارهم وتعويض من لم يرغب في العودة.

وخلال الفترة ذاتها، وافق أبو عمار على مشروع فرنسي - مصرى مشترك تقدمت به حكومتا البلدين، بتاريخ ٢٩ تموز/ يوليو الى مجلس الامن، تضمن دعوة الجانبين الفلسطينى والاسرائيلي الى وقف فوري لاطلاق النار ومعالجة الوضع في بيروت، وحل أزمة الشرق الاوسط سلميا، وإلى اعتراف متبادل ومتزامن بين م.ت.ف. واسرائيل،

وإجراء مفاوضات تشارك فيها المنظمة تم على قاعدة القرار الدولي ٢٤٢ وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.^(١١) ولقي الموقف المصري الفرنسي استحساناً فلسطينياً، فسره بعض القادة والكوادر الفلسطينيين بداية تحول الرئيس حسني مبارك من التزامات كامل ديفيد.

وعلى امتداد فترة الحرب، كان العجز العربي يكتشف أكثر فأكثر، وكان الامر الفلسطيني من التخاذل والتواطؤ العربي يتعمق أكثر فأكثر وصار شعار الفلسطينيين "يا وحدنا". كما لمس الفلسطينيون ضعف دور حليفهم الاتحاد السوفييتي، الذي وبالرغم من طول فترة الحرب، التي دامت ٨٧ يوماً بالكمال والتمام، واعتبرت أطول الحروب العربية الإسرائيلية، اكتفى السوفييت بتشييط حركته السياسية في إطار الأمم المتحدة ومع الدول الأوروبية، وإصدار عدد من البيانات أدانت العدوان. ولم تستطع القيادة السوفييتية ممارسة ضغوط فعالة لوقف العدوان الغاشم، تماماً كما قدر موقفها مسؤولة جهاز المخابرات السوفييتية KGB في بيروت قبل الحرب، ولم تنفذ تهدياتها، في فترة الحرب والمحاصرة الطويلة، بالتدخل وارسال المساعدات العينية لمعالجة القضايا الإنسانية لسكان بيروت طيلة أيام الحرب. إلى ذلك، دفع فيليب حبيب في المفاوضات بعض القوى والشخصيات الوطنية اللبنانيّة للضغط على أبو عمار للانسحاب من بيروت، ووصل بعضهم إلى حد القول صراحة على مسمع أبو عمار، "بيروت ليست مدينة فلسطينية، وال Herb تجري دون افق فلسطيني، واللبنانيون تحملوا الكثير وإن يستطيعوا التحمل أكثر".

اوائل آب/اغسطس ١٩٨٢، ادركت قيادة م.ت.ف. ان رحيلها عن بيروت بات امر لا مفر منه، وسعت الى تجير صمود مقاتليها الطويل في المدينة، لصالح تحسين شروط الخروج، وتحقيق مكاسب سياسية للقضية الفلسطينية. وبعد مفاوضات عسيرة، غير متوازنة، تم التوصل، يوم ١٣ آب/اغسطس ١٩٨٢، الى اتفاق لوقف اطلاق النار والفصل بين المتحاربين، نال موافقة جميع اعضاء القيادة الفلسطينية. وضمن الاتفاق اطلاق سراح الطيار الإسرائيلي الاسير الذي اسقطت طائرته فوق منطقة النبطية، وانسحاب المقاتلين باسلحتهم الفردية بحراً وتحت اشراف وحماية قوات متعددة الجنسية "أمريكية - فرنسية - إيطالية". وعهد لهذه القوات، ايضاً، مهمة صيانة أمن المخيمات وحماية سكانها. وطلبت الادارة الأمريكية من بعض الدول العربية استقبال المقاتلين المرحلين عن بيروت، وبادر بعضهم ورحب من تلقائهم نفسه باستقبالهم على ارضه. ورغم تعهد المبعوث الأمريكي فيليب حبيب بضمان سلام خروج المقاتلين وحماية المخيمات الفلسطينية من الاعتداءات الخارجية، الا ان الثقة الفلسطينية في الادارات الأمريكية ككل كانت معدومة. فهي في نظرهم العدو رقم واحد، وحامية حمى دولة اسرائيل المحتلة لوطنهم منذ قيامها في العام ١٩٤٧ وحتى ساعة خروجهم من بيروت، وهي التي غطت لاسرائيل عدوانها على لبنان،

وشاركتها في الضغط عليهم وعلى العرب والوطنيين اللبنانيين لارغامهم على الخروج، وكان ضغطها افعل من ضغط شارون.

الى ذلك بادر أبو عمار، بموافقة الأساسيين من القيادات الفلسطينية، إلى إجراء أول اتصال تلفوني مباشر مع الرئيس حسني مبارك، منهاجاً حالة القطيعة والإحتراب السياسي والإعلامي التي سادت بين الطرفين اثر توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، مستثمراً بذلك ما ورد في المشروع الفرنسي - المصري المشترك، وقادم القيادة المصرية على سحب سفيرها من إسرائيل يوم ١٨/٨/١٩٨٢ واشتراطها سحب الجيش الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية قبل اعادته. في حينه، قال أبو عمار للحاضرين من القيادة الفلسطينية: "أظنكم استنفذتم اتصالاتكم وجهودكم مع حلفائكم، من موسكو وحتى ليبيا والنتيجة صفر. سوريا خرجت من المعركة وعملت اتفاقها مع فيليب حبيب، وحان وقت الاتصال بأصحابي القдامي، قبل وصولكم بعض أصدقائي مهدوا للاتصال". وتساءل أبو عمار حول صحة قرار المقاطعة الذي فرضه العرب على مصر في قمة بغداد، وقال يجب مراجعة هذا الموقف يوماً ما، ونهض الى الهاتف وطلب الرئيس حسني مبارك، وتحدث معه حينها حاراً تخلله عتاب متبدّل، وصمت الحاضرون. وبعد انتهاء المكالمة قال: "نعم أنا هواي مصري ولا مطامع مصرية في ارض فلسطين".

وقبل مغادرة أول قافلة من المقاتلين ناقشت القيادة الفلسطينية مسألة خروج اعضائها، ودعا البعض الى وضع ترتيبات سرية لخروج أبو عمار خشية اغتياله، خصوصاً ان دخول الميناء وركوب الباخر يتم على مرأى من القوات الاسرائيلية والقوات اللبنانية المحافظة معها، وتحت مدى نيران اسلحتها الفردية. وطلب كثيرون من أبو عمار ان تكون محطة الاولى دمشق، وقالوا إن التوجه الى عاصمة اخرى يؤجج الصراع السوري - الفلسطيني في وقت نحن بحاجة ماسة الى تضامن الجميع. في حينه، رفض أبو عمار الفكرتين من اساسهما، وقال: "سوريا تخلت عنا وقت الشدة، وهناك من يفكر بالهيمنة على القرار الفلسطيني معتقداً ان خروجنا من بيروت يسهل عليه ذلك". واختار أبو عمار الرحيل الى بلد اوربي وتحديداً اليونان ليظهر للشعوب العربية ضيقه من موقف الانظمة. وبشأن خروجه سراً، قال: "انا انسان قديري والانسان لا يهرب من قدره، وحماية القيادة تتم بخروجها بمراسم رسمية وعلنية". وقبل صعوده الباخرة، عقد مؤتمراً صحفياً، رد على اسئلة الصحافيّين حول ما بعد الخروج من بيروت بالقول: أنا ذاهب الى فلسطين. الا ان ابو اياد وابو جهاد وابو الوليد وكل أركان القيادة الفلسطينية، سياسيين وعسكريين، كانوا مقتنيين تماماً انهم يغادرون بيروت دون رجعة، وانهم ذاهبون الى المجهول في المنافي البعيدة عن فلسطين. وادرجوا تفاصيل أبو عمار بالعودة الى فلسطين تحت خاتمة المقابلة ورفع المعنويات ورفض الاعتراف بالهزيمة، التي يشتهر بها أبو عمار وقت

المحن. وكانت أيام الرحيل مؤلمة وقاسية على الجميع. ويوم رحيل أبو عمار، خرجت القيادات اللبنانية بجانب الفلسطينية إلى ميناء بيروت لوداعه، وقبل صعوده إلى ظهر الباخرة أوصى القيادات اللبنانية بالمخيمات وقال أتركها أمانة في اعناقكم.

إلى ذلك، شكلت القيادة الفلسطينية لجنة مركزية برئاسة أبو الويلد سعد صايل مدير غرفة العمليات، وعضوية عدد من أعضاء المجلس العسكري، استندت لها مهمة تنظيم رحيل المقاتلين. وقررت اللجنة السماح للمقاتل الخروج بتجهيزات شخصية فقط، لا تزيد عن كيس بحر عسكري واحد. واعدة قوائم بكل باخرة، وحددت الملعب البلدي مكاناً لتجميع المقاتلين وتفقدتهم قبل الرحيل. وعملت فصائل الثورة على تخزين كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر في شتي أنحاء المخيمات ومدينة بيروت. وزعت كميات كبيرة على اطراف الحركة الوطنية اللبنانية، التي تعهدت موافلة المعركة، وبناء مقاومة لبنانية فعالة قادرة على متابعة ما فعلته المقاومة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال، وبذل أقصى جهد مستطاع للدفاع عن المخيمات.

يوم ٢١ آب/أغسطس ١٩٨٢، غادرت أول دفعة من المقاتلين الفلسطينية ميناء بيروت. وبدأت بوارج القوات متعددة الجنسيات، أمريكية وفرنسية، تعبر مياه البحر الأبيض المتوسط في رحلات مرافقة أمنية لرحلات الباخر اليونانية والقبرصية المستأجرة، التي حملت القيادات والمقاتلين الفلسطينيين. وكان جنود الاحتلال وضباطه يقفون بآلياتهم الخفيفة والثقيلة على بعد مئات الأمتار من المخيمات الفلسطينية. وكان شارون واركانه يراقبون من شرفات بيروت الشرقية، باستمتاع، انحساب القوات الفلسطينية وصعودها بواخر الترحيل. وخلال الفترة ذاتها، بدأت القوات السورية المتواجدة في بيروت بالانسحاب، برا على ظهر شاحنات عسكرية سورية سلكت طريق دمشق - بيروت الرئيسي، وانسحبت معها أعداد كبيرة من قيادات و كوادر و مقاتلي قوات منظمة الصاعقة والجبهه الشعبية القيادة العامة المواليتين لسوريا، وتولى فيليب حبيب تأمين سلامه مرور كل القوافل.

خلال لحظات الوداع الصعبة، كانت صيحات النساء والصبايا الفلسطينيات المودعات في الملعب البلدي للقيادة والمقاتلين الراحلين، مؤلمة وجارحة. وقلن بألم مصحوب بدموع الخوف والقلق، وعلى مسمع الجميع: "اصمدوا ولا ترحلوا.. ارفضوا الخضوع للأميرة العربية والدولية، لا ترحلوا، حتى لو دمرت إسرائيل كل بيروت، وكل العواصم العربية. وان رحلتم خذونا معكم، ولا تتركونا تحت رحمة حزب الكتائب والجيش اللبناني والإسرائيليين". وكانت صيحاتهن الحارة صادقة وتعكس حقيقة مشاعر الفلسطينيين في لبنان على كل المستويات. لكن الحرب لا ترحم الأطفال والنساء والشيوخ. بل وأكدت وقائع الحياة أن الخاسر أو المهزوم لا يستطيع فرض شروطه على الآخرين حتى

لو كانت هزيمته مشرفة وحصلت بعد قتال مشرف وصمود باسل دام قرابة ثلاثة شهور. خلال عمليات الترحيل واجه لبنان استحقاق انتخاب رئيس جمهورية جديد، وبعثت الحياة في البرلمان اللبناني، ودعي إلى عقد جلسة لانتخاب رئيس جديد، تحت حماية الدبابات الاسرائيلية، ويوم ٢٣ آب/أغسطس ١٩٨٢ انتخب قائد القوات اللبنانية بشير الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية. وبعد انتخابه كثفت القيادة الفلسطينية اتصالاتها المحلية والاقليمية والدولية، لضمان سلامية المخيمات وحماية المدنيين الفلسطينيين في كل أنحاء لبنان، فالرئيس المنتخب كان الخصم الأول للفلسطينيين وصار الحكم والحكم. إنه قائد قوات الكتائب وموحد القوات "الانعزالية"، وعدوانيته ضد الفلسطينيين شعباً وقيادة ومخيمات كانت واضحة ومعروفة للجميع. وبالرغم من الوضع الاعتباري لموقع رئاسة الجمهورية، قال بشير الجميل علينا في خطاب رسمي بثه التلفزيون اللبناني، بعد أيام قليلة من انتخابه: "في المنطقة خمسة شعوب وأربع دول، وهناك شعب زائد يجب الخلاص منه"، وكان يقصد الشعب الفلسطيني البالغ تعداده آنذاك أكثر من خمسة ملايين انسان مشتتين في شتى أنحاء المعمورة.

بعد رحيل أغلبية القوات الفلسطينية إلى البلدان المتفق عليها، ورحيل أبو عمار وطاقمه المساعد، باتجاه الأراضي اليونانية، سيطرت "القوات الانعزالية" على معظم أحياء بيروت الغربية. وصار الخروج الفلسطيني المدني أو العسكري من المخيمات وبعض الأحياء التي بقي فيها من هم بانتظار الرحيل وخاصة أبو شاكر، الفاكهاني، أبو سهل، صبرا، محفوفاً بمخاطر كبيرة. كما صار صعباً وصول المستشفيات ونقل الجرحى إلى بواخر الرحيل.^(١٢) ورغم ذلك، أصر العميد سعد صايل أبو الوليد أن يودع هو ومن بقي من المجلس العسكري الفلسطيني الأعلى بيروت بزيارة مقبرة الشهداء، حيث يرقد الحاج أمين الحسيني وأخرون من شهداء حرب ١٩٤٨، وشهداء الثورة الذين سقطوا على أرض لبنان. وسار الجميع، صباح يوم ١٩٨٢/٩/١، نحو المقبرة مشياً على الأقدام من آخر مركز للعمليات قرب جامعة بيروت، ومعهم ما أمكن ترتيبه من أكاليل زهور. وفي الطريق إلى المقبرة تمنى الجميع لو أمكن ترحيل سكان المخيمات من لبنان بعد أن تحملوا عذاباً لا يتحمله بشر، وبعد أن أصبحوا معرضين لخطر التصفية والإبادة. وتساءل أبو الوليد، بحزن شديد وبصوت خافت: هل ستطاوا اقدام أولادنا أرض فلسطين؟ وهل سنستطيع يوماً ما تنفيذ وصية الشهداء بنقلهم إلى أرض الآباء والاجداد؟ أم أن مواقفنا وممارساتنا وهزيمتنا في بيروت ستقود لنبش قبورهم ورمي عظامهم في المزابل؟ وهل سنجد نحن الأحياء في هذا الوطن العربي الكبير مكاناً ندفن فيه باحترام، كما دفنا من سبقونا؟ وماذا سيقول التاريخ عنا..؟

طرح هذه الأسئلة وسوها كان له في حينه ما يبرره. فعلاقة الثورة الفلسطينية مع معظم

الدول العربية لم تكن على ما يرام، ولعل خروج اكبر مظاهره في شوارع تل ابيب، وليس في عاصمة عربية، استنكاراً للهجوم الاسرائيلي على بيروت خير مؤشر على ذلك.

بعد وداع الشهداء، ودع من تبقى من القيادة السياسية والعسكرية الفلسطينية مدينة بيروت التي احبوها وخلال ساعات، اكملت "القوات الانعزالية" سيطرتها على أحياe بيروت الغربية، ودخلت سلماً قلب قلاع ومعاقل الفلسطينيين في احياء الفاكهاني وابو شاكر وأبو سهل وحمد وقصص وجامعة بيروت العربية.. الخ، ووقفت على أبواب مخيمات شاتيلا وصبرا والداعوق وبير حسن وبرج البراجنة. وبعد اقل من ٤٨ ساعة، خرق وزير الدفاع الاسرائيلي شارون اتفاق فيليب حبيب كما كان متوقعاً، ودخلت القوات الاسرائيلية أحياe بيروت الغربية وداحت تمشطها حياً وراء حي ومنزلاً بعد منزل، بحثاً عن بقايا رجال م.ت.ف. ووجد الجيش اللبناني ومعه القوات الانعزالية، فرصة للثأر والانتقام من القوى الوطنية اللبنانية التي قاتلت مع الفلسطينيين ابان الحرب الاهلية. وبدلًا من البحث عن المصالحة الوطنية وسبل حل الأزمة اللبنانية، دخلت صرائعاً مكشوفاً مع الطائفة الدرزية التي ينتمي لها كمال جنبلاط.^(٣) تلاه صراع مع الطائفة الشيعية، ودخل لبنان جولة جديدة من الحرب الطائفية أكثر دموية.

إلى ذلك حافظ الفدائيون الفلسطينيون على وجودهم القوي في مناطق بعلبك والهرمل وطرابلس، وبقيت السيطرة السورية كاملة على مناطق البقاع والشمال واقسام واسعة من جبل لبنان، فاتفاق فيليب حبيب لم يتعرض لهذا الوجود، والخسائر التي لحقت بالطرفين السوري والفلسطيني في بيروت والجنوب لم تشن قدرتهم على متابعة الصراع.

لاحقاً، ايقن الثنائي بيغن - شارون ان الحرب لم تضعف نفوذ سوريا في لبنان، ولم تقض على النفوذ السوفييتي في المنطقة، بل دفعت القضية الفلسطينية الى قمة اولويات القوى الدولية وخصوصا الدول العظمى. وإذا كان هدف بيغن من شن الحرب على لبنان لتحرير اسرائيل من الضغوط الدولية المتعلقة بالتوصيل الى تسوية بشأن وضع ومصير الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد حدث عكس ما كان يتواهه من الحرب، وانتقلت مواقف الولايات المتحدة الامريكية من تبني مشروع الحكم الذاتي الذي تم اقراره في كامب ديفيد الى البحث عن حل اشمل يعالج القضية الفلسطينية برمتها.

هوامش الفصل الأول

- ١) تشكل المجلس من مندوب عن كل فصائل الثورة الأساسية باستثناء حركة فتح حيث مثلاً: ابو جهاد نائب القائد العام، وابو الويلد مدير غرفة العمليات المركزية، وابو الزعيم مدير الاستخبارات العسكرية. لاحقاً زاد عدد اعضاء المجلس، ويبلغ قرابة الأربعين عضواً. ومثل المجلس العسكري في المجلسين الوطني والمركزي واخر م.ت.ف. الآخر، باشخاص يطلق عليهم اسم "الكتا الشخصية" لابو عمار، فهو الذي يسيئهم، وهم متزمنون بموقف القائد العام في كل الظروف والاحوال. وبعد اتفاق اسلو وقيام السلطة الوطنية تغيرت وظائف المجلس العسكري وتبركته وتغير اسمه الى مجلس الامن القومي الفلسطيني الاعلى، ولم تتغير طبيعة علاقته بابو عمار.
- ٢) تم ترشيح اعضاء اللجنة التنفيذية الجديدة في قائمة للوحدة الوطنية قدمها ابو عمار وضمت: ياسر عرفات، فاروق القدوسي، محمود عباس، عبد الرحيم احمد، طلال ناجي، ياسر عبد ربه، احمد اليماني، محمد خليفة، حامد ابو سته، محمد زهدي الشناشيلي، عبد المحسن ابو ميزر، احمد صدقى الجانى، جمال الصوراني، هنا ناصر، صلاح الدباغ رئيساً لمجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني. راجع قرارات الدورة الخامسة عشر، وثائق فلسطين (م.ت.ف. ١٩٨٧).
- ٣) بعد تصاعد عمليات المقاومة من الجنوب اللبناني ضد اسرائيل وتنامي القدرة العسكرية الفلسطينية على الساحة اللبنانية، اعلن رفائيل ايتان رئيس اركان الجيش الاسرائيلي حرباً مفتوحة ضد المنظمة وقواتها عرفت بحرب الاستنزاف واستخدمت فيها مختلف صنوف اسلحة الجيش الاسرائيلي. الى ذلك اقامت قوات الثورة الفلسطينية شبكة من الانفاق في مختلف مناطق الجنوب اللبناني لحماية الافراد والاسلحة وبخصوصاً راجمات الصواريخ والمدافع الثقيلة. وكان احمد جبريل قائد الجبهة الشعبيةقيادة العامة اول من بدأ العمل في حفر الانفاق، ولاحقاً بنت الجبهة الديمقراطية عدة انفاق منها تفق في سفح جبل الطاهر قرب بلدة النبطية في الجنوب. ومن هذا التفق كانت راجمات الجبهة تطال في قصفها العديد من القرى والمدن الاسرائيلية الواقعة في سهل الحولة وفي القطاع الأوسط.
- ٤) كان ابو الويلد قائداً لاحد الвойeds الجيش الاردني، ارتبط بعلاقة خاصة مع قيادة فتح، منذ بداية انتطلاقة الثورة، والتحق مع معظم ضباط وحدته بالثورة الفلسطينية في بداية احداث ايلول/سبتمبر عام ١٩٧٠. غادر الازدين الى سوريا في اطار خروج القوات الفلسطينية، وشكل لواء البرمود الذي ضم لصقوره الضباط والجنود الذين التحقوا من الجيش الاردني بالثورة.حظي باحترام وتقدير جميع القيادات السياسية والعسكرية الفلسطينية. ولعب دوراً حاسماً في اعادة تنظيم القوات الفلسطينية وبخاصة قوات فتح،

وأدخل نظام الرب والتشكيلات العسكرية النظامية المتعددة في بنية قوات الثورة. امتاز بمواقفه الوحدوية، وانتخب عضواً في اللجنة المركزية لفتح، وتولى مهمة مدير غرفة العمليات المركزية للثورة، وكان دوره مركزاً في صمود بيروت في حرب ١٩٨٢. وبعد الخروج جعل من دمشق مقراً له، وقاد حركة انشقاق فتح بعثة. وخلال أحدى جولات الميدانية على القوات في الباقاع الخاصة لسيطرة مطلقة لقوات سوريا اطلق عليه التبران من كفين أعد بحاكم، واستشهد يوم ٢٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، ودفن في مقبرة الشهداء قرب مخيم اليرموك.

(٥) بعد اتفاق على وقف اطلاق النار، عملت منظمة القيادة العامة بتشجيع سوري - ليبي على خرق الاتفاق. لم يتطرق أبو عمار قرار القيادة المشتركة، وكلف المقدم أبو حميد قائد الكفاح المسلح باعتقال أفراد القيادة العامة ومصادرتهم مدافعينهم. وندّ أبو حميد للقرار، وفي المساء قررت القيادة المشتركة الالتزام بوقف اطلاق النار، واستدعي أبو عمار أبو حميد لتكتيشه بتنفيذ القرار، فقال المقدم أبو حميد أمام جميع الحاضرين: حاضر يا افندم، نفذنا القرار في الصباح، وراحـت قصـة المـقدم أبو حـميد مثلاً عـلى تـقدـرـ أبو عـمار، وطبيعة عـلاقـةـ بـاعـضـاءـ الـقيـادـةـ السـيـاسـيـةـ الـفـلـسـطـينـيـةـ.

(٦) في شباط/فبراير ١٩٨٢ وصلت أبو عمار معلومات مؤكدة بأن الهجوم الإسرائيلي قادم لا محالة. وطلب أبو عمار من مساعديه وضع تقدير كامل للموقف، وقدم أكثر من عضو من أعضاء المجلس العسكري تصوره لمآلية المعركة القادمة. وبعد النقاش تم بلوره تصوراً موحداً اعتمد كأساس لتحضير القوى واجراء الترتيبات الميدانية لاحقاً، كشف زيف شيف في كتاب الحرب المضللة عن وقوع التصور الفلسطيني الذي تقدمت به القيادة بيد القيادة الاسرائيلية بعد احتلالها مراكز الثورة في منطقة الجنوب. راجع: زيف شيف، *يهود يشاري الحرب المضللة*، (عمان: دار الجليل، ١٩٨٥).

(٧) أطلق أبو عمار على الحرب المتوقعة في تلك الفترة اسم حرب "الأكرورديون" نسبة لللالة الموسيقية المعروفة، وكان يقصد، أن القوات الاسرائيلية بالتعاون مع القوات الانعزالية ستقوم بالاطلاق على مناطق بيروت الغربية، والضغط عليها كما يفعل عازف الأكوروديون بالته عند العزف.

(٨) راجع نص الرسالة في *ويلم كرات، الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي* - (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤).

(٩) بعد تجاوز القوات الاسرائيلية منطقة الزهراني وتطويقها مدينة صيدا ومخيم عين الحلوة قدر جمـعـ اركـانـ غـرـفةـ العمـليـاتـ الفـلـسـطـينـيـةـ الفـرـعـيـةـ فيـ منـاطـقـ الجنـوبـ المـوقـعـ تـقـدـيرـ خـاطـطاـ خـلاـصـةـ التـسـليمـ بـنجـاحـ الـهجـومـ الاسـرـايـلـيـ وـعدـ جـدوـيـ مواـصلةـ القـتـالـ، وـقـرـرـواـ انـقـاذـ ماـ يـكـنـ اـنقـاذـ، وـانـسـجـرواـ بـصـورـةـ غـيرـ منـظـمـةـ مـشـياـ عـلـىـ الـاقـدـامـ بـاتـجـاهـ منـاطـقـ الـبـاقـاعـ.ـ فـيـ حـيـنهـ حـاوـلـتـ عـبـرـ جـهاـزـ الـلـاسـلـكـيـ الزـامـ قـائـدـ قـواتـ الجـبهـةـ فـيـ الجنـوبـ بـعـدـ الـانـسـحـابـ إـلـاـ لـمـ يـسـتـجـبـ لـلـقـرـارـ وـأـلـقـيـ بـأـنـهـ عـزـلـهـ مـيـدـانـياـ حـيـثـ غـيـرـ المـقـدـمـ عـبدـ الـكـرـيمـ قـائـدـ عـضـوـ الـقـيـادـةـ الـعـسـكـرـيـةـ لـلـجـبـهـةـ بـدـيـلـاـ لـهـ.ـ وـبـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـحـربـ حـوـكـ قـائـدـ قـواتـ الجـبـهـةـ وـجـدـ مـنـ رـتـبـهـ الـعـسـكـرـيـةـ وـطـردـ مـنـ صـفـوفـ قـواتـهاـ.

(١٠) يعتمد بعض المسلمين على القرآن الكريم في اتخاذ قراراتهم الصعبة، وذلك بفتح كتاب القرآن عشوائياً وقراءة الآيات الكريمة التي تظهر امامه والبحث في تفسيرها واستنباط القرار. وكان أبو عمار واحداً من المؤمنين بهذه الطريقة في اتخاذ القرارات الصعبة. ولجا لها عندما اشتد الحصار وتتنوعت عروض الاستسلام، وبدأ بعض اركان القيادة الفلسطينية يحثونه على اتخاذ قرار الانسحاب، وكان احمد جبريل قائد القيادة العامة اشدّهم حماساً للانسحاب باي ثمن. يومها علق أبو عمار اجتماع القيادة واختفى بنفسه، وعاد ليقول: "هـبـ رـيـاحـ الـجـنـةـ، اـجـرـيـتـ اـسـتـخـارـةـ وـالـلـهـ اـمـرـيـ بالـصـمـودـ حـتـىـ الشـهـادـةـ اوـ النـصرـ".

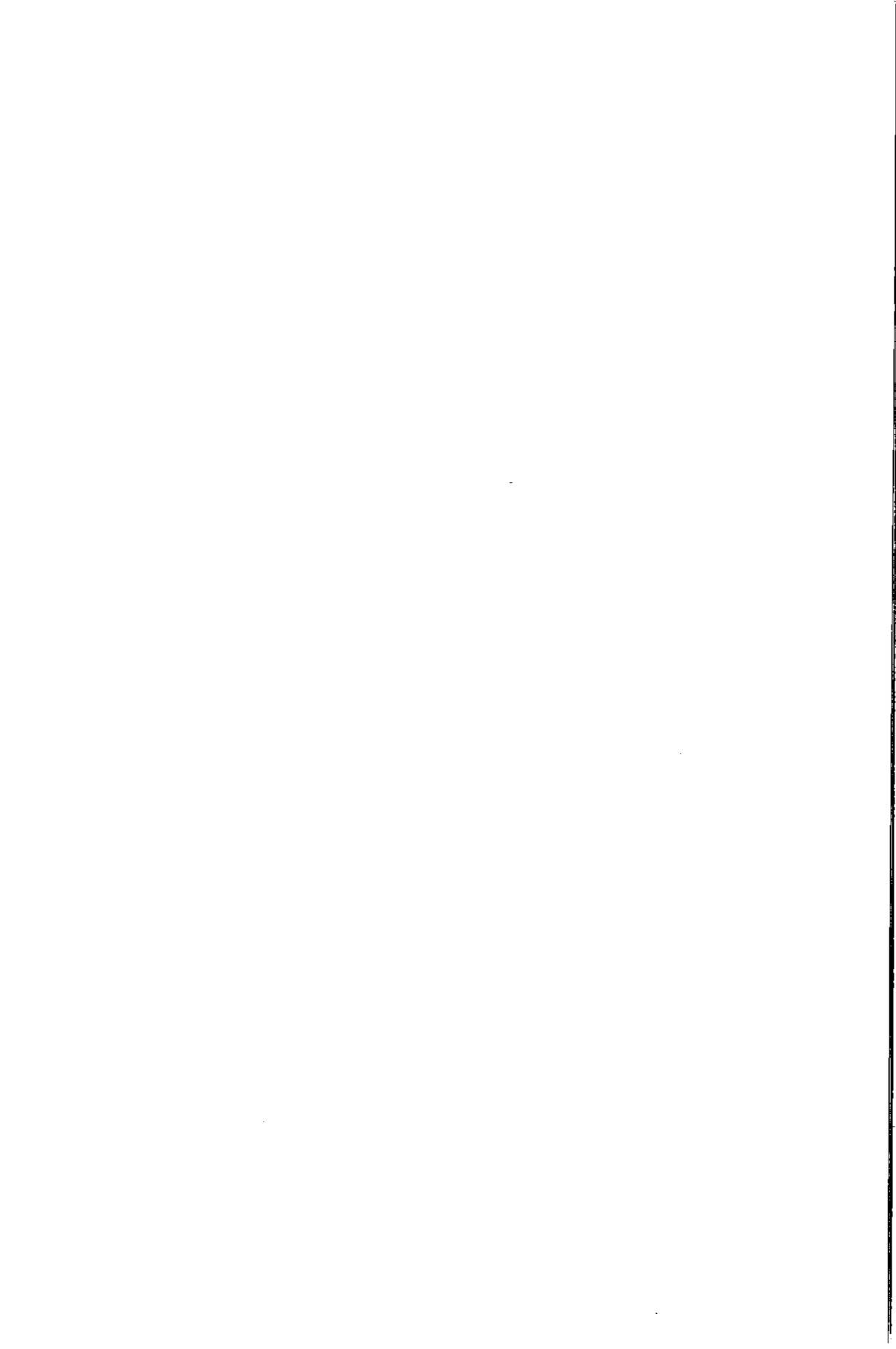
(١١) راجع: سميـعـ شـبـيـبـ، منـظـمـةـ التـحرـيرـ وـتـقـاعـلـاتـهاـ فـيـ الـبـيـئـةـ الـعـرـبـيـةـ، (بيـرسـياـ: شـرقـ بـرسـ، ١٩٨٨).

(١٢) قبل خروج قوات الثورة من بيروت ب أيام قليلة حاول مجهولون اغتيال على عبد الخالق، ابو نبيل العراقي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، الذي اقام في بيروت مع الثورة الفلسطينية، وكان مسؤولاً عن تنسيق علاقة الحزب بقيادة م.ت.ف. وقيادة الحركة الوطنية اللبنانية، ومن ضمنها متابعة اوضاع مئات من كوادر الحزب الذين انخرطوا في صفوف قوات الجبهة الديمقراطية وفصائل الثورة الفلسطينية الأخرى. في حينه، اتهمت المخابرات العراقية بمحاولة الاغتيال، ونجا ابو نبيل باعجوبة حيث اخترقت رصاصة القاتل فمه من الخدين دون ان تمس الاعصاب وأجزاء الفم الداخلية. وقبل مغادرتي بيروت تحركت الى مستشفى الجامعة الأمريكية حيث كان يرقد ونقلته مباشرة الى ظهر السفينة. وخلال رحلة الوصول الى المستشفى ومنه الى السفينة لمست ابعاد الانسحاب على الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين.

(١٣) كمال جنبلاط: شخصية سياسية لبنانية معروفة عربياً وعالمياً، لعب دوراً مقدراً في الحياة السياسية اللبنانية الرسمية والحزبية على مدى ثلاثة عقود. قاد الحركة الوطنية اللبنانية في احلک الظروف. كان عربياً دافعاً عن الثورة الفلسطينية في لبنان وانتخب رئيساً للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية. اغتيل في آذار/مارس ١٩٧٨ ایام انعقاد دوره المجلس الوطني. ونفذت عملية الاغتيال وضج النهار قرب بلدة دير القمر المسيحية في الشوف، بالقرب من أحد مواقع القوات السورية. ووجهت اصابع الاتهام للاستخبارات السورية، حيث كانت علاقة جنبلاط بالقيادة السورية متورطة جداً بسبب معارضته الشديدة لتدخل القوات السورية في لبنان. وفي التشريح شارك م.ت.ف. بوفد من المجلس الوطني ضمّ ابو صالح عضو اللجنة المركزية لحركةفتح، وشقيق الحوت ممثل المنظمة في لبنان، وممدوح نوبل قائد قوات الجبهة الديمقراطية، وابو احمد فؤاد المسنون العسكري في الجبهة الشعبية، والقادة العسكريون لجيش التحرير الفلسطيني، وجبهة النضال، والتحرير الفلسطيني.. الخ.

الفصل الثاني

الحروب على المخيمات تبدد الآمال بالدولة



الحروب على المخيمات تبدد الآمال بالدولة

مجازر بعد رحيل الثورة من بيروت

ظهر يوم ١٩٨٢/٩/١، أطلقت آخر بواخر الترحيل صفارتها، معلنة رحلتها تجاه ميناء طرطوس على الساحل السوري، وعلى ظهرها ما لا يقل عن ١٢٠٠ مقاتل وكادر وقائد فلسطيني، آخر من بقي في بيروت، وكان من ضمنهم: أبو ابراد، أبو الهول، وابو الوليد اعضاء مركزية فتح، وابو Maher اليامي عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير^(١)، واعضاء المجلس العسكري الاعلى، وضباط غرفة العمليات المركزية، واعداد قليلة من عائلات الكوادر والمقاتلين. وبعد مغادرتها ميناء بيروت تحركت فوراً خلفها بوارج الحماية والمراقبة الأمريكية - الفرنسية. وقبل ان تغيب مبانی بيروت عن الأنظار، استمع المرحلون عبر الراديو، الى مبادرة سياسية، أطلقتها الرئيس الأمريكي، تتعلق بتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي، وتسوية المسألة الفلسطينية^(٢). ونان ريفان سيلا من الشتائم، خصوصاً وان هموم الهزيمة والرحيل الكبيرة كانت تطفى على الاذهان، وأن دور الادارة الأمريكية أساسياً في خلقها، وأن صاحب المبادرة، اعتبر تاريخ خروج م.ت.ف. من بيروت "يوماً يدعوا للفرح".

كان واضحاً للقادة المرحلين، ان الادارة الأمريكية تحاول، بمبادرةتها، ضرب حديد المنطقة وهو حام، واستئمار فوز إسرائيل في الحرب، وضعف وضع م.ت.ف.، واستغلال تراجع معنويات الشارع العربي، وفرض رؤيتها لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وقد اعطت المبادرة زخماً جديداً "للخيار الاردني". وأشارت بوضوح الى ان الادارة الأمريكية ترى ان حكماً ذاتياً، من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة، مرتبطة

بالازدن يوفر افضل فرصة لسلام دائم وعادل وثابت. واكدت المبادرة على أن الحرب ضد م. ت. ف. في لبنان، تدخل في سياق ردع السوفيت وعملائهم، وجاء في مقدمتها: "عندما تولت حكومتنا السلطة في كانون الثاني / يناير عام ١٩٨١، قررت أن يكون الإطار العام لسياستنا في الشرق الأوسط معالجة قضيتي رئيسين: أولاهما، مواجهة التهديد الاستراتيجي للمنطقة الذي يمثل الاتحاد السوفياتي، والدول العميلة له، وثانيهما، تتعلق بعملية السلام بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها. وفي ما يتعلق بالتهديد السوفياتي فقد عززنا جهودنا في المنطقة، بهدف تطوير السياسة المشتركة مع أصدقائنا لردع السوفيات وعملائهم عن القيام بمزيد من التوسع في ارجاء الشرق الأوسط، والتصدي لهم إذا لزم الأمر."

إلى ذلك، اعتقدت إدارة الرئيس ريفان أن نتائج غزو لبنان، على المستويين العربي والفلسطيني، كافية لتحرك أوضاع المنطقة من جديد باتجاه البحث عن حلول لأزماتها المستعصية، ونسبيت، أنها لم تقض على م. ت. ف. ولم تجردها من صفتها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. وكما نسيت أن هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ذاتها، لم تساعد حركة البحث عن حلول جدية لقضايا الصراع العربي - الإسرائيلي، رغم أنها كانت شاملة، وأشد إيلاماً للوضع العربي من حرب بيروت. وبصرف النظر عن تقديرات الادارة الأمريكية وحساباتها، في تلك الفترة، فنتائج مبادرة الرئيس ريفان كانت عكسية، فتوقيتها لم يكن ملائماً، وطرحها تم بصورة عنجهية استفزازية، لم يسمح لاي قائد فلسطيني بمجرد التفكير في بعض الإيجابيات التي تضمنتها. ودخلت الحرب الباردة على الخط مباشرة واعتبرت طريقها بقوة، وجمدت بها بسرعة فائقة قياساً بالمبادرات الأمريكية والدولية التي سبقتها.

إلى ذلك، رفض بيغن مبادرة ريفان، واحتج بشدة على نشرها قبل التشاور معه، وأعتبرها انحرافاً عن اتفاقات كامب ديفيد، وأن مضمونها يتعارض مع مصالح إسرائيل ومتطلبات منها الاستراتيجي، لاسيما وانها نصت على "أن النزاع العربي الإسرائيلي يجب ان يحل بمقاييس تنطوي على مبادلة الأرض بالسلام، وهذه المبادلة منصوص عليها في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢". واعتبرت المبادرة الأمريكية هذا القرار فعالاً في مجلمه وحجر أساس لجهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة. ونصت "على ان موقف الولايات المتحدة يقوم على انه مقابل احلال السلام، فان المادة الخاصة بالانسحاب في القرار ٢٤٢ تطبق على كل الجبهات، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة". وتشنج بيغن لأن المبادرة تتعارض مع موقفه المبدئي بشأن مصير القدس وسبل حل مشكلتها، حيث تضمنت نصاً يقول: "اننا ما زلنا مقتنيين بضرورة ان تبقى القدس غير مجزأة الا ان وضعها النهائي يجب ان يتقرر بالتفاوض". مشيرة الى ان الولايات المتحدة ستؤيد المواقف التي تبدو لها منصفة وتؤدي الى اتفاق سليم وحلول وسط معقولة.

ولم يتأخر العرب في تحديد موقفهم منها، وبعد أسبوع واحد فقط من اعلانها استكملاً القادة العرب دورة قمتهما الثانية عشر في ٩/٩/١٩٨٢، والتلقو مرة أخرى في مدينة فاس. ويومنها خرج جميع الزعماء العرب، باستثناء الرئيس حافظ الأسد، إلى المطار لاستقبال ياسر عرفات الخارج من حصار وقتل طوبلين، مقدرين للثورة الفلسطينية دورها في الصمود في وجه العدوان. وكان واضحاً أن القمة تعتقد في ظروف جديدة، بعد احتلال إسرائيل لجزاءً واسعاً من لبنان وخروج الثورة الفلسطينية من بيروت، وتشتتها في عدد من الدول العربية. وقدّمت للمؤتمر عدة أوراق. ورداً على افتخار ريفان بانتصار إسرائيل على م.ت.ف.، حيّ المؤتمر صمود قوات الثورة الفلسطينية، والشعبين اللبناني والفلسطيني، والقوات العربية السورية، وأعلن مساندته للشعب الفلسطيني في نضاله من أجل استرداد حقوقه الوطنية الثابتة. وأكد الزعماء العرب على دور م.ت.ف. كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وعلى ضرورة قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وقرر المؤتمر تشكيل لجنة من ممثلي عن م.ت.ف. والعربية السعودية وسوريا والمغرب والأردن والجزائر وتونس، مهمتها إجراء اتصالات بالأعضاء الدائمين في مجلس الأمن لشرح قرارات المؤتمر المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي، على أن تعرض اللجنة نتائج اتصالاتها على الملوك والرؤساء بصورة منتظمة. واكتفى البيان الختامي بالإشارة إلى "مشروع الملك فهد". ورغم أن القمة لم تتبّن فكرة عقد مؤتمر دولي، إلا أن بيانها، تضمن موقفاً رافضاً للتفرد الأمريكي في حل النزاع، وأكّد الرؤساء على تولي مجلس الأمن الدولي معالجة الصراع العربي الإسرائيلي.^(١)

إلى ذلك، أثار البند السابع من قرارات قمة فاس الثانية، الذي يشير إلى "حق إسرائيل في الوجود" خلافاً علينا حاداً في الساحة الفلسطينية. فالجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي الفلسطيني رحباً بقرارات القمة، في حين رفضتها الجبهة الشعبية، والجبهة الشعبية - القيادة العامة ويسار فتح. وكان وفد المنظمة إلى القمة قد انقسم على نفسه حول البند نفسه، وأصدر من فاس، ثلاثة من أعضاء الوفد الفلسطيني الرسمي هم: أبو ماهر اليماني عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية - عضو اللجنة التنفيذية، وطلال ناجي، ممثل الجبهة الشعبية القيادة العامة في التنفيذية، ونمر صالح، أبو صالح عضو مركبة فتح، بينما مشتركاً أكدوا فيه أن الاقرار بحق إسرائيل في الوجود يمثل انتهاكاً صارخاً لقرارات المجلس الوطني، وتنازلاً مجانياً أمام العدو الصهيوني مقابل أعمال وهمية. وبعد عودة الوفد الفلسطيني من فاس، انضمّت قيادة منظمة الصاعقة الموالية لسوريا، وجبهة النضال الشعبي، إلى اللذين رفضوا البند السابع في بيان القمة. وتحولت موافقة أبو عمار على قرارات قمة فاس إلى قضية خلافية كبيرة، وظلت في تأجيج الصراع داخل فتح، ودفعه نحو الانقسام، وكانت بوادره قد ظهرت أثناء فترة الحصار.

وبعد أقل من أسبوع من القمة، سارع الاتحاد السوفييتي إلى الرد على مبادرة ريفان. وأعلن الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف عن مبادرة سوفييتية جديدة لتسوية النزاع في الشرق الأوسط عرفت باسمه.^(٤) والتدقيق في نصوصها، يبين أنها تجمّع لموافقة مبدئية قديمة، ولم تطرح للتطبيق، بل للتعرض للموقف الأمريكي ومحاولة تفرده بمعالجة قضايا المنطقة. وجاءت مبادرة بريجنيف، متطابقة تماماً مع الموقف الفلسطيني والعربي، ولا تغري القيادة الإسرائيلية حتى بمجرد قرأتها. فقد وضعت لاعتراض محاولة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية استغلال هزيمة المنظمة في بيروت. وأكدت مجدداً على حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، ووجوب تثبيت حدود نهائية وغير قابلة للتغيير، بين إسرائيل والدول العربية، وإن "تحترم جميع الدول بما فيها إسرائيل والدولة الفلسطينية، سيادة كل منها واستقلال أراضيها ووحدتها". وبينت المبادرتان الأمريكية والsovietية، وما تلاهما من صراع، شدة تأثير قضايا المنطقة بالحرب الباردة وبصراع العملاقين على أرضها، بما في ذلك حرب ١٩٨٢ ذاتها، واتساع عمليات خطف الرهائن الأجانب في بيروت في حينه. وحاول أبو عمار، لاحقاً، الإيحاء بأن مبادرة ريفان تتضمن ما يمكن الاستفادة منه، ومارس ضغوطاً شديدة على اجتماع المجلس المركزي، الذي انعقد يوم ٢٦ / ١١ / ١٩٨٢، معطلاً صدور قرار يتضمن رفضاً صريحاً لها. إلا أن موقفه لم يلق تجاوباً أمريكياً، وخلق له بعض المتاعب، وتعرض لهجوم الفصائل الفلسطينية المتشددة، والتي نفذ سوري - سوفييتي غير معن.

بعد خروج م.ت.ف. من بيروت، تسارعت الأحداث في لبنان وإسرائيل. وبعد أقل من أسبوعين أي في ١٤ / ٩ / ١٩٨٢ تناقلت وكالات الأنباء خبراً عاجلاً من بيروت يقول: إن مجهولين تمكنوا من تفجير مبني تابع لقوات الكتائب في منطقة الاغرفة في بيروت الشرقية، حيث كان الرئيس اللبناني الجديد، بشير الجميل، يعقد إجتماعاً مع قيادة القوات اللبنانية. وقالت الانباء إن الإنفجار ضخم ودمر المبني بالكامل وهز أرجاء بيروت كلها، وأن مصير الرئيس اللبناني ومن معه لا يزال مجهولاً. وفي المساء، أكدت الوكالات مقتل بشير الجميل ومعظم من كان معه. وبينت الواقع، أن العملية كانت محكمة التخطيط، بشكل يفوق قدرات القوى المحلية اللبنانية والفلسطينية وامكاناتها.^(٥) واجمع المراقبون على أن بشيراً قُتل في إطار صراع أوسع من الصراع الحزبي أو الطائفي اللبناني، أو صراع الفلسطينيين مع القوى الانعزالية اللبنانية، حيث كان في تلك الفترة هدفاً مباشراً لعدد من القوى المحلية والإقليمية والدولية.

ويصرف النظر عن تفاصيل العملية وعن الجهة أو الجهات التي وقفت خلفها فإن إسرائيل

كانت الخاسر الأكبر من غياب بشير الجميل عن مسرح السياسة اللبنانية، خصوصاً أنه قتل قبل ان تحصد ثمار غزوها وخسائرها الباهظة، وقبل معالجة خلافها معه حول دور القوات اللبنانية في الحرب، وقبل توقيع اي اتفاق معه ينظم علاقتها ببلبنان ويبثت مصالحها فيه.

في حينه، لم يخف الفلسطينيون في لبنان وخارجه وفئات واسعة من اللبنانيين من الشيعة والدروز والسنّة فرحتهم بمقتل بشير، وأطلق الرصاص بغزاره في مناطق البقاع والشوف والشمال، ابتهاجاً، قبل ان تتضح اهداف العملية وتعرف تفاصيلها. وخشي الجميع رد فعل القوات الإنعزالية، وكان الفلسطينيون في كل مكان الأكثر فلقاً واضرباً.

ورغم معرفة جميع القوى المحلية والإقليمية والدولية، الاكيدة، أن الفلسطينيين في مخيمات بيروت غير قادرين على حماية أنفسهم، إلا ان من تعهدوا بحمايتها لم يحركوا ساكناً. ورغم القاء السلطة اللبنانية القبض على الفاعل، والتعرف على هويته اللبنانية وانتتمائه التنظيمي والسياسي وقع رد الفعل على رؤوس الفلسطينيين، وكانوا ضحية عمل لم يقتربوه.

يوم ١٧ ايلول/سبتمبر ١٩٨٢، دخلت قوة كبيرة من القوات اللبنانية مخيماً شاتيلا وصبرا، بقيادة أحد قادتها ايلي حبيقة، وارتكتبت، بتشجيع وشرف مباشر من وزير الدفاع الإسرائيلي شارون وأركانه، مجرزة رهيبة راح ضحيتها قرابة ألف طفل ورجل وإمرأة معظمهم من الفلسطينيين العزل من السلاح، وقتل في المجزرة قلة من السوريين جمعهم فقرهم مع سكان المخيمات.

هذت وقائع المجزرة ومناظرها الرأي العام العالمي والعربي والوطني اللبناني. وحمل بعض الفلسطينيين القيادة الفلسطينية وفصائل الثورة مسؤولية ترك مخيمات بيروت دون ضمانات كافية. وساد القيادة الفلسطينية شعور بالذنب، وبأنها ارتكتبت خطأ فاحشاً حين اعتمدت على وعد مبعوث الادارة الامريكية فيليب حبيب.^(١) ودعى عدد من القادة والفصائل في بيانات علنية الى الثأر والانتقام طال الزمن او قصر. وصدم الشارع العربي، وصممت النظم الرسمي العربي، وتحرك الشارع الإسرائيلي، وسارط في شوارع تل ابيب مظاهرات صاخبة ضد المجزرة، وضد عملية غزو لبنان، "سلامة الجليل"، من اساسها، وحمل شارون وبيغن مسؤولية الخسائر البشرية والمعنوية الكبيرة التي لحقت باسرائيل بسبب تورطها في لبنان. وأسرعت حكومة بيغن وسحب جيشها يوم ٢٦ ايلول/سبتمبر ١٩٨٢ من مدينة بيروت. وعادت القوات المتعددة الجنسيات الى لبنان، وكانت غادرتها بعد انتهاء مهمة ترحيل القيادة والمقاتلين الفلسطينيين. وتولت القوات الإيطالية، مهمة حماية مخيمات بيروت، واظهرت تعاطفاً شديداً مع سكان صبرا وشاتيلا والداعوق، وقدمت خدمات هامة خارج نطاق مهمتها الأساسية.

إلى ذلك، رأى السوفيت في عودة القوات متعددة الجنسيات للمركز في الأراضي اللبنانية خطراً حقيقياً على مصالحهم في المنطقة. وتخوفوا من تمدد كامب ديفيد إلى لبنان، وتحوله إلى قاعدة عسكرية أمريكية تربط قواعدها الاستراتيجية في جنوب تركيا بإسرائيل. وحاول أمين الجميل، الذي انتخب رئيساً للبنان بعد مقتل شقيقه، وقف تدهور الأوضاع الداخلية وانقاذ ما يمكن انقاذه من وحدة لبنان وسيادته، إلا ان محاولاته سقطت أمام رياح القوى الطائفية العاتية، التي حركها الغزو الإسرائيلي. وتحركت القوات الفلسطينية من البقاع إلى الجبل، وتسلل بعض أفرادها، بالاستناد للحركة الوطنية اللبنانية، وبمساعدة كوادر الحزب التقدمي الاشتراكي إلى مخيم برج البراجنة، وأحياء الضاحية الجنوبية من بيروت الغربية.

بعد المجزرة، تصاعدت حدة الخلافات داخل فتح، وتمحورت حول قضايا تنظيمية كثيرة كان من ضمنها دور بعض كبار ضباطها في الحرب، والاتفاق مع فيليب حبيب، وقرارات قمة فاس، والعلاقة مع مصر، والعلاقة الفلسطينية السورية. وتطورت عدة مجموعات عسكرية فتحاوية، موقفها المعارض لقيادة، سياسياً وتنظيمياً، وأطلقت على نفسها يسار فتح / التيار الديمقراطي الوطني، وبلورت قيادة خاصة بها. ولقيت دعماً وتشجيعاً كبيرين من القيادتين السورية واللبنانية، وشرعت بالعمل لقيام بحركة انقلابية داخل فتح ومنظمة التحرير. ولاحقاً، اتهمت قيادة فتح هذه المجموعة باغتيال اللواء سعد صايل أبو الويلد، عضو اللجنة المركزية لفتح يوم ٢٩ أيلول / سبتمبر ١٩٨٢، الذي وقف حجر عثرة أمام توجهاتها الانقسامية، ولتهييد الطريق أمام نائبه العقيد أبو موسى ليتولى مهمة مدير غرفة العمليات المركزية، ومتابعة خطوطه الانشقاقية من موقعه الجديد.^(٦)

وخلال الفترة ذاتها، بدأ رئيس اللجنة التنفيذية تشريح علاقه المنظمة بالأردن، في إطار مناوره كبيرة هدفها تجنب استمرار التصادم المباشر مع الادارة الأمريكية التي اعتبرت "ال الخيار الأردني" حجر الأساس في توجهاتها لمعالجة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وفي تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ قام أبو عمار على رأس وقد ضم ممثلين عن قيادة فتح والجبهة الديمقراطية بزيارة عمان، بناء على دعوة من الملك حسين^(٧) اتفق خلالها على تشكيل لجنة عليا أردنية - فلسطينية، كلفت بوضع تصور لمستقبل العلاقة بين الجانبين، ومفهوم الكونفدرالية الأردنية - الفلسطينية. ولقي توجه أبو عمار نحو تجديد العلاقة معالأردن دعماً مصرياً قوياً، قابلته معارضه سورية شديدة. وتخوفت القيادة السوفيتية من أن تصبح العلاقة الفلسطينية - الأردنية، ممراً إلى حل أمريكي منفرد للقضية الفلسطينية، وممراً لكامب ديفيد جديد على الجبهة الأردنية - الفلسطينية، وعملوا، بالتعاون مع القيادتين السورية واللبنانية، وعدد من الفصائل الفلسطينية اليسارية، والأحزاب الشيوعية العربية، على تخريبها. واعتبرت عليها جميع فصائل الثورة باستثناء الجبهة الديمocrاطية،

وتعاملت المعارضة الفلسطينية معها باعتبارها تكيناً مع "الخيار الاردني" الذي تحدث عنه مبادرة الرئيس الامريكي ريغان. واستخدمت الزيارة في تأجيج المصراع داخل فتح. دراج المعارضون من كل الفصائل، يذرون من تنافل ياسر عرفات عن هدف الدولة المستقلة والتغريط بالتمثيل المستقل، وتقويض الملك حسين به.

ولاحقاً، تحولت اجتماعات المجلس الثوري لفتح في ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢، إلى ساحة صراع حقيقي حول الموضوع. وتقىدم العقيد أبو موسى، بمداخلة مكتوبة، ضمنها نقداً قوياً وصريحاً لموقف أبو عمار، وقدم جملة من المطالب السياسية والتنظيمية، أهمها: وقف الحوار معالأردن، ورفض مشروع ريفان، ووقف العلاقة مع النظام المصري، مطالباً بإعادة تنظيم قوات فتح حسب دور الكادر الحزبي. وبعد الاجتماع وزاعت المداخلة على نطاق واسع داخل فتح وخارجها. واتهم أبو عمار القيادة السورية بالوقوف خلف ابو موسى وجماعته، ومحاولته شق م.ت.ف. ومصادرة قرارها المستقل. وجاء لقاء الرئيس الاسد بنمر صالح ابو صالح ليقطع الشك بالبيتين عند أبو عمار في ان الاشقاء ماضيون في الانشقاق. وتأزمت علاقة الطرفين أكثر فأكثر، وسعى أبو عمار إلى عقد دورة جديدة للمجلس الوطني، لتجديد شرعية القيادة الفلسطينية بعد حرب ١٩٨٢، ووضع اسس سياسية وتنظيمية تصون وحدة منظمة التحرير بعد تشتت قواتها وتبعثر قيادتها.

ورغم الخلافات المتنوعة التي عاشتها الساحة الفلسطينية، عقد المجلس دورته السادسة عشرة في العاصمة الجزائرية، في الفترة الواقعة بين ١٤ و٢٢ شباط/فبراير ١٩٨٣. شارك في اعمالها ما يزيد عن ١٢٠ وفداً عربياً واجنبياً. وأكدت الكلمات على الأهمية الاستثنائية لانعقاد المجلس بعد حرب ١٩٨٢. وأشار المتحدثون ببطولات الشعبين الفلسطيني واللبناني وصمودهما ٨٨ يوماً في اطول حرب عربية اسرائيلية، واجمعوا على ان المقاتل الفلسطيني واللبناني والسوري، برهن في هذه الحرب، غير المتكافئة، على جدارته، واسقط اسطورة جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهـر. وأمتازت المناقشات، بتقدير خطورة المرحلة، والشعور بالمسؤولية والحرص على مستقبل الثورة. واتخذ المجلس قرارات هامة في مجال الوحدة الوطنية والكفاح المسلح وقضايا الوطن المحتل والعلاقات العربية والدولية.^(٤) وأكـدـ أهمـيـةـ العلاقةـ الاستراتـيـجـيـةـ بيـنـ منـظـمةـ التـحرـيرـ وـسـورـياـ، لـخـدـمـةـ الـاهـدـافـ الـوطـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ. وـشـدـدـ المـجـلـسـ عـلـىـ انـ عـلـاقـةـ مـ.ـتـ.ـفـ.ـ معـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ تـقـوـمـ عـلـىـ اـسـاسـ الـاـلتـزـامـ بـقـضـائـاـ النـضـالـ العـرـبـيـ وـفـيـ طـلـيـعـهـاـ قـضـيـةـ فـلـسـطـيـنـ. وـجـدـدـ التـنـسـكـ بـحـقـ العـودـةـ وـتـقـرـيرـ المـصـيـرـ وـاقـامـةـ الـدـوـلـةـ الـمـسـتـقـلـةـ، وـوـحدـانـيـةـ التـمـثـيلـ وـاحـتـرـامـ الـقـرـارـ الـفـلـاسـطـيـنـيـ الـمـسـتـقـلـ. وـاعـتـبـرـ المـجـلـسـ قـرـاراتـ قـمـةـ فـاسـ بـمـثـابـةـ حدـ أـدـنـيـ لـلـتـحـرـرـ الـعـرـبـيـ، وـأـكـدـ عـلـىـ انـ عـلـاقـةـ الـمـسـتـقـلـةـ معـ الـأـرـدـنـ تـقـوـمـ عـلـىـ اـسـسـ كـوـنـفـدـرـالـيـةـ بـيـنـ دـوـلـتـيـنـ. وـدـعـاـ لـتـعمـيقـ الـعـلـاقـةـ مـعـ الشـعـبـ الـلـبـانـيـ، وـالـعـمـلـ مـعـ الـقـوـيـ

الوطنية اللبنانية لمقاومة الاحتلال، وتحقيق امن وسلامة الفلسطينيين في لبنان، وضمان حقهم في الاقامة الكريمة وفي التنقل والعمل. وبالرغم من انتهاء دورة اعمال المجلس بتاكيد الجميع على الوحدة الوطنية، واستقلالية القرار الفلسطيني، الا ان الاسابيع اللاحقة، بينت ان نار الخلاف الفلسطيني - السوري، والصراعات الفلسطينية الداخلية التي فجرتها حرب ١٩٨٢، ظلت كامنة تحت الرماد.

انفجار اوضاع فتح وتمزق وحدة م.ت.ف.

في النصف الاول من ايار/مايو ١٩٨٣، أصدر أبو عمار عدداً من القرارات التنظيمية الداخلية، أعاد بموجبها تنظيم قوات فتح في لبنان وسوريا وتشكيلها، وتضمنت نقل قرابة ٤٠ ضابطاً في فتح إلى مواقع عسكرية أخرى في السودان وتونس والجزائر وبغداد واليمين، الامر الذي رفضه العقيد أبو موسى وجماعته، واعتبروه انقلاباً عسكرياً وتنظيمياً، وإبعاداً لمن يستطيع المساهمة في لجم اندفاع التسوية الأمريكية. لاحقاً، أعلن أبو موسى من البقاع قيام "اتفاقية" داخل فتح، وفي النصف الثاني من ايار/مايو ١٩٨٣ وزع تعميماً على الوحدات العسكرية والاجهزة والاقاليم، حمل توقيع "القيادة العامة لل العاصفة"، انتقد قرار التشكيلات العسكرية، ودعا إلى الغائبات باعتبار أنها استهدفت اقصاء فريق معين عن موقعه النضالي. وشرع في السيطرة على مراكز فتح العسكرية الادارية في سوريا والبقاع، وطالب برد الاعتبار للجنة المركزية والمجلس الثوري لحركة فتح، وعزل كافة الذين وصفوا "بالمتخاذلين والمتواطئين" في حرب ١٩٨٢، باصدار قرار يقضي بالتصدي الصريح والواضح للمشروع الأمريكي - الصهيوني الرجعي الرامي إلى ضرب الثورة الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية والمتمثل بمشروع ريفان، وقرارات فاس، والكونفرالية مع الأردن. وطالب التعميم الذي تحول لاحقاً إلى نشرة دورية، بالإعلان الصريح عن التشبيث بالبقاع والشمال ومعارضة اتفاق التسوية اللبناني الإسرائيلي الأمريكي رسمياً، وتصعيد الكفاح المسلح إلى أن يتم دحر الاحتلال الصهيوني لارض لبنان بشكل نهائي، والإعلان الصريح عن الوقوف الجاد في جبهة المواجهة العربية للمشروع الأمريكي في المنطقة وكجزء اساسي منها، وتاكيد التحالف الواضح مع دول المنظومة الاشتراكية.

وانضم إلى حركة أبو موسى وأبو خالد العملة، من البداية، عضواً اللجنة المركزية للحركة نمر صالح أبو صالح، وسميع كويك قدرى. وهاجم التعميم حوار قيادة المنظمة مع الأردن، وعلاقتها بمصر، ومشروع الرئيس ريفان. ووسع أبو موسى وجماعته محاولات السيطرة بالقوة على مراكز فتح في سوريا والبقاع اللبناني، ووقعت اشتباكات فتحاوية داخلية سقط فيها قتلى. ورغم وضوح الدور السوري واللبي في تشجيع حركة

ابو موسى واحتضانها، حاولت القيادات السورية واللبنية نفي التهمة، والقول ان ما يجري شأن فلسطيني داخلي، ناصحة بالحفاظ على وحدة فتح، وحل الخلافات وتصحيح الاخطاء عبر الحوار الاخوي الديمقراطي. ورفع أبو عمار وتيرة اتهامه للقيادة السورية بالعمل على شق فتح ومنظمة التحرير، وكشف دور القوات السورية في البقاع والجبل والهرمل في اسناد المنشقين.

الى ذلك قررت السلطات السورية، يوم ٢٤ حزيران / يونيو ١٩٨٣، ابعاد أبو عمار عن اراضيها. وابلغت قرارها الى عضو اللجنة المركزية لفتح محمد غنيم ابو ماهر. وادلى مصدر اعلامي سوري رسمي بتصریح قال فيه: "نظراً للتجني المتواصل الذي يقوم به السيد ياسر عرفات ضد سوريا وتضحياتها ومواقفها المبدئية، فقد أبلغ اليوم /٦/٢٤ ، ١٩٨٣ ، رغبة سوريا عدم ترددك إليها". وأضاف: "وهذا لا يستبعد حرص سوريا واستمرار عملها من أجل منع الاقتتال، ورأب الصدع، وتحقيق الوفاق بين الاخوة الفلسطينيين، لأن هذا موقف مبدئي يرتبط بمصلحة الثورة الفلسطينية ومصلحة منظمة التحرير الفلسطينية". وساعية مغادرته الاراضي السورية تجمع في مطار دمشق الدولي حشد من قادة الثورة، واصر خليل الوزير ابو جهاد على مغادرة الاراضي السورية ومرافقه أبو عمار احتجاجا على القرار.

في حينه، وقعت مبادرات كثيرة لمعالجة الموقف، وتعطيل الانقسام، الا ان مسعاهما الوطني لم ينجح.^(١٠) ووسع ابو موسى وجماعته دائرة هجومهم ضد القيادة الفلسطينية، واتهموا الجبهة الديمقراطية "بالتنفير لليمين الفلسطيني المستسلام"، وحملت قيادتها قسطاً من مسؤولية الانفتاح على الاردن. ونالت حركة ابو موسى دعم منظمتي الصاعقة والقيادة العامة، وجبهة النضال الشعبي بقيادة سمير غوشة، ومجموعة انشقت عن جبهة التحرير الفلسطينية، ومجموعة عربي عواد المنشقة عن الحزب الشيوعي الفلسطيني. وشكل هؤلاء، لاحقاً، اطاراً مشتركاً اسموه "التحالف الوطني". وتبنت سوريا وليبية هذا التحالف بصورة رسمية وعلنية. واعتبرت سوريا عودة م.ت.ف. بقوة الى لبنان، خطراً على امنها ومصالحها الاستراتيجية، في وقت حرج وحساس يتطلب تركيزها على مقاومة اتفاقات كامب ديفيد، وتعزيز مواقعها في لبنان. وشجعت "المنشقين" عن فتح، على تسريع عملية إنهاء الوجود العسكري والتنظيمي والإداري لحركة فتح في الاراضي اللبنانية. والتحقت اعداد كبيرة من كوادر فتح في سوريا ولبنان بحركة الانشقاق؛ بعضهم التحق لاسباب سياسية وتنظيمية، وآخرون، وكانوا اغلبية، التحقوا لاسباب تتعلق بارضاعهم الاجتماعية والمادية. ورفعت سوريا مستوى ضغطها على الجبهة الديمقراطية لمساندة الانشقاق وایجاد مسافة بينها وبين فتح في كل الساحات، ووظفت ليبيا امكاناتها وشبكة علاقتها بذات الاتجاه. واوزعت سوريا وليبية الى قوى فلسطينية

ولبنانية لمساندة ابو موسى في حسم الموقف. والتلى الرئيس الاسد خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لفتح، وعرض عليه قيادة حركة تغيير اشمل واوسع داخل فتح ومنظمة التحرير، الا ان ابو السعيد لم يتجرأ على العرض السوري، وفشل في اقناع القيادة السورية بوقف دعمها للمنشقين، واسعى في الاوسط الفلسطيني في سوريا ولبنان ان القيادة السعودية تساند الموقف السوري ضد عرفات وتحبذ اجراء تغيير في قيادة المنظمة.

الى ذلك، رفضت الجبهتان الديمقراطية والشعبية، والحزب الشيوعي، في بيانات منفصلة تأييد الانشقاق، وادان هؤلاء اللجوء الى السلاح لجسم الخلافات الداخلية. وحرضت الجبهتان على عدم قطع شعرة معاوية مع عرفات، وعملتا على حماية اوضاعهما الذاتية من تأثيرات الازمة وشكلتا في حزيران / يونيو ١٩٨٣ قيادة سياسية وعسكرية مشتركة^(١) حددت اخطارا رئيسية ثلاثة تواجهها الثورة: الاول، تنامي استعداد اطراف من اليمين الفلسطيني للتلاقي مع التوجهات الامريكية. والثاني، خطر الانقسام الذي اصبح يطرح نفسه بقوة بسبب الازمة الداخلية التي تعيسها فتح، وما ترتب عليه من اقتتال داخلي وما رافقها من تدخلات وتعقيدات. والثالث، محاولات احتواء منظمة التحرير وفرض الوصاية العربية عليها، الامر الذي يقضي على استقلالية القرار الوطني الفلسطيني. وجاء ترتيب الاخطار مقصودا، في اطار تحفيز رد فعل السوريين والانقساميين، والمحافظة على وجود التنظيمين، القيادي والاداري في دمشق، خصوصا وان جماعة ابو موسى بدأت بالتحرش بتنظيم الجبهة الديمقراطية، واتهمت منظمتها وقواتها في لبنان، بمساعدة "العرفاتيين" في تركيز اوضاعهم في لبنان، وتزويدتهم بالاسلحة والذخائر وتسهيل حركتهم بسيارات الجبهة. وكان لاتهامهم له ما يبرره، حيث ضبطت اوراق الجبهة الرسمية وبطاقات الهوية الخاصة بها بحوزة "العرفاتيين".

اوائل آب / اغسطس ١٩٨٣ عقد المجلس المركزي الفلسطيني دورة اجتماعاته في تونس ناقش خلالها الوضع الداخلية، وبحث انعكاسات "الانشقاق" الذي تعرضت له فتح على وحدة م. ت. ف. وتم تشكيل لجنة من ١٨ عضوا لراب الصدع داخل فتح. وبعد اجتماعات متعددة عقدها اللجنة مع طرفي الخلاف، اقتنع اعضاؤها بأن تجاوز الانقسام يستدعي اتخاذ عدد من الخطوات منها:^(٢) وقف اطلاق النار ووقف الحملات الاعلامية، وان يصدر عن اللجنة المركزية لحركة فتح بيان يرفض، بحزم، كافة المشاريع الامريكية لتسوية القضية الفلسطينية، وخصوصا اتفاقيات كامب ديفيد ومشروع ريفان، وينکد الالتزام بالنهج الديمقراطي وبالقيادة الجماعية، "وتعزيز العلاقة مع سوريا، على قاعدة اقامة تحالف ثابت ومخلص". واقتصرت لجنة الـ ١٨ تشكيل قيادة انتقالية مؤقتة باتفاق طرفي فتح، ومساعدة رئيس المجلس الوطني تتولى مسئولية الشئون العسكرية والمالية والاعلامية

والتنظيمية لفتح، والاعداد لعقد مؤتمر فتح الخامس. رفضت قيادة فتح استخلاصات اللجنة، واتهمها أبو عمار، بالانحراف عن مهمتها سعياً للكسب ود سوريا، ومحاولة فرض الوصاية على فتح وبفشل مهمه اللجنة تكرس الانقسام داخل فتح وانعكست تأثيرات على منظمة التحرير.

إلى ذلك، نظر السوفيت في مواقف م.ت.ف. من اتفاقات كامب ديفيد، واتصالاتها السرية مع القيادة المصرية، خطراً على مصالحهم يفتح الطريق أمام تمدد كامب ديفيد على الجبهتين الفلسطينية والأردنية. وكانوا مقتنعين أن لا قيمة لوجود عسكري فعال لمنظمة التحرير في لبنان، ولا مبرر لعودة قوات م.ت.ف. إليه، فعودتها بقوة تعيق ظهور دور وطني لبناني "مستقل" معاد للأمريكان، وخصوصاً دور الحركة الشيعية، بشقيها، حركة أمل الموالية لسوريا، وحزب الله الموالي لإيران. وفي الوقت الذي لم يدعم السوفيت، رسمياً، حركة الانشقاق داخل فتح، لم تحاول موسكو وسفاراتها، أيضاً، الظهور بمظهر الداعم للقيادة الشرعية لمنظمة التحرير، ورفضت القيادة السوفيتية توجيه دعوة لرئيس اللجنة التنفيذية لزيارة موسكو، والشيء ذاته فعلت دول الحلف. ونقل الأمين العام للجبهة الديمقراطية عن مسؤولين سوفيت دعمهم للانشقاق ومطالبتهم قوى "اليسار الفلسطيني" وخصوصاً الجبهة الديمقراطية دعم الانشقاق والانضمام لجبهة الرفض. لكن اتصالات ولقاءات صالح رأفت عضو المكتب السياسي للجبهة مع السوفيت في دمشق وموسكو لم تؤكّد ما طرحته الأمين العام، وأكّدت حرص السوفيت على وحدة م.ت.ف. وبيقائها ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني. إلى ذلك، لم يحاول السوفيت وقف اندفاع الأحزاب الشيعية العربية، الرسمي والعلني، في دعم الانشقاق. واستغل الحزب الشيعي اللبناني موقف السوفيت للتسيير على موقفه، غير المبدئي، المساند للانفصاليين ارضاء لقيادة سوريا. وخشيت قيادة الحزب تحرك حركة أمل ضد الحزب والمس بكل أداته وقيادته. ولم يتردد بعض أعضاء قيادة الحزب، بوصف المخيمات الفلسطينية، بأنها "أوكار للمخربين العرفاتيين".^(١٢)

ورغم تأجّج نار الحرب الباردة، بين العمالقين، إلا ان مصالحهما تقاطعت في تلك الفترة، حول إضعاف م.ت.ف.، وضرب وجودها الفاعل على الساحة اللبنانية. وتلاقتا حول ذات الهدف مع إسرائيل، وقسم من اللبنانيين، وطنبيين وانعزاليين. فالمنظمة عدو إسرائيل اللدود، وعودتها إلى لبنان، وبناء اوضاعها من جديد، يمكنها من إيذاء إسرائيل أمنياً وعسكرياً، ويجسد فشلها في تحقيق أهداف هجومها ويكرس المنظمة قوة لا يمكن تجاوزها. ورات الإدارة الأمريكية في عودة م.ت.ف. من الشباك إلى لبنان بقاء هذا البلد قاعدة للإرهاب الدولي، ويرؤى إلى تصلب مواقف م.ت.ف. في وجه توجهاتها السياسية. وبالرغم من عدم بروز دور أمريكي يدعم الانشقاق، إلا ان دبلوماسيها ورجال استخباراتها،

حرصوا على عدم اظهار مواقف معادية له، وشجعوه بطرقهم الخاصة. الى ذلك، رأت القوى اللبنانية الانعزالية في منظمة التحرير عدواً خارجياً انحاز لأعدائها في الداخل، وعودتها بقوة الى لبنان يعني وقوه من جديد رهينة بيدها، وهي التي تسببت في دماره وخرابه وتمزقه. اما القوى الوطنية اللبنانية وبخاصة حركة أمل والبعثيين فرأوا في عودة قيادة المنظمة وقواتها العسكرية فقداناً لدورها الفاعل، وتحولها، من جديد، الى قوى ملحة بها.

بعد احتدام الصراع الداخلي، وانحياز سوريا بشكل مكشوف الى جانب المنشقين، قرر أبو عمار العودة الى لبنان لمواجهة الانشقاقين، وفضح مواقف السوريين، في ملتهم. ووصل اواسط ايلول / سبتمبر ١٩٨٣، سراً، عن طريق البحر الى مدينة طرابلس، واشتعلت نيران قتال حقيقي بين الطرفين استخدم فيه ما لدى الطرفين من اسلحة خفية وثقيلة. وأصطفت القيادة العامة وقوات الصاعقة وجماعات فلسطينية صغيرة بجانب المنشقين، وشاركتهم القتال ضد عرفات. واقترب "المنشقون" من "اصطياد" ابو جهاد، خلال احدى جولاته على موقع القوات. في حينه، وصل ابو جهاد من طرابلس الى بعلبك، وعلم المنشقون والمخبرات السورية بوجوده، فقرروا القيام بعمل ضده شخصياً. وطوقوا المدينة، واقاموا الحواجز على طريق بعلبك - الهرمل - طرابلس، وتغير عليه مفadتها بسيارته مع مرافقه، وغادرها في اليوم ذاته بمساعدة قوات الجبهة الديمقراطية في البقاع.^(١) لاحقاً، وصلت معلومات دقيقة للسوريين حول كيفية خروجه من بعلبك الى طرابلس، واعتقلوا عدداً من كوادر الجبهة، واتخذوا اجراءات منعوا فيها سيارات الجبهة وعناصرها من التنقل بحرية في لبنان ومنه الى سوريا، وابطأوا مفعول اوراق المهمة التي تصدرها الجبهة. ولم يتردد بعض قادة الجبهة من تحويل قائد قواتها في لبنان ممدوح نوفل امام السوريين، مسؤولة تزويد فتح بهذه الوثائق.

وبعد اسابيع قليلة، طور المنشقون مناوراتهم العسكرية ضد قوات فتح في مدينة طرابلس ومخيمات البارد والبداوي المجاورين لها، وحاصرها المدينة والمخيّمين، وقصفوها بالأسلحة الثقيلة، وشنوا هجوماً شاملـاً بمساندة القيادة العامة والصاعقة وجبهة النضال وجيشه التحرير الفلسطيني المرتبط بالاركان السورية. ودارت معارك ضارية بين الطرفين. وبتاريخ ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٣ عقد ممثلو الجبهتين، الديمقراطية والشعبية، والحزب الشيوعي الفلسطيني، وجبهة التحرير الفلسطيني، "جناح طلعت يعقوب"، اجتماعاً مشتركاً أداروا فيه "الاقتتال وقصف المخيّمات"، ودعوا الى وقفه فوراً واعتبروه، بصرف النظر عن النوايا والدوافع، "يصب في خدمة أعداء الشعب الفلسطيني وسوريا ولبنان الوطني، ويقود الى مزيد من التشرذم والتدمير الذاتي". وتحركت اطراف عربية ودولية لفك الاشتباك واخرج أبو عمار وقيادة فتح وقواتها من طرابلس، وبرز دور العربية السعودية

وفرنسا، واتخذت مصر موقفاً واضحاً ضد توجهات سوريا الرامية الى شق حركة فتح، وشطب م. ت. ف.، وتغيير قيادتها الشرعية، لصالح المجموعات الفلسطينية الموالية لها.

وبلغت مأساوية الوضع الفلسطيني ذروتها، في تلك الفترة. حين تدخلت اسرائيل وفرضت طوقاً حول ميناء طرابلس، لمنع وصول أية إمدادات لقوات فتح، او خروج عرفات منها. واسفرت الجهود العربية وبخاصة السعودية، عن اتفاق اعاد ذكرى بواخر الترحيل التي حملت المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الى دول عربية عدة. وغادر أبو عمار، وقوات فتح مدينة طرابلس والمخيّمات، يوم ١٩ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٣، بحماية قوات البحرية الفرنسية. وخلال رحلته، قطع أبو عمار الاتصال بإخوانه قيادة فتح في تونس، ولم يبلغ أحداً وجهته. الا ان صلاح خلف أبو اياد، قال: "معلوماتي الأمنية، غير الرسمية، تؤكد ان أبو عمار ذهب الى الاسكندرية، تلبية لدعوة من الرئيس حسني مبارك."

يوم ٢٢ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٣ وصل أبو عمار الى شواطئ مصر، وعقد لقاء مطولاً مع الرئيس مبارك، مخترقاً قرارات المجلس الوطني وقرار مقاطعة مصر، الذي اتخذته القمة العربية التي عقدت في بغداد. وتواترت علاقته ببقية اعضاء اللجنة المركزية لفتح. وأصدرت الفصائل الاربعة الجبهتان الديمقراطية والشعبية والحزب الشيوعي الفلسطيني، وجبهة التحرير الفلسطينية" بياناً يوم ٢٥ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٣، أدانت فيه لقاء مبارك - عرفات، واعتبرته خطوة نوعية على طريق التعامل مع الحلول الامريكية. ودعت الى تشكيل اوسع جبهة وطنية فلسطينية لحماية م. ت. ف. وصيانت دورها كممثل شرعي وحيد، ومنع نهج الاستسلام من اغتصاب حق النطق باسمها. ودعت قيادة فتح الى تطوير موقفها الذي اعلنته ضد زيارة أبو عمار للقاهرة. كما دعت القوى الفلسطينية الى "اعتبار ان ياسر عرفات بسياسته التي انتهجهها يفقد أحقيته وأهليته في قيادة م. ت. ف.، وقيادة النضال الفلسطيني".

بعد زيارته ابو عمار نشطت الدبلوماسية المصرية باتجاه ايجاد صيغة تحرك فلسطيني - اردني مشترك، بهدف تشكيل وفد مشترك للتفاوض حول تسوية القضية الفلسطينية. وتوجت جهودها بعد قمة مصرية - اردنية - امريكية في ١٤ شباط/فبراير ١٩٨٤. وحاول الرئيس مبارك تعديل الموقف الامريكي من م. ت. ف. الا انه لم ينجح، ولم تسفر القمة عن نتائج تذكر. وبعد عودته من واشنطن قال: "انه اتفق مع الملك حسين والرئيس ریغان على اهمية تشريط جهود السلام، وانه لم يلمس اي تغيير في السياسة الامريكية تجاه م. ت. ف.، والادارة الامريكية رفضت تغيير سياستها، كما رفضت اقتراحها بفتح حوار مباشر مع منظمة التحرير". وأشار الى ان التنسيق الاردني - الفلسطيني الجيد يساعد على بدء المفاوضات.

يوم ٢٣ آذار/مارس ١٩٨٤، عقدت الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية والحزب الشيوعي الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية، إجتماعاً في عدن، دام عدة أيام، شارك فيه ممثّلون عن الحزب الاشتراكي اليمني، والحزب الشيوعي السوري، والشيوعي اللبناني، بحثوا فيه سبل حماية وحدة منظمة التحرير وصيانته خطها الوطني. وتم الإعلان رسمياً عن قيام "التحالف الديمقراطي الفلسطيني". ووضع قادة التحالف خطة للتحرك السياسي المشترك.^(١٠) دعت هذه الخطة إلى توطيد التنسيق بين سوريا ومنظمة التحرير، على أساس الاحترام المتبادل لمبادئ المساواة والاستقلال، وأكّدت ضرورة حل الخلاف بين سوريا وفتح على أساس وطنية تحالفية، وحل الخلافات داخل فتح بالاعتراف بانقسامها إلى فصيلين، والاعتراف بهما رسمياً، أو استعادة الوحدة، على قاعدة وثيقة لجنة الـ ١٨. وقالت قوى التحالف "إن العلاقة المستقبلية مع مركبة فتح، ستقوم على أساس ادانة زيارة عرفات للقاهرة، ادانة سياسية معلنة ووقف كل الاتصالات مع النظام المصري".

وانطلاقاً من خطة التحرك المشترك، بادرت قوى التحالف الديمقراطي، واجرت اتصالات مع "التحالف الوطني" ومع اللجنة المركزية لفتح. وعقدت عدة لقاءات في دمشق مع الطرف الأول، لم تسفر عن نتائج تذكر. أما لقاءات التحالف الديمقراطي بمركزية فتح، فتمت في عدن والجزائر، وأسفرت، بمساعدة اليمنيين والجزائريين، عن انفاق سياسي تنظيمي، لاستعادة وحدة م.ت.ف.، أطلق عليه اسم "اتفاق عدن - الجزائر"، تم التوصل له في عدن، يوم ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٨٤، ووقع يوم ١٣ تموز/يوليو ١٩٨٤ في العاصمة الجزائرية.^(١١) واقتصر الاتفاق عدة اسس لتنظيم علاقة م.ت.ف. بسوريا؛ منها رفض المشاريع الأمريكية وفي مقدمتها كامب ديفيد، ورفض مشروع الحكم الذاتي ومشروع ريفان. وتنظيمياً أشار الاتفاق إلى تعزيز القيادة الجماعية في مؤسسات م.ت.ف.، وضمان مشاركة جميع الفصائل والقوى المعترف بها في المجلس الوطني في عضوية اللجنة التنفيذية، وانتخاب نواب لرئيسها. واعتبر الطرفان ما ورد في الاتفاق أساساً صالحاً للحوار الوطني الشامل، والتخطي لعقد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني في فترة لا تتجاوز ١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤. وبال مقابل عارض "التحالف الوطني" المقرب من سوريا الاتفاق واتهم اطراف "التحالف الديمقراطي" بالتراجع عن مواقفهم وتقديم تنازلات سياسية لليمنيين الفلسطينيين المستسلم.

إلى ذلك، استوّعت قيادة فتح أبعاد الانشقاق الداخلي وأهدافه، وتشجيع سوريا ولبيا والقوى الدولية الكبرى للمنشقين، واندفع أبو عمار نحو تحسين علاقة المنظمة بمصر والأردن. وكان هدفه من هذه الاستدارة السياسية الواسعة، كما ظهر لاحقاً، كسب الوقت بانتظار وقوع تطورات دولية أو عربية جديدة، وإيجاد الأرض والسدن السياسي اللازم لعقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني، لتجديد شرعنته وشرعنة قيادة م.ت.ف.،

بعد ان كثرت الطعون في شرعيتها، خاصة بعد التحاق رئيس المجلس الوطني خالد الفاهوم بالمعارضة، وتوليه قيادة جبهة الإنقاذ، وارتفاع اصوات فصائلية وأصوات شخصيات وطنية مستقلة ومن أعضاء المجلس الوطني، باستقالة رئيس اللجنة التنفيذية. ولعل ابو عمار تردد الإيحاء للأدارة الامريكية بأنه مستعد للتنازل عن قسم من التمثيل الفلسطيني، وعن هدف الدولة المستقلة، لصالح صيغة ما مع الاردن، على امل تخفيف ضغوطها على المنظمة، ووقف مطاردة قياداتها، ومحاصرتها سياسياً ومالياً، ومعالجة المشكلات التنظيمية المتنوعة التي واجهها بعد الخروج من بيروت.

ومع اقتراب الموعد المتفق عليه، الاول من ايلول/سبتمبر، بين فتح والتحالف الديمقراطي لعقد دورة المجلس الوطني السابعة عشرة، شرعت قيادة فتح بالتحضير لعقد الدورة وطالبت اطراف التحالف الديمقراطي، بالالتزام ب موقفها. وعارض الاتحاد السوفيفيتي سورياً ولبيباً انعقاد دورة المجلس في عمان، وتوترت علاقة سوريا بالاردن، ومارست ضغوطاً شديدة على قوى اليسار الفلسطيني للانضمام إلى جبهة الرفض ومقاطعة اجتماعات المجلس بسبب انعقادها في عمان. ومن لحظة دعوة المجلس للانعقاد، ظهرت مخاوف وطنية واسعة حول قدرة فتح على تأمين النصاب، وبالتالي انهيار الشرعية الفلسطينية، لاسيما وان سوريا ولبيباً وجماعة ابو موسى واطراف عربية ودولية زجت بثقلها لافشال النصاب في الدورة.

إلى ذلك، استجابت المعارضة اليسارية الفلسطينية لتلك الضغوط، وقررت عدم المشاركة في أعمال الدورة في حال انعقادها. في حينه، أصطدمت المصالح الحزبية لجبهة الديمقراطي بالصالح الوطنية العليا للشعب الفلسطيني. فالمشاركة تعرض وجود الجبهة في سوريا ولبنان لمضايقات سورية جديدة مؤذية، كما أن عدم المشاركة يعرض وجود الشرعية الفلسطينية للخطر. وحاوت قيادة الجبهة التوفيق بين الامرين، فقررت، من جهة، مقاطعة الدورة رسمياً وعلنينا، وأبلغت، من جهة أخرى، أعضاءها في المجلس، المقيمين في عمان، ان يكونوا جاهزين للمشاركة في المجلس إذا لم يتمكن النصاب، وأبلغت ذلك رسمياً الى قيادة فتح ولم تمانع، ايضاً، في استبدال اعضاء كوتا الجبهة بكاملها وتسمية اعضاء جدد، من قيادة الجبهة المقيمين في عمان. وفعلاً وقف اعضاء الجبهة على اهبة الاستعداد لدخول قاعة المجلس عند اللزوم. ولما لمست قيادة فتح، تردد التحالف الديمقراطي في المشاركة في اعمال المجلس اقدمت على عقد الدورة في عمان في يوم ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤. وبالرغم من مقاطعة قوى اليسار، نجحت قيادة فتح والفصائل المتحالفه معها والشخصيات الوطنية المستقلة بصعوبة، في تأمين النصاب وتكريس الشرعية الفلسطينية^(٦٧) دون الحاجة لاعضاء الجبهة. وللآن يذكر ابو عمار للديمقراطي موقفها بالخير وكثيراً ما استشهد به.

بعد استكمال اجراءات افتتاح المجلس الوطني استمع الاعضاء الى كلمة من الملك حسين، واصدر، في نهاية اعماله، بيانا سياسيا اكد فيه اهمية تعزيز العلاقة الفلسطينية - الاردنية وتطوير التنسيق بين الطرفين. وانتخب المجلس قيادة شرعية جديدة، ترك فيها فراغات لقوى التحالف اليمقراطي اذا رغبت بالمشاركة، واتخذ عددا من القرارات الهامة.⁽¹⁸⁾ واصى، بالنسبة للعلاقة بسوريا، "بضرورة تجاوز ما اصاب العلاقات الفلسطينية - السورية من توتر وتخريب، والتسامي على الجراح، ومشاعر المرارة، بهدف تصحيح العلاقة على اسس واضحة، بعيدا عن التدخل في الشؤون الداخلية لاي من الفريقين". وبشأن العلاقة مع مصر، طلب المجلس من اللجنة التنفيذية، انتهاج السياسة التي تلبي حاجات الشعب الفلسطيني في مصر وقطاع غزة، وأن تعمل على تعزيز العلاقة بين الشعبين.

بعد الدورة 17، تأجج الصراع الفلسطيني الداخلي أكثر فأكثر، وخلفت استدارة فتح وأبو عمار نحو العلاقة مع الأردن ردود فعل سورية ولبية سلبية، وتعجلت الدولتان عبر المنظمات الفلسطينية الموالية لهما في إنهاء وجود فتح في لبنان. وخشي السوفيتين تشكل محور مصري - أردني - فلسطيني "يتساوق مع الحلول الأمريكية"، وصممتا على التوجهات السورية ضد الأردن. أما إسرائيل فاتخذت موقفا سلبيا من الموقف الأردني ومن نتائج المجلس، وخشيته تحول الأردن إلى مركز للنشاط العسكري الفلسطيني.

إلى ذلك، لم تستكן قوى الحركة الوطنية والإسلامية اللبنانية، وما تبقى من القوات الفلسطينية في البقاع، أمام ممارسات القوات الانعزالية المتحالف مع إسرائيل، وبدأت مقاومة سرية مسلحة للاحتلال الإسرائيلي، وضد القوات الانعزالية المتحالف معها والمعتمدة عليها في فرض سيطرتها على بعض المناطق الوطنية. ولقيت القوى الوطنية اللبنانية تشجيعاً معنوياً سوفيتياً وإيرانياً قوياً، ويدعماً مادياً وعسكرياً سورياً ولبيباً. وبعد قتال عنيف ضد قوات الجبهة اللبنانية، سيطرت قوات الحركة الوطنية اللبنانية، بدعم فلسطيني، على أحياe بيروت الغربية، وملاج الفراغ الذي خلفه انسحاب إسرائيل. وتفجرت الصراعات الطائفية واشتعلت الحرب الاهلية من جديد في الجبل عندما حاولت القوات الانعزالية استعادة عدد من القرى التي هجرتها أو هجرت منها، وقتلـت عدداً كبيراً من أبناء الطائفة الدرزية.

في حينه، دخلت الحرب الباردة على خط الصراع من جديد، وكرر الاتحاد السوفييتي ادانـته للغزو الإسرائيلي للبنان، وطالب حكومة إسرائيل سحب قواتها من كل الأرضي اللبنانية، واكـد تمـسـكـه بـوحـدةـ الـأـرـاضـيـ الـلـبـنـانـيـةـ وـسـلـامـتـهـاـ. ولم يخف الاتحاد السوفييتي إمـتعـاضـهـ منـ تـشـكـيلـةـ الـقـوـاتـ الـمـتـعـدـدـةـ الـجـنـسـيـاتـ،ـ وـاستـثـنـاؤـهـ مـنـهـاـ،ـ وـعـارـضـ تـواـجـدـهـاـ فـتـرـةـ أـطـلـ خـشـيـةـ انـ يـتـحـولـ لـبـنـانـ إـلـىـ قـاعـدـةـ عـسـكـرـيـةـ أـمـرـيـكـيـةـ قـوـيـةـ.ـ وـتـلـاقـتـ المـصالـحـ

السوفيتية في اخراج المتعددة الجنسية مع مصالح سوريا. وخشيـت الـقيـادة السـورـية تمـدد كـامـب دـيفـيد إـلـى لـبنـان، وـتطـيـقـها مـنـهـا، وـاخـرـاجـها مـنـهـا. وـعـقـدـ الطـرفـان عـزـمـهـم عـلـى مقـاـوـمة الـوـجـود الـأـمـريـكيـ والـغـرـبـيـ فـي لـبـنـانـ. وـفـتـحـ سـورـياـ وـفـصـائـلـ منـظـمة التـحرـير مـسـتـوـدـعـاتـهاـ لـمـقاـوـمةـ الـوـطـنـيـةـ، وـبـدـأـتـ عمـلـيـاتـ "ـالـمـقاـوـمةـ الـوـطـنـيـةـ الـلـبـنـانـيـةـ"ـ السـرـيـةـ تـظـهـرـ نـجـاعـتـهاـ فـيـ مـحـيـطـ بـيـرـوـتـ وـبـالـبـاقـاعـ وـالـمـنـاطـقـ الـلـبـنـانـيـةـ الـأـخـرـىـ الـمـحتـلـةـ. وـتـأـجـجـ الـصـرـاعـ الطـائـفـيـ فـيـ الشـوـفـ بـيـنـ الدـرـوزـ وـالـمـوارـنـةـ الـكـتـائـيـينـ، وـرـافـقـهـ عـلـيـاتـ تـهـجـيرـ جـمـاعـيـةـ مـتـبـادـلـةـ.

وـحاـولـتـ القـوـاتـ الـلـبـنـانـيـةـ الـاستـعـانـةـ بـالـقـوـاتـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ، إـلـاـ أـنـ قـيـادـةـ الـآـخـرـىـ أـثـرـتـ الـوقـوفـ عـلـىـ الـحـيـادـ بـأـمـلـ كـسـبـ درـوزـ لـبـنـانـ، وـتـجـبـ اـغـصـابـ الطـائـفـةـ الـدـرـزـيـةـ فـيـ إـسـرـائـيلـ، خـصـوصـاـ لـأـنـ عـدـدـاـ مـنـ اـبـنـائـهـ يـخـدـمـونـ فـيـ الجـيشـ الـإـسـرـائـيـلـيـ. وـغـضـتـ النـظـرـ عنـ نـقـلـ الحـزـبـ الـتـقـدـمـيـ الـاشـتـرـاكـيـ كـمـيـاتـ مـنـ الـأـسـلـحـةـ مـنـ الـمـقاـوـمةـ الـفـلـسـطـنـيـةـ وـسـورـياـ إـلـىـ الشـوـفـ. وـكـثـيرـاـ مـاـ فـيـ كـانـتـ شـاحـنـاتـ الفـصـائـلـ الـفـلـسـطـنـيـةـ، خـصـوصـاـ الـشـعـبـيـةـ وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ، تـغـرـغـ حـمـولـتـهاـ مـنـ الـأـسـلـحـةـ فـيـ شـاحـنـاتـ الـحـزـبـ الـتـقـدـمـيـ الـاشـتـرـاكـيـ عـلـىـ مـرـأـيـ مـنـ الـقـوـاتـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ الـمـرـابـطـةـ فـيـ مـحـيـطـ مـدـيـنـةـ صـوـفـرـ. وـظـنـتـ إـسـرـائـيلـ إـنـهـاـ بـهـذـاـ المـوـقـفـ تـحـافظـ عـلـىـ بـعـضـ التـواـزـنـ فـيـ الـعـلـاـقـةـ بـيـنـ الدـرـوزـ وـالـمـسـحـيـينـ، فـقـدـ اـعـتـقـدـتـ بـأـنـ اـشـتـعالـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ بـيـنـهـمـاـ يـدـفـعـ كـلـيـهـمـاـ إـلـىـ التـقـرـبـ مـنـهـاـ، وـيـشـغـلـ السـاحـةـ الـلـبـنـانـيـةـ فـيـ اـمـورـ غـيرـ التـوـاجـدـ الـإـسـرـائـيـلـيـ.

لاـحـقاـ، تـفـاعـلـتـ نـتـائـجـ حـرـبـ ١٩٨٢ـ دـاـخـلـ الـمـجـتمـعـ الـإـسـرـائـيـلـيـ، وـاشـتـدـ الـصـرـاعـ حـولـ التـرـوطـ فـيـ الرـمـالـ الـلـبـنـانـيـةـ الـمـتـحـرـكـةـ، وـحـولـ كـيـفـيـةـ الـخـروـجـ مـنـ الـوـرـطةـ بـأـقـلـ الـخـسـائـرـ الـمـمـكـنةـ. وـتـمـ مـكـاـشـفـةـ الـجـمـهـورـ الـإـسـرـائـيـلـيـ بـحـجمـ الـخـسـائـرـ الـبـشـرـيـةـ الـكـبـيرـةـ الـتـيـ تـكـبـدـتـهاـ الـقـوـاتـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ، وـاجـمـعـ الـمـفـكـرـونـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـونـ مـنـ مـخـتـلـفـ الـاتـجـاهـاتـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ اـنـ اـسـتـمرـارـ اـنـتـشـارـ الـقـوـاتـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ فـيـ لـبـنـانـ باـعـدـاـدـ كـبـيرـةـ، وـعـلـىـ مـسـاحـاتـ وـاسـعـةـ، يـعـنيـ اـسـتـمرـارـ نـزـفـ الدـمـ الـإـسـرـائـيـلـيـ. وـحـذرـ بـعـضـهـمـ مـنـ وـقـوعـ اـسـرـائـيلـ فـيـ مـاـ يـشـبـهـ حـرـبـ فـيـتـنـامـ. وـتـكـوـنـ شـبـهـ اـجـمـاعـ اـسـرـائـيلـيـ علىـ الـاـنسـحـابـ باـسـرـعـ وـقـتـ. وـشـكـلـتـ فـيـ اـسـرـائـيلـ حـكـومـةـ وـحدـةـ وـطـنـيـةـ لـمـعـالـجـةـ الـاوـضـاعـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ الـداـخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ، كـانـتـ مـهـمـتـهاـ اـخـرـاجـ اـسـرـائـيلـ مـنـ وـرـطـتهاـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـتـيـ رـجـحـاـ فـيـهاـ شـارـعـنـ وـبـيـغـنـ، وـاـخـرـاجـ الـجـيـشـ الـإـسـرـائـيـلـيـ مـنـ اـرـضـ مـعرـكـةـ لـاـ طـائـلـ مـنـ بـقـائـهـ مـسـتـرـفـاـ فـيـهاـ. وـدـخـلـتـ اـسـرـائـيلـ فـيـ مـفاـوضـاتـ مـعـ اـمـيـنـ الجـمـيلـ وـحـكـومـتـهـ وـفـرـضـتـ حـكـومـةـ الـوـحـدةـ الـوـطـنـيـةـ الـإـسـرـائـيـلـيـةـ مـهـمـةـ سـحـبـ الـجـيـشـ الـإـسـرـائـيـلـيـ مـنـ مـحـيـطـ بـيـرـوـتـ وـالـشـوـفـ وـالـبـاقـاعـ، كـمـرـحـلـةـ اوـلـىـ، وـاعـادـتـ تـجـمـيعـهـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـحـزـامـ الـأـمـنـيـ الـتـيـ بـنـتـهـ فـيـ

جنوب لبنان بعد عملية الليطاني التي نفذتها في العام ١٩٨٢. ودفع شارون ثمن سياسته المغامرة واضطر إلى الاستقالة من وزارة الدفاع وخرج من الحكومة. وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة الجبل ومحيط مدينة بيروت، ضعف موقف القوات اللبنانية الانعزالية وانكشف ظهرها، وارتفعت معنويات المقاومة الوطنية والاسلامية اللبنانية، وصعدت اعمالها القتالية ضد الانعزاليين في أكثر من جبهة. ونجحت في طردتها من احياء أخرى في بيروت، وتم تحرير مناطق جديدة في الجبل ومحيط مدینتي صيدا وببيروت.

ورغم الانسحاب الإسرائيلي الجنسي، ظل القلق يلاحق السوريين والسوفيت وبقيت مخاوفهما عالية من بقاء الاتفاق الإسرائيلي - اللبناني ساري المفعول، وهو الذي تعاملوا معه باعتباره كامب ديفيد ثانياً وثمرة من ثمار الوجود الأمريكي في بيروت. فدمى السوفييت بثقلهم المعنوي والمادي إلى جانب سوريا لاسقاط الاتفاق. وصعدت القوات الوطنية والاسلامية عملياتها ضد الاحتلال الإسرائيلي ضد القوات متعددة الجنسيات. وتعرضت القوات الأمريكية والفرنسية لهجمات نوعية، كان أبرزها تفجير حزب الله، في تشرين الأول /أكتوبر ١٩٨٣، في عملية مزدوجة، لمقر قوات "المارينز" الأمريكية ومقر قيادة القوات الفرنسية، الذي أسفر عن قتل عشرات الضباط والجنود. وفي ٤ شباط/فبراير ١٩٨٤ قرر الرئيس ريفان سحب القوات الأمريكية من الاراضي اللبنانية، ونشرها فوق البحار في مياه البحر، قبلة الشواطئ اللبنانية. وتحركت القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية وملات الفراغ، وظهر حزب الله كقوة أساسية على الساحة الوطنية اللبنانية، ويزرت حركة امل كقوة قائدة للمقاومة الوطنية اللبنانية. واستغلت القيادة السورية التطورات العسكرية، ومارست ضغوطاً كبيرة على الرئيس أمين الجميل، ساندتها فيها دول عربية كثيرة، مجبرة إياه على الإعلان رسمياً في آذار/مارس ١٩٨٤ عن الغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو. وخلال الفترة ذاتها، دخل رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيغن في حالة اكتئاب، اساسها فشل اسرائيل في لبنان. وقد أودت لاحقاً بحياته وحل محله اسحق شامير.

اطلاق المارد الشيعي في لبنان ضد الفلسطينيين

إلى ذلك، حافظت بقايا قوات الثورة الفلسطينية، التي لم تغادر الاراضي اللبنانية، على وجودها العسكري في مناطق زحلة وبيبلوك والهرمل وطرابلس وعلى طول الحدود السورية اللبنانية، وواصلت مقاومتها للقوات الإسرائيلية المتواجدة في الجبل والبقاع الغربي. ورويداً رويداً مدت نشاطها سراً إلى مناطق بيروت وصيدا ومخيمات صور في الجنوب اللبناني. واستثمرت الفصائل الفلسطينية فتح اسرائيل حدودها أمام المواطنين اللبنانيين

للتجارة والعمل والعلاج، ونقلت ما امكنتها من اسلحة وذخائر ومتغيرات، الى خلاياها في الضفة الغربية وداخل اسرائيل.^(١٩) ونشطت الجهة الديمocrاطية في هذا المجال، وأنشأت فرعاً خاصاً لنقل السلاح والأفراد، تولى قيادته خالد نزال، ونجح خالد في مهمته ونقل كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر الى شبكات العمل المسلح في الداخل. ولاحقاً اكتشفت القوات الاسرائيلية بعض ما قامت به الجبهة، وطاردت خالد وأغتالته في اثنين النصف الاول من حزيران / يونيو ١٩٨٦. الى ذلك، سارعت قوات الثورة بالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية الى تصفية بقايا الجيوب الانعزالية في مناطق الجبل وزحلة والبقاع. ووطلت تحالفاتها مع كل القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية، بدء من الحزب التقدمي الاشتراكي، بزعامة وليد جنبلاط، مروراً بحركة امل، بزعامة نبيه بري، وحزب الله، وانتهاءً بالشيوعيين، والناصريين بقيادة مصطفى سعد في صيدا. ولم تدخل فصائل الثورة الفلسطينية في تزويد القوى الوطنية والاسلامية بكل ما يلزم من معدات عسكرية وبالإمكان من المال، وقدمت لها الخبرات الفنية العسكرية الضرورية. ونال الحزب التقدمي الاشتراكي، وحركة امل حصة الاسد، أما مساعدات حزب الله فكانت اقل. وكان واضحاً لجميع القوى الاقليمية والدولية، أن الهدف المركزي للفلسطينيين هو العودة العسكرية الى لبنان والدفاع عن الوجود المدني الفلسطيني.

وفي السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤، تمكنت قوات حركة المقاومة الإسلامية اللبنانية امل بمساعدة لوجستية سورية وفلسطينية ميدانية ووطنية لبنانية، من طرد القوات الانعزالية من بيروت الغربية كاملة، وسيطرت امل على أحياها التي يقطنها ابناء طوائف الشيعة والسنّة. أما الأحياء الدرزية فسيطرت عليها قوات الحزب التقدمي الاشتراكي، وسميت تلك الحركة باتفاقية ٦ شباط/فبراير. وثبتت كل القوى الوطنية والاسلامية اللبنانية دور المقاتلين الفلسطينيين. وأشار الجميع بغضالاتهم وتضحياتهم ودورهم الفعال في تمكين القوى الوطنية والاسلامية من بسط سيطرتها على الأحياء الوطنية، وأشاروا بالمساعدات السخية العسكرية، التي قدمتها الفصائل الفلسطينية للقوات الوطنية اللبنانية، دون استثناء احد منها. وانتعشت اوضاع المخيّمات، وبدأت الفصائل الأساسية في استعادة نشاطها الجماهيري السياسي بصورة علنية، وتحدث بعضها عن عودة قوات الثورة للتركيز في مناطق الجبل وبيروت.

ومنذ السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤، برزت حركة امل بوصفها الممثل القوي للطائفة الشيعية في لبنان. وكبرت طموحاتها في قيادة الساحة اللبنانية، وفي السيطرة على كل المناطق الوطنية. وجردت الطائفة السنّية من قوتها العسكرية الناشئة، وانهت، بالتعاون مع الحزب التقدمي الاشتراكي، وبتشجيع سوري، تواجد حركة المرابطون بزعامة ابراهيم قليلاً، في بيروت، واعتبرتها قوة صغيرة عميلة للفلسطينيين تأتمر بأوامرهم.

لاحقاً، اختفى من أجهزة الإعلام الوطنية اللبنانية كل حديث عن دور المقاتلين الفلسطينيين في مقاومة الغزو الإسرائيلي، وغاب الحديث عن مساهمتهم البطولية في تحرير الجبل وبيروت من الوجود العسكري الكثائي. ولم يعد أحد يشير إلى دور أبناء مخيمات برج البراجنة وشاتيلا والداعوق وصبرا ومار الياس في طرد القوات الكثائية من الضاحية الجنوبية، وحل محل هذا الحديث حديث عن الممارسات السلبية للمقاتلين الفلسطينيين قبل عام ١٩٨٢. وعلى امتداد أسابيع وشهور عديدة، نبشت حركة أمل وبعض المتحالفين معها، عن الممارسات الخاطئة للفصائل والاجهزة الفلسطينية التي عفى عليها الزمن. واستحضرت أسماء كوادر فلسطينية غير موجودة، بعضها توفاه الله واستشهد وهو يقاتل الاحتلال، وبعضها غادر لبنان منذ سنوات. واختلفت روايات، لا أول لها ولا آخر، حول مسلكيات فلسطينية خاطئة، وضختت حوادث فردية قديمة. واستمرت أمل جيداً حركة الانقسام التي وقعت داخل فتح ومنظمة التحرير وانحازت إلى جانب المنشقين، وركزت حملتها على عرفات والعرفاتين من الفلسطينيين. ودرافت تبت الخوف في صفوف الطائفة الشيعية من عودة السيطرة الفلسطينية على اللبنانيين اللبنانيين، ونجحت في تعبئة قطاعات واسعة من الشارع اللبناني ضد الثورة الفلسطينية في لبنان، وضد عودتها إلى المخيمات الفلسطينية، وضد عودة الاوضاع في المناطق الوطنية اللبنانية إلى ما كانت عليه قبل حرب ١٩٨٢.

في حينه، تلاقت مصالح حركة أمل وطموحاتها مع المصالح السورية، في مواجهة العودة الفلسطينية القوية إلى الساحة اللبنانية. فالملائحة السورية تقتضي ملء الفراغ الذي أحدهه خروج منظمة التحرير من لبنان، والاستقرار به والهيمنة عليه واستثماره كورقة في الصراع، سلماً أو حرباً، من أجل استعادة الجولان المحتل، والعمل على درء المخاطر المتعددة التي يمكن أن تأتي منه بوصفه بلداً مجاوراً ليس فيه سلطة حاكمة قوية، وتخره حروب وصراعات طائفية. وكما تقتضي أيضاً استثماره ما أمكن اقتصادياً لحساب تنمية اقتصاد السوق السوري. وسعت لتحقيق ذلك بالعمل في اتجاهين: الأول أن لا يتواجد في هذا البلد، لبنان، أي طرف إقليمي منافس لها، سواء كان فلسطينياً أو إسرائيلياً أو دولياً. والترجمة العملية لهذا كانت تعني منع م.ت.ف.، كمؤسسة وكفصائل، وبخاصة عمودها الفكري فتح من العودة إلى لبنان باعتبارها الطرف الأقليمي المنافس، بحكم وجودها القوي في صفوف ما يزيد على ٣٥ ألف لاجئ فلسطيني في لبنان. أما الإتجاه الثاني فكان يقوم على خلق قوة محلية قوية موالية لسوريا، تكون ناطقة بلسانها، وتتنفذ توجهاتها، وتدافع عن مصالحها في لبنان.

وزادت طموحات حركة أمل، وتعدت حدود السيطرة على المناطق التي تقطنها أغلبية شيعية، وتوسعت رغبتها في السيطرة على كل المناطق الوطنية اللبنانية. وتصرفت أمل

باعتبارها التنظيم السياسي المعبر عن كل الطائفة الشيعية أو غالبيتها الساحقة، في بلد تنخره الطائفية السياسية. والشيعة في لبنان هم الطائفة الأكبر، من حيث العدد، والأقل من حيث الأوضاع الاقتصادية، ومناطق تواجدهم الأساسية في البقاع والجنوب وضواحي بيروت الجنوبية وبعض قرى الجبل الأشد فقرًا والأكثر تخلفاً من حيث الخدمات وال عمران، وجود المقومات الأساسية للحياة، بسبب اهمال النظام الرسمي الطائفي لهم ولمناطقهم على مدار سنوات طويلة. هم المحرومون من الحقوق والإمتيازات في السلطة، حصلتهم في رأس هرم السلطة هي رئاسة المجلس النيابي. أما رئاسة الجمهورية فهي للموارنة، ورئاسة الوزراء للسنة، علماً بأن كلاً منها أقل عدداً من الشيعة.

في سنوات الحرب الأهلية، تعمقت النعرات الطائفية والمذهبية في كل أنحاء لبنان، ونمّت معها طموحات الطائفة الشيعية، بعد أن استفاقت على أوضاعها المتردية وتتبّعت لحقوقها المهمومة. ووُجِدَت أمل في خروج منظمة التحرير وقواتها من بيروت والجنوب، وفي التشجيع السوري، فرصة ذهبية لتصحيح الخطأ التاريخي الذي ارتكب بحقها. وهكذا تعارضت مصالحها مع وجود م.ت.ف. في لبنان ومع الوجود العسكري الإسرائيلي القوي على أراضيه، فاندفعت للتصادم معه على أمل منعه من التمدد والنمو والإنتشار.

وبعد السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤، شرعت حركة أمل في تحضير أوضاعها العسكرية للمواجهة مع الفلسطينيين، وفتحت صفوف قواتها لاستقبال المتطوعين من أبناء الطائفة الشيعية. أنشأت تشكيلات عسكرية جديدة، وشكلت وحدات قتالية نظامية من بقايا الوية الجيش اللبناني الرسمي، ورممت أوضاع اللواء السادس، و"شيّعت" تركيبته القتالية وزودته بعناصر بشرية قاعدية وقيادية شيعية لأستكمال الملاك، وسلحته بالأسلحة الثقيلة التي حصلت عليها من سوريا، وبيات هذا اللواء بمثابة القوة الضاربة لحركة أمل ولسوريا في لبنان. ووظفت آلاف الشباب من أبناء الطائفة الشيعية في صفوف قواتها، بدون معايير وطنية، مما سمح بدخول وطنيين لبنانيين، وأيضاً عمالاً خلفتهم إسرائيل ورعاها بعد الانسحاب، تجمعوا في ذات التشكيل العسكري والموقع القتالي لقوات أمل. فتحت عشرات المكاتب والمراكم المدنية والعسكرية، خاصة في أحياء السنة في بيروت الغربية، وفي المناطق الشيعية في البقاع والجنوب، وضاحية بيروت الجنوبية. "كانت" الجنوب من حدود صيدا حتى رأس الناقورة على الحدود مع إسرائيل. أغلقت الضاحية الجنوبية، وكل الأحياء الشيعية في بيروت في وجه القوى الوطنية اللبنانية، ودخلت في منافسة مع قوى شيعية أخرى، أهمها حزب الله في كل المجالات. وجردت الطائفة السنّية من قوتها العسكرية الناشئة، وانهت كلّها، بالتعاون مع الحزب التقدمي الإشتراكي، وبتشجيع سوري، تواجد المرابطون سياسياً وعسكرياً.

مطلع تموز/يوليو ١٩٨٤ أصبحت حركة أمل القوة العسكرية الأولى في لبنان، وصارت قوة سياسية يسلم الجميع بدورها القيادي في مدينة بيروت، وكل الساحة الوطنية اللبنانية. وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية من الجنوب، فرضت أمل نفسها كقوة مهيمنة على الجنوب، بدءاً من جسر سينيق، الواقع على بوابة مدينة صيدا الجنوبية، وحتى مشارف المنطقة الامنية العازلة التي أقامتها إسرائيل، داخل الاراضي اللبنانية. وانطلقت في تعبئة داخلية تتضمن شيئاً من العدوانية، ضد كل القوى الوطنية اللبنانية بما في ذلك حزب الله الشيعي، والحزب الشيوعي اللبناني، والتنظيم الناصري بقيادة مصطفى سعد، وبصورة مبطنة ضد الحزب التقديمي الاشتراكي بزعامة وليد جنبلاط. وراحـت تصعد تضييقها يوماً بعد آخر على حركة الفلسطينيين في جنوب لبنان. وفرضت حواجزها الامنية والعسكرية شيئاً من الارهاب على المدنين الفلسطينيين، وشلت حركتهم من والى الجنوب. وبدأت قواتها بالقيام بمداهمات واعتقالات عشوائية في صفوف الفلسطينيين. وراحـت تتعـدم توجيه الامـانـات لهم، نساء وشيوخاً وشباباً. وقامت بدون مبرر، برمـيات عشوائية متقطعة باتجاه المخيمات الفلسطينية في الجنوب، القائمة وسط كثافة شيعية طاغية، وخصوصاً مخيـم الرشـيدـية، الواقع فوق قطعة أرض جميلة على شاطئ البحر جنوب مدينة صور، تبعد ٢٠ كـم عن حدود فلسطين، وزادـها اللاجـئـون الفلسطينـيون جـمالـاً، حين زـروعـوها أوائل الخـمسـينـات، بشـتـى صـنـوفـ الـحـمـضـيـاتـ والـخـضـرـوـاتـ، وـحين أقامـوا لـأـصـحـابـ الـأـرـضـ منـ الـلـبـانـيـنـ بـيـارـاتـ وـبـسـاتـينـ شـبـيـهـةـ بـبـيـارـتـهـمـ وـبـسـاتـينـهـمـ، التـيـ تـرـكـوهـاـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ. مـنـذـ عـامـ ١٩٤٨ـ ١٩٤٩ـ،ـ مـنـذـ عـامـ الـهـجـرـةـ،ـ وـفـاقـ عـدـدـ سـكـانـهـ فـيـ حـالـاتـ السـلـمـ عـلـىـ ١٧ـ أـلـفـ نـسـمـةـ.ـ فـيـ حـرـبـ ١٩٨٢ـ،ـ جـرفـتـ القـوـاتـ اـسـرـايـلـيـةـ مـعـظـمـ مـنـازـلـ الـمـخـيمـ عـلـىـ أـمـلـ دـفـعـ أـهـلـهـ إـلـىـ الرـحـيلـ شـمـالـاـ بـعـيـداـ عـنـ الـحـدـودـ اـسـرـايـلـيـةـ.ـ فـيـ حـيـنـهـ،ـ تـمـرـسـ أـهـلـهـ إـلـىـ الـمـخـيمـ فـوـقـ الـأـنـقـاضـ،ـ وـتـدـخلـتـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ،ـ وـأـعـادـ الـأـهـالـيـ بـنـاءـ مـخـيمـهـمـ مـنـ جـدـيدـ،ـ بـمـسـاعـدـ "ـالـأـنـرواـ"ـ،ـ وـكـالـةـ غـوـثـ الـلـاجـئـينـ وـالـمـؤـسـسـاتـ الـأـنـسـانـيـةـ،ـ وـالـمـنـظـمـاتـ غـيرـ الـحـكـومـيـةـ وـمـنـظـمةـ التـحرـيرـ.ـ وـيـعـتـبرـ مـخـيمـ الرـشـيدـيةـ أـحـدـ الـمـخـيمـاتـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ الـكـبـيرـةـ الـمـنـتـشـرـةـ فـيـ جـنـوبـ لـبـانـ،ـ يـجاـورـهـ مـنـ الشـمـالـ مـخـيمـ الصـفـيرـ،ـ وـهـذـاـ مـخـيمـ الصـفـيرـ،ـ كـانـ تـعـدـادـهـ فـيـ حـالـةـ السـلـمـ وـقـبـلـ حـرـبـ ١٩٨٢ـ،ـ خـمـسـةـ أـلـفـ نـسـمـةـ.ـ وـيـجاـورـهـ مـنـ الشـمـالـ الشـرـقـيـ مـخـيمـ البرـجـ الشـمـالـيـ وـتـعـدـادـهـ عـشـرـةـ أـلـفـ نـسـمـةـ.ـ وـشـمـالـ هـذـهـ الـمـخـيمـاتـ الـثـلـاثـ،ـ مـخـيمـاتـ صـغـيرـةـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ سـاحـلـ الـبـحـرـ؛ـ هـيـ جـلـ الـبـحـرـ وـالـقـاسـمـيـةـ وـالـبـرـغـلـيـةـ وـالـمـعـشـوقـ،ـ تـعـدـادـهـ مـجـتمـعـةـ كـانـ يـصـلـ إـلـىـ عـشـرـةـ أـلـفـ نـسـمـةـ.ـ أـهـلـهـ كـلـهـ يـعـمـلـونـ فـيـ الزـرـاعـةـ.ـ تـعـاـيشـوـاـ مـعـ إـخـوـانـهـمـ سـكـانـ جـنـوبـ؛ـ صـاهـروـهـ وـتـزاـجـرـاـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ،ـ وـشـارـكـوـهـمـ فـيـ الزـرـاعـةـ وـالـتـجـارـةـ،ـ عـلـىـ مـدىـ سـنـوـاتـ طـوـيـلـةـ.ـ وـيـحـكـمـ خـبـرـتـهـمـ الطـوـيـلـةـ فـيـ مـجـالـ الزـرـاعـةـ،ـ أـحـيـاـ سـكـانـ الـمـخـيمـاتـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ أـرـضـ

الجنوب اللبناني، واستفاد أصحابها وحصلوا هم على لقمة العيش. ومنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧، لم يتعكر صفو الحياة والعلاقة بين الفلسطينيين واللبنانيين، في كل لبنان، ومن ضمنه الجنوب. بقي الفلسطينيون يطمون بالعودة، وبالحل العادل لقضيتهم، وبقي اللبنانيون يظهرون لهم المودة والاحترام، ومعهما التالم لمصيبيتهم والتضامن مع قضيتيهم العادلة.

ومع انتطلاقة الثورة الفلسطينية، وظهور العمل الفدائي الفلسطيني، في النصف الثاني من السنتين، تفتح ذهن الفلسطينيين في لبنان، ومن ضمنهم المقيمين في الجنوب، على دورهم اتجاه هدف العودة، واسترداد الوطن السليم. وانتعشت وطنية الفلسطينيين، وبرزت روحهم الكفاحية، وإنخرطوا، في حينه، في الثورة، وهربوا السلاح من قواعد الثورة في سوريا إلى مخيماتهم. ومنها نفروا بشكل مبكر، عمليات قتالية ضد عدوهم المحتل لارضهم. ومن أجل تعزيز ثورتهم الفتية دفعوا ثمنا باهظا على يد المخابرات اللبنانية، لكنهم انتزعوا لاحقا في عام ١٩٦٩ اتفاق القاهرة الذي رعاه الرئيس جمال عبد الناصر واعطاهم الحق الرسمي في التواجد المسلح على حدود فلسطين، وممارسة العمل العسكري ضد إسرائيل من الاراضي اللبنانية. وعلى امتداد السبعينيات، تضامن اللبنانيون أهل الجنوب مع الثورة الفلسطينية، وتحملوا الكثير من الآلام والصعوبات التي خلفتها إسرائيل لهم والفلسطينيين في المخيمات. وخلال وبعد حرب ١٩٨٢ تعاون الفلسطينيون واللبنانيون في مقاومة الغaza. وانكر الفلسطينيون ذاتهم، وقاتلوا القوات الاسرائيلية، تحت اسماء "المقاومة الوطنية اللبنانية". ورغم ذلك، أنسست شهوة السلطة والهيمنة، قيادة حركة أمل، النضال المشترك الذي خاضوه سوريا، وأنسنتهم الحياة الاخوية التي عاشوها معا على مدى أكثر من ٣٠ سنة. كما انستهم "العيش والملح" الذي أكلوه معا، وكل هذا التاريخ النضالي المشرف الذي خاضوه سوريا.

صيحة فلسطينية من الصدام الاول

مطلع تموز/يوليو ١٩٨٤، أي بعد أربعة شهور من انتفاضة شباط/فبراير فقط، اختارت قيادة حركة أمل مخيم شاتيلا ليكون موقع التصادم الأول مع الفلسطينيين. واختيارها لهذا المخيم بالتحديد لم يكن بمحضر الصدفة، أو لسبب ما يتعلق بسلوك أبنائه ضد الشيعة أو ضد حركة أمل كتنظيم أو كأفراد، بل وفقا لخطة مدروسة ومعدة سلفا، ولاعتبارات تتعلق بموقع المخيم، وبحجمه السكاني، ونوعية السكان المحيطين به. فالمخيم يقع على الاطراف الجنوبية لحي صبرا وحي الداعوق، في بيروت الغربية، ذات الكثافة الشيعية، ويحده شرقا حي فرجات ومعظم سكانه من الشيعة ومن نزحوا على امتداد سنوات طويلة من الجنوب اللبناني ومدنه وقراه وبلداته، إما هربا من القصف الإسرائيلي،

وإما هربا من البطالة وطلبا للقمة العيش. وتحد هذا المخيم من الغرب المدينة الرياضية التي بناها الرئيس الاسبق كميل شمعون وهي عرسال الشيعي، وإن منه يدل على هوية سكانه. وعرسال قرية شيعية بقاعية فقيرة تقع في منطقة نائية على الحدود اللبنانية السورية، شمال شرق مدينة بعلبك، يعيش أهلها على تهريب البضائع بين سوريا ولبنان، وعلى تربية الماشية والزراعة البعلية. ويحد المخيم من الجنوب، حرش من الصنوبر، متزوج فيه أكواخ ومنازل بسيطة، يقطنها عمال سوريون، وغجر، ولبنانيون فقراء قدموها من كل المناطق اللبنانية. عدد سكان المخيم، تراوح ما بين ١٥-٨ ألف نسمة، وفقاً للظروف الأمنية. قبل حرب ١٩٨٢، زاد عدد سكانه عن ١٥ ألف نسمة، حيث ازدهرت أوضاعه العمرانية والاقتصادية، بسبب قريه من المدينة ومن الأحياء التي كانت تتمرّكز فيها أجهزة م.ت.ف. وفصائلها ومؤسساتها. خلال حصار بيروت كان المخيم هدفاً لقصص وغارات الطيران الإسرائيلي باعتباره رمزاً للثورة الفلسطينية، وأحد مواقعها القتالية الأساسية. بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من بيروت، وبعد المجازرة التي تعرض لها المخيم، لم يجد أهل المخيم جرائمهم ودموعهم بيوبتهم المهدمة والمهشمة، وتجمع فيه ما يقارب سبعة آلاف نسمة من القراء ومن ذوي الشهداء المعذبين.

في ٢ تموز/يوليو ١٩٨٤، افتعل أحد عناصر حركة أمل، حادثة فردية مع إحدى عائلات المخيم، استقررت واستنفرت شباب المخيم من كل التنظيمات، فنظموا الحراسة على اطراف بيوبتهم. وربت أمل على الاستئثار بحشد مجموعات كبيرة من مقاتليها في محيط المخيم وباطلاق نيران غزيرة على أحيائه تسببت في سقوط شهيددين من ابنائه. واعتقلت أمل ما يزيد على عشرة شبان، وأحرقت سبعة منازل، منها ثلاثة نواد لمنظمات شبابية فلسطينية. وبسبب هذا الحادث، تعكرت علاقة المخيم مع جواره من الشيعة. وبالرغم من حذر سكانه، وضبطهم لأنفسهم ورفضهم الانجرار إلى ردود أفعال تزيد الأمور تدهوراً فإن حواجز حركة أمل المحيطة بالمخيمتابعت استفزازها للأهل. ولم يمض وقت طويل حتى تكررت العملية الفردية الاستفزازية، وان جاءت هذه المرة ضد مخيم برج البراجنة. حيث شنت مجموعات أمل يوم ١٢/١٠/١٩٨٤، بدون سبب، عملية واسعة نسبياً ضد المخيم، استخدمت فيها للمرة الأولى المدفع الصاروخية وقد أتت الهجوم والشاشات الثقيلة. ودامت الإشتباكات بين شباب المخيم وعناصر حركة أمل، أكثر من ٢٤ ساعة. كانت الخسائر البشرية في المخيم مفجعة، حيث سقط ١٣ شهيداً و٢٥ جريحاً. وكان لهذه العملية أهمية خاصة حيث ترافقت مع حملة واسعة مضللة، من الأجهزة الرسمية والخاصة، التي تشرف عليها حركة أمل، الإذاعة الرسمية، القناة التلفزيونية رقم ٧، إضافة لبعض الصحف الأساسية مثل جريدة السفير التي يملكها الصحافي المعروف طلال سلمان، وجريدة الحقيقة، أصحابها النائب زاهر الخطيب،

ومجلة أهل. وتركزت الحملة على تصوير ما جرى بأنه اشتباكات فلسطينية داخلية، بين أنصار ياسر عرفات وخصومه، مما أثار هواجس سكان المخيمات وقلقهم من استغلال حركة أهل لواقع الساحة الفلسطينية المنقسم سياسياً، وتمرير مشروع الاعتداء على المخيمات. وترافق هذه الاستفزازات والتحرشات والاشتباكات مع ارتفاع وتيرة التحرير ضد قيادة م.ت.ف. وتبعته حادة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان، تحت شعارات تهيجية: لا لوجود العرفاتيين في لبنان، ولا لعودة الأوضاع في لبنان إلى الحالة التي كانت قائمة قبل الغزو الإسرائيلي في العام ١٩٨٢، ولا للامن الذاتي الفلسطيني في المخيمات.

إلى ذلك، واصل أبو عمار توجهه لتطوير العلاقة مع الأردن، وقدمت الحكومة الأردنية تسهيلات إدارية واسعة لقيادة فتح، ووافقت على عودة أعداد كبيرة من كوادرها السياسية إلى عمان. واستغل أبو جهاد وجوده في عمان، وركز جهوده على تقوية أوضاع المنظمات الشعبية، ودعم المؤسسات الوطنية داخل الأرضي المحتلة. ولاحقاً، تابعت قيادة م.ت.ف. بحذر حوارها مع الحكومة الأردنية، حول آفاق العلاقة المستقبلية بين الشعبين، وتوصل الطرفان في ١١ شباط/فبراير ١٩٨٥، في عمان، إلى "اتفاق للتحرك الأردني الفلسطيني المشترك"^(٢٠) نحو تحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية، تضمن موافقة م.ت.ف.، غير الصريحة، على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢، قبول المنظمة بمبدأ تشكيل وفد فلسطيني - أردني إلى مفاوضات السلام مع إسرائيل. واعتبرت الإدارة الأمريكية الاتفاق خطوة بناة على طريق معالجة النزاع العربي الإسرائيلي. وبعد إعلان "اتفاق عمان"، شنت كل الفصائل المقيمة في دمشق حملة شديدة ضد الاتفاق، وضد صيغة الوفد المشترك، الذي أشار له الاتفاق، واعتبرته تفريطاً بالمثل الفلسطيني. وقال بعضها: هذا الاتفاق يعكس مدى إمعان اليمين الفلسطيني في انحرافه وتفرطه. آخرون قالوا أن هذا الاتفاق غير ملزم للشعب الفلسطيني وعرفات لا يمثل إلا نفسه. أما الحاج رشاد الشوا، رئيس بلدية غزة قبل الاحتلال وخلاله فقال "إنني اعتبر يوم التقارب بين عرفات والملك حسين يوماً كبيراً للشعبين وأأمل أن ترد إسرائيل على الاتفاق بشكل إيجابي". في حينه، استذكر كثير من القادة الفلسطينيين مواقف الشوا السياسية المرنة وصفنه اليسار الفلسطيني باعتباره من العناصر "الرجعية" المتهاونة مع سلطات الاحتلال وسياساتها، والمستعدة للتضحية بالاستقلال.

أما ردة الفعل السورية فكانت الأعنف، حيث حررت سوريا بعض قطعاتها العسكرية على الحدود الأردنية، وشجعت جبهة الرفض على القيام ببعض العمليات العسكرية ضد الجيش الأردني، والقيام بعمليات عسكرية ضد إسرائيل من الأغوار الأردنية. وأطلقت الصواريخ يوم ٢٢/٢/١٩٨٥ على المستوطنات الإسرائيلية من الأرضي الأردنية. وخلال

الفترة ذاتها تم في عمان اغتيال فهد القواسمه عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة. وأصدر فاروق القدوسي، عضو اللجنة المركزية لفتح، رئيس الدائرة السياسية في المنظمة، تصريحاً، رفض فيه الاتفاق الفلسطيني - الأردني، بالنص الذي أعلن فيه. وفي القاهرة، رحب الرئيس حسني مبارك بالاتفاق، واقتصر أن تبادر الولايات المتحدة إلى دعوة الوفد الأردني - الفلسطيني المشتركة، لإجراء حوار مع الولايات المتحدة كبداية وكتمهيد لمفاوضات مباشرة مع إسرائيل.

وعلى أثره، أصدر الاتحاد السوفييتي يوم ٢/٢٧ ١٩٨٥ بياناً، رفض فيه المقترن المصري ووصفه بأنه "مثير للدهشة لأن غالبية الدول العربية تتبنى موقفاً مغايراً". وشجع هذا الأحزاب الشيوعية العربية على اتخاذ موقف، وأصدرت يوم ٢/٢٧ ١٩٨٥ بياناً، إثر اجتماعها في دمشق أدانت فيه الاتفاق الأردني-الفلسطيني، باعتباره يتذكر لحق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة. وفي يوم ٢/٢ ١٩٨٥، صدر بيان مشترك، عن الحزبين الشيوعي الأردني والمصري أدان اتفاق عمان، وأدان مبادرة الرئيس مبارك. وخلال الفترة ذاتها، قام الرئيس علي ناصر محمد رئيس اليمن الجنوبي بجولة شملت سوريا ولibia والجزائر واليمن الشمالي، وأعلن أن قادة جبهة الصمود والتصدي اتفقوا على عقد قمة. وتتسارعت الأحداث على الساحة اللبنانية، وعجلت القوات الإسرائيلية انسحابها من وسط لبنان، واستكملت يوم ١٤/٢ ١٩٨٥، انسحابها من صيدا وصور والبقاع، واحتفلت بالشريط الامني الذي بنته عام ١٩٧٨. وتحركت قوات الثورة الفلسطينية، بما فيها قوات فتح، الكامنة في المخيمات، لملء الفراغ الذي خلفه الانسحاب الإسرائيلي معتمدة على الدعم الشعبي الواسع الذي ظلت تحظى به من قبل الفلسطينيين في لبنان عامة وأبناء المخيمات بصورة خاصة. ورغم الانشقاق وانتهاء الوجود العطبي لقوات فتح وجيش التحرير التابع للمنظمة، تمكن هذه القوى خلال بضعة شهور من تكريس وجودها في كل المخيمات، وخاصة مخيمات بيروت والجنوب. في حينه، نظرت سوريا وبعض القوى اللبنانية، إلى هذا التطور بعين القلق، ورأوا القوى الفلسطينية الموالية لها في هذا الوجود "العرفاتي" المستعاد خطراً على مصالحها وتوجهاتها في لبنان، فتحركت بسرعة وحزم لتصفية قبل أن يتمدد ويقوى أكثر فأكثر، فكانت الحرب على المخيمات مدخلها ووسيلتها الرئيسية لتحقيق هذا الهدف.

الحرب الأولى ضد المخيمات

وسط خيبة أمل ومناخ فلسطيني مفجوع، بدأت حركة أمل حربها الأولى الواسعة ضد الفلسطينيين. وخيبة الامل والتجييع الفلسطينية كانتا بسبب نكран الجميل ونس bian المعروف. فكل الدعم المادي والتسلحي السابق لحركة أمل، تناسته قيادتها بشكل واضح

ومتعمد. وكل التضحيات الفلسطينية، التي قدمت من أجل تحرير بيروت الغربية والضاحية الجنوبية وصيادا وشرقها، شطبت من الذكرة ومن التاريخ عند قيادة أمل. وكالعادة، بدأت المعركة بحادث فردي يوم ١٦/٥/١٩٨٥، واستمرت حتى ١٧/٥/١٩٨٥. وعرفت ذلك الحرب بحرب رمضان، وكانت فاصلة في تكريس الصراع بين الطرفين. بسبب ذلك الحادث الفردي اندلعت الإشتباكات في أطراف شاتيلا وصبرا والداعوق. وشنّت حملة مطاردة واسعة للمهجرين الفلسطينيين في أحياي بيروت الغربية، واستبسل أبناء المخيمات في الدفاع عن النفس، ودحروا المهاجمين، وأجبروهم على قبول وقف إطلاق، عقب يوم قتال عنيف. واتفق على تمويل قوات نظامية من اللواء السادس عند أطراف المخيم كقوة فصل. وما كادت قوات اللواء السادس تنهي تمركزها حتى بدأت بدون سبب أو ذريعة قصفاً عشوائياً ومركزاً على مخيمات الداعوق وصبرا وشاتيلا قصفاً استهدفت الأبنية والسكان. وترافق القصف مع قيام حاجز قوات حركة أمل بحملة اعتقالات واسعة للشباب الفلسطينيين في أحياي بيروت الغربية وعلى طرقات الجنوب والبقاع. وتواصلت الإشتباكات واستخدم اللواء السادس كافة أنواع أسلحته الخفيفة والثقيلة، وتركزت عملياته، بالتعاون مع مليشيا أمل، على مخيم الداعوق، الواقع بين حي صبرا ومخيم شاتيلا والذي لا تتجاوز مساحته مساحة ملعب كرة قدم. واستمرت المعارك حوله ١٣ يوماً كانت قاسية على الفلسطينيين في لبنان.

وبالرغم من كل النداءات الإنسانية، وصرخات الاستفانة، والاستجاد، التي وجهها أهالي مخيم الداعوق للقيادة السورية وجميع قادة القوى الوطنية والإسلامية للتدخل لوقف المجزرة، إلا أن ذلك كله لم يجد آذانا صاغية ولم توقف حركة أمل هجماتها. وأصدر حزب الله بياناً ادان الحرب ضد المخيمات الفلسطينية، ولم يتمع بيانه خطوط عملية، وأصدر المرشد الروحي للحزب، السيد الشيخ حسين فضل الله بياناً قال فيه: "إن إسرائيل وعملاً لها هم المستفيدون من حرب المخيمات، وأولئك الذين يستبيحون أي شيء ضد الفلسطينيين نتيجة تحميлем مسؤولية بعض التجاوزات التي كانت تقوم بها بعض المنظمات الفلسطينية في الجنوب، أو نتيجة الدعاية التي حاولت بعض الاجهزة، هنا وفي الخارج، ان تثير الناس ضد الفلسطينيين، على أساس انهم السبب في المشكلة البنائية وفي الكثير من المشاكل التي حدثت في المنطقة". وبعد قتال دام، وسقوط العديد من الشهداء من الشيوخ والنساء والأطفال والمقاتلين، شرد أهالي المخيم البالغ عددهم ٣٠٠٠ ألف نسمة. وبعد تدمير المخيم تدميراً تاماً، سقط المخيم بيد حركة أمل وقوات اللواء السادس. وبنكل المهاجمون أبشع تنكيل بمن خرج حياً من بين الانقضاض وأُعدموا من نجا من الموت وقتلوا بعض الجرحى، وسويت أرض المخيم بالجرافات لمسحه من الوجود ومسح آثار الجريمة التي ارتكبت بحق أهله دون ذنب أقرفوه سوى

أنهم فلسطينيون فقراء، شردوا من ديارهم وفرضت الاقدار عليهم الاقامة في هذا المخيم، بانتظار مصيرهم المجهول. أما مخيم شاتيلا المجاور للداعوق، فلم ينج هو الآخر من قتال تسبب بخسائر ودمار كبيرين. صحيح ان قوات حركة امل واللواء السادس لم تحاول اقتحامه، لكن القصف المدفعي من مختلف العيارات، طال .٤٪ من مبانيه ودمر ما يزيد على ٤٢٥ منزلًا تدميراً شبه كامل. وبلغت الخسائر البشرية في مخيم شاتيلا وشوارع بيروت الغربية، حيث طورد الشبان الفلسطينيون، ٢١٠ شهادة و ٦٢٠ جريحاً و ٤٠٠ مفقود ومعتقل لم يعرف مصير معظمهم.

وبسبب حالة الانشقاق، التي عاشتها فتح داخل المخيمات، وغياب قادة فتح الاساسيين، تحملت قيادة الجبهة الديمقراطية في لبنان المسؤولية الميدانية عن ادارة الصراع، وادارته بكفاءة. وبالرغم من ترديها، في تحويل القيادة السورية وقواتها علينا المسؤولية المباشرة عما حصل للمخيمات واهلها، الا انها بادرت وحملت قيادة حركة امل وقيادة اللواء السادس المسؤولية الكاملة عن ذلك، وغمزت في مواقفها وتصريحاتها العلنية من موقف سوريا باعتبارها المشجعة والمحركة لحركة امل، واستخدمت الجبهة الديمقراطية عبارة حركة "امل ومن يدعمها ويقف وراءها". اما قيادة فتح المحلية في لبنان والمركزية الموجودة في تونس، فحملت علينا ويووضح سوريا وعملائها في قيادة حركة امل والمنشقين عن فتح مسؤولية الجريمة. الى ذلك، نجحت قيادة فتح المحلية، بالتنسيق مع تنظيم الجبهة الديمقراطية، في توحيد موقف كل أبناء مخيمات الداعوق وصبرا وشاتيلا تحت شعار وحدة المدافعين عن المخيم، بغض النظر عن انتمائاتهم التنظيمية، وخلافاتهم السياسية، وفتحت مستودعاتها لكل المقاتلين، وكل الشبان القادرين على حمل السلاح، والرافحين في حمله دفاعاً عن النفس، وعن المخيم. وبفعل دوره الميداني، حظي تنظيم الجبهة الديمقراطية في لبنان باحترام كل أبناء المخيمات في لبنان وتقديرهم وكل القرى والشخصيات الوطنية اللبنانيّة المتضررة من طغيان دور حركة امل والمتخوفة من تطلعاتها وطموحاتها. وبالمقدار ذاته حظيت قيادة الجبهة في لبنان بالعداء من قبل حركة امل وحلفائها من اللبنانيين والفلسطينيين، وخصوصاً بعض فصائل جبهة الانقاذ الفلسطينية، والاحزاب اللبنانيّة وثيقة الصلة بسوريا، بما في ذلك قادة الحزب الشيوعي اللبناني، الذين حملوا ياسر عرفات والعرفاتيين مسؤولية القتال الذي وقع.

لم يرق للقيادة السورية ما قامت به قوات الجبهة الديمقراطية، وتعكرت علاقتها مع قيادتها المقيمة في دمشق، ورفعت سوريا وتيرة ضغطها على تنظيم الجبهة في سوريا وفي لبنان، وقلصت التسهيلات الادارية التي كانت تقدمها، بما في ذلك وقف حركة باص المقاتلين المجازين بين سوريا ولبنان، وتجميد رخص الحركة لعدد من سيارات قادة

الجبهة، والغاء اذونات السفر للقيادة والمقاتلين من سوريا الى لبنان، وبالعكس. وأوغزت لقيادة حركة امل بإطالة أمد اعتقال عضو اللجنة المركزية للجبهة، صالح زيدان، الذي قاد معارك الدفاع عن مخيم الداعوق، ونجا من الموت بأعجوبة، ووقع أسيرا بيد قوات امل واللواء السادس.^(٢١) ووجهت ضغطها وابتزازها لقيادة الجبهة، عبر أكثر من طرف سوري ولبناني وفلسطيني، وكان هدفها ثني الجبهة عن القيام بالدفاع عن المخيمات، ودفعها للالتحاق بجبهة الانقاذ الفلسطينية، المناهضة لقيادة الشرعية لمنظمة التحرير.

في حينه، تحفظ بعض أعضاء المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وعدد محدود من قيادتها في لبنان على تصدر منظمة الجبهة وقواتها للمعركة، وعلى تقديم الدعم المعنوي والسياسي والتسلحي لمنظمة فتح وقواتها في لبنان. وبالرغم من هذا التحفظ والاعتراض، صمدت قيادة الجبهة في لبنان، ومرت الضغوط السورية وضغوط امل بسلام دون أن تترك آثاراً واسعة على سياسة الجبهة وموافقها أو على أوضاعها الداخلية. وفي سياق الحفاظ على التوازن الداخلي في الجبهة الديمقراطية، تم تثبيت خط عمل تكتيكي يقوم على مراعاة المصالح الخاصة بالجبهة، والحرص على عدم بروز دورها التصادي米 مع حركة امل في وسائل الاعلام وجرت مبالغات في التشديد على الانضباط الذاتي والانتباه لدور عناصر وكوادر فتح التي التحقت ببعض مواقع ومراكز الجبهة في لبنان، ومنعها من القيام بأية أعمال تورط الجبهة في صراع مباشر مع السوريين ومع حركة امل.

جولة ثانية من العروض ضد المخيمات

رغم اتفاقيات وقف اطلاق النار، ورغم الدعوات المتكررة الى عودة الامور الى طبيعتها، الا أن حالة التوتر الشديد بين الطرفين بقيت قائمة، لا سيما وأن حركة امل لم تستطع تجريد المخيمات الفلسطينية من أسلحتها بل استمرت تحاصرها، ومنعت دخول مواد الاعمار اليها، ولم تطلق سراح المعتقلين والمفقودين. وفي صباح يوم ٤/٩/١٩٨٥، فوجئ أهالي مخيم برج البراجنة، بنيران غزيرة تطلق باتجاه مخيّمهم، وبمحاولات اقتحام بعض الواقع الدفاقيّة دون مقدمات ولا مبررات. ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، بل قامت قوات امل، صبيحة اليوم ذاته ، بتطويق المبني التي يقطنها الفلسطينيون في حارة حريك منذ سنوات طويلة. وتم إنزال الرجال منها الى الشارع، وتم قتل ٣٠ رجلاً بدم بارد أمام أعين السكان. وواصلت امل قصفها لمخيم برج البراجنة، وجرت عدة محاولات لاقتحامه. ودامت الاشتباكات في محيطه عشرة أيام كاملة سقط خلالها ٢٠ شهيداً و٨٥ جريحاً من أبنائه، اضافة الى الثلاثين الذين أعدموا في حارة حريك. ولم يصدق أهالي المخيم، البالغ عددهم ٢٥ ألف في حالة السلم، ما فعلته حركة امل ضدهم وضد اخوانهم المقيمين

في حارة حريك، مستندين في استهجانهم إلى العشرة الطويلة التي جمعتهم بآبائهم الطائفة الشيعية. فالمخيم جزء لا يتجزأ من الضاحية الجنوبية، وبعض بيته متداخلة مع بيوت الأحياء المجاورة له. وبحكم جيرة دامت ٣٧ عاماً تزاوجوا خلالها بعضهم من بعض، ولم تتأثر علاقاتهم بالمنذهبية. وبالرغم من تغلغل الطائفية والمنذهبية في أعمق المجتمع اللبناني، إلا أنها لم تغزو المخيم، ولم تؤثر في علاقته مع جواره. الاغلبيّة الساحقة من سكانه هجرّوا من ديارهم في شمال فلسطين في العامين ١٩٤٧ و ١٩٤٨، ومع الزمن نشأت صداقات عريقة بين العديد من العائلات الفلسطينية والعائلات الشيعية. وخلال الحرب الأهلية اللبنانية، لعب أبناء المخيم دوراً أساسياً في الدفاع عن مناطق تواجد الطائفة الشيعية، وخصوصاً في ضاحية بيروت الجنوبية، واعتبروا ذلك دفاعاً عن النفس. وقبل انتفاضة شباط/فبراير ١٩٨٤، ساهم شباب المخيم في الدفاع عن الضاحية وعن الشياح، وكل يشهد على بطولاتهم في معارك الشياح، وكنيسة مار ميخائيل. المفاجئون من أبناء المخيم كانوا في غالبيتهم كبار السن، وضيغطوا على شباب المخيم، ومنعوهم من مؤازرة إخوانهم في مخيم شاتيلا، عندما تعرضوا للقصف والحرصار والدمار، وكانت حجتهم أن ما حصل في شاتيلا خطأ سياسي يصحّ، ولم يعوا شباب شاتيلا من مسؤولية الانجرار وراء الاستفزازات.

بعد مجرزة حارة حريك، واشتباكات ١٩٨٥/٩/٤، اقتصر شباب المخيم بأن ما جرى ضدّ مخيّمهم ليس سوى مقدمة لعاصفة قوية هدفها اقتلاع كل الوجود الفلسطيني من بيروت، وانقضّ لهم متناه علاقة ما يجري ضدّهم بالصراع الجاري بين قيادة م.ت.ف. والقيادة السورية حول استقلالية القرار الفلسطيني، واندفع المنظمة في تطوير علاقتها مع مصر، وتوصّلها مع الحكومة الأردنية إلى اتفاق عمان. وبدأ شباب المخيم بتحضير أنفسهم على قاعدة أن الاشتباكات سوف تتجدد. وبعد أيام قليلة، جاءت الأحداث لتؤكّد صحة هذه التقديرات القائلة بأن توقف المعارك ليس سوى هدنة مؤقتة هدفها تجميل القوى، وامتصاص ردود الفعل العربية على ما ترتكيه أمل في كل اشتباك.

وبالرغم من كل النداءات والمذكرات، التي وجهت من أهالي المخيمات ومن الفصائل الفلسطينية للأحزاب والقوى والشخصيات ورجال الدين في لبنان، إلا أن جحيم نيران المدافع والرشاشات الثقيلة انفتح من جديد يوم ١٠/٧/١٩٨٥ على بقايا مخيم شاتيلا، ودام سبعة أيام سقط خلالها مزيد من القتلى والجرحى، ودمرت بعض المباني الإضافية. وخلال تلك الفترة شهد التنسيق المصري - الفلسطيني - الأردني، حركة نشطة، وكثير الحديث في حينه عن تشكيل وفد أردني - فلسطيني مشترك للجتماع برئاسة وزراء بريطانيا يوم ٢٠/١٠/١٩٨٥، للبحث في سبل تنشيط الدور الأوروبي في عملية السلام، والتفاهم مع الحكومة البريطانية حول اعتراف المنظمة بالقرار ٢٤٢ و ٣٢٨ وحق إسرائيل

في الوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها، وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.^(٢٣) وقام رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بزيارة للقاهرة توجت يوم ١٩٨٥/١١/٧ بإعلان ما اصطلح على تسميته بـ“إعلان القاهرة”， ويتعلق بتمييز العمل العسكري الفلسطيني عن الإرهاب، تلاه أبو عمار بحضور الرئيس مبارك،^(٢٤) في إطار التفاعل مع الشروط الأمريكية بشأن مشاركة منظمة التحرير التحرك السياسي من أجل صنع السلام.

و قبل أن يتمكن أبناء المخيمات من لملمة اوضاعهم وترميم ما دمر من بيوتهم، بادرت قوات حركة أمل يوم ١٩٨٥/١٢/١٩، إلى شن اوسع حملة اعتقالات ضد الشباب الفلسطيني، في مخيمات البص والبرج الشمالي والرشيدية والقاسمية وأبو الاسود الواقعة بجوار مدينة صور، حيث أودعوا في سجون متعددة، وتعرضوا لأبشع أنواع التعذيب، الذي تسبب في استشهاد بعضهم. وفي ١٩٨٦/٣/٢٨، فتحت حركة أمل نيرانها ضد بقایا مخيم شاتيلا، وحاولت اقتحامه عدة مرات، إلا أن رسالة المدافعين عن المخيم لم تمكنتهم من تحقيق طلفهم، واستمرت الاشتباكات حتى يوم ١٩٨٦/٤/١٧، وسقط في المخيم ٢٤ شهيداً و٧٥ جريحاً.

وفي معارك الدفاع عن المخيمات أبرز الانسان الفلسطيني، مجدداً، قدرة خارقة على التحمل وعلى العيش في ظروف لا يتصورها إنسان. وأظهر المقاتلون الفلسطينيون مهارة قتالية عالية وبسالة يصعب وصفها، وسجلوا بتفانٍ منقطع النظير بطولات نادرة دفن معظمها مع أبطالها الشهداء. وعاش ناس المخيم عاماً كاماً في ظل الحصار وتحت القصف وبين الدمار الذي تحملت فيه المرأة الفلسطينية، ابنة المخيم، ما لم تتحمله إمرأة في العالم. فقد تحملت الانتقال في حياتها من مستوى حياة أواخر القرن العشرين، إلى مستوى ما قبل القرون الوسطى. ولم يتوقف الأمر عند هذا الجانب الحيادي بل سقطت عشرات الشهيدات في القصف على منازلهن، وعلى خطوط التماส وهن يدافعن عن بيوتهن، ويسعنن أزواجهن وأولادهن. واستشهدت الكثيرات في “مرات الموت” التي كانت النساء يعيزنها من شاتيلا والبرج باتجاه الأحياء المجاورة، لاحضار حليب للأطفال وما تيسر من مواد تموينية أخرى. وعلى هذه المرات كان قناصة حركة أمل يتسللون بتصيد النساء بطلقات بنادقهم، وكانوا يسمحون لهن بالمرور من ممرات أجبارية ويتبارون في دقة الاصابة بالمسدسات والرشاشات. كان القتل على المزاج وكانت المرأة الفلسطينية هي الضحية وهي الهدف، لأنها فلسطينية ومرغمة على الخروج من المخيم من أجل رغيف خبز وما تيسر من طحين ومن حليب للأطفال.

كل هذه المأساة والاشتباكات جرت والساحة الفلسطينية منقسمة على ذاتها بين جبهة إنقاذ تضم الجبهة الشعبية، منظمة الصاعقة، القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، جبهة النضال الشعبي والمنشقين عن فتح، وبين م.ت.ف. التي تكرست شرعيتها من جديد في

دورة المجلس الوطني الفلسطيني السابعة عشر. حقا، لقد لعب الانقسام والخلاف الفلسطيني دوره في زيادة معاناة أبناء المخيمات، فالحروب التي تعرضت لها جرى تغطيتها تحت مظلة محاربة العرفاتيين في لبنان. وتسبب الخلاف الفلسطيني الداخلي في تبديد الكثير من الجهود والطاقات الفلسطينية، ووفر شيئاً من الغطاء السياسي لحروب أمل والدمار الذي لحق بالمخيمات. صحيح أن كوادر الجبهة الشعبية وعناصرها، وكوادر من جهة الإنقاذ ساهموا في الدفاع عن المخيمات، لكن هذا الدور كثيراً ما تم بمبادرات محلية.

الجولة الثالثة من الحروب على المخيمات

إلى ذلك، حركت حروب أمل الأولى والثانية ضد المخيمات الفلسطينية مشاعر اللبنانيين اللبنانيين، واستفرزت معظم الأحزاب، وأثارت تخوفات العديد منها وخصوصاً الحزب التقدمي الاشتراكي وحزب الله والحزب الشيوعي اللبناني. أما منظمة العمل الشيوعي، فكانت قيادتها وكوادرها شبه مستهدفة، مثلها مثل الفصائل الفلسطينية بسبب موقفها التضامني الواضح والصريح مع أبناء المخيمات. وشعرت هذه القوى أن انتصار أمل على الفلسطينيين يعني هيمنتها وسيطرتها سيطرة كاملة على المناطق الوطنية، مما قد يشجعها على الاندماج باتجاه توجيه ضربات لها، لا سيما وإن قيادة أمل نجحت في تهيج المشاعر الشيعية والعصبية التنظيمية، ضد الطوائف والأحزاب الأخرى دون تمييز. وراحـتـ كـوـاـدـرـهاـ وـعـنـاصـرـهاـ تـتـصـرـفـ بـعـنـجـهـيـةـ مـعـ كـلـ الـوـطـنـيـنـ الـلـبـانـيـنـ بـمـاـ فـيـ ذـلـكـ الـاعـتـدـاءـ عـلـيـهـمـ وـاعـتـقـالـ بـعـضـهـمـ. وـصـارـ وـصـولـ كـوـاـدـرـ الـاحـزـابـ وـالـتـنـظـيمـاتـ الـلـبـانـيـةـ مـنـ غـيرـ حـرـكـةـ أـمـلـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ صـورـ فـيـ الـجـنـوبـ الـلـبـانـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـصـرـيـحـ،ـ كـمـ صـارـ خـاصـعاـ لـمـازـاجـ حـوـاجـزـ أـمـلـ عـلـىـ الطـرـيقـ. وـعـدـ الحـزـبـ التـقـدـمـيـ الاـشـتـراـكـيـ إـلـىـ الـاقـصـاحـ عـنـ مـوـقـعـهـ وـاعـلـنـ مـعـارـضـتـهـ بشـدـةـ لـتـصـفـيـةـ الـمـخـيـمـاتـ الـفـلـسـطـيـنـيـ وـضـرـبـ الـوـجـودـ الـفـلـسـطـيـنـيـ فـيـ لـبـانـ. وـلـمـ يـتـوقـفـ الـاعـلـانـ عـنـ هـذـاـ الـحدـ،ـ بلـ اـنـدـفـعـ الـحـزـبـ دـوـنـ أيـ تـحـفـظـاتـ إـلـىـ تـقـدـيمـ الـمسـاعـدـةـ الـلـوـجـسـتـيـةـ لـلـمـدـافـعـيـنـ عـنـ الـمـخـيـمـاتـ. وـاصـدـرـ رـئـيـسـ الـحـزـبـ وـلـيـدـ جـنبـلـاطـ تـعـلـيـمـاتـ لـكـوـاـدـرـ الـحـزـبـ فـيـ كـلـ الـمـنـاطـقـ بـالـتـعـاوـنـ مـعـ فـتـحـ وـالـجـبـهـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ فـقـطـ. وـتـقـدـيمـ الـلـازـمـ خـصـمـ الـأـمـكـانـاتـ وـبـمـاـ لـاـ يـعـرـضـ الـحـزـبـ إـلـىـ مشـاكـلـ جـديـةـ مـعـ السـوـرـيـنـ.^(٤) فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ وـلـيـدـ جـنبـلـاطـ يـطـلـقـ تـصـرـيـحـاتـ عـنـيـةـ ضـدـ الـعـرـفـاتـيـنـ وـضـدـ الـقـيـادـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ كـانـ يـصـدـرـ اوـامـرـهـ بـتـقـدـيمـ الـمـسـاعـدـاتـ الـمـتـوـعـةـ.

ومع تصاعد عمليات حركة أمل ضد المخيمات، نقل الحزب التقدمي تضامنه مع المخيمات الفلسطينية إلى مستوى عملي وسياسي أعلى، وحرض الأحزاب والشخصيات الوطنية، وشجع التنظيم الناصري، بقيادة مصطفى سعد، على اتخاذ موقف علني ضد مواقف

حركة أمل وممارساتها ضد تحويل الجنوب الى كانتون شيعي. كما حرض مشائخ الطائفية الدرزية وقيادتها الروحية ضد ممارسات حركة أمل ودفعها الى إصدار بيانات علنية، أكدت فيها رفضها تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان، وأعربت عن تضامنها مع أهالي المخيمات. ومارست قيادة الحزب ضغوطاً كبيرة على العديد من ضباط الجيش اللبناني في محاولة لردع اللوائين السادس والاول عن تنفيذ أوامر حركة أمل ومنعهما من التورط في الدم الفلسطيني. وكانت تقول ان القضية الفلسطينية قضية دولية وعربية لا تحل بدمار عدد من المخيمات أو ذبح بضعة آلاف، وتحذر من ان الدم الفلسطيني يحرق أصابع كل من يلعب به وهو لا يزال عن الايدي التي تتلطخ به. كما كانت تذكر بأن القضية الفلسطينية اطاحت بعروش عربية كثيرة وهي أكبر من لبنان بكل طوائفه. باختصار، تحول الحزب التقديمي الاشتراكي الى ما يشبه الشريك الكامل للفلسطينيين في الدفاع عن المخيمات، وتواترت علاقته مع سوريا وقيادة أمل.

إلى ذلك، أثارت جرائم حركة أمل ضد المخيمات مشاعر الوطنيين والإسلاميين اللبنانيين، وأثارت وحركت مشاعر الشارع العربي والرأي العام العالمي. واستنكر عدد كبير من الأحزاب والقوى العربية ما يجري ضد المخيمات. وادانت احزاب اوروبية عديدة ولجان متعددة للدفاع عن حقوق الانسان حركة أمل ودعتها الى التوقف عن مهاجمة المخيمات الفلسطينية، وطالبتها بإطلاق سراح المعتقلين، وكشف مصير المفقودين. وبالرغم من ذلك كله، لم توقف حركة أمل هجماتها ولم تتراجع عن مشروعها. وبعد اشتباكات نيسان بشهر واحد وقعت معارك جديدة وكانت أقسى من سابقتها على سكان المخيمات أضعافاً مضاعفة.

في ٣/١٩٨٦، قام شباب مخيمات الجنوب برفع الاعلام الفلسطينية بذكرى يوم الأرض، غير آبهين بموافقات حركة أمل ضد الوطنية الفلسطينية. ورداً على ذلك، فرضاً أمل حصاراً شبيه كامل على مخيمات الجنوب، واعتقلت حواجزها ١٢ شاباً من أبنائها، وأهانت العديد من نسائه وشيوخها، وداهمت مخيم البص والبرج الشمالي والمعشوق والشبرি�حا. اثر ذلك، استنفر شباب مخيم الرشيدية واخرجوا اسلحتهم من مخابئها، وأغلقوا مخيمهم في وجه دوريات حركة أمل ومنعوها من دخوله. وتواترت علاقة أمل بسكان مخيم الرشيدية، واعتبرت تصرف شباب المخيم بمثابة تحد لها وراح تشدد الحصار على حركة الأفراد من وإلى مخيمات الجنوب جميعها. وطالبت اهالي المخيم تسليمها اسلحتهم وفتح ابواب المخيم أمام دورياتها العسكرية. ومع رفض شباب المخيم هذه المطالب صعدت حركة أمل اجراءاتها ضد المخيم، وشددت على حركة النساء، ومنعت دخول التموين للمخيم، وعرقلت دخول شاحنات وكالة الغوث "الاونروا"، وسمحت بدخول كمية من التموين الطازج تكفي ليوم واحد فقط. ومنعت أمل العمال

الزراعيين من العمل في المزارع المحيطة بالمخيم، واشاعت أنها على وشك اقتحام المخيم، ووسيط دائرة الاعتقالات مما ادى الى توقف الشباب عن التحرك من والى المخيم. وبدأت بعض العائلات بالرحيل من مخيمات الجنوب عبر الطرق الزراعية الى منطقة صيدا والشريط الساحلي بين صيدا وبيروت، والى بعض قرى الشوف واقليم الخروب الخاضعين لسيطرة الحزب التقديمي الاشتراكي. واقتادت امل على جرف مساكن الفلسطينيين في مخيم جل البحر الصغير الواقع على مدخل مدينة صور، واعتقلت عشرات الشباب من مختلف المخيمات، وخلال الفترة ذاتها، واصلت حصارها لمخيمات بيروت.

وفي يوم ٢٢/٥/١٩٨٦ شنت حركة امل وقوات اللواء السادس هجمات عنيفة على مخيم شاتيلا وبرج البراجنة، فتصدى لها المدافعون ببساله ومنعوها من اقتحام المخيم. وتواصلت الاشتباكات شهرین كاملین وكلفت مخيم شاتيلا ٥٧ شهيداً و٣٠ جريحاً. أما مخيم برج البراجنة، فكانت خسائره ٢٩ شهيداً و٣٥ جريحاً. وصباح يوم ٣٠ ايلول/سبتمبر ١٩٨٦ في الساعة ١٥:٣٠، ارسلت قوات حركة امل سيارة مسلحة بالرشاشات الثقيلة، وراح تحلق نيرانها الغزيرة باتجاه المخيم، مما ادى الى استشهاد امرأة وجرح اربعة مواطنين. اثرها بادر شباب المخيم بالرد على مصادر النيران في محيط المخيم، واستمرت الاشتباكات أحد عشر يوماً، تخللها اتصالات سياسية نشطة اسفرت عن اتفاق وقف اطلاق النار، لكنه لم يطبق فلم تلتزم حركة امل به. وتواصلت الاشتباكات الخفيفة والمقطعة بصورة يومية، حتى يوم ٥/١٠/١٩٨٦، حين تم الاعلان في دمشق عن اتفاق وقف اطلاق النار وقعته حركة امل وجبهة الانقاذ الفلسطيني رسمي باسم "اتفاق دمشق".

موضوعياً كانت اعتداءات امل على مخيمات صور واجراءاتها ضد القوى الوطنية اللبنانية بمثابة رسالة سياسية لاسرائيل هدفها القول بأنها مستعدة لتطبيق عملية لمضمون الاجراءات الامنية التي نص عليها اتفاق ١٧ أيار/مايو ١٩٨٣، بين لبنان واسرائيل. وأنها مستعدة للقيام بدور امني تسيطر فيه على المخيمات الفلسطينية، وتنزع قوى الثورة الفلسطينية وقوى المقاومة الوطنية اللبنانية من العمل العسكري ضد اسرائيل، وأنها مستعدة للحد من نمو حزب الله، ومن تطور نفوذه في الجنوب اللبناني، على امل تسهيل سيطرتها على كل الجنوب.

في الايام التالية على توقيع اتفاق دمشق تطورت عمليات امل الحربية ضد مخيم الرشيدية بسرعة، وقامت قواتها بعدة محاولات لاقتحام المخيم، وحددت لنفسها ثلاثة أيام لأنجاز هذه المهمة، لكنها كفت عن المحاولة بعدما فشلت ومنيت بخسائر كبيرة، واتضح لها ان لدى المخيم قدرات كبيرة للدفاع. واستبدلت خطة الاقتحام الفوري بخطة الاستنزاف

والتدمر التدريجي، ورفعت من وتيرة قصف المخيم بالأسلحة الثقيلة ودمرت منتي منزل على اطرافه. وتسبيب في إصابة ٥٩٠ مواطناً كانت اصاباتهم متفاوتة، وكان بينهم متة بحالة الخطر الشديد. والحقت عملياتها أضراراً متفاوتة بمنزل وسط المخيم، كان ضمنها مستوصف المخيم، وهو عبارة عن عيادة بسيطة، يعمل فيها طبيبان أحدهما حديث التخرج والثاني طبيب عام. حاول الطبيبان اداء اكبر دور ممكن في ظروف بالغة الصعوبة، واعتمدا سياسة تقنين شديدة في صرف الادوية، وخصصا غرفتين لوضع المرضى والجرحى تحت المراقبة، ريثما يتم نقلهم الى بيوت مدنية اكثر أماناً. وبمعدات بسيطة جداً، اضطر الطبيبان الى اجراء العديد من العمليات الجراحية بالرغم من عدم خبرتهما ونقص التجهيزات الالزامية لأجراء العمليات. ويرز لدى السكان حالات فقر دم تسببت في وفاة عدد من الاطفال، وظهرت تآزمات نفسية، ناجمة من الرعب خصوصاً لدى الاطفال. وفقدت بعض صنوف الادوية التي يحتاجها ذوو الامراض المزمنة، مثل مرضي القلب والسكري. وظهرت عند العديد من النساء حالات سر في الولادة، واحتاج العديد منهم الى عمليات قيصرية. ومن آذار/مارس ١٩٨٦ وحتى أيلول/سبتمبر ١٩٨٦، لم تكن حالة المخيمات الاخرى افضل حالاً من مخيم الرشيدية، فقد تواصلت الاعتداءات والاعتقالات وعمليات الحصار، وبلغ الجوع فيها مرحلة خطيرة. وارتقت نداءات الاهالي طالبة المساعدة وفك الحصار. ولكن، "لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لم تنادي" على الصعيد العربي والدولي اللبناني. ولم يكن امام اهالي المخيمات من خيار سوى الصمود والمقاومة. فالخروج من المخيم يعني الانضمام الى قوافل المفقودين أو المقابلين. وبغض النظر عن التصريحات العلنية القليلة، التي صدرت عن السوفيفيت بشأن الحرب على المخيمات، فال موقف السياسي والعملي كان يؤكد على أن الاتحاد السوفيفي لم يكن مستعداً للدفاع عن الوجود العسكري القلسطيني المستعاد على الساحة اللبنانية، وأنه كان ضد عودة الأوضاع على الساحة اللبنانية إلى ما كانت عليه قبل ١٩٨٢، وضد تحول لبنان من جديد إلى قاعدة ارتكاز للمنظمة وقواتها. لقد توجهت القيادة الفلسطينية، على المستويين المركزي والمحلبي، للاصدقاء السوفيفيت عدة مرات، وطالبتهم بممارسة دورهم مع القيادة السورية، ومع القرى الفلسطينية واللبنانية المتورطة في الحرب ضد المخيمات الفلسطينية وسكانها الابرياء، والضغط عليهم باتجاه وقفها الا انها لم تجد اذنا سوفيفية صاغية.^(٢٥)

واكدت النتائج وجود موقف سياسي سوفيتي يتماشى مع الموقف الأمريكي - الإسرائيلي، وينقاطع مع مصالح سوريا وغالبية القوى اللبنانية الرافضة لعودة م.ت.ف. إلى لبنان. في حينه، كان السوفيفيت يتذرون بعدم قدرتهم على ممارسة ضغوط فعالة على السوريين، وأنهم يخشون في حال ممارسة ضغوط أكبر أن يفقدوا موقعهم في سوريا، كما فقدوه في

مصر قبل حرب أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٣. لكن الأخذ بالمثل الشعبي العربي الشهير "خذوا أقوالهم من صغارهم" يؤكد أن شكوك السوفيت وخوفهم من اندفاع المنظمة باتجاه مصر والأردن و"التساوق مع الحلول الأمريكية" كانت العامل الحاسم في عدم التدخل لوقف المذابح التي ارتکبها حركة أمل بتشجيع سوري ضد المخيمات. وظهر السوفيت وكأنهم يعاقبون الشعب الفلسطيني على توقيع قيادة م.ت.ف. اتفاق عمان، الذي عارضوه خشية أن يكون بداية تمدد كامب ديفيد على الجبهتين الفلسطينية والاردنية. صحيح أن تولي غورباتشوف، بعد وفاة اندریسوف، رئاسة الحزب الشيوعي والدولة السوفيتية، أرسى الأساس لبداية انفراج في الحرب الباردة، لكن من الخطأ البالغة في هذا الموضوع. فالبيروسترويكا وخطوات الانفراج في العلاقة مع الأمريكان، لم تأخذ مدتها إلا بعد بضع سنوات. وكان واضحاً أن السوفيت، رغم بداية ضعفهم لم يكونوا في سنوات ١٩٨٧-١٩٨٤ في وارد الانسحاب من الشرق الأوسط وتسليمهم للأمريكان، ولم يكونوا في وارد تسهيل الحلول الأمريكية المنفردة لقضايا المنطقة. والتفسير الوحيد للتوافق الأمريكي - السوفيتي حول إنهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية الفعال في لبنان في الأعوام ١٩٨٢-١٩٨٧، هو حصول تراجع حدة الحرب الباردة بين الطرفين. وفي ١٧/٧/١٩٨٧ التقى بولياكوف نائب وزير الخارجية السوفيتية مع موزفي مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط، ويبحث معالجة النزاع العربي - الإسرائيلي واظهر الأمريكان مرؤنة بشأن عقد المؤتمر الدولي بمشاركة أطراف النزاع والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن.^(١)

في حينه، كانت لكل منها حساباته الخاصة وأهدافه المحددة ازاء ما يجري في لبنان. كانت الإدارة الأمريكية تريد الاندفاع في كامب ديفيد على المحور الفلسطيني - الأردني وكانت ترى في م.ت.ف القوية عسكرياً، والمتماسكة سياسياً وتنظيمياً، عقبة كبرى أمام هذا الهدف. أما السوفيت فكانوا يرون في قيادة م.ت.ف قيادة براغماتية مهادنة للأمريikan ومستعدة للتساوق مع الحلول الأمريكية وليس على استعداد لربط موقفها بال موقف السوفيتي. وقدروا أنها مستعدة للتفریط بالمؤتمر الدولي إذا جاعتتها عروض أمريكية مناسبة، ودليلهم كان "تکویع" منظمة التحرير باتجاه الأردن وتوقيعها "اتفاق عمان".

وبغض النظر عن دوافع حركة المنشقين، فالتاريخ كفيل بكشف الصلة المباشرة وغير المباشرة بين إقامة م.ت.ف. في ١١ شباط/فبراير ١٩٨٥ على توقيع اتفاق عمان ووقوع الانشقاق، وتشجيع أمل على شن حربها على المخيمات والتي دامت أربع سنوات، وارتكاب مجازر فاقت ما ارتکبته القوات اللبنانية خلال حرب ١٩٨٢ وبعدها.

هوامش الفصل الثاني

- (١) في ميناء طرطوس، استقبل الباحرة حشد كبير من الكوادر والمواطنين الفلسطينيين والسوسيين، اضافة الى ممثلين عن الحكومة السورية. في حينه، رفع كوادر التنظيمات عددا من القادة على الاكتاف، وهتفوا بحياة م.ت.ف. وحياة ابو عمار. وسمح للقيادات "المرحلة" بالتجة الى حيث ثناه، وارسل المقاتلون الى احد المعسكرات السورية غير المعدة جيدا، وهناك سلموا اسلحتهم وعانيا مشاكل بما في ذلك تأمين طعامهم اليومي. ولم يمض وقت طويلا حتى غادر الجميع المعسكر وعاد معظمهم الى البقاع اللبناني.
- (٢) تضمنت مبادرة ریغان مواقف يمكن اعتبارها ايجابية، منها: اعتبار ان "الخسائر العسكرية لمنطقة التحرير، لم تؤثر على تطلعات الشعب الفلسطيني إلى حل عادل لمطالبه" او "لقد اظهرت الحرب في لبنان،حقيقة أخرى، في المنطقة، هي تشرد الفلسطينيين الذين يشعرون بقى ان قضيتهم أكثر من مسألة لاجئين، وأنا أتفق على ذلك". و موقف الولايات المتحدة الأمريكية يقى على، مقابل إحلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب في القرار ٢٤٢ على كل الجبهات، بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة". راجع نص المبادرة في وثائق م.ت.ف. القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩٦٧ - ١٩٩١ . (م.ت.ف. ١٩٩١).
- (٣) في نهاية اعمالها اعتمدت القمة شمانية مبادئ: (١) انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية. (ب) ازالة المستعمرات التي اقامتها اسرائيل بعد عام ١٩٦٧. (ج) ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة. (د) تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة. بقيادة م.ت.ف. ممثله الشرعي والوحيد وتعريض من لا يرغب في العودة. (هـ) تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت اشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد على بضعة شهور. (و) قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس. (ز) يضع مجلس الامن الدولي ضمانات السلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة. (ح) يقوم مجلس الامن الدولي بضمانت تنفيذ تلك المبادئ. راجع نص المبادرة في المصدر السابق.
- (٤) تضمنت مبادرة بريجنيف ٦ نقاط هي: (١) عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة (ب) تأمين حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولة خاصة به في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة. وتمكن اللاجئين وفقا لقرارات الامم المتحدة من العودة والحصول على تعويض مناسب لملكائهم المتربكة. (ج) اعادة الجزء الشرقي من القدس الذي احتلته اسرائيل عام ١٩٦٧. (د) حق جميع دول

المنطقة في الوجود والتطور الإسلامي والأمني. هـ) إنهاء حالة الحرب وإحلال السلام بين الدول العربية وأسرائيل، وحل نزاعاتها الناشئة بوسائل سلمية وعن طريق المفاوضات. (و) اقرار ضمانات دولية للتسوية ويمكن ان يقوم دور الضامن الاعضاء الدائمون في مجلس الامن. راجع نص المبادرة في المصدر السابق.

٥) تم نصف المقر بواسطة سيارة ملحوظة، وكان هذا النقط من العمليات قد ازدهر قبل الحرب. والقى القبض، في حينه، على مواطن لبناني اسمه حبيب الشرتوني من كادر الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي تربطه علاقة متينة بسوريا. وتمت محاكمته وتم تحويله مسؤولية تنفيذ العملية، دون الاشارة الى الجهة او الاطراف التي شجعته وساعدته في تنفيذها، وبالرغم من اعتراضه فلم يتم اعدامه.

٦) بعد خروج قوات الثورة من بيروت، نقضت الادارة الامريكية اتفاقها وسحب قواتها من بيروت، ولم تتوفر الحماية للمخيمات، التي تعهدت بها، مما سهل وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا. وظل ابو عمار لفترة طويلة يستشهد بالاتفاق كدليل على عدم وفاء الادارة الامريكية بالتزاماتها.

٧) كان ابو الواليد يتمتع بتأثير واسع في صفوف فتح وخصوصاً في صفوف مجموعات الجنود والضباط الذين التحقوا من الجيش الأردني بالثورة بعد احداث ايلول. وكانت حركة ابو موسى تعتمد في الأساس على هذه المجموعات. الى ذلك، عرض على ابو الواليد قيادة "حركة تصحيحة" داخل فتح ومنظمة التحرير وبناء منظمة تحرير ثورية جديدة الا انه رفض بشدة وأكد عزمه على التمسك باستقلالية الحركة الوطنية الفلسطينية واستقلالية قرارها. وبعد اغتياله تولى نائبته العقيد ابو موسى قيادة غرفة العمليات المركزية وكان لاحقاً من قادة الاشتباكات. وهو من موالي드 منطقة القدس اللتحق بالجيش الأردني منتصف الخمسينيات والتتحقق بالثورة الفلسطينية ابان خدمته في الجيش الأردني وغادر الأردن في العام ١٩٧٠ في اطار الرحيل الفلسطيني.

٨) ضمن الوفد بالإضافة الى ابو عمار كلا من: ابو جهاد وهاني الحسن من فتح وياسر عبد ربه وممدوح نوفل من الجبهة الديمقرطية. وفي المباحثات تم التركيز على العلاقة الاردنية-الفلسطينية ورحب الملك بتواجد قيادة المنظمة في عمان، وقال: "البلد بلدكم واهلاً وسهلاً بكم في كل وقت". وكانت تلك اول زيارة للي لاردن بعد مغادرته اثر حرب ايلول/سبتمبر عام ١٩٧٠. وسهلت تلك الزيارة زياراتي اللاحقة الى عمان.

٩) راجع قرارات الدورة السادسة عشر للمجلس، وثائق فلسطين، (دائرة الثقافة، م.ت.ف، ١٩٨٧).

١٠) في جلسة خاصة مع ابو عمار، اقترح العقيد سمير الخطيب المدير العام للدائرة العسكرية في منظمة التحرير ان يقوم هو وممدوح توفيق، بحكم علاقتها الشخصية القديمة مع ابو موسى وابو خالد العملة، بمحاولة معالجة الموقف على قاعدة تجديد الصراع الداخلي عند الحدود التي بلغها، والتعامل مع حركة ابو موسى، ككتل شبه مستقل، يستقر بالعمل تحت راية فتح، وتستمر فتح بتزويده بكل المستلزمات المالية والإدارية والعسكرية. وافق ابو عمار وقال: جربوا حظكم المسالة اكبر مما تتصورون والقرار ليس بيد المنشقين. في حينه، استحسن ابو موسى الفكرة لكنها اصطدمت بالرفض المطلق من ابو خالد العملة. وفي محاولة اخرى اصطبغت عبد احمد اعضاء المجلس الثوري لبحث مسألة عدم الالجوء للسلاح في حل الخلاف وتتجنب الصراع الدموي وابقاء الصراع في اطاره الديمocrطي، في حينه وافق ابو موسى الا ان موافقته اصطدمت بمعارضة ابو خالد العملة الذي حضر خصيصاً من دمشق لافتتاح اللقاء.

١١) ضمت القيادة السياسية المشتركة للشعبية والديمقراطية الامناء العامين وعدداً متساوياً من المكتبيين السياسيين، اما القيادة العسكرية فضمت عدداً متساوياً من ابرز الكوادر العسكرية بالإضافة الى ابو احمد قياد قوات الجبهة الشعبية وممدوح توفيق قائد قوات الديمقراطية. ولاحقاً طرحت القيادة السياسية المشتركة برنامجاً متكاملاً "الوحدة والاصلاح" حدد الاخطار التي تواجهها المنظمة، وعدد

الثفرات التي تعانىها، واقتصر جملة من المبادئ تصلح كأساس لصيانته وحدة م.ت.ف. وتحقيق الاصلاح الديمقراطي في صفوفها. انظر كراس القيادة المشتركة للجبهةين الديمقراطي والشعبية، (برنامج الوحدة والاصلاح الديمقراطي في م.ت.ف. تشرين الاول ١٩٨٢)

(١٢) توصيات لجنة الـ ١٨، راجع، ماهر الشريف، البحث عن كيان (نيقوسيا: شركة F.K.A. ١٩٩٥).

(١٣) ورد هذا التعبير، على لسان نديم عبد الصمد عضو المكتب السياسي للحزب. واستخدم امين عام الحزب جورج حاري واخرين من قيادة الحزب تعابير مشابهة. راجع صحف بيروت في تلك الفترة.

(١٤) عصر ذلك اليوم عاد مسؤول قسم صيانة سيارات الجبهة، ابو اسامه الفوريكي، من مهمة زار خلالها كراج نجح في بعليك حاملًا معه رسالة من ابو جهاد، واصر على تسليمها الى على انفراد. كانت الرسالة مكتوبة على قصاصة ورق صغيرة تقول: "انا الان في بعليك ويبعد ان الاخوان والاشقاء فدوا صوابهم ويدبرون عمل شيء ما ضدي. علي العودة الى طرابلس باسرع وقت ممكن لانجاز ما هو اهم من الانشغال في صراع مع الماجيرين، لا ادري اذا كان بامكانك عمل شيء... بانتظاركم". قرأت الرسالة بإمعان وكتبته له: "ساكنون بطريقكم مع غروب الشمس، وحيذنا لو ترسل لي صورة شخصية لعمل هوية عسكرية، بطاقات الجبهة سارية المفعول على الحاجز السوري، وسامنك رتبة عسكرية محترمة يا ابو جهاد.. ولكن على ثقة بانتنا لن نسمح لاحد بالتطاول على ابو جهاد واستقلالية القرار الوطني". وكلفت ابو اسامه نقلها له، والعودة لطريق بسرعة. انتظرت حتى ما قبل مغيب الشمس، ولما لم يعد الرسول، تحركت الى بعليك، ووجدت من ينتظرني من مرافق ابو جهاد. وفوجئت، عندما ابلغ الى ان ابو جهاد تذكر وبدل ملابسه وجلس في المقدد الخلفي، وطلب من ابو اسامه التحرك وضلع النهار الى طرابلس. فورا تحركت مسرعا نحو طرابلس محاولا اللحاق بهم. ومع تجاوزي الحاجز السوري الرئيسية بين بعليك والهرمل تبدد قلقي اذ لم الحظ اي اجراءات استثنائية على اي منها. وعندما وصلت مخيم البداوي، كانت نيران بنادق مقاتلي فتح تتطلق بغزاره في كل اتجاه فرحا بحصول ابو جهاد سالمًا. في حينه عاتبه على مغامرته ورد علي برواية بعض مفقراته الوطنية في القطاع. لاحقا، قال ابو خالد العملة بحضور ابو موسى في احد اللقاءات: "لن نغير لك تهريب رمز الميلين الفلسطينيين، كما نود تخلص شعبنا منه". قلت: "هذا كلام خطير، ابو جهاد قائد وطني فلسطيني، اسرائيل مستعدة لدفع دماء عدد من جنودها وملائين الدولات من اجل الخلاص منه. واخشى يا ابو خالد ان يأتي يوم تضطر فيه الى البحث عن من يساعدك في الخلاص من كمان العرب".

(١٥) اكد التحالف الديمقراطي في ما يخص الخلاف داخل فتح على ضرورة حل الخلاف باستعادة وحدة الحركة على قاعدة وثيقة لجنة الـ ١٨ او الاعتراف بوجود فصيلين، وعلى ان العلاقة المستقبلية مع فتح ستقوم على اساس ادانة خطوة عرفات في زيارة القاهرة ادانة سياسية معلنة. وقررت التنظيمات الاربعة العمل على بناء جبهة وطنية عريضة لحماية وحدتها والتصدي لنهج الانحراف والاستسلام وذلك على اساس رفض قيام منظمة تحرير فلسطينية بدبلة، وعدم اقامة مؤسسات موازنة لمؤسسات م.ت.ف.، وعدم الاعتراف بحركة فتح "الانقسامية" ممثلة لمجموع حركة فتح.

(١٦) اكد الاتفاق على مسائل كثيرة اهمها: "تمسك اطراف الاتفاق بوحدة المنظمة وشرعية مؤسساتها"، واعتبار ان زيارة رئيس المنظمة للقاهرة مثلت تجاوزا على قرارات المجلس الوطني، وان م.ت.ف. ليست ملزمة بآى نتائج او التزامات ترتب عليها والمحاسبة عليها في اطار المؤسسات الشرعية للمنظمة. ودعا الى استمرار التزام م.ت.ف. بقرارات قمة بغداد الخاصة بالعلاقة مع النظام المصري، والى عدم الاقدام على اي تحرّكات مشتركة مع الاردن تمس وحدانية التمثيل، ورفض اي حل للقضية الفلسطينية على قاعدة مشروع رفagan او الحل الاقليمي الوسط او الخيار الاردني او اي مشروع ينتقص من حقوق شعبنا الوطنية الثابتة في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة بقيادة م.ت.ف.، ممثله الشرعي والوحيد.

(١٧) بذلك قيادة فتح جهوداً مضنية من أجل تأمين النصاب ورمي الملك حسين بثقله في الموضوع، ونجحت بشق الانفس في ذلك وانفقت مبالغ طائلة لاجله، وتم تكريس الشرعية. في حينه، ظلت القيادات والكادرات الفلسطينية مشدودة إلى جلسة الافتتاح، وتفاوتت ردود الفعل عندما ظهرت النتيجة. وطمعت بعض القرى في شرعية اقدام الهيئات القيادية للاتحادات الشعبية باستبدال ممثليها في المجلس واستبدال اعضاء المعارضة الذين قاطعوا المجلس بأخرين من فتح.

(١٨) اتخذت الدورة ١٧ عدة قرارات ابرزها: "الحرص على على ضرورة متابعة الجهد لتحقيق وحدة وطنية فلسطينية مستقلة الارادة والقرار". وكلف المجلس مكتب الرئاسة واللجنة التنفيذية تشكيلاً لجنة من بين اعضائه تشارك في متابعة الحوار الوطني الشامل. راجع، **وثائق فلسطين**، مصدر سبق ذكره.

(١٩) بعد فترة وجيزة من حرب ١٩٨٢، استقر الوضع في الجنوب اللبناني، وفتحت اسرائيل بوابات العبور بين البلدين، وبدأ فلسطينيو ١٩٤٨ وخصوصاً ابناء الجليل بزيارة اقاربهم في مخييمات عين الحلوة والرشيدية والبرج الشمالي والبيص والمعشوق وابو الاسود. وعبر الاختناق، تبين ان هناك امكانية واسعة لنقل اسلحة وذخائر وأفراد من لبنان الى اسرائيل. ونجمت الجبهة الديمقراطية في ادخال كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر عبر بطاقات لبنانية مزورة وسيارات جهزت خصيصاً وبواسط اقارب اعضاء في التنظيم من ابناء المخييمات. في حينه تسرع المكتب السياسي للجبهة وقرر تنفيذ عملية قتالية نوعية، وتم التنفيذ عملية في احد شوارع القدس الغربية. وكان ثمنها كبيراً، حيث اكتشفت اسرائيل بعض طريق ادخال السلاح والأفراد واتخذت اجراءات صارمة حدث من مواصلة نقل السلاح.

(٢٠) اتفاق عمان: راجع نص الاتفاق، **وثائق فلسطين** (دائرة الثقافة، م.ت.ف..، ١٩٨٧)

(٢١) بعد تدمير المخيم تدميراً كاملاً، خرج من بين الركام اعداد محدودة من المقاولين والكادر، في حينه، تم تصفيية بعضهم وخصوصاً المتممدين لفتح. واعتقل صالح زيدان عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية. وتدخل السوفيت ببناء على طلب قيادة الجبهة وحصلوا على ضمانته بالبقاء على حياته واعتبر ذلك انجازاً كبيراً. وبالرغم من المراجعات المتكررة من قبل قيادة الجبهة وعدد كبير من القوى والشخصيات الوطنية اللبنانية والعربية امضى زيدان فترة في السجن، اطلق سراحه لاحقاً ولكن بعد ابتزاز كبير لقيادة الجبهة.

(٢٢) تشكل الوفد المشترك من محمد ملحم والمطران ايليا خوري عضواً للجنة التنفيذية، ومن الجانب الاردني طاهر المصري وبعد الوهاب المجالي. ولم يحصل اللقاء، بسبب رفض ملحم توقيع بيان يتضمن الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ضمن حدود امنة و معترف بها، حسب الرواية البريطانية. اما الرواية الفلسطينية فحملت بريطانيا مسؤولية الفشل بسبب ادخالها تعديلات في اللحظة الاخيرة غير متفق عليها.

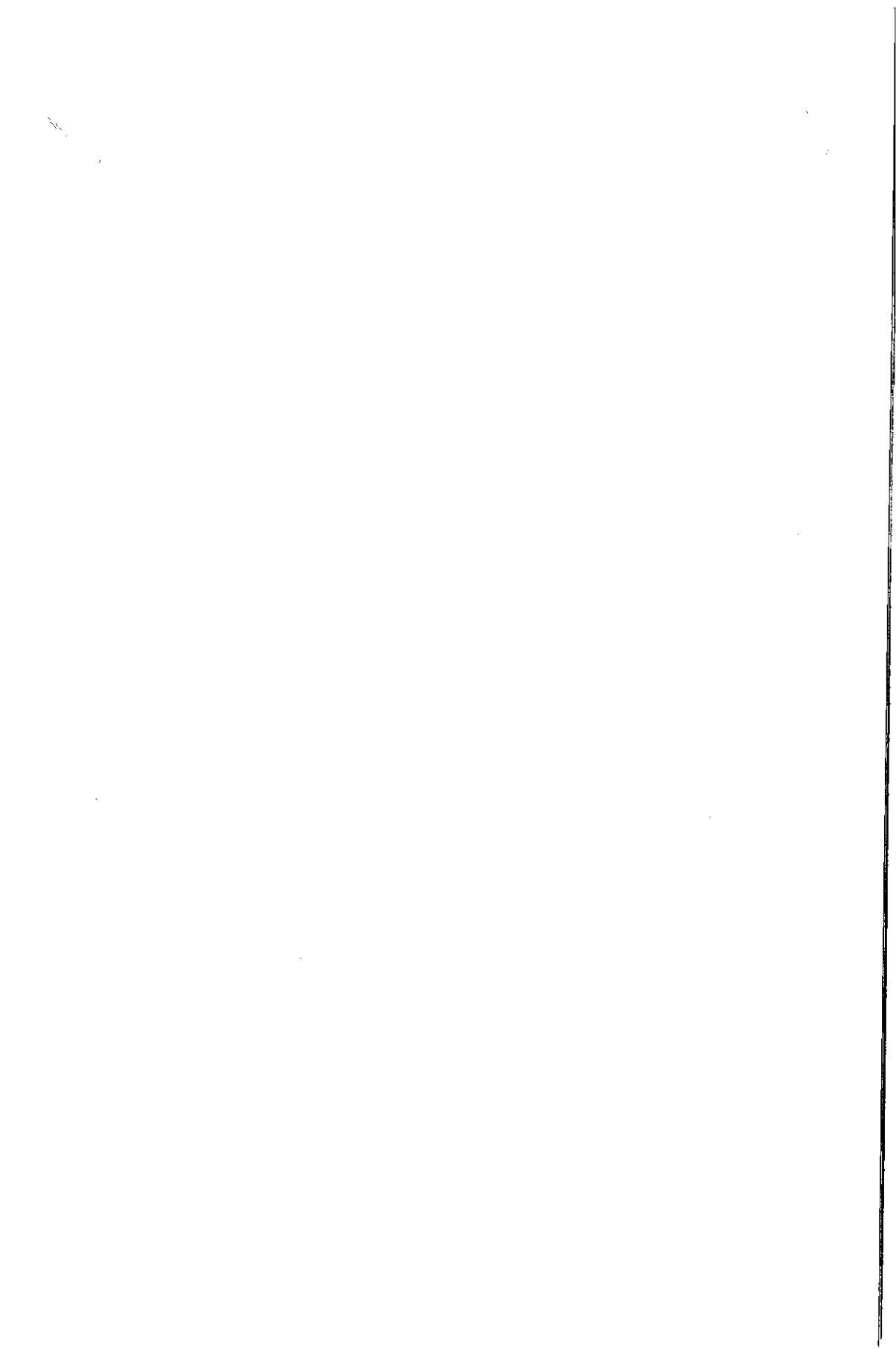
(٢٣) راجع نص اعلان القاهرة ملحق رقم (٢).

(٢٤) منذ بدء حرب اهل على المخييمات، انتظمت علاقة تنسيق متواصلة مع قيادة الحزب التقدمي. وادرك وليد جنبلاط ان تدمير الوجود الفلسطيني في المناطق الوطنية اللبنانية، وخصوصاً وجود م.ت.ف..، يدخل بالتوزن الداخلي اللبناني لصالح حركة امل، وكان شديد الحرص على اضعاف حركة امل، وبالتحديد الايدي، عدم تمكينها من الانتصار على الفلسطينيين. وكان يقول: الفلسطينيون خط الدفاع الاول عن الوطنيين اللبنانيين، ومناطق الدروز. وسمى هشام ناصر الدين، وابو اياد، وابوالشهيد، كضباط ارتبط بين الطرفين.

(٢٥) عقد اعضاء في قيادة الجبهة في لبنان عدة لقاءات مع السفير السوفيتي فاسيلي كالاتوشـا الذي عين سفيراً بعد حرب ١٩٨٢، وكان اللقاء الاول قد تم في منزل وليد جنبلاط بناء على طلبه. وكان قد خدم في اليمن وسوريا ولبنان كمستشار في سفارات الاتحاد السوفيتي لسنوات طويلة. وخلال خدمته في لبنان

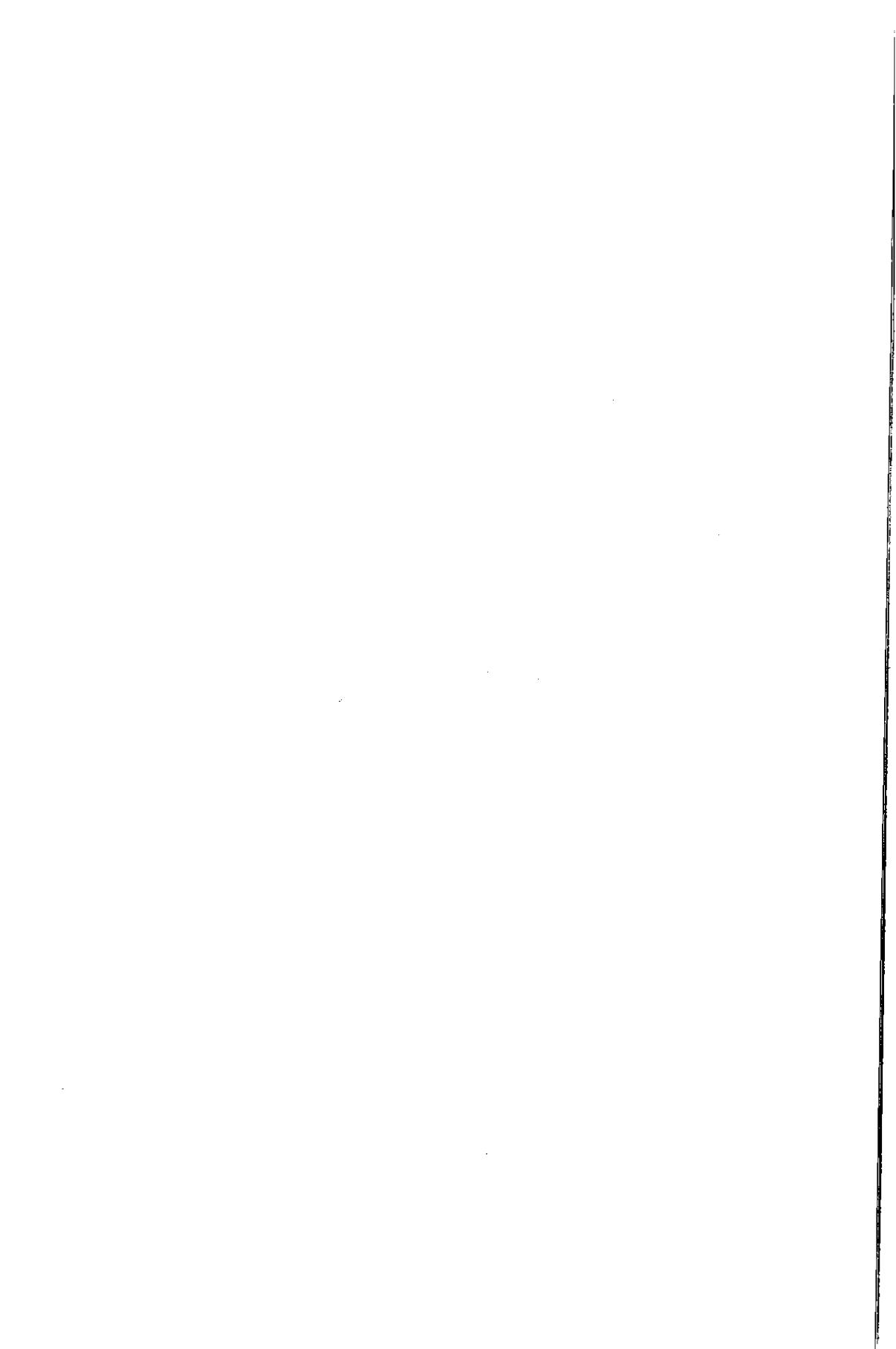
نشأت علاقات سياسية واجتماعية بينه وبين عدد واسع من قيادة الجبهة وكوادرها، ولعب منتصف السبعينيات دوراً رئيسياً في بدء علاقة مباشرة بين الحزب الشيوعي السوفياتي والحكومة السوفيتية وبين الجبهة الديمقراطية. وفي أكثر من لقاء، المع كالتروشا إلى أن الشعب الفلسطيني يدفع ثمن سياسة قيادته وتوجهاتها نحو مصر والأمريكان وإن وقف الحرب على المخيمات رهن بتعديل هذه السياسة. وكان يتساءل هو وعناصر الاستخبارات في السفارة عن الهدف الفلسطيني من استعادة الوجود العسكري الفلسطيني القوي في لبنان.

(٢٦) راجع محضر لقاء بولياكوف - مورفي، ملحق رقم (٤)



الفصل الثالث

الانتفاضة تجدد حلم الفلسطينيين بالدولة



الانتفاضة تجدد حلم الفلسطينيين بالدولة

الانتفاضة فاجأت الجميع دون استثناء

بعد أشهر قليلة من انعقاد الدورة التوحيدية الثامنة عشرة للمجلس الوطني في نيسان ١٩٨٧، في الجزائر، انفجر غضب الفلسطينيين، في ١٢/٩/١٩٨٧، في الضفة الغربية وقطاع غزة في وجه قوات الاحتلال، وتجرأ احتاطهم من العرب والعالم في انتفاضة شعبية عارمة، شارك فيها الناس بمختلف فئاتهم الاجتماعية ومستوياتهم العمرية وانتماءاتهم السياسية والفكرية والدينية. وقد جمعتهم على الاحتلال عشرين عاماً وكرهوه وتخرّج حقدهم مع فقرهم وتفاعل معه.. فانفجر. املوا في التحرير من الخارج وانتظروه عشرين عاماً، بعدها، فقدوا ثقفهم بالخلاص من الاحتلال على يد الغير، وعبر الكفاح المسلح الفلسطيني من الخارج.

ومع انفصال قمة الزعماء العرب التي عقدت في عمان في تشرين أول / أكتوبر ١٩٨٧، طفح كيل يأسهم من طول الانتظار، فثاروا، وفاجأوا جميع القرى الدولية والإقليمية دون استثناء، ومن ضمنها قيادتهم ممثلة بمنظمة التحرير. وبدأ وكانهم أصمروا قراراً جماعياً "سريًا"، خلاصته عدم الاتكال على الآخرين بمن فيهم إخوانهم الفدائيون، وقررروا أخذ زمام تحرير أنفسهم بأنفسهم وعدم الانتظار. لم يطلبوا إذن أحد حتى يتحركوا ضد من أهان وطنيتهم، ونهب أرضهم واستنزف قدراتهم وأمتص عرقهم ودمهم ونزع عنهم صفتهم الإنسانية.

بدأت الانتفاضة الشعبية، في قطاع غزة، بحادث مدني وقع يوم ١٢/٧/١٩٨٧ حين اصطدمت سيارة باص فلسطينية كانت تقل عمالاً، بعضهم ينتمي لتنظيم حركة الجهاد

الإسلامي، بسيارة عسكرية إسرائيلية.^(١) كان يمكن للحادث أن يمر كسواء من الحوادث العادية لو لم يطلق جنود الاحتلال رصاص رشاشاتهم على الباص. ويفتلو أربعة من ركابه. تلا الحادث، كالعادة، إعلان للإضراب العام في قطاع غزة، استنكاراً للجريمة. وتطور الاستنكار الشعبي بسرعة لم يتوقعها أحد إلى مصادمات عفوية قوية في كل مخيمات غزة. ولم يتردد جيش الاحتلال في الإعتداء على مواكب جنائز التشيع واعتقال أعداد من المشيعين. فتأججت المصادمات واشتعلت شرارة الحقد الفلسطيني أكثر، وأمتدت من مخيمات البووء والقراء في قطاع غزة إلى مخيمات ومدن وقرى وسهول وجبال وديان الضفة الغربية المحتلة منذ عشرين عام.

قبل الانتفاضة كانت المناهضة الشعبية الفلسطينية للاحتلال تمر في هبات ساخنة وأخرى باردة، تخبئ لفترة ثم تصاعد بشدة أكبر، وكان الاحتلال يتعامل معها بأساليب القمع التقليدية. وخلال فترة الأزمة الداخلية التي مرت بها منظمة التحرير، بعد الخروج من بيروت، والانشقاق الذي عاشته فتح فترة ١٩٨٢-١٩٨٦، تراجعت حركة مقاومة الاحتلال بشكل لفت أنظار الجميع. وصارت المواجهات المحدودة لحوادث اطلاق النار والاعتقال وهدم البيوت ومصادرة الأراضي والتلوّس في الاستيطان بمثابة حوادث شبه عادية في العلاقة اليومية بين الفلسطينيين وسلطات الاحتلال.

ومنذ مطلع العام ١٩٨٧، تصاعدت الحركة الشعبية في الضفة والقطاع، واتسع نطاق القوى المشاركة فيها، بدءاً من مطلع شهر آذار/مارس حين أعلن أكثر من أربعة آلاف معتقل فلسطيني في سجون الاحتلال اضرابهم الشهير عن الطعام. وكان شهر تشرين الأول/أكتوبر وشهر تشرين الثاني/نوفمبر، على وجه الخصوص، حافلين بالمصادمات والمواجهات الشعبية التي دارت في كل أنحاء قطاع غزة، وتخللها ظهور اسلحة متفرقة في بعض المخيمات.

بعد مقتل الشبان الأربع، كان قرار أهل الضفة والقطاع مختلفاً هذه المرة. نزلوا جميعاً، دفعة واحدة، إلى أرقة المخيمات والقرى والمدن، وهتفوا رجالاً ونساءً وشيوخاً واطفالاً وشباباً: لا للاحتلال. كسروا حاجز خوفهم دفعة واحدة وقدفوا دوريات الاحتلال الراجلة والمحمولة ومركباته الثابتة بما توفر لهم من أدوات، وكان أقربها إليهم واسهلها عليهم هو الحجر. وخلال أيام قليلة، نظم الناس أنفسهم بأنفسهم وشرعوا في هدم أسس وإطار العلاقة التي بنوها الاحتلال معهم. قرروا مقاومته ومقاطعة مؤسساته، وكأنهم كانوا على انفاس مسبق على اعتبار حادثة قتل الشبان الأربع بمثابة ساعة الصفر لتدمير الخوف الذي زرعه في أنفسهم، والإنتقال عنه وإعادة بناء الخط الأخضر الذي كان يفصل بين أرضهم الواقعه شرقه وأرضهم غربه التي صار اسمها إسرائيل. لم يتوجهوا للفصائل والتنظيمات والأحزاب الفلسطينية، المعروفة لهم، ولم يلتقطوا لأطرها النقابية

ومنظماتها الجماهيرية المغلقة على أصحابها. دققوا بقدراتهم الذاتية الحقيقية، وقسموا العمل بينهم في كل قرية ومخيم ومدينة، بصورة ديمقراطية، وحسب حاجاتهم الفعلية. ولم يبنوا لجنة عمل أو هيئة وهمية لا ضرورة لها. ولم يكلف أحد بما يفوق طاقته، ولم يقصر أحد في تحمل المسئولية الملقاة على عاته.

ومع توacial تدفق الجماهير للشوارع وتصديها لقوات الاحتلال، أدركـت قواعد مختلف الفصائل والتنظيمات الوطنية الأساسية المنضوية تحت رأـية منظمة التحرير، وقوى التيار الإسلامي من خارجها، ممثـلة بالأخوان المسلمين والجهاد الإسلامي، أن ما يجري في الشوارع يختلف عن التوجهات القيادية التي عملـوا بموجـتها سـنـين طـوـيـلة. وسـار هـؤـلـاء مع التـيـار الشـعـبـي وـلـمـ يـنتـظـروا تـحلـيلـات قـيـادـاتـهـمـ فـيـ الـخـارـجـ وـتـعـلـيمـاتـهـاـ. وـفـيـ ١٤ـ كانـونـ الثانيـ /ـ يـانـيـرـ ١٩٨٩ـ اـصـدـرـتـ قـيـادـةـ الـاخـوانـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ قـطـاعـ غـزـةـ بـيـانـ دـعـتـ فـيـهـ الشـعـبـ الـفـلـسـطـيـنـيـ إـلـىـ الـوقـوفـ فـيـ وـجـهـ الـاحـتـالـلـ،ـ وـاعـتـبـرـ الـبـيـانـ أـهـمـ خـطـوـةـ اـتـخـذـتـهـاـ جـمـاعـةـ الـاخـوانـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ عـلـىـ طـرـيقـ اـكـتسـابـ الشـرـعـيـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـنـضـالـيـةـ فـيـ السـاحـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ.ـ كـمـ اـعـتـبـرـ بـيـانـ التـأـسـيـسيـ لـحـرـكـةـ الـمـقاـوـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ "ـ حـمـاسـ"ـ (٢)ـ وـأـعـلـنـ،ـ لـاحـقاـ،ـ عـنـ تـشـكـيلـ "ـ قـوـاتـ عـزـ الدـيـنـ القـسـامـ"ـ كـجـنـاحـ عـسـكـريـ صـدـاميـ الـحـرـكـةـ.ـ وـلـمـ تـأـخـرـ قـيـادـةـ الـحـرـكـةـ،ـ الـجـدـيـدـةـ -ـ الـقـدـيـمـةـ،ـ فـيـ تـشـكـيلـ فـرعـهاـ فـيـ الضـفـةـ الـغـرـيـبـةـ.ـ وـانـخـرـطـتـ بـشـقـيـقـهـاـ فـيـ مـوـاجـهـاتـ الـشـوـارـعـ ضـدـ الـاحـتـالـلـ،ـ وـشـارـكـتـ،ـ لـاحـقاـ،ـ مـنـ خـلـالـ جـنـاحـهاـ الـعـسـكـريـ،ـ "ـ كـتـائبـ عـزـ الدـيـنـ القـسـامـ"ـ،ـ فـيـ التـحـقـيقـ مـعـ الـعـمـلـاءـ وـأـعـلـنـتـ مـسـؤـوليـتـهـاـ عـنـ تـصـفـيـةـ اـعـدـادـ مـنـهـمـ.

إـلـىـ ذـلـكـ،ـ التـقـىـ فـيـ الضـفـةـ الـغـرـيـبـةـ،ـ مـمـثـلـوـنـ عـنـ فـتـحـ وـالـجـبـهـيـنـ الـشـعـبـيـةـ وـالـدـيمـقـراـطـيـةـ وـالـحـزـبـ الـشـيـوعـيـ الـفـلـسـطـيـنـيـ،ـ كـمـ كـانـواـ يـلتـقـونـ عـادـةـ فـيـ الـمـنـاسـبـاتـ الـو~طنـيـةـ.ـ تـدـارـسـوـاـ الـأـمـرـ،ـ وـتـنـكـدـرـوـاـ أـنـ عـلـيـهـمـ اـتـخـاذـ قـرـاراتـ مـحـدـدـةـ قـبـلـ أـنـ يـتـفـرـقـواـ.ـ وـقـرـرـوـاـ،ـ دـوـنـ الـعـودـةـ لـقـيـادـاتـهـمـ فـيـ الـخـارـجـ،ـ أـنـ بـيـنـواـ إـطـارـاـ قـيـادـيـاـ يـوجـهـ الـحـرـكـةـ الـشـعـبـيـةـ،ـ وـتـصـدرـ الـبـيـانـاتـ بـاسـمـهـ.ـ فـيـ الـبـداـيـةـ،ـ اـخـتـلـفـواـ عـلـىـ إـسـمـ هـذـاـ إـطـارـ وـوـظـيـفـتـهـ،ـ وـأـصـدـرـ كـلـ مـنـهـمـ بـيـانـهـ وـتـصـرـيـحـ بـالـإـسـمـ وـبـالـمـضـمـونـ الـذـيـ حـدـدـهـ لـنـفـسـهـ.ـ وـلـمـ يـتـأـخـرـواـ كـثـيرـاـ،ـ وـخـلـالـ أـقـلـ مـنـ أـسـبـوعـيـنـ،ـ وـقـبـلـ نـهـاـيـةـ عـامـ ١٩٨٧ـ،ـ عـادـوـاـ وـلـتـقـوـاـ عـلـىـ تـشـكـيلـ إـطـارـ مـوـحدـ،ـ سـمـوـهـ "ـ الـقـيـادـةـ الـو~طنـيـةـ الـمـو~حدـةـ لـلـاـنـقـاضـةـ"ـ،ـ وـأـنـ تـصـدرـ الـبـيـانـاتـ بـصـيـغـةـ مـو~حدـةـ وـبـاسـمـهـ فـقـطـ،ـ وـتـحـتـ شـعـارـ رـئـيـسيـ "ـ لـاـ صـوتـ يـعـلـوـ صـوتـ الـاـنـقـاضـةـ"ـ.ـ وـفـيـ أـوـاـئـلـ كـانـونـ ثـانـيـ /ـ يـانـيـرـ عـامـ ١٩٨٨ـ،ـ قـفـزـوـاـ عـنـ الـبـيـانـ رـقـمـ وـاـحـدـ،ـ لـيـتـجـنـبـوـ إـشـكـالـاـ فـنـوـيـاـ حـولـ مـنـ أـسـسـ الـإـطـارـ الـجـدـيدـ،ـ وـكـانـتـ قـيـادـةـ حـرـكـةـ فـتـحـ فـيـ الدـاخـلـ أـصـدـرـتـ بـيـانـاـ بـاسـمـ "ـ الـقـوـىـ وـالـمـؤـسـسـاتـ الـو~طنـيـةـ"ـ.ـ وـأـصـدـرـ الـمـجـتمـعـوـنـ أـوـلـيـ بـيـانـاتـ "ـ الـقـيـادـةـ الـو~طنـيـةـ الـمـو~حدـةـ"ـ،ـ وـدـعـاـ الـبـيـانـ الـأـوـلـ النـاسـ فـيـ كـلـ مـكـانـ،ـ لـتـنظـيمـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ إـطـارـ لـجـانـ شـعـبـيـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ فـضـفـاضـةـ.ـ وـرـفـضـتـ قـيـادـةـ

"حماس" الانخراط في هذا الاطار القيادي الوطني الجامع، وطرحت تنسيق العمل في الميدان، وبدأت بإصدار بيانات مستقلة، وراحت تقوم بنشاطات مستقلة، ودعت الناس للإضراب في أيام مختلفة عن التي كانت تحددها "القيادة الوطنية الموحدة".

تلقف جميع أبناء الضفة وقطاع غزة ذاك البيان، وما تلاه من بيانات باسم "قاوم"، وقرروا التجاوب مع نداءاتها، ولم يسألوا عن شخصيتها ولأي جهة يتبعون. وشرعوا في تنفيذ ما ورد فيها، وعجلوا بناء لجانهم الشعبية المتفرعة. بعضها تخصن في مهام الدفاع عن الأحياء في المدن والقرى والمخيمات، وأخرى كرست مهمتها لجمع التموين وإعادة توزيعه على المحتجزين، والاطمئنان على أن لا يبيت أحد جائعاً، إذا أمكن. وشكلوا لجانهم الضاربة لمقارعة قوات الاحتلال ومحاجمته في مراكزه، وبنوا لجان الإسعاف والإنقاذ لمعالجة الجرحى ونقل المصابين. ولم ينسوا بناء لجانهم الإعلامية والدعائية لفضح ممارسات الاحتلال، وتزويده من يريد، من رجال الصحافة والاعلام، أن يتزود بأخر أخبار الانتفاضة، وانشأوا لجاناً أخرى لجمع المعلومات ومعالجة سلوك عناصر الطابور الخامس وأوضاع العمال، الذين تورطوا وأرغموا، بصيغة أو بأخرى، على تقديم خدماتهم لأجهزة الاحتلال مقابل مكافآت تافهة.

لأيام وأسابيع ليست قليلة، لم يدر في خلد قيادة منظمة التحرير، وقيادات الفصائل الفلسطينية في الخارج، مؤسسات وأفراداً، أن ما يجري على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة يمكن أن يتواصل أسابيع وشهوراً وسنوات، رغم أن بعض المتفقين قرأوا حوادث ومصادمات النصف الثاني من عام ١٩٨٧ قراءة صحيحة، وتنبأوا بالانتفاضة وتخيل بعضهم أدواتها وأشكال تحركاتها. في البداية، كانت أمنيات الفصائل في الخارج استمرار المواجهات بضعة أسابيع. وبعضهم تمنى أن تستمر حتى تمر احتفالات تنظيمه بمناسبة ذكرى تأسيسه. وكان هناك من طالب برفع سقف الموقف الوطني الفلسطيني، و إعادة النظر بالأهداف الوطنية المرحلية. ولاحقاً، طالب بعضهم قيادة الجبهة الشعبية بتوجيهه نداء للفلسطينيين في إسرائيل للانضمام إلى انتفاضة إخوانهم في الضفة والقطاع، ولحسن الحظ، لم يستجب أحد في الداخل والخارج لطلباتهم، وواصل الجميع، وكل من موقعه، أشكال النضال التي حددوها لأنفسهم.

قيادة فتح في الخارج، تمنت استمرار الانتفاضة حتى ١٩٨٨/١/١، ذكرى إنطلاقة الثورة الفلسطينية، وأوعزت لكوارتها بالعمل على إدامة الصدام مع الاحتلال حتى ما بعد ذلك التاريخ، وتحويل الذكرى إلى مناسبة "الزلزلة الأرض تحت أقدام الاحتلال". وقيادة الجبهة الديمقراطية تمنت استمرارها حتى ٢٢ شباط/فبراير ذكرى استقلالها عن حركة القوميين العرب، وانفصلت عنها عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. أما قيادة الجبهة الشعبية، فشاءت الصدف أن تحتفل بذلك ذكرى تأسيسها يوم ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٨٧ والانتفاضة في عنوانها.

في البداية، ساهمت مواقف قيادة م.ت.ف. والفصائل، دون قصد، في خلق انطباع شعبي في الخارج، ان ما يجري في الضفة والقطاع لا يختلف عما جرى سابقاً. لكن حرصها على ابراز دورها في المناسبات، وضمنها احتفالاتها بذكرى تأسيسها، ساهم في إعطاء رحماً إضافياً قوياً لحركة الانتفاضة، ولعب دوراً عملياً مباشراً في توسيع حركتها التصاميمية مع الاحتلال وتطويرها. حيث اندفع كوادر الفصائل وأعضاؤها للتحرك، بكل حيوية ونشاط، لإبراز اسم التنظيم الذي ينتمون إليه ودوره، ومحاولة إثبات وجوده الفاعل في مسيرة الانتفاضة. ورفعت كل القوى الوطنية والإسلامية، الفاعلة في الداخل، من وتيرة عملها مع الناس في المخيمات والقرى والمدن، وبنلت جهوداً إضافية لإدامة المصائد مع جيش الاحتلال. جهود بعضهم كانت استجابة لتجهيزات قياداتهم، لكن آخرين وجدوا في المناسبة الخاصة بالتنظيم، فرصة لتفعيل الحركة الشعبية العامة، ولم يتلفتوا كثيراً للمكاسب التنظيمية الضيقة. أما قادة الحركة الإسلامية ممثلة بحركة الإخوان المسلمين ومنظمة الجهاد الإسلامي، فقد وجدوا فرصتهم للإنخراط في حركة النضال الفلسطيني الميداني، والماهير، ضد الاحتلال، بعد أن ظلوا سنتين طويلة يكتفون بالدعوة للعقيدة الإسلامية، وكانت دعوتهم تجري في إطار النضال الإسلامي ضد الاحتلال، وكان الكفاح المسلح بكل أشكاله غير مجد في نظرهم.^(٢)

في الأيام الأولى "للهمبة"، اجتمعت قيادة م.ت.ف. المقيدة في تونس، واستنفرت منظماتها وأجهزتها المتخصصة، وخصوصاً "لجان الأرض المحتلة" التابعة للتنظيمات. وقررت تغطية نفقات عمل الفصائل من الخارج نحو انتفاضة الداخل. ووجدت معظم الفصائل، وضمنها الجبهة الديمقراطية، مدخلاً وطنياً لتغطية نفقاتها المرتبطة على مشاركتها في فعاليات الانتفاضة، والإبقاء على إحتياطها المالي كما هو، وزيادته إن أمكن. وشكلت لجنة الفلسطينية لجنة عليا لقيادة الانتفاضة مركزها تونس، ضمت عدداً من أعضاء اللجنة التنفيذية، وعدداً آخر من قادة الفصائل مسؤولي العمل في المناطق المحتلة. وقد انبثقت عنها، لاحقاً، لجنة عمل يومي مصغرة برئاسة أبو عمار، وضمت ممثلين عن الفصائل الأساسية: أبو جهاد واكرم هنية عن حركة فتح، وصالح رافت عن الجبهة الديمقراطية، وسليمان النجاشي عن الحزب الشيوعي، وأبو نضال مسلمي عن الشعبية، وشكلت لذاتها لجنة فرعية لدعم الانتفاضة مركزها عمان، وأخرى مركزها القاهرة، على أن تبقى كلها في حالة استنفار وتجمهر يومياً وعلى مدار الساعة.

إلى ذلك، شكل كل فصيل لجنته الخاصة، بجانب اللجنة الوطنية العليا للانتفاضة. وشكلت كلها وسائلها وأدواتها الإعلامية، القوية، لمساعدة الانتفاضة، وطيرت الرسائل، كفصائل ومؤسسات منظمة تحرير، في كل تجاه، وطالبت المجتمع الدولي بإدانة ممارسات إسرائيل وتوفير الحماية للشعب الفلسطيني. وراحت تسعى جاهدة لعقد جلسة خاصة

لمجلس الأمن الدولي لإدانة إسرائيل. ونجمت، بمساعدة الأشقاء العرب والاصدقاء في العالم، بعد أقل من أسبوعين على اندلاع الانتفاضة، في استصدار قرار من مجلس الامن، بأغلبية ١٤ صوتاً، وامتناع المندوب الأمريكي عن التصويت. وشجب المجلس بشدة ما تتبّعه إسرائيل، السلطة القائمة بالاحتلال، من ممارسات تنتهك حقوق الإنسان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبخاصة قيام الجيش الإسرائيلي بإطلاق النار، مما أدى إلى قتل وجرح مدنيين فلسطينيين عزل. وأكّد المجلس على أن اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، المؤرخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩٤٩، تطبق على الأراضي الفلسطينية والأراضي العربية الأخرى، التي تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧، بما فيها القدس. وطلب المجلس إلى الأمين العام للأمم المتحدة أن يدرس الحالة في الأراضي المحتلة، وأن يقدم تقريراً يتضمن توصياته بشأن الطرق والوسائل الكفيلة بضمان حماية المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي.^(٤)

كثفت قيادات الفصائل في الخارج اتصالاتها الممكنة مع كوادرها في الداخل، لمعرفةحقيقة ما يجري وأفاقه الواقعية. وأعطت توجيهات حذرة، خلاصتها العمل على إدامة المواجهات اليومية وتعميقها، والمحافظة على سلامه الكادر، وعدم تصدير المصادرات المباشرة خشية الاعتقال. وعقدت قيادات الفصائل الفلسطينية، في البلدان الأخرى، اجتماعاتها لتدارس الوضع وتقدير الموقف. وأعلنت الاستنفار في صفوفها، وكان استنفار بعضها إعلامياً ليس أكثر. وخلال تلك الفترة، لم تستطع قيادة الجبهة الديمقراطية الالتمام ببحث ما يجري داخل الأراضي المحتلة، واكتفت بالمداولات عبر الهاتف والفاكس، إذ فاجأتها الانتفاضة وهي مبعثرة في أكثر من عاصمة عربية وأجنبية، بسبب قرار القيادة السورية منعها من العودة إلى دمشق بعد مشاركتها في دورة المجلس الوطني التوحيدية الثامنة عشرة، التي عقدت في الجزائر في نيسان /أبريل ١٩٨٧. في حينه، ما كان لقيادة الديمقراطية أن تقنع شيئاً كثيراً نوعياً وحاصلماً للانتفاضة حتى لو كانت مجمعة واجتمعت في أي مكان. فقيادات الفصائل والتنظيمات الأخرى التي تسنى لها عقد اجتماعات، لم تستطع فعل شيء أكثر من تحريك الرأي العام في الخارج، وإصدار بيانات شجب واستنكار الجرائم الإسرائيلية ضد المُنتفِضين.

من البداية، لم يتأخر الفلسطينيون داخل إسرائيل، في الجليل والمثلث والنقب، عن دعم إخوانهم المُنتفِضين في الضفة والقطاع ومؤازتهم، مادياً وسياسياً. تحركوا بنخوة، وأدانوا بقوة ممارسات الاحتلال. وفي ١٢/١٢/١٩٨٧ أعلنوا الإضراب العام في مناطقهم، داخل إسرائيل، تضامناً مع مطالب إخوانهم في الضفة والقطاع وأهدافهم. وشكلوا لجاناً خاصة، مهمتها جمع المساعدات العينية التموينية والطبية، ونقلها للمحاصرين في القرى والمخيّمات، وتوجهوا لقوى السلام الإسرائيلي وطالبوها دعم

اهداف الانتفاضة وادانة ممارسة الاحتلال واستنكار الظلم والقهر الواقع على الناس في الضفة والقطاع.

وحرصت قيادة م.ت.ف.، في تلك الفترة، على عقد أوسع لقاءات ممكنة مع الشخصيات والقوى العربية في إسرائيل، وبتاريخ ١٧/١٩٨٨ التقى في براغ وفد فلسطيني برئاسة أبوجهاه، خليل الوزير، مع وفد من حزب راكاح، ضم كلاماً من توفيق طوبى ابوالياس، سميح القاسم، عوزي برنشتاين، وعلى عاشور، ممثل الحزب في براغ. ناقش الطرفان أوضاع الانتفاضة، وعرض اعضاء وفد راكاح رؤيته للموقف، وأشار ابو الياس الى ان اللقاء يتم في ظروف تاريخية، والأحداث الجارية على أرض الوطن تقرب ميلاد الدولة الفلسطينية. وقال: "في الأيام الأولى أكد القادة الإسرائيليون بأنها أعمال شغب وستنتهي سريعاً، والآن تدخل الانتفاضة أسبوعها السادس، ربّين يقول الآن أخطئنا الحساب والوضع أصعب بكثير مما كانا نتصور". وأكد اعضاء الوفد على ان الانتفاضة فاجأت الأوساط الإسرائيلية وهي انتفاضة جيل بأكمله، وجمahir المدن والقرى والمخيימות ابتدعت أساليبها النضالية. وأشاروا الى بروز مشاركة الجيل الشاب والنساء في هذه الانتفاضة. وأكدوا ان قرارات الدورة التوحيدية التي عقدها المجلس الوطني في الجزائر، أعطت طاقة للحركة الجماهيرية الفلسطينية، وإن الانتفاضة أسقطت كل حل غير الحل الوطني الفلسطيني، وأسقطت النظرة القائلة بأن الاستيطان المكثف سيجعل الاحتلال قائماً إلى الأبد. واعتبروا المبادرة الفلسطينية التي طرحتها المجلس الوطني الفلسطيني جيدة. وقال توفيق طوبى: "يخطئ من يعتقد أن الانتفاضة تدفع إلى فرض حلول أكثر تشدداً". وتساءل عن صحة ما قاله شمعون بيريز أن م.ت.ف. مستعدة لمفاوضات مباشرة مع إسرائيل بدون مؤتمر دولي، ورأى ان الانتفاضة ستدفع إسرائيل للبحث عن منفذ جديدة حيث أظهرت للجميع انعدام دور الشخصيات الوطنية التقليدية الموالية للأردن. وأكد أن العديد من المؤسسات والهيئات القائمة، ليست إلا يافطات لا أكثر ولا أقل، ومن الضروري إعادة بحث وضعها وإعادة تشكيلها على أساس ديمقراطي. وقال ابو الياس: "بيّنت الانتفاضة أهمية النضال الجماهيري، وثبت أن هذا النضال أكثر نجاعة من الأعمال الفردية، وهذا لا يعني التخلّي فوراً عن الكفاح المسلح. ولكن يجب الاعتماد أكثر فأكثر على النضال الجماهيري". وأكد على ضرورة الاعداد الجيد للعصيان الجماهيري وذكر انه يعني قطع العلاقة مع الاحتلال ادارياً واقتصادياً. وأشار الى إعلان مقاطعة السجانير، واعتبره تنفيساً للانتفاضة وليس أكثر. وقال: "نأمل أن يكون هذا مجرد مبادرة فردية ودون توجيهه مصادر أخرى". وقدم عرضاً للنشاطات التي قامت بها الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة في اسرائيل، دعماً للانتفاضة، ودعا إلى تنظيم لقاءات فلسطينية - إسرائيلية من مختلف الأوساط الإجتماعية. وقال "نحن نقوم

بنشاطنا ضد الاحتلال كأبناء أو فياء لشعبنا وكمواطنين في إسرائيل". واستعرض ما قام به راكان وتطرق إلى دعوته لإضراب جماهيري منضبط بدون عنف، وأشار إلى نجاح الإضراب حيث شارك فيه قرابة ٢٥٠ ألف عامل، وساهم في توسيع القاعدة الشعبية للإنتفاضة، وأخاف حكام إسرائيل. وأكد أبو الياس، أن الموقف السياسي الموحد للجماهير العربية يخفف القيادة الإسرائيلية. وشدد على أن الجماهير العربية في إسرائيل لها قيادتها الممثلة لها، ولها هيئاتها التمثيلية المختلفة، وهي التي تقرر أساليب وطرق نضالها. وطالب باحترام واقع عرب إسرائيل وعدم التدخل في شؤون الجماهير العربية وعملها. وقال: "نأمل أن لا تتكرر بعض المواقف التي لم تتجانس مع هذا الموقف هناك من يريد إزالة الخط الأخضر مع ما في ذلك من الانتحار" وختم حديثه بالقول: "نطلب مساعدتكم وتفهمكم للطريق الذي سرنا عليه منذ أربعين سنة".

اما أبو جهاد فقد طرح الموقف الفلسطيني وأكد على ان الانتفاضة ليست معزولة عن بقية التراكم النضالي الذي عاشه شعب فلسطين على مدى سنوات طويلة، وان الانتفاضة متتابعة، تقف أسبوعاً لتتفجر شهراً أو شهرين، وأن عدم نجاح وزير الخارجية الامريكي شولتس في ترتيب لقاء مع شخصيات الداخل يؤكّد وحدة الموقف الشعبي الرافض للاحتلال. وابدى أبو جهاد اعتزاز القيادة الفلسطينية بمشاركة كافة المستويات الشعبية في الانتفاضة، واعتبرها الأوسع من كل الانتفاضات السابقة، حيث تشارك فيها كل التيارات والقوى، الوطنية والديمقراطية والإسلامية. وأشار بالوحدة والتلاحم بين أبناء شعبنا في مناطق ١٩٤٨ والاراضي المحتلة عام ١٩٦٧. وفي سياق الدفاع عن علاقة الانتفاضة بقيادة المنظمة، قال أبو جهاد: "هناك تشوه للانتفاضة، من جانب الإعلام الغربي والإسرائيلي، حين يقول أنها نابعة من الاتجاهات الدينية. الانتفاضة جسدت وحدة القوى الوطنية التي التزمت ببرنامج الوحدة في الجزائر. هناك محاولة للفصل بين الداخل والخارج، عندما يقولون أن المنظمة ركبت الموجة". وتحدث بإسهاب عن الموقف العربي وأشار بأسف إلى حديث بعض القادة العرب حول هذا الموضوع، وأكد وعي القيادة والشعب الفلسطيني بتباعد هذا الحديث واهدافه. وأكد ان قيادة م.ت.ف. لم تكن بعيدة منذ اللحظات الأولى عن التحركات الشعبية، وكان التفاعل بين الداخل والخارج جيداً، وإن الإطارات التي تشكلت "القيادة الوطنية الموحدة واللجان الشعبية"... الخ التي تصدر البيانات باسمها، وتلك التي ستتصدر لاحقاً باسم "لجان العمل الوطني"، كانت نتيجة تشاور تفصيلي بين قيادة الداخل والقيادة المركزية في الخارج. وقال: "ومع تواصل الانتفاضة تتوقع انفجارات متعددة في قلب عواصم عربية، ونحن واثقون بأن هناك أجواء ملائمة لتحرك شعبي قادم". وأشار إلى ان الانتفاضة لم تخرج القيادة الفلسطينية عن السقف السياسي الذي حدّته، ولم توقف جهودها من أجل عقد المؤتمر

الدولي، وإن الانتفاضة لم تبعد منظمة التحرير عن البرنامج السياسي المرحل، وإن الأهداف السياسية التي طرحتها الانتفاضة كانت محل تشاور بين الداخل والخارج، وإن القضايا المطلبية التي وضعها الاخوة قادة الانتفاضة لا تبعدها السقف السياسي لبرنامج العمل الذي أقرته المؤسسات الوطنية. وقال: "نعمل في منظمة التحرير، ليل نهار، كل شيء ممكن لدعم الانتفاضة". وأكد ان القيادة الفلسطينية طوت موضوع تشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة في المنفى. وطلب من وقد راكح مواصلة جهودهم الاخوية الهامة والخيرية وتقديم الممكن من الدعم المادي والاسناد المعنوي والسياسي للانتفاضة، واتفق الطرفان على التواصل.

مراكز الدراسات الاسرائيلية والأمريكية والعربية تراجع أبحاثها

في تلك الفترة، قصر الفكر السياسي والأمني العسكري الإسرائيلي عن التنبؤ بوقوع الانتفاضة، ففوجئ بها وذهل من شدتها، مثله مثل أقوى أجهزة الاستخبارات العالمية، الأمريكية والسوفيتية والأوروبية والعربية. فأجهزة الاستخبارات لا يمكنها معرفة ما يدور في العقول، ويختمر في النفوس، حتى لو استخدمت التكنولوجيا المتقدمة، وأحدث أجهزة التجسس وأدقها. إلى ذلك، بقيت القيادة الأمنية العسكرية الإسرائيلية غارقة في غطرستها، إزاء حقوق الفلسطينيين ومطالب الانتفاضة. وأعمماها جمودها الفكري، وعنصريتها، وغطريتها العسكرية عن فهم الانتفاضة لحظة انفجارها. ولم تستطع رؤية الظواهر الجديدة في الحركة الشعبية الفلسطينية كما هي، ولم تستطع قراءتها بصورة موضوعية مجردة عن عنجهية المحتل. وتعاملت معها باعتبارها تكراراً "لأحداث الشغب"، التي تعودت عليها سنوات طويلة، وخصوصاً خلال الأشهر الأولى من العام ١٩٨٧. وظن اركان القيادة العسكرية الإسرائيلية أن بإمكانهم السيطرة عليها بسهولة خلال أيام معدودة بالأساليب ذاتها والوسائل القديمة. هكذا كانوا مقتنعين، وهكذا كانت تقاريرهم للقيادة السياسية، وبسببها رفض رابين الأخذ بنصيحة بعض مستشاريه بقطع زيارته لواشنطن والعودة إلى تل أبيب لمعالجة الموقف. وهي التي شجعته على إطلاق تصريحات عنجهية من واشنطن، قال فيها، "بعد أيام سأعود إلى تل أبيب، وعندها ستنتهي حركة الشغب الجارية في المناطق". وأكدت معلوماتهم الاستخبارية من تحقيقاتهم الأولية مع الأفواج الأولى من المعتقلين الفلسطينيين، أن الحوادث العنفية الجارية في "المناطق" عفوية وقليلة التنظيم، وليس لها موجهة من الخارج، وأن لا دور مباشر لها لـ"رأس الأفعى" قيادة منظمة التحرير في تفجيرها أو توجيهها، وأن دور كوادر كل الفصائل والمنظمات والحركات والأحزاب والنقابات والاتحادات والمؤسسات الوطنية في الحوادث الجارية في الصفة والقطاع، لا يختلف عن دور المواطنين العاديين المستقلين، باستثناء محاولات،

متكررة من بعضهم نحو تعنيف المصادمات، وركوب موجة "الإخلال بالنظام"، وتزعم طوايير وحشود "المشاغبين" وتوجيه حركتهم وتصدر بعضها.

ورغم تواصل الانتفاضة ومحاذبتها على زخمها الكبير بقيت القيادة الإسرائيلية، لأيام وأسابيع طويلة، أسييرة قناعة شكلتها عبر علاقتها بأبناء الضفة الغربية وقطاع غزة على مدى عشرين عاما، خلاصتها أن "سكان المناطق" يكرهون الاحتلال، لكنهم تعودوا عليه وصاروا مستعدين للتعايش معه والتكيف مع قوانينه. وحاولت القيادة العسكرية الأمنية الإسرائيلية بعد عودة رابين من واشنطن إخمام نيران الحريق بالوسائل الأمنية القديمة، التي كانت تعتمد其ا وستستخدمها دوما في قمع التحركات الشعبية الفلسطينية السابقة، فزجت بمزيد من قواتها في مدن وقرى الضفة والقطاع، وأصدرت لها ولعملائها من الفلسطينيين أوامر صريحة بضرب النواة الصلبة لانتفاضة، وتكثيف عدد الإصابات في صفوف المدنيين الفلسطينيين وزيادة عدد المعتقلين. ولجأت إلى استخدام سلاح الإبعاد وفرض حظر التجول على المدن والقرى. وتفننت في إذلال الناس وتعذيبهم، على أمل إرهابهم وشل حركتهم، فلم تفلح، بالرغم من الخسائر الكبيرة والألام القاسية والشديدة التي لحقت بالمتضضين.

إلى ذلك، بدأت مشاهد الانتفاضة، ومصادمات الأطفال والشيوخ والنساء مع جنود الاحتلال، تتفاعل داخل المجتمع الإسرائيلي، وخلقت حالة من الجدل والاستقطاب داخله وفي صفوف حركته السياسية، بمختلف تلاوينها الحزبية اليمينية واليسارية. ودخلت الانتفاضة ومطالبها إلى كل بيت إسرائيلي، وفرضت على عقل الإسرائيليين التفكير بجدية في قضية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي وسبل حله. وتحولت "حركة السلام الإسرائيلية" من حركة عائمة دون مضمون محدد إلى حركة واسعة، ترفع شعارات محددة ومطالب عملية ملموسة.

في حينه، لم تخطئ معلومات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية حول دور الفصائل الفلسطينية في الداخل ودور قيادة م.ت.ف. في الخارج، في تغيير الانتفاضة وتوجيهها وقيادة نشاطاتها. فالانتفاضة لم تكن نتيجة خطة مسبقة رسّمتها القيادة الفلسطينية، ولا نتيجة قرار مسبق اتخذته. لكن هذه الأجهزة أخطأـت في تعریفها وفي تقدير دوافعها وأهدافها وقدراتها. ورفضت التعامل مع الظواهر الجديدة في الحركة الشعبية الرافضة للاحتلال والمطالبة بالحرية والاستقلال، وخصوصاً شموليتها وقوة زخمها وجراتها، كظواهر نوعية لها خصوصيتها، وتختلف عما سبقها. وتعاملت هذه الأجهزة مع الانتفاضة تماماً كما تعاملت مع مقدمات حرب تشرين الأول /أكتوبر ١٩٧٣، حين بقيت القيادة الإسرائيلية، حتى فجر يوم ٦ تشرين الأول /أكتوبر، ترفض أن تصدق أن بإمكان المصريين والسودانيين

القيام بهجوم واسع، فقد كانت مؤمنة بأن "الهجوم سيكون خاسرا حتما"، يتکبد فيه المصريون والسودانيون خسائر كبيرة اذا غامروا.

وعلى مدى أسبوع قليل صدق أركان الإدارة الأمريكية وقاده الدول الأوروبية تقديرات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، وأخذوا باستخلاصاتها، وأعطوها الفرصة لتنفيذ توجهاتها، ومعالجة الموقف بالطرق التي تراها مناسبة. وراحوا يتظرون النتائج العملية للصراع على الأرض، ويراقبون بقلق تطور الأحداث وتفاعلاتها على صعيد المنطقة ككل، وأخذوا يدققون في ما يردهم من معلومات. ولم لا، فالتقييمات الواردة في تقارير ممثلיהם السياسيين ورجال مخابراتهم في الضفة والقطاع وإسرائيل وتونس ودمشق وعمان والقاهرة، لم تكن تختلف كثيرا عن تقييمات الاستخبارات الإسرائيلية. وصمت أركان الإدارة الأمريكية على التوجهات الأمنية العسكرية الإسرائيلية في معالجة الموقف، ولم لا وهم الذين صمتو سنوات طويلة على انتهاكات إسرائيل الكبيرة والمتكرونة لقرارات الشرعية الدولية وحقوق الإنسان؟ أما الإتحاد السوفييتي وحلفاؤه في المعسكر الاشتراكي، فلم تكن معلوماتهم الأمنية تختلف نوعيا عن معلومات إسرائيل والمعسكر الغربي، لكنهم اختلفوا معهم في قراءة مدلولات الانتفاضة، وتقدير قدرتها على التواصل. وفهموا مطلقات الحركة الشعبية الفلسطينية وابعادها بصورة أدق، واحتلقو مع الأمريكيان والأوروبيين حول الموقف من ممارسات إسرائيل القمعية ضد المنتفضين، وضد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ككل،^(٥) وأدانوا ممارسات الجيش الإسرائيلي بقوة، وشددوا على ضرورة إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية بالطرق السلمية، ودعموا المطالب الفلسطينية العادلة في مؤسسات الأمم المتحدة.

اما قادة وحكومات الدول العربية فلم تكن مفاجأتهم أقل من مفاجأة الأمريكيان والأوروبيين والسوفيت. ولم لا، فأجهزتهم الحزبية والأمنية متغيرة في صفوف مؤسسات م.ت.ف. في الخارج، وليس لها وجود فاعل داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة؟ كذلك فإن تقديرات خبراء استخباراتهم في الشؤون الفلسطينية تعكس اجواء الفصائل في الخارج، وتؤكد عفوية انفجار الانتفاضة وان لا علاقة لقيادة م.ت.ف. بتغييرها، وانها ليست المحرك اليومي لانشطتها. وصدق كثير منهم اقوال اركان الحكم في اسرائيل حول امكانية تصفيتها خلال ايام او أسبوعين قليلة. ولم يصدقو ببيانات "قاوم" ، وما قالته قيادة منظمة التحرير حول علاقتها بالانتفاضة، وأنها الابن الشرعي للمنظمة حتى لو لم تكن هي من حدد ساعة الصفر لولادتها. فمصداقية القيادة الفلسطينية عندهم كانت "سکر قليل" ، ومعظمهم كان على خصم سياسي شديد معها، ولا يتمتنى لقيادتها الا المكره. صحيح، أن بعضهم اختلف مع الأمريكيان وبعض الأوروبيين، ولم يصمتوا على الممارسات الإسرائيلية الإرهابية ضد المنتفضين، لكنهم جميعا، لم يستطعوا تقدير طبيعة قرار

المنتفضين، ولم يدركوا عمق جذور حركتهم، ولم يتوقعوا أن تصمد انتفاضة المنتفضين طويلا في مواجهة كل ما لدى الجيش الإسرائيلي من خبرات وأدوات قمع، وأن يتحمل الناس، عذاب حرب الحصار والام التجويع الذي فرض عليهم.

ومع تواصلها، بينت الانتفاضة للإسرائيليين، شعبا وحكومة وأجهزة أمنية، إن ما يجري على ارض الصفة والقطاع مختلف كليا عما سبقة. وبينت للعرب والعالم خطأ التقديرات الإسرائيلية، وشككthem في معلومات إسرائيل وخصوصا قدرتها على وقف الانتفاضة خلال وقت قصير. وراحت مراكز الأبحاث والدراسات الأمريكية والأوروبية والعربية تراجع تقييماتها الأولى للانتفاضة. واستذكر بعضهم الانتفاضات السابقة للشعب الفلسطيني، وبخاصة انتفاضة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦، وأخصعوها للدراسة وراحوا يراجعون دقائق بداياتها ومسارها حتى نهاياتها. ورفعت الدول العربية من وتيرة دعمها الإعلامي والسياسي للانتفاضة، وتحرر بعضهم من عقدة خلافه مع منظمة التحرير، وتجاوز مع أطروحة قيادة المنظمة حول علاقتها بالانتفاضة، ومع توجهاتها بصدق دعمها وتوفير الحماية السياسية الدولية لها. أما بعضهم الآخر، وهم قلة، فقرروا دعم الانتفاضة والانضمام للحشد الداعم باتجاه توفير الحماية السياسية لها. لكنهم مضوا في تشكيكهم بعلاقة الانتفاضة بالمنظمة، وتبني بعضهم فكرة تقول إنها انتفاضة ضد الاحتلال، وضد تخاذل قيادة منظمة التحرير، وضد جريها وراء الحلول الاستسلامية لقضية الفلسطينية.

إلى ذلك، لم تتأخر الانتفاضة في إرسال رسالتها السياسية والاجتماعية لكل من يعنيه الأمر بالصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وطالبت بيانات قيادتهم الموحدة "قائمة الجيش الإسرائيلي"، "الابتعاد عن الأماكن الآهلة بالسكان، وإلغاء قوانين طوارئ بما فيها أوامر الطرد والإبعاد، وإلغاء ضريبة القيمة المضافة، وحل المجالس البلدية والقرورية المعينة وإجراء انتخابات ديمقراطية". وبقيت القيادة الموحدة تردد هذه القضايا المطلبية وسواها، في بياناتها اللاحقة. ويجنب هذه القضايا المطلبية قالوا بوضوح حازم: "لا للإستعمار ونعم للسلام على أساس دولتين للشعبين على أرض فلسطين التاريخية، وتطبيق قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨". ولم تنس الانتفاضة ان ترسل، سرا وعلنا، شحنات كبيرة وقوية إلى قيادة م.ت.ف. والمكاتب السياسية واللجان المركزية للفصائل في الخارج، وكل أبناء الشعب الفلسطيني المشتتين في أرجاء المعمورة، والصابرين منهم داخل إسرائيل، وطالبتهم بالدعم والإسناد المادي والمعنوي السياسي، ويتبني شعاراتها وأهدافها والعمل على توفير الحماية السياسية الدولية الممكنة، وتطوير البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير، وإخراجه من جموده ودفعه خطوات للأمام على طريق الواقعية، وتحويله إلى سياسة عملية وملمومة.

والى ذلك، وجدت قيادة م.ت.ف. نفسها في معركة حقيقة دامت بضعة أسابيع لإثبات علاقتها بالانتفاضة وعلاقة الانتفاضة بها، واضطررت إلى مواجهة الإعلام الإسرائيلي والأمريكي والأوروبي الغربي، وبعض وسائل الإعلام العربي، التي كانت تتحدث عن عقوبة الانتفاضة، وعن دور التيار الإسلامي في تفجيرها وتحريكها. وتحدث البعض عن خشية قيادة م.ت.ف. من انبعاث قيادة بديلة لها من الداخل. ويومنها لم تستوعب القيادة الإسرائيلية، وكل المشككين بعلاقة الانتفاضة بالفصائل وقياداتها، إن م.ت.ف. هي الوطن المعنوي لكل الفلسطينيين، وبأن كل إنجاز صغير أو كبير يتحققه تجمع من التجمعات الفلسطينية المنتشرة في بقاع الأرض، يرتد إيجاباً على أوضاع م.ت.ف. ومكانتها العربية والدولية والعكس صحيح.

حقاً، لقد جاءت الانتفاضة منقذًا لمنظمة التحرير وقيادتها، ومحرراً لها من ضغوط وابتزاز المحاور العربية، ومن اضطرارها إلى الانخراط في احتمالها، أو التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد العربي أو ذاك. وقد بدأت أحدها في الوقت المناسب، حين كانت المنظمة بالكاد خارجة من إنسان داخلي استمر قرابة أربع سنوات، وكان جرحها العميق من حرب المخيمات في لبنان ما زال مفتوحاً، ويتسبب يومياً بمزيد من الإنهاك لجسمها المستنزف. وكانت شرایین جسدها قد تصلبت بعد أن تبعثرت قواتها في أكثر من بلد عربي، وابتعدت عن خطوط التماس مع العدو، وتوقفت عملياتها القتالية التي كانت تحرك الدم فيها. وكانت تعاني من عزلة عربية شبه خانقة، فعلاقتها مع النظام في سوريا، وتابعها لبنان، كانت في أوج توترها، بسبب الحروب المتواصلة على المخيمات، وعلاقتها بالأردن لم تكن على ما يرام، حيث توترت منذ نيسان /أبريل ١٩٨٧ حين الغى المجلس الوطني "اتفاق عمان"، بصورة رسمية وبطريقة أزعجت القيادة الأردنية. وعلاقتها بالقيادة المصرية كانت فاترة ولم تستعد بعد كاملاً حيويتها وحرارتها القديمة. أما علاقتها بالعربية السعودية ودول الخليج الأخرى، فلم تكن أحسن حالاً. وفوق هذا وذاك، كانت المساعي الدولية تجاه البحث عن حلول سلمية للقضية الفلسطينية جامدة ولا أفق لتحركها من جديد.

في حينه، لم تأبه القيادة الفلسطينية كثيراً لادعاءات الآخرين حول ضعف علاقتها بالانتفاضة، وكان قلقها على تواصل الحركة الشعبية وتصاعدتها أكبر. وكان أبو عمار يقول في الاجتماعات: "افهم تشكيك إسرائيل وأمريكا بعلاقة الانتفاضة بمنظمة التحرير الفلسطينية، لكنني لا افهم هذا الغباء السياسي العربي، مما يجري على أرضنا وما يقوم به شعبنا، هذه الأيام، مفخرة لكل العرب. وأفهم أن يكون بعض الحكماء العرب لا يطبقون رؤية ياسر عرفات، أو السماع باسمه، لكنني لا افهم أن يحددوا على هذا الشعب المكافح، كل هذا الحقد، وأن يعادوا منظمة التحرير الفلسطينية بهذا الشكل". وكان يضيف بثقة:

"مطر أية غمامه فلسطينية خراجها لشعب فلسطين بقيادة منظمة التحرير، أولاً، ولكل العرب وال المسلمين النائمين على احتلال مقدساتهم ثانياً. وخرج مطر الانتفاضة كبيراً إذا عرفنا كيف نستثمره، المهم أن تستمر أمطارها أطول فترة ممكنة". وكثيراً ما حذر أبو عمار من تكرار تجربة ثورة ١٩٦٧ بصيغة أخرى. ورداً على دعوة تحريك الفلسطينيين في إسرائيل، كان يصر على رفض توريطهم في الذي يجري في الضفة والقطاع، وكان يحذر من تهجيرهم في حال تورطهم. وكان يرى أن تقديرهم المساعدات التموينية، ورفع درجة تضامنهم المعنوي يكفي وقد يزيد عن طاقتهم. وكان يعتقد أن إدارة الصراع بصورة حسنة يحقق الدولة المستقلة، وكان يرى بأن الخطوة الأولى تبدأ بتواجد دولي على أرض فلسطين. وفي الاجتماعات كان أبو عمار يقول: "أنا على ثقة يا إخوان بأن الله لن يضيع لكم ولشعبكم أجراً، فأنتم يا إخوان من شعب كتب عليه الرياط إلى يوم الدين". وكان يستشهد في كل مرة بالحديث النبوي الشريف حول الموضوع، وكان يضيف: "المهم أن نحضر أنفسنا للوفاء بالتزاماتنا اتجاه أهلنا". وكان يحصي عدد أيام الانتفاضة، ويقول: "اليوم يا إخوان مضى على إخواتكم كذا" يوم بدون عمل، وهذا يعني اقتراب فناء من شعوبكم في المخيمات، وخصوصاً العمال، من الجوع. نحن معنيون بإطعام مخيمات اللاجئين أولاً، وبخاصة مخيمات غزة". وكان يرى أن بإمكان أبناء الضفة الغربية تدبير أمورهم بفلاحة الأرض، أما غزة فمساحتها صغيرة وغالبية سكانها لاجئون لا يملكون شيئاً، وحتى أرض براكياتهم ليست لهم. ولتقريب الصورة لأذهان الحاضرين كان أبو عمار يأخذ مخيم بير حسن وشاتيلا في بيروت نماذج وينذكر الحاضرين بالمعارك التي شنتها حركة أمل بتشجيع ومساندة سورية ضد المخيمين. وكان يؤكد أن تدمير هذين المخيمين له علاقة بتجارة الأرضي وبالسمسرة عليها، وكان يذكر الحاضرين بأهمية موقع المخيمين، وبالأسعار الخيالية للأراضي في بيروت الغربية. وكان بعض الحاضرين يدعونه أقوال أبو عمار بمعلومات إضافية، وكان دعمهم بريئاً. وكان هناك، أيضاً، مجاملون ومنافقون يتزلجون لأبي عمار. وكان يقابلهم آخرون يعلقون بهدوء على مواقفهم، ويشكرون همساً بينهم، بأن القيادة الفلسطينية لن تستطيع اتخاذ القرارات السياسية المناسبة في الوقت المناسب، فالتاريخ الفلسطيني يؤكد أن القيادات خير من ضيع ثمار التضحيات، وإن تقبل القيادة الحالية للمرحوم الحاج أمين الحسيني المزاودة عليها يوم القيامة.

صحيح أن أبو عمار قال عام ١٩٨٢، رداً على سؤال: إلى أين أنت ذاهب بعد الخروج من بيروت؟ بأنه ذاهب إلى فلسطين. وصحيح، أن بعض أركان القيادة الفلسطينية، وخصوصاً أبو جهاد خليل الوزير، ركز في سنوات ما بعد لبنان على الوضع في المناطق المحتلة، إلا أن تركيز أبو جهاد وبعض لجان الفصائل الأخرى على الداخل، لم يرق إلى مستوى

التفكير بتجغير انتفاضة وظل محصورا في حدود دعم وتعزيز صمود أهل الضفة والقطاع في أرضهم، وبين المؤسسات المدنية والجماهيرية المساعدة على ذلك، وأيضاً بناء مزيد من خلايا العمل العسكري للتعويض عن فقدان التماس المباشر مع الاحتلال، ولتنفيذ ما يمكن تنفيذه من عمليات عسكرية. فكل قيادات الفصائل الفلسطينية بقيت بعد بيروت، بصورة وأخرى، أسيرة لمفاهيم القديمة التي سادت في مرحلة انطلاق الكفاح المسلح ومسيرته الطويلة، التي اعتبرت العمل العسكري وسيلة رئيسية للتحرير، والعمل السياسي والجماهيري مساعداً. ولم تغول كثيراً على دور أهل الداخل في النضال ولم تعطهم دوراً عملياً في تحرير أنفسهم من الاحتلال، وحصرت دورهم التضالي، لفترة طويلة، في الصمود على الأرض، ومراقبة ما يقوم به طلائع العمل العسكري وإبطال العمليات القتالية الخاصة.

يقظة فكرية فلسطينية وتأنيب ضمير في الخارج

منذ الخروج من بيروت في العام ١٩٨٢، وحتى صباح يوم انطلاق انتفاضة، بقيت الهياكل والأطر القيادية الأولى للمنظمة والفصائل دون استثناء، مبنية على الأساس من كوادرها المقيمة في الخارج، ولم تكن صفوفها تضم كوادر من الداخل.^(٤) وبقيت قيادات الفصائل الفلسطينية، قاطبة، أسيرة للنظم والقوانين واللوائح الداخلية، شبه العسكرية وغير الديمقراطية، التي وضعتها، والتي حولت كوادر قواعد التنظيمات في الأرض المحتملة إلى أدوات تنفيذية. وكما بقيت أسيرة مفاهيم الكفاح المسلح وشن حرب التحرير الشعبية من الخارج، وتحريك الأرضاع الشعبية العربية وتنويرها، وتوريط الأنظمة، ما أمكن، في الصراع مع إسرائيل.

وأحيثت انتفاضة الجدل والنقاش داخل فصائل م.ت.ف.. حول "الإصلاح الديمقراطي". الذي كان يتم الحديث عنه في المواسم. وتصاعدت الدعوات إلى انتفاضة حقيقة داخل الثورة في الخارج، وـ"نفحة" تنظيمية تقود إلى دمقرطة أوضاع مؤسسات م.ت.ف.. واستذكر بعض المثقفين كتابات واقوال رجيس دويريه حول "ثورة ضمن الثورة". وطالبت بعض القوى الوطنية في الخارج، بإعادة تشكيل مؤسسات المنظمة على قاعدة التمثيل النسبي والكافأة. ورأى قيادة الجبهة الديمقراطية، أن الانتفاضة تفرض القيام بثورة على الذات، بعدما تحولت مؤسسات م.ت.ف.. واجهزتها المدنية والعسكرية إلى إطارات تنمو داخلها البيروقراطية المتبرجزة". أما قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني، فرأى أن الانتفاضة قد عمقت شعار "الديمقراطية والإصلاح"، وأخصضعت قيادة المنظمة ومؤسساتها إلى الاختبار. وطالبت بمراجعة السياسة المالية لمنظمة التحرير، والتدقيق في أوجه الصرف ومحاسبة المسيئين، وإعطاء أولوية مطلقة لدعم الانتفاضة. ودعت إلى إعادة النظر في تشكيل

مؤسسات م.ت.ف. الأساسية، ولا سيما المجلس الوطني، التي "لم تعد تعكس بتركيبتها الراهن الميزان الحقيقى للقوى السياسية الفاعلة في منظمة التحرير". وكانت قيادة الحزب تشعر بالغبن ازاء نسبة تمثيلها في المجلس بالقياس للفصائل الأساسية الأخرى. ولم تتأخر قيادة فتح هي الأخرى عن تبني شعار "الديمقراطية والإصلاح". وتحدد صلاح خلف "ابو اياد، وأخرون من قادتها، عن ضرورة إجراء مراجعة شاملة، و"لابد من الإصلاح الديمقراطي". وأشار ابو اياد إلى أن أزمة المنظمة لن تحل حتى في ظل الوفاق السياسي الفلسطيني، إذا لم تتحقق المشاركة في صناعة القرار الوطني، بكل أبعاده السياسية والمالية والإعلامية، ولا بد من إعطاء قيمة أكبر لدور المؤسسات، بما يفرض احترامها لدى القائد وكل مسئول متتفذ.

ويجانب موضوع الإصلاح الديمقراطي، هرت الانتفاضة، بطابعها الشعبي والديمقراطي، فكر الثورة ومفاهيمها في الخارج، وضعضعت بعض منطلقاتها وركائزها الأساسية، وبخاصة دور الكفاح المسلح كشكل رئيس وشبة وحيد في النضال ضد الاحتلال، ومدلولات تواجد مركز ثقل الحركة الوطنية في الخارج. وعززت، نظرياً، موقع العمل الجماهيري في عملية التحرير، وطرحت أسئلة كثيرة حول موقع الداخل في صناعة القرار الفلسطيني. وصدمت معظم الكوادر المناضلة وعدد من القيادات الفلسطينية في الخارج، وأقرروا جهاراً، ومع أنفسهم، بتقصيرهم تجاه الأهل في الداخل، وأصيب بعضهم بشيء من الندم وتأنيب الضمير.^(٦) وبينت وقائع الحياة ان الخطابات الرنانة التي يلقاها قادة الفصائل والمهرجانات السياسية التي تعقدتها القوى السياسية في الخارج لا تكفي، وبدت باهتة أمام ما يقوم به اطفال الحجارة في الضفة والقطاع. الى ذلك، كان البقاء في موقع المتفرج على ما يجري داخل الوطن، وخصوصاً ما يقوم به الاحتلال ضد الأطفال والشيوخ والنساء العزل يعمق شعور قوى المنظمة في الخارج بالندم، ويزيد من عذاب النفس ويرفع درجة تأنيب الضمير.

بعد أيام على اندلاع الانتفاضة، عقدت فصائل م.ت.ف. في لبنان سلسلة اجتماعات مشتركة لبحث ما يمكن عمله من أجل اسناد الانتفاضة. وبرزت أفكار كثيرة لم تخرج عن إطار القديم المألوف، ولم تتجاوز تقاليد العمل التقليدية المتبعة في لبنان والخارج كلها، كان أهمها تنفيذ ما يمكن تنفيذه من عمليات من جنوب لبنان، لاستنزاف قوى العدو، وفتح جبهة ثانية بجانب جبهة الانتفاضة، وإرسال ما يمكن إرساله من السلاح ومن الكوادر التنظيمية والعسكرية للداخل، وبكل السبل والطرق الممكنة، والاستعداد لاستقبال ما يمكن استقباله من المبعدين والإحتفال بهم، بعد ان بدأت القيادة الإسرائيلية تتحدث عن نيتها إبعاد اعداد من المناضلين، نشطاء الانتفاضة، المتهمين بعصوبية القيادة الوطنية الموحدة، وقيادة نشاطات جماهيرية مركبة، وتوزيع البيانات والمناشير التحريرية.

وتم التوقف مطولاً أمام تقصير مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وقيادات الفصائل في الخارج إزاء الداخل، وخصوصاً عدم إشراكه جدياً في بلورة التوجهات الوطنية وصناعة القرار، وعدم إرسال مزيد من الكوادر والسلاح، والاشغال بصورة كلية في الصراعات اللبنانية الداخلية، والفرق في صراعات مع العرب، بعضها لم يكن ممكناً تجنبه، والبعض الآخر تم دخوله بوعي كامل. وطرحت تساؤلات حول القيمة الوطنية والعملية لبناء تشكيلات عسكرية نظامية واسعة، وأمتلاك أسلحة ثقيلة.

حقاً، لقد مثلت الانتفاضة محطة فاصلة في تفكير العديد من كوادر فصائل الثورة ومنظمة التحرير وقيادتها، وكشفت عمّق الأزمة الفكرية والتنظيمية التي تعانيها. ولاحقاً، لعبت أطروحة الانتفاضة، السياسية والتنظيمية، دوراً رئيسياً في هز فكر وبني بعض الفصائل، وتوجت بإنشقاق الجبهة الديمقراطية. كما دفعت الانتفاضة بالعديد من كوادر المنظمة إلى إعادة النظر في تجربة الثورة، وإعادة التفكير في تجربة العمل الفصائلي على مدى عشرين عاماً، وخصوصاً ما يتعلق بموقع العمل الجماهيري في فكر الثورة وممارستها. وشرع بعض الباحثة والمفكرين بقراءتها قراءة جديدة مختلفة. وتولد عند كثيرين قناعة مفادها أن مفعول النضال الجماهيري المنظم لا يقل عن مفعول الكفاح المسلح. وإن بالإمكان تحويل الجماهير إلى فعل يوازي، وقد يفوق في ظروف تاريخية محددة، ما يمكن أن تفعله المدافع والراجمات.

وصار واضحاً، لمن يريد من الفلسطينيين أن يرى الحقيقة، أن الانتفاضة صحيحة وضع هرم الحركة الوطنية الفلسطينية، وأعادت ثقلها من الخارج إلى موقعه الطبيعي على أرض الوطن، وأن أسس اتخاذ القرار الوطني في فترة ما قبل الانتفاضة، يجب أن لا تبقى كما كانت عليه بعدها، وأنه يجب إشراك الداخل في صنعه بصورة فعالة وليس شكلية. وظهرت صورة بعض القيادات الفلسطينية كتجار صغار فتحوا في لبنان بسطات خضراء، اشتغلوا وانشغلو فيها سنوات طويلة، في وقت توفرت لهم فرص كثيرة كي يطوروا شغفهم ويصبحوا لاعبين كبار في ملعب الصراع الرئيسي ضد الاحتلال في الأراضي المحتلة.

رويداً رويداً، بدأ عجز قوات الثورة في لبنان عن القيام بأي عمل مهم يستند الانتفاضة. وتولدت لدى قناعة بضرورة انتقال أكبر عدد من كوادر الثورة، والممكن من أعضاء القيادة الفلسطينية، ضمنها قيادة الجبهة الديمقراطية، التي أنتمي إليها، إلى داخل الوطن المحتل. لاسيما وأن وكالات الأنباء بدأت تتحدث، يومياً، عن مخيمات وقرى فلسطينية محررة لا تدخلها قوات الاحتلال، وأخرى تدخلها نهاراً وتخرج منها ليلاً، وعن سيطرة أبطال الانتفاضة على الأحياء والأزقة الداخلية في المدن والقرى والمخيمات،

وسيطرتهم على الشوارع والأحياء الداخلية والخارجية يومياً بعد غروب الشمس. وكانت تقارير التنظيمات تشير إلى أن السيطرة على المناطق المأهولة بالسكان موضع كر وفر، وأن المنتفصين فازوا في الصراع، خصوصاً بعد التزام السكان بقرارات القيادة الوطنية الموحدة و برنامجهما. فالالتزام بالإضراب التجاري والإضرابات الشاملة، ومقاطعة الفلسطينيين لمؤسسات الاحتلال، وإضطرار معظم العمال إلى الفرار. الخ حسمت الصورة في ذهن مراسلي الصحف ووكالات الأنباء والدبلوماسيين وكل المراقبين، لصالح نجاح الانتفاضة في تعزيز مكانتها سياسياً وفي الميدان.

وكنت، مثل آخرين كثرين في القيادة، أشك في قدرة قيادة الانتفاضة، الفتية، غير "المدعومة" وغير المجرية على تحمل أعباء النضال وتشغيل الحركة الجماهيرية الهائلة وتنظيمها، وتوجيهها في الاتجاهات المطلوبة في كل فترة. ولا أتجنى على أحد في القيادة إذا قلت بأن هذا التفكير الذاتي، غير الديمقراطي، الذي لا يثق بقدرات الجماهير وقدرات كوادر وقواعد التنظيم، كان سائداً في ذهن كل قيادات الفصائل والمنظمات الفلسطينية في الخارج.

في نيسان/أبريل ١٩٨٨، اي بعد اربعة شهور كاملة على انطلاقة الانتفاضة، اجتمع المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية - فتشته بعد الاجراءات السورية حال دون التامة قبل هذا التاريخ - واتخذ عدة قرارات تم فيها إعادة تركيب أمانة سر اللجنة المركزية، وأرجى البحث في ضم كوادر من الداخل لعضوية اللجنة المركزية والمكتب السياسي. ولاحقاً، بحث مرات عده تفاصيل ترتيب دخول عدد من قادة الجبهة للمناطق المحتلة. وفي كل مرة، كان الموضوع يخضع لمزاودات ومناقصات داخلية، حول من سيكون أول من يدخل. وفي أحيان كثيرة وضعت العربية على الطريق دون أن يكون هناك حسان، ودخل الرفاق في مناقشات وهمية، حول أماكن الإقامة والاختفاء حال الوصول لأرض الوطن، وحول طرق التنقل ووسائلها، وحول تزوير الوثائق الإسرائيلية. وتم طباعة نماذج منزورة على سبيل التجربة.. الخ. إلا أن وقائع الحياة أكدت ويرهنت، من جديد، أن لاعب الكرة بعيد عن الميدان يصعب عليه أن يصبح مدرباً ناجحاً. ولتحقيق هذه الأمنية الذاتية، الحلم الوهمي، توجهت إلى زعيم الحزب التقديمي الاشتراكي، وليد جنبلاط، وصارحته بتوجهات المكتب السياسي للجبهة، وكانت حروب حركة أمل على المخيمات عمقت صداقتنا النضالية وعلقتنا الشخصية، خصوصاً بعد أن أُسند القائد العام أبو عمار إلى مهمة قيادة قوات الثورة في لبنان.^(٤) وطلبت من جنبلاط بكل جدية مساعدته للحزب التقديمي في تأمين العبور لأرض فلسطين، وإن يسعى لذلك مع كوادر الحزب في الجنوب ومنطقة حاصبيا، ومع مشايخ الطائفية الدرزية، واعترفت له بأننا لم نستطع تأمين ثغرة آمنة، تماماً، في الجدار المعقد الواقع ك حاجز يحول دون القدرة على

التسلل الى فلسطين من لبنان. فهناك الجدار الأمني الذي كانت تفرضه حركة أمل على الجنوب اللبناني، بدءاً من جسر سينيق جنوب مدينة صيدا، يليه الحصار الشديد حول كل المخيمات الفلسطينية، وبخاصة مخيمات منطقة صور، ثم جدار قوات الطوارئ الدولية، ويليه الجدار "الطيب" الأمني الذي بنته إسرائيل على حدودها مع الجنوب اللبناني وعيّنت عمليّتها أنطوان لحد قائد الله وقبله سعد حداد. ويليها كلها الجدار الأمني الإسرائيلي الذي بنته إسرائيل على طول حدودها مع لبنان، والمكون من أسلاك شائكة وشبكة طرق ترابية ومعبدة مغعدة جداً، لا يستطيع أحد تجاوزها دون أن يترك أثراً يسهل كشفها ومطاردتها. وتحدّث معه بإسهاب عن الطرق البدائية التي نستخدمها عادة لتجاوز الجدار الأمني الإسرائيلي، وعن المخاطر التي يتعرّض لها كل من يحاول تجاوزه، وعن تجاريّنا الفاشلة والناجحة والخسائر البشرية والمعنوية الباهظة التي دفعناها من أجل اجتيازه. وصارحته أن بعض البيانات التي كنا نصدرها حول اشتباكات قوية مع العدو على الحدود بعضها كانت مضخمة ومبالغا فيها للتغطية على فشل عبور دورياتنا للداخل. وفي أحيان كثيرة كانت المجموعات تصطدم مع الكمانات الإسرائيليّة الثابتة والمحركة، قبل وخلال محاولات عبور الأسلاك الشائكة، وبعض الدوريات تم اكتشافها بعد وقت قصير من عبورها.

ضحك جنبلاط، وقال ساخراً: "حديّثك يذكرني بمسرحية (غوار) دريد لحام، "كاسك يا وطن". صح النوم يا قيادة منظمة التحرير.. صحوة جميلة لكنها متاخرة جداً، بدل هذا التفكير الخيالي عززوا ثقلكم بشعبكم وبكونكم في فلسطين. إذهبوا لكم التقاعد وسلموهم الراية، واتركوهم يستغلوا، ولا تتدخلوا كثيراً في عملهم، فهم أخبر منكم بالإسرائيليين. أنتم قيادة استهلكت نفسها، واستهلكتها آخرون ومعها الكثير من اللبنانيين والثوريين العرب. صدقوا ما قلناه لكم سابقاً في العام ١٩٨٢، بأن مرحلة الكفاح المسلح والعمل بالمدافع والقنابل والمتغيرات، التي نصبتكم على رأس الشعب الفلسطيني، انتهت مع خروجكم من ميناء بيروت. ويا حبذا لو أنكم تركتم أسلحتكم على ظهر البوارخ ولم تنزلوا بها إلى الشواطئ العربية التي استقبلتكم. لكنكم، ومع الأسف الشديد، لم تفعلوا ذلك، وسيطرت المناصب والمكاسب والعواطف الصادقة على التفكير السليم، وما زلتكم متسبّلين بوجودكم العسكري في لبنان، الواضح أنكم ستواصلون خوض الحرب على أرضه حتى آخر وطني لبناني وأخر مواطن فلسطيني في آخر مخيم فلسطيني موجود على أرض لبنان...". وأضاف: "اعتبر نفسي لم اسمع شيئاً عن الموضوع، واي حديث فيه يلحق اضراراً فادحة بالحزب وبعلاقتنا".

بعد فشلي وفشل رفاق آخرين من أعضاء المكتب السياسي في الانتقال من الخارج للداخل، وفشل كل من فكر بالانتقال من الفصائل الأخرى، وبعد حديث جنبلاط وسواء

من الأصدقاء، الحر يصين على مصالح الشعب الفلسطيني وضرورة الثقة بالناس بالداخل، والثقة بقادر الداخل المناضلة، طرحت على نفسي وعلى كثير من الرفاق عدة أسئلة منها: لماذا لا يكون الرفاق كوادر الداخل، أعضاء في مكتبها السياسي ولجنتها المركزية وأمانة سرها؟ لماذا لا نسلّمهم الراية كما قال ولد جنبلات، وبالحد الأدنى، نشركهم مشاركة جدية وفعالة في قيادة المسيرة؟ وهل الجغرافيا هي العائق الوحيد أمام مشاركة الرفاق من الداخل في الهيئات القيادية للجبهة؟ وهل هذا العامل هو الذي يعطل، حقا، التفاعل بين كوادر الداخل والقيادة في الخارج، أم أن الذاتية وعدم الثقة بالغير لها دور أيضاً؟ وأدركت حجم الخطأ الاستراتيجي الذي ارتكبناه في تنظيم الجبهة الديمقراطية وفي كل فصائل الثورة، حين استثنينا كوادر الداخل، وأبقيناهم خارج الصف القيادي الأول، ولم نتمكنهم من المشاركة الرسمية والفعالة في صنع التوجهات واتخاذ القرارات الرئيسية.

لاحقاً، تبنت، مع عدد آخر من أعضاء المكتب السياسي، فكرة توسيع المكتب السياسي واللجنة المركزية للجبهة بضم أعضاء من الداخل، وطالبتا بأن يكون نصيبهم نصف عدد أعضاء الهيئات القيادية الأولى في الجبهة "لجنة مركزية ومكتب سياسي" على الأقل. وبعد صراع حاد، تمت استجابة نسبية لهذا التوجه في اجتماع عقده اللجان المركزية للجبهة في آب/اغسطس ١٩٨٨، وتحولت قضية العلاقة بين الداخل والخارج، وموقع الداخل في صنع القرار الوطني، وحصته ككل في الثورة، وفي إطار هيئات الجبهة القيادية بالذات، إلى قضية تنظيمية خلافية داخل المكتب السياسي للجبهة وداخل لجنتها المركزية. وفي وقت لاحق، تفاعل الخلاف حول هذا الموضوع أكثر فأكثر، وتحول إلى إحدى القضايا التنظيمية المحورية التي أنسست للاشتغال العمودي الذي حل بالجبهة الديمقراطية في الداخل والخارج، أدى إلى انبعاث تنظيم مستقل جديد من رحمها، هو "الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني - فدا".

ركزت الانتفاضة حركتها على الأرض، دون أن يصل إليها أحد من قيادة الخارج، واستطاعت قيادتها اليومية "القيادة الوطنية الموحدة"، فرض نفسها كقيادة فعلية لها مصداقية كبيرة عند جمهور الانتفاضة وفي العلاقة مع الإعلام الصديق وغير الصديق. وبنفسها قيادات فرعية في كل المناطق والمحافظات، وأحاطت نفسها بشبكة واسعة من المؤسسات واللجان الفرعية، مكتنها من تحويل نداءاتها المتواصلة، والبرنامج الدوري للفعاليات الجماهيرية التي كانت ترد فيه، من كلمات وجمل على الورق إلى خطوات كفاحية على الأرض، ومداميك جديدة في البناء الفلسطيني الذي بدأ الانتفاضة في إشادته رغمما عن الاحتلال. ونجحت القيادة الميدانية، في فرض نفسها على القيادة الفلسطينية في الخارج، وكرست ذاتها إطاراً قيادياً وطنياً للشعب الفلسطيني في الضفة

والقطاع، اعترف به رسمياً ضمن الأطر القيادية الأخرى لمنظمة التحرير الفلسطينية. وراحت "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة" ترکز في بياناتها اليومية على علاقة الانتفاضة بالمنظمة، وشددت، بناءً على توجيهات كل قيادات الفصائل في الخارج، على التزامها بالمنظمة ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وأكّدت بياناتها، أكثر من مرة، أنها ذراع م.ت.ف. الضارب في الوطن.

ويقين حركتا "حماس" والجهاد الإسلامي، ترفضان الانخراط في القيادة الوطنية الموحدة، وفي الأطر القيادية الفرعية التي تم بناؤها، ورفضتا المشاركة في برنامج واحد للفعاليات النضالية، وراحتا تصدران بيانات منفصلة. وطرحتا شعاراً يقول إن التنسيق بين مختلف القوى الوطنية والإسلامية يكون في الميدان. وزجّتا بثقليهما في الانتفاضة كقوى فاعلة فيها. وفرضت القوى الوطنية والإسلامية على الاحتلال وأجهزته الأمنية، الاعتراف بها كقوة رئيسية في الانتفاضة، ورفع الاحتلال من وتيرة ملاحقة كوادرها وقادتها.

وتم تصعيد النضال المشترك الإسلامي والوطني، ضد الاحتلال، وتم تطوير أشكال مقاومته. وأدرك الاحتلال أن حركة "الشغب" الجارية تختلف عن كل الذي سبقها. ورغم إقراره بذلك، أصرّت القيادة الأمنية العسكرية والسياسية الإسرائيلي على رفض التعامل مع مطالب الانتفاضة المباشرة، ورفضت بصورة حازمة أهدافها الكبرى، وتطورت أساليب مجابتها ووسائل محاربتها، ولم تتردد عن استخدام الرصاص الحي وتكسير عظام المتنفسين.

إلى ذلك، أكّدت الانتفاضة في تلك الفترة، عبر بياناتها ومسيرتها المتتصاعدة، لإدارة الأمريكية وكل الأطراف الدولية المعنية بالصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، أن حل هذا الصراع المزمن يجب أن يتم مباشرة مع الفلسطينيين أصحاب القضية، وإن عنوانهم الوحيد هو قيادة م.ت.ف.، وأن الحلول بالواسطة العربية لم تعد مقبولة، ولا ممكنة. وفرضت الانتفاضة على واشنطن التحرك من جديد، للبحث عن حلول للقضية الفلسطينية، وبدأت في إعادة النظر في مواقفها من مسألة التعامل المباشر مع م.ت.ف.، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وأدركت الإدارة الأمريكية، أن انتقال مركز النضال الفلسطيني من الخارج إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، حرر قيادة م.ت.ف. من تأثير الضغوط الخارجية ووضعها، بصيغة واحدة، خارج نطاق تأثيرات الدول العربية. ومع تصاعد حركة الانتفاضة وتجدد نشاطها بزخم كبير، جددت الإدارة الأمريكية حركتها باتجاه حل قضيّاً المنطقة وبدأت الحديث بصيغة مبهمة عن الحقوق السياسية للفلسطينيين، بعدما ظلت سنين طويلة ترفض استخدام هذا التعبير، لكنها استمرت في رفض استخدام مصطلح "حق تقرير المصير" للشعب الفلسطيني. وخشيّت الإدارة الأمريكية وكل المعنيين

باستقرار اوضاع المنطقة من أن يقود تواصل الانتفاضة إلى زعزعة الاستقرار الهش في أكثر من موقع حساس في المنطقة، واحتلال النيران المعادية لها، لا سيما وأن درجة الحرارة بدأت ترتفع في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الخارج وفي شوارع وجامعات أكثر من عاصمة عربية. وشهدت المدن العربية أشكالاً من التضامن الشعبي وال رسمي العربي مع الانتفاضة وأهدافها الأساسية. واقتصر كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق على القيادة الإسرائيلية علينا وعبر الصحافة الانسحاب من قطاع غزة ونابلس باعتبارهما عبء عسكري وامني واقتصادي وإداري على إسرائيل.

وبعد أقل من ثلاثة شهور على انطلاق الانتفاضة، تحرك شولتس وزير الخارجية الأمريكي، أو آخر شباط / فبراير ١٩٨٨، إلى المنطقة لاستطلاع الأوضاع فيها، واستكشاف الخطوات الدبلوماسية الممكنة. وتبين له أن الإجراءات العسكرية الإسرائيلية الروتينية والاستثنائية، غير قادرة على إخماد نيران الانتفاضة، بل إنها تغذيها وتقويها أكثر فأكثر. وقبل وصوله إلى المنطقة، طرح شولتس مبادرة سياسية جديدة لحل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.^(٤) في حينه، رفضت القيادة الفلسطينية اقتراح شولتس، ومارست ضغوطاً قوية على شخصيات الداخل ومنعهم من اللقاء به.^(٥) ورأى في الاقتراح خدعة كبرى دفعتها انتزاع موافقة القيادة الفلسطينية على شطب نفسها بنفسها، لصالح تشكيل قيادة بديلة. وعاد شولتس إلى واشنطن يحمل الفشل، وتأكدت الإدارة الأمريكية من أن الانتفاضة قادرة على التواصل والمحافظة على زخمها القوي، فترة أطول بكثير مما يقدرها بعض العرب، وكل الإسرائيليين.

بعد فشل جولة شولتس في المنطقة، انتعشت اوضاع القيادة الفلسطينية، ولاسيما من نجاحها في إفشال لقائه بالشخصيات الفلسطينية التي قاطعته، واعتبر بعض أعضائها أن ذلك يجسم مسألة علاقة المنظمة بالانتفاضة في ذهن الإدارة الأمريكية وذهن بقية حكومات العالم ودوله. وتصور بعض أركان القيادة الفلسطينية أن يوم إعلان الاستقلال الفلسطيني بات قريباً، وأن قيام الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين ليس بعيد. وبالغ بعضهم بقدرات الانتفاضة ونتائجها، ورفض بعضهم (ومنهم أبواللطيف) أن تكون حدود الدولة الفلسطينية المنشودة محصورة في الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧، وطالبوها بتبني القيادة الفلسطينية موقفاً رسمياً، خلاصته المطالبة بتنفيذ قرار التقسيم رقم ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٤٧. وأطلق بعض قادة المنظمة والفصائل حقهم الدفين على الأنظمة العربية التي تأمرت على الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير، وراحوا يتوعدون، معتقدين أن يوم تصفية الحساب بات قريباً. ولم يخل الأمر لدى بعضهم من خوف مبطن من دور "حماس" وتيار الإسلام السياسي مستقبلاً، وكذلك من الدور المستقبلي الذي يمكن أن تقوم به قيادة الانتفاضة، وانعكاس ذلك على

دور قيادة الخارج. ويجانب ذلك، تفاقم عند آخرين، شعورهم بالذنب إزاء الأهل في الداخل وإهمالهم فترة زمنية طويلة.

في حينه، صعدت قيادة م.ت.ف. حملتها الإعلامية ووسعها حركتها السياسية، لتوفير الدعم والإسناد للحركة الشعبية، ولفرض ممارسات الاحتلال. وطيرت رسائل كثيرة للقيادة العربية ودعتهم إلى عقد قمة عربية عاجلة لدعم وإنسان الانتفاضة، كما دعت رؤساء الدول الإسلامية وزعماء القمة الإسلامية والإفريقية وعدم الانحياز، إلى التحرك لإنقاذ الشعب الفلسطيني. وطالبت مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني. ويجانب هذه التوجهات السياسية، حولت القيادة الفلسطينية اللجنة العليا للانتفاضة ولجنة العمل اليومي، إلى قيادة يومية جديدة للانتفاضة في الخارج، وطورت صلتها بالداخل.

اغتيال أبو جهاد والحسابات الإسرائيلية الخاطئة

منذ اليوم الأول للانتفاضة واصل أبو جهاد بصفته نائباً للقائد العام وقائداً للقطاع الغربي "الداخل" في فتح، العمل ليلاً نهاراً لخدمة الانتفاضة وإدامتها، وجعلها همه الأول والأخير، وشغل مراكز الابحاث الفلسطينية في اعداد الدراسات حول واقع الشعب في الداخل وسبل إدامة وتطوير الانتفاضة، وتوثيق كل ما يقال حولها في الصحف الإسرائيلية والعربية والأجنبية. وكشف اتصالاته بكل وسائل فتح والشخصيات الوطنية في الضفة والقطاع، وحثها على مواصلة الإنفاضة وتطوير أشكال نضالها. ولم تقطع مكالماته مع كل من أمكنه الاتصال به، ولم تتوقف كتاباته لكل من استطاع أن يوصل اليه رسالة، وقدم مقترنات متعددة لتحركات جماهيرية فعالة. طار إلى عمان والقاهرة مرات عدّة، وحصل على موافقة السلطات الأردنية والمصرية على فتح مكاتب خاصة بخدمة الانتفاضة، وزرع فيها كوادر نشطة تحظى بسمعة طيبة، مهمتها الوحيدة الاحتلال بكل قادم من الوطن وجمع المعلومات عن الانتفاضة، وتشغيله في خدمتها حسب طاقته وقدراته ومدى استعداده. ولم تتكلّأ كوادر القطاع الغربي الأساسية والمساعدة في فتح، وبقية الفصائل، عن القيام بالواجبات التي حددتها لها.

اتصل أبو جهاد بالتجار، وشجعهم على تقديم الممكن من المواد التموينية للمحتاجين في المخيمات وأحياء المدن الفقيرة، وتعهد لهم دفع ثمنها مهما بلغ. طلب من المستشفيات تقديم خدماتها الطبية للمحتاجين، وخصوصاً جرحى ومصابي الانتفاضة، وتعهد بتسييد التكاليف كاملة. وأرسل بطرق متعددة مبالغ كبيرة لكل الأطر الشعبية، وتحايل على الإجراءات الإسرائيلية، ولم يتوان في سبيل ذلك عن تشغيل تجار العملة من اليهود.

وزرع عيونا في كل مناطق الضفة والقطاع، مهمتها الأساسية رصد كل صغيرة وكبيرة تجري على أرض الوطن ونقلها له. باختصار، شغل تنظيم فتح وأصدقائها وانصارها في الخارج في خدمة الانتفاضة، ولم يدخل في سد احتياجاتها اليومية.

كان أبو جهاد يقوم بكل هذه الأعمال بترتيب مسبق مع أبو عمار، وكان يطلع يوميا على كل عمل قام به. وكان أبو عمار يدعم ويساند كل توجهات أبو جهاد وتحركاته، وكل العاملين في مجال استناد الانتفاضة، من الفصائل الأخرى. وكانت له أيضا، أدواته الخاصة وطرقه ووسائله المباشرة للصلة مع كل الهيئات الفتحاوية والوطنية في الداخل. وكان أبو جهاد يقول: "الحياة مدرسة واسعة علومها كثيرة، وشعبنا أفضل معلم، وعلينا التعلم من الصغير قبل الكبير". واستشار كل من يمكنه أن يفيد، ولم يخف أساليب عمله لخدمة الانتفاضة عن المعنيين بالعمل في المناطق المحتلة من الفصائل الأخرى، بل تعاون معهم دون تحفظ. فتعاونوا معه، وتعلم بعضهم من أساليب عمله واستفادوا من طاقاته م.ت.ف. وإمكاناتها، ووظفوها في خدمة جمهور الانتفاضة المحبيط بأطرهم ومؤسساتهم، وادخر بعضهم ما لديهم من إمكانات للأيام العصيبة، وكأن هناك شيء أهم من الانتفاضة وأولى منها بالإتفاق!

ومع تواصل الانتفاضة، أخذ أبو جهاد يتحدث بتأمل زائد عن تجربة حرب التحرير الجزائرية، وكيف رحل ربع مليون مستعمر فرنسي من الجزائر، خلال شهور قليلة، عندما تأجّلت نيران الثورة. وتتبّعت أجهزة الاستخبارات الإسرائيليّة إلى ما ي قوله ويفعله أبو جهاد. دققت في أعماله اليومية، تنتصت على اتصالاته التليفونية، حققت مع كل من وقع من رسّله في قبضتهم. راجعت ملفاتها عنه، فأدركت مدى الخطورة التي يمثلها في ظروف كالتي تمر بها المناطق المحتلة. واعتبرته أخطر رجل فلسطيني على استمرار إحتلالها للأراضي الفلسطينية. وقررت، وعلى أعلى المستويات، الخلاص منه وأغتياله مهما كان الثمن ومهما كانت ردود الفعل الفلسطينية والدولية، وظننت أنها باغتيالها إيهاد ستتجهض الروح المعنوية للانتفاضة. وراحت تجمع المعلومات عن تحركاته ومكان إقامته، ورسى قرارها على تنفيذ المهمة على أرض تونس حيث تعيش أسرته، ويتوارد بصورة شبه متواصلة.

لم يكن احتمال قيام إسرائيل باغتيال قادة فلسطينيين بعيدا عن ذهن أبو جهاد، بل كان يتوقعه في أي لحظة. وكانت معلومات أبو عمار تؤكد أن إسرائيل قررت القيام باغتيالات عدد من قادة م.ت.ف. قبل اغتياله بأقل من ١٦ ساعة، اتصل أبو جهاد، كالعادة، بالقيادة العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية في لبنان، للإطلاع على آخر مستجدات الوضع في المخيمات وعلى جبهات القتال مع حركة أمل، وخصوصا على محور مغدوشة.^(١) تحدث مع عدد من أعضاء القيادة العسكرية في لبنان، وقال من ضمن أشياء أخرى: "رجاء

الانتباه يا إخوان، هناك قرار إسرائيلي باغتيال من تطاله أجهزتها من القيادات والكادر الفلسطينية الأساسية، للتأثير على الوضع المعنوي لأهلنا داخل الأرض المحتلة. كلنا أهداف، وكل ساحات تواجهنا ميدان مفتوحة أمام العدو، خذوا حذركم ولا تهمروا، وتعاملوا مع الموضوع بمنتهى الجدية". وأضاف: " علينا اليقظة والبقاء أحياء حتى نشهد يوم النصر، وأنا لا أقول هذا الكلام لرفع المعنويات، الانفاضة يا إخوان بدأت تضعضع الكيان الصهيوني، وإخوانكم مصممون على مواصلة انتفاضتهم حتى طرد الاحتلال، وهزيمته في الضفة والقطاع يعني هزيمته في كل فلسطين". واسترسل في مقارنة الاستعمار الإسرائيلي بالاستعمار الفرنسي للجزائر، وكيف رحل المستعمرون الفرنسيون من الجزائر وتركوا كل شيء بنوه، علما بأنهم كانوا يعتبرونها قطعة غالبة من فرنسا، وقال: "اليهود لن يتمسكوا بفلسطين كما تمسك الفرنسيون بالجزائر". وختم حديثه بالقول: "انتبهوا وأبلغوا أهلنا في المخيمات أن يوم العودة أقرب مما يتوقعون، وأن منازلهم جاهزة وسنعطيهم أحل بيوت المستوطنات المقامة في الضفة والقطاع".

بعد تلك المكالمة الحارة، كان تعليق كل من تحدث معه أبو جهاد بأنه منتشر بالانفاضة، ومقاتل جداً كعادته واكثر من اللزوم. ولم يتوقف أي من المتحدثين عند تحذيره من اغتيالات إسرائيلية، ولم يأخذها أحد على محمل الجد. فقوات الثورة في لبنان مدججة بالسلاح، وقياداتها المركزية والمحلية لم تخل لتأمين سلامتها، وتعيش في مخيمات لبنان وعلى أطرافها وسط غابة المقاتلين وعناصر المليشيا المدججين بالسلاح. ولديها بيوت سرية تلجم إليها عندما تشتد الأزمات، وبخاصة مع السوريين، ولا أحد منها قلق من اغتيالات إسرائيلية في لبنان.

فجر يوم ١٧ نيسان/أبريل ١٩٨٨، حضر عصام سالم الممثل الشخصي لأبو عمار في لبنان إلى مكان اقامتي، على غير عادته، ودون سابق انذار. أغلق باب الدار خلفه وانفجر باكيًا، وسألت دموعه بغزارة، وهو يقول: "اغتالوا أبو جهاد، راحت الانفاضة، مات ضمير الثورة.. حمى الله ياسر عرفات. أبو جهاد لا يمكن تمويهه، والإسرائيليون عرفوا من يصطادون، أبو جهاد رجل قدرى مهملاً في شؤون منه وأوضاعه العائلية". للحظة لم أصدق ما قال، وسألت نفسي حول وقع استشهاد أبو جهاد على المنتفضين وتاثير غيابه على الانفاضة، وعلى الوضع الوطني الفلسطيني العام. لذلت بالصمت وتركته يبكي، وفتحت جهاز الراديو لأنكدر من صحة أقوال عصام، وأوقفت الإبرة على إشارة إذاعة لندن التي كانت تبث معلومات عن سيرة حياة أبو جهاد، وتعليقات متعددة وردود الأفعال حول اغتياله. توقف عصام عن البكاء وصمت مثلي، وراح يستمع لما تقوله الإذاعات. وقطع الصمت وقال: "أغلق الراديو، دعنا نتحدث قليلاً حول الموضوع قبل أن أتوجه للمختارة للقاء وليد جنبلاط. أبو جهاد راح.. والمهمة الرئيسية الآن هي الانتقام له

وحماية أبو عمار، عار علينا أن يمر إغتياله دون انتقام سريع كبير. القيادة الإسرائيلية تخطت الخطوط الحمر. "وسألني هل تفكّر في الذهاب إلى تونس للمشاركة في جنازة أبو جهاد؟ لماذا لا تذهب إلى تونس وتبقي بجانب أبو عمار بعد أن فقد أبو جهاد وقبله أبو الويلد، أهم مساعديه من العسكريين الفلسطينيين، لا افق لدورنا في لبنان بعد الانتفاضة، وجودك بجانبه ضروري. وراح يستذكر كيف كان ينظم هو شخصياً أمّن أبو عمار خلال حرب ١٩٨٢. وقال: "برقية القيادة من تونس حول إغتيال أبو جهاد مقتضبة جداً، وهي أقرب إلى بيان نعي.. حاولت الإتصال مع الأخ القائد العام أبو عمار لتقديم واجب العزاء إلا أنني لم أتمكن، وأنّت تعرف مدلولات ذلك."

إتفقنا على عقد اجتماع ثنائي بعد عودته من المختارة، يشارك فيه عدد محدود من قيادة فتح والجبهة في لبنان، لدراسة ما يمكننا القيام به من لبنان رداً على اغتيال أبو جهاد، ولدعم الانتفاضة. غادر ممثل القائد العام وتركني شارد الذهن ملتصقاً بجهاز الراديو. وفهمت مما نقلته الإذاعات أن القوات الإسرائيليّة وصلت تونس بحراً ونفذت مهمتها بنجاح بعد استطلاع دقيق لمكان اقامة أبو جهاد ونظام حياته، وأن مجموعات الاغتيال وصلت تونس وعادت دون خسائر، وأن هناك شكوكاً فلسطينية حول وجود عملاء محليّين، ساعدوا في استئجار السيارات وارشدو الإسرائيليّين إلى بيته.^(١)

بعد وقت ليس قصيراً، أفرقت من الصدمة ورجحت استعيد شريط الحياة النضالية المشتركة التي جمعتني مع أبو جهاد، بدأً من الأغوار والمحصار في أحراش جرش في العام ١٩٧١ حتى آخر مكالمة هاتفية تمت معه. وقلت لنفسي: صدق من قال عنه في الراديو قبل قليل "أبو جهاد أول الرصاص وأول الحجارة". فكرت ملياً في ما قاله عصام حول السفر إلى تونس والتواجد في مركز القرار بقرب أبو عمار، ووُجِدت في الفكرة تعويضاً مناسباً لعدم قدرتي على الانتقال للداخل. وقررت مصارحة الرفاق في المكتب السياسي للجبهة بالموضوع في أول اجتماع له. وكانت مقتنعاً بأنّ لدى ما أعمله هناك في إطار لجنة الانتفاضة والمجلس العسكريي الأعلى لقوى الثورة الفلسطينية. أما مهمة قيادة قوات الثورة في لبنان المسندة لي فهي شكلية، وقيادة تنظيم الجبهة الديمقراطيّة وقواتها في لبنان يمكن تدبيرها بسهولة، بإسنادهما لأحد أعضاء القيادة العسكريّة، واحد أعضاء قيادة الأقلّيم.

بعد انتشار نبأ استشهاد أبو جهاد، نزلت الجماهير الفلسطينيّة إلى شوارع مدن ومخيمات وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة، متهدية أوامر حظر التجول. وعلى مدى عدة أيام تحولت الضفة والقطاع إلى ساحة حرب حقيقة، صمد فيها الحجر في مواجهة الله الحرب الحديثة، وغابت الصدور العارية نيران البنادق، وسقط مزيد من الشهداء والجرحى. وكان ذلك مادة دسمة للإعلام العالمي، وظهر تضامن حقيقي من مراسلي أجهزة الإعلام

المختلفة ومندوبي وكالات الأنباء مع القيادة الفلسطينية ومع المنتفضين وأهدافهم. وراحوا يتحدثون عن مدلولات اغتيال أبو جهاد، لجهة تثبيت علاقة الانتفاضة بمنظمة التحرير. ورغم الخسارة الكبيرة تعزز ثقة الفلسطينيين، شعرياً وقيادة، داخل الوطن وخارجيه بأنفسهم، ووضع المواطن الإسرائيلي وجهاً لوجه أمام الحقيقة الفلسطينية، التي هرب من الاعتراف بها أكثر من أربعين عاماً.

دار نقاش في اجتماعات عقدتها القيادة الفلسطينية في تونس حول مكان دفن جثمان الشهيد أبو جهاد. البعض اقترح دفنه في عمان "ليكون قريباً من فلسطين"، آخرون إقترحوا "دفنه في دمشق حيث أقام والدها فيها فترة طويلة". ولـ"ليكون أيضاً بمثابة رسالة فلسطينية للقيادة السورية لإنتهاء حرب المخيمات، وتقليل عذاب أهلهنا في كل لبنان". وكان هناك رأي ثالث اقترح دفنه في تونس. استقر رأي الأغلبية على دفنه في دمشق، ووافق أبو عمار على ذلك على مضض، وشبه مكره كما قال في حينه، ولم يعلق أية آمال على إحداث تغيير في الموقف السوري السلبي من الانتفاضة والقيادة الفلسطينية ووحدة م.ت.ف. وحرب المخيمات.

رفاق أبو عمار جثمان أبو جهاد إلى دمشق، ورافقه حشد كبير من القيادات الفلسطينية بعضها كان ممنوعاً من العودة إلى دمشق، وضمنهم جميع أعضاء المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية وأمينها العام، المقيمون رغم ارادتهم في الخارج. وخلال الفترة ذاتها والمناسبة ذاتها تحرك عدد من القيادات بحمل أعداداً غفيرة من المواطنين الفلسطينيين واللبنانيين من مخيمات لبنان ومدنه إلى دمشق للمشاركة في تشييع جنازة أبو جهاد، وكانت مع عدد قيادات الثورة وكوادرها في لبنان ضمن تلك الجموع. وتتسنى لاعداد ليست قليلة من كوادر فتح العودة إلى بيروتها في سوريا بعد غياب قسري طويل، وتتسنى للجبهة الديمقراطية عقد أول دورة اجتماعات لمكتبهما السياسي بعد الانتفاضة. حقاً، كانت جنازة أبو جهاد حدثاً سياسياً كبيراً، وكانت الجنازة كبيرة، شعبية ورسمية، واستبشرت القيادة الفلسطينية خيراً بالمشاركة السورية الشعبية والرسمية الواسعة في التشييع. لكن القيادة السورية خيبت ظنهم، وبعد أيام قليلة تجددت هجمات حركة أمل والمنشقين ضد المخيمات، وجرت محاولات لاقتحام بعضها. وسررت الأجهزة السورية أن القيادة السورية سوف تطالب كل من دخل سوريا مع الجنازة بمغادرتها، وسوف تلاحق من لا يسافر بإرادته. عندها قال أبو عمار: ألم أقل لكم..؟! وندم، لأنه وافق أعضاء القيادة على دفن أبو جهاد في دمشق، وأقسم أنه سيعمل على نقله من هناك في أول فرصة تسمح بذلك.

قيادة الجبهة الديمقراطية وجدت في عودتها إلى دمشق فرصة لتحقيق مصالحة مع القيادة السورية، وبادرت بعد إتمام مراسم تشييع جنازة أبو جهاد ومراسم تقبل العزاء إلى طلب

لقاء مع نائب رئيس الجمهورية السورية عبد الحليم خدام، مسؤول ملف العلاقات الفلسطينية السورية وملف لبنان. والحق في طلبها واشتركت خالد الفاهم، رئيس المجلس الوطني السابق، وعبد المحسن أبو ميزر، عضو اللجنة التنفيذية سابقاً، وعصام القاضي، أمين سر قوات الصاعقة الموالية لسوريا، وعدداً آخر من القيادات الفلسطينية واللبنانية ممن تربطها علاقات حميمة بقيادة الجبهة. ولمست المخابرات السورية تهالك قيادة الجبهة على البقاء في سوريا، وعلى عقد مصالحة بأى ثمن مع القيادة السورية. وراححت تماطل في الإستجابة، ورفع ابو جمال عبد الحليم خدام سعر استقرار قيادة الجبهة في سوريا، وثمن عدم تدمير تواجدها في لبنان كما دمر وجود فتح هناك. وكان واضحاً أن ما طلبه سوريا هو فك تحالف الجبهة الديمقراطية مع "قيادة عرفات اليمينية المستسلمة"، وتوثيق علاقتها مع المنشقين بقيادة أبو صالح، وأبو موسى، وأبو خالد العملة، والجبهة الشعبية - القيادة العامة بقيادة احمد جبريل، ومنظمة الصاعقة، الفرع الفلسطيني لحزب البعث. ولم تتردد بعض الأجهزة السورية وبعض قيادات الصاعقة في الغمز من قناة بعض الرفاق في قيادة الجبهة الأولى، ومن طبيعة علاقتهم مع ياسر عرفات، ومساعدة فتح في تثبيت تواجدها في لبنان.

إلى ذلك، لم يتردد الأمين العام نايف حواتمة وعدد من قيادة الجبهة في التجاوب مع التوجهات السورية ومطالبها، وراحوا يهاجمون "القيادة الفلسطينية اليمينية المستسلمة"، بمناسبة ودونها أيضاً، ويداؤوا يتصردون التصريحات الفلسطينية ويستعجلون الرد عليها دون تحقق من دقتها. وأسرعوا إلى عقد لقاءات مع المنشقين ومع كل الأطراف الفلسطينية واللبنانية الموالية لسوريا. وحاولوا التأثير على مواقف قوات الجبهة في الدفاع عن مخيمات لبنان، وانتزعوا قرارات في المكتب السياسي وأمانة سر اللجنة المركزية "بعدم تصدر معارك الدفاع عن المخيمات، ووقف التسهيلات الكبيرة والصغيرة التي تقدمها قوات الجبهة لمقاتلي وكوادر فتح في لبنان وسوريا". وعملوا على افتعال بعض المعارك الإعلامية الوهمية مع قيادة فتح، وركزوا هجماتهم الإعلامية على أبو عمار شخصياً. ويسجل للأمين العام ومن شاعره الموقف بأنهم نجحوا في كسب رضى القيادة السورية. كما ويسجل لكوادر قوات الجبهة ومنظمتها الحزبية في لبنان استمرارها في أداء دورها الطبيعي في الدفاع عن المخيمات الفلسطينية في لبنان، والحرص على تواصل علاقتها الحميمة مع كوادر ومناضلي الثورة وضمنهم كوادر وقواعد فتح هناك. وقد دفعت ثمن موقفها هذا وتعرضت لللاحقة والاعتقال من قبل الأجهزة الأمنية السورية، ولم ترحمها قيادة الجبهة من النقد والعقوبات الحزبية الداخلية.

ولم تجد نفعاً المناورات التي قام بها بعض الرفاق في قيادة منظمة لبنان لتهيئة الموقف السوري، ومنها عقد لقاء مع غازي كنعان رئيس فرع المخابرات السورية في لبنان

ومساعدته علي حمود، وعقد سلسلة لقاءات مع قيادة منظمة حزب البعث العربي في لبنان وقيادة منظمة الصاعقة، ولقاء مطول مع نبيه بري رئيس حركةأمل. حيث كانت المطالب السورية تزداد بعد كل لقاء، وكانت درجة الابتزاز ترتفع أكثر فأكثر، وكانت قيادة الجبهة في دمشق تزداد خصوصاً للابتزاز. وتحولت قضية العلاقة مع سوريا والتحالف مع "البرجوازية الوطنية الفلسطينية" ، إلى قضية خلافية أساسية أخرى ساهمت في تنمية الخلافات داخل قيادة الجبهة الديمقراطية، وزوالت بذور الخلاف الأخرى بمقومات الحياة والنمو السريع. ودفعت النزعة الذاتية لأغلبية الرفاق، وتغليهم مصلحتهم في تأمين استقرارهم واستقرار أجهزة الجبهة في سوريا إلى طمس الحقائقولي عنق بعضها، من نوع اتهام ياسر عرفات وقيادته بالعمل على "اجهاد الانتفاضة". ودعت قيادة الجبهة إلى تشكيل تحالف ديمقراطي عريض في مواجهة "اليمن الفلسطيني المستسلم". ولم يكتثر الرفاق في المكتب السياسي لنتائج مواقفهم على العلاقات الوطنية في إطار الانتفاضة وقيادتها الوطنية الموحدة.

في اجتماعات المكتب السياسي التي عقدت في تلك الفترة أخذ الفرز في المواقف يتبلور أكثر فأكثر، وصارت الخلافات السياسية والتخطيمية تتسع أكثر فأكثر، وتشكل تياراً "أغلبية وأقلية" داخله. ويز اتجاه داخل الأغلبية سعي للتاثير على مواقف منظمة الجبهة داخل الوطن المحتل من قضايا الخلاف الداخلي ومن التوجهات السياسية الوطنية العامة. ولاحقاً، حدّدت قيادة منظمة الجبهة في الداخل، في أكثر من رسالة وجهتها للمكتب السياسي، موقفها لصالح الخط السياسي الواقعي ولصالح المواقف الداعية للمحافظة على استقلال مواقف الجبهة وعدم الخضوع للضغط السوري.^(١٢) عندما تقاطعت نظرتي حول تراجع العمل العسكري ومفهومي الجديد لدور الداخل والخارج، مع مصالح "الأغلبية في المكتب السياسي للجبهة". كان الرفاق يريدون، في ظل الخلافات الداخلية، إحكام سيطرتهم على قوات الجبهة وعلى منظمتها الحزبية ومنظماتها الجماهيرية في لبنان، وترحيلي أو نقلني من لبنان بشكل يسهل عليهم حسم الوضع دون صراع حقيقي، ويجنبهم انشقاقاً داخلياً مدوياً في الساحتين اللبنانيتين والسورية. وبدورى، كنت مقتنعاً بيده انتهاء مرحلة الكفاح المسلّح ودخول الحركة الفلسطينية مرحلة جديدة، وأن دورى الوطنى لم يعد في المجال العسكري، بل في مجال خدمة الانتفاضة. وكانت مؤمناً بأن أفضل مكان لخدمة الانتفاضة ومتابعة تطوراتها هي أرض الانتفاضة ذاتها. أما وقد تعذر ذلك، فالمكان الثاني هو تونس، حيث تتواجد قيادة م.ت.ف. والجانب الوطنية المكافحة بمتابعة أوضاع الانتفاضة وتقديم الاشكال الممكنة من الدعم والإسناد المعنوي والمادى لها.

وفي اجتماع عقده المكتب السياسي لبحث إعادة ترتيب الأوضاع القيادية للجبهة وفقاً

لمتطلبات الانتفاضة، اقترح الرفاق أن يبقى مكان إقامة عضو المكتب السياسي ياسر عبد ربه في تونس، باعتباره عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، فالتجربة منذ دورة المجلس الوطني الفلسطيني التوحيدية، في نيسان/أبريل ١٩٨٧، أثبتت ضرورة ذلك، وان يستكمل تسليم مالية الجبهة التي كان يتحمل مسؤولياتها للرفيق نبيل حمادة عضو المكتب السياسي مسؤول الأمن. وقدم اقتراح آخر بنقل عضو المكتب السياسي صالح رافت، مسؤول ملف الوطن المحتل، من تونس إلى دمشق، ليكون قريباً من الداخل ومن القادمين والذاهبين من وإلى هناك، ونقلي أنا من لبنان إلى تونس لتمثيل الجبهة في القيادة الفلسطينية، وللجنة الانتفاضة، وفي المجلس العسكري الأعلى، وتسليم مهمة قيادة لبنان للرفيق فهد سليمان. وبهذا حقق الرفاق رغباتي الدفينة، وحققوا جوانب أساسية من مخططهم المبيت لجسم وضع الجبهة في لبنان، ودفع الوضاع داخلها نحو الانشقاق. كان بعضهم يدرك تماماً ما أضمره ومقتنعاً أيضاً بأنني مدرك لما كانوا يضمروه. أعفووني من كشف أوراقي الدفينة، ولم افضح في الاجتماع مخططاتهم الإنقسامية لأنها كانت كلها مكشوفة لأعضاء المكتب السياسي وأمانة سر اللجنة المركزية.

غادرت لبنان إلى تونس، وهناك التحقت مباشرة ببعثات الانتفاضة^(١٤) وبالجيش العسكري الأعلى وبالقيادة الفلسطينية كممثل للجبهة الديمقراطية، إضافة لياسر عبد ربه ممثلاً في اللجنة التنفيذية، وجميل هلال ممثلاً في المنظمات والاتحادات الشعبية.

في تلك الفترة، وافقت قيادة "حماس" على المشاركة في لجنة الانتفاضة، هكذا طرح الأمر في المجتمعات القيادة الفلسطينية، وشارك عبد الرحمن حوراني في اجتماعات لجنة الانتفاضة كممثل لها، إلا أنها سرعان ما انسحبت منها وتبرأت منمن كان يمثلها في هذا الإطار.^(١٥)

إلى ذلك، أعطت عملية اغتيال أبو جهاد الانتفاضة شحنة قوة إضافية، وجاءت حسابات القيادة الإسرائيلية لحقل الضفة والقطاع متعاكسة مع حسابات يصدر الانتفاضة. وإذا اعتبرنا عملية قتل شبان الجهاد الإسلامي الأربعية يوم ١٢/٧/١٩٨٧ شرارة الانطلاق الأولى للانتفاضة، فإن علينا أن نقرن باعتماد يوم اغتيال أبو جهاد ١٦ نيسان / أبريل ١٩٨٨ بمثابة الانطلاق الثانية للانتفاضة.

هوامش الفصل الثالث

- (١) ابنت حركة الجهاد الاسلامي مطلع الثمانينيات في القاهرة من حضن طلاب الحركة الاسلامية. مؤسسها الحركة، وعلى رأسهم فتحي الشقاقي، انشئوا الى تجربة الثورة الاسلامية في ايران ومرشدتها الامام الخميني. ومنذ البداية، رفض اقطاب الجهاد اطروحات "الاسلام التقليدي" الداعية الى حل مشاكل المجتمع من خلال العمل الاصلاحي التدريجي. وامنوا "بالاسلام الجهادي" وبالكفاح المسلح استراتيجية لنشاطهم الاهداف الى ابادة اسرائيل ومحاربة الصهيونية العالمية. وفي العام ١٩٨٦ تبنت حركة الجهاد عددا من العمليات العسكرية ضد الاحتلال. ومنجزت بين الدين والوطنية الفلسطينية، وحملت الاخوان المسلمين مسؤولية ما اصاب الشباب المسلم من تناقض في التضال من اجل تحرير فلسطين.
- (٢) بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٩، عقد اجتماع مصغر في منزل الشيخ احمد ياسين، حضره عدد من ابرز قادة المجمع الاسلامي في غزة التابع لاخوان المسلمين. وقرر المجتمعون الانخراط في الحركة الشعبية المناهضة للاحتلال. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٨٩ كلف الشيخ احمد ياسين عددا من اعضاء جماعة الاخوان المسلمين في الضفة بالعمل على انشاء فرع الحركة فيها، حيث لم يكن هناك اي رابط تنظيمي بين الاخوان المسلمين في غزة مع الاخوان في الضفة، وكان فرع الضفة جزء من حركة الاخوان فيالأردن. اما فرع غزة فكان اقرب لتنظيم الاخوان في مصر، وبخلاف نشاطهم، اظهروا بعد الفلسطيني الخاص وتمسكوا به. راجع زياد ابو عمرو،**حركة الاسلامية في الضفة والقطاع**، (عكا: دار الاسوار، ١٩٨٩).
- (٣) بعد انتفاضة الثورة العام ١٩٦٥ رفضت جماعة الاخوان المسلمين في الاردن الانخراط في الكفاح المسلح. وبعد هزيمة حزيران/يونيو ١٩٦٧ لم يلعبوا دورا مباشرا في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي. وفي السبعينيات، نشأ جدال داخلي واسع واتهموا فصائل الثورة بخدمة المشاريع الهدافة الى تصفيه القضية الفلسطينية، واصدر بعض مشايخهم فتوى حرمت شهداء العمل المسلح من مرتبة الشهداء. وظلوا حتى انطلاق الانتفاضة يعتبرون الوقت غير ملائم بعد لمواجهة الاحتلال.
- (٤) في ٢٢ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٨ شجب مجلس الامن الدولي بشدة ويغلبية ١٤ صوتا وامتناع المندوب الامريكي ما تتبعه اسرائيل من سياسات ومارسات تنتهك حقوق الانسان الفلسطيني في الاراضي المحتلة، واكد من جديد ان اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب تنطبق على الاراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ بما فيها القدس.
- (٥) في ايار/مايو ١٩٨٨ قام الرئيس السوفيتي غورباتشوف بزيارة واشنطن، وردا على اسئلة الصحفيين قال:

الانتفاضة قادرة على الصمد في مواجهة القمع الاسرائيلي ثقة طيبة، وسيتعذر على الاسرائيليين إخدامها بالقوة فهم، تتمت بمحنة بمقدار طيبة يفعل المشاركين الجماهيرية الواسعة فيها.

٧) حتى انطلاقة الانتفاضة، خللت قصائص الثورة تعامل مع منظماتها في الداخل باعتبارها فرعاً من فروع منظماتها المنتشرة في شتى أنحاء العالم، ولم يفكر أي منها في منع الداخل نسبة خاصة في تركيبة هيئاته الحزبية القيادية، وظل تمثيل الداخل رمزاً. فالمجلس الثوري لحركة فتح لم يكن بين اعضائه عضواً من الداخل، ونسبتهم في اللجنة المركزية للديمقراطية لم تتجاوز ١٪ في احسن الاحوال. الى ذلك ظل الداخل غير ممثل في الهيئات القيادية للثورة.

(ب) بعد انتلاقة الانقاضة شعرت بشيء من تأثيـر الضمير تجاه الداخل. وكانت واحداً من المصدوـمين ومن ابنتهـم ضمائرـهم حول هذا التـصـير. وفـكرـتـ في ما يـمـكـنـ عـلـهـ من السـاحـةـ الـلـبـانـيـةـ لـدـعـمـ الـانـقـاضـةـ وـانـحـصـرـ التـفـكـيرـ فـيـ حـيـنـهـ بـتـصـيـرـ العمـليـاتـ مـنـ الحـدـودـ، وـارـسـالـ أـكـبرـ قـدـرـ مـمـكـنـ مـنـ الـكـادـرـ العـسـكـريـ وـالـسـلاحـ لـلـداـخـلـ تـضـيـرـاـ لـمـرـحـلـةـ اـسـتـخـدـامـ السـلاحـ ضـدـ الـاحـتـالـ. وـلـاحـقاـ تـبـيـنـتـ مـعـ رـفـاقـ اـخـرـينـ فـكـرـةـ تعـزـيزـ مـوـقـعـ الدـاخـلـ فـيـ الـهـيـنـاتـ الـقـيـادـيـةـ الـأـوـلـىـ لـلـجـبـهـةـ. وـيـدـاتـ اـتـحـدـتـ دـاخـلـياـ وـفـيـ الـلـقـاءـاتـ الـوطـنـيـةـ الـفـلـاطـسـطـيـنـيـةـ عـنـ ضـرـورةـ تـشـحـيمـ الـبـنـادـقـ وـالـرـاشـاشـاتـ وـالـمـدـافـعـ فـيـ مـرـحـلـةـ الـانـقـاضـةـ كـيـ لـاـ يـخـرـجـ مـنـهـاـ أيـ صـوتـ يـغـطـيـ أوـ يـرـجـعـ صـوتـ الـانـقـاضـةـ. وـتـحدـثـ عـنـ الـمـلـيـارـاتـ الـتـيـ اـنـقـذـتـ فـصـائـلـ الـثـورـةـ فـيـ لـبـانـانـ خـلالـ 15ـ عـامـاـ، وـلـمـ تـنـقـقـ مـاـ يـعـادـلـ 5%ـ مـنـهـاـ عـلـىـ بـنـاءـ الـمـؤـسـسـاتـ فـيـ الدـاخـلـ. وـلـاحـقاـ، سـبـبـ لـيـ هـذـاـ الـوـصـفـ الـهـزـلـيـ الـمـقـصـودـ إـشـكـالـاـ دـاخـلـياـ، وـبـخـاصـةـ مـعـ رـفـاقـ فـيـ الـمـكـتبـ الـسـيـاسـيـ الـجـبـهـيـ الـذـيـ اـنـتـصـرـ إـلـيـ، وـاستـخـدـمـ فـيـ التـحرـيـضـ ضـدـ الـتـيـارـ الـديـمـقـراـطـيـ فـيـ الـجـبـهـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ.

(٨) بعد رحيل أبو عمار من طرابلس، استندت لي مهمة قيادة قوات الثورة في لبنان، وخلال حرب المخيمات توغلت العلاقة الشخصية مع وليد جنبلاط. وبعد فشلي في تأمين الانتقال الداخلي بالاعتماد على امكانات الجبهة توجهت إلى وليد جنبلاط وطلبت مساعدته ويومنها قلت له: أبو تمام في تغريبة بني هلال كثيرا ما وردت جملة تقول "البلاد طبلت أهلها" وأنا الآن أكرر قول بني هلال، وأنت ملك الزمان الذي يمكنه أن يلبي لي رغبة العمر، وإن أنسى لكم جميلاكم تجاه شعبنا، واقتاجي إذا حرقتك لي رغبتي.

٩) طرح شولتس مبادرة جديدة أكد فيها على ضرورة الشروع في تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، واقتصر جدول زمني لمفاوضات المرحلة الانتقالية والنهائية. راجع نص المبادرة في كتاب "الانقلاب" معدون نوقل، الانقلاب (عمان: دار الشروق، ١٩٩٦)

١) بعد تجاذب شولتس قيادة م.ت.ف، صمم ابو عمار على افشال لقائه بشخصيات الداخل، وتولي بنفسه اجراء الاتصالات اللازمة لذلك وكان اهمها ضغطه المباشر على الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم الذي استجاب لطلب ابو عمار دون قناعة، ونجح ابو عمار في افشال اللقاء.

(١) بعد مغادرته طرابلس بقي أبو عمار وأبو جهاد على اتصال مع قيادات فتح في مناطق ومحixinات لبنان، وكان أبو عمار يتبع يومياً بشكل تفصيلي ما يجري في كل أنحاء لبنان، ولم يكن يعتمد على الاتصالات التي تجريها لجنة لبنان المتواجدة بجانبه، أو على حصيلة اتصالات أبو جهاد. وكان قادة فتح في الواقع يتذمرون تليمياته حتى لو لم يكتنوا متفقين بها. وخلال معارك شرق صيدا ومقدونية، كثف اتصالاته وتختلف في تفاصيل الدفاع عن مقدونية، وأصدر تليمياته بعدم الانسحاب في كل الظروف والاحوال.

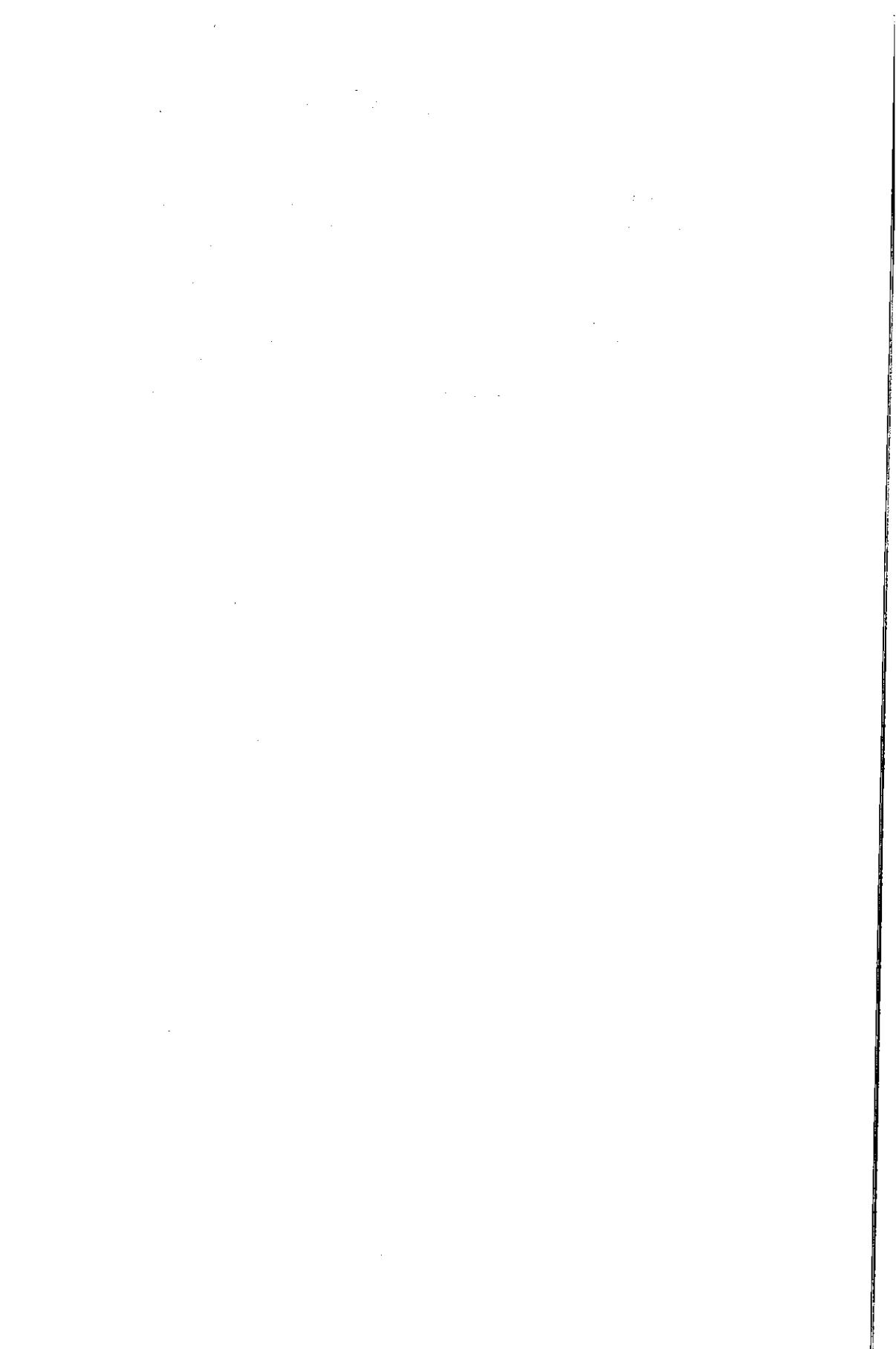
^{١٢} لمعرفة مزيد من التفاصيل حول اغتيال ابو جهاد ودور الجنرال ايهود باراك، راجع بن كسبيت وايلان كفري، باراك الجندي الاول (عمان: دار الجليل، ١٩٩٩).

^{١٢}) بعد احتدام الخلاف الداخلي، سعى كل طرف إلى كسب موقف قيادة منظمة الجبهة في الداخل. وأنحازت

قيادة الداخل الى موقف التيار الديمقراطي، وارسلت رسالة عبرت فيها عن موقفها بوضوح. راجع نص الرسالة... ملحق رقم (١٤).

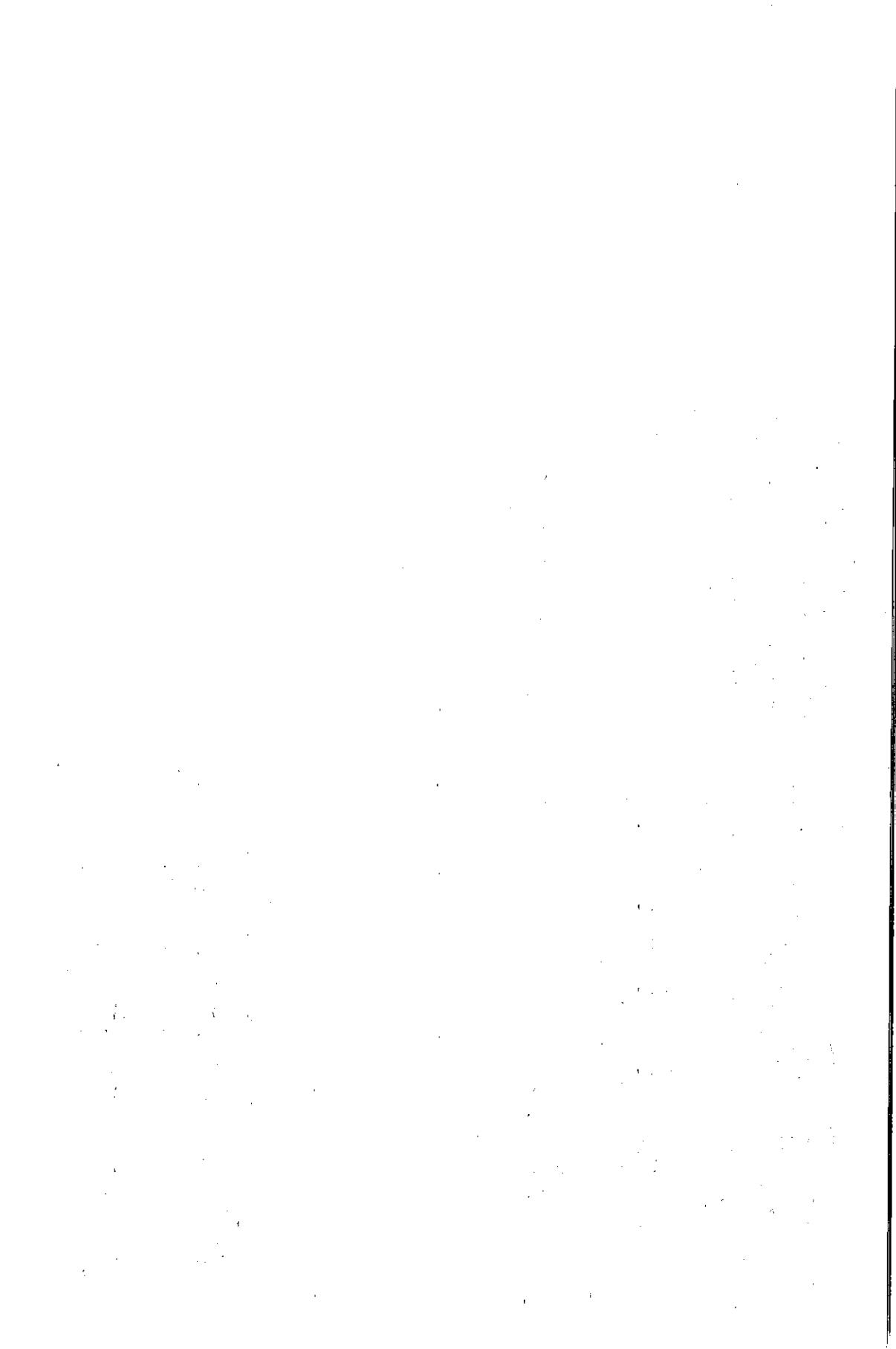
(١٤) بعد قرارات المكتب السياسي بإعادة توزيع المهام على أعضائه ونثلي من لبنان الى تونس، طلبت من السفير الجزائري تأمين مغادرتي مطار بيروت باتجاه صوفيا، وكانت احمل جواز سفر دبلوماسيًا جزائريًا باسم محمد بن يحيى. وكانت السفارة البلغارية في بيروت قد منحتني فيزا وامضت استقبالي واقامتي في صوفيا. وبمساعدة الطرفين غادرت مطار بيروت بسلام يوم ٢٨ آب /اغسطس ١٩٨٨، ومكثت في صوفيا ثلاثة أيام ثم غادرتها الى تونس.

(١٥) من البداية، رفضت قيادة حركة حماس المشاركة في الاطر القيادية للانقاضة في الداخل والخارج. لاحقاً شارك في أحد اجتماعات اللجنة العليا للانقاضة السيد عبد الرحمن حوارني كممثل للحركة. وقدمه ابو عمار باعتباره أحد قياداتها التاريخية التي تعمل في السعودية منذ سنوات طويلة. لاحقاً، غاب الحوارني عن الاجتماعات، وغادر تونس بعد ان تبرأت "حماس" من دوره وانكرت عليه انتسابه لها.



الفصل الرابع

مبادرة السلام تفجر خلافات فلسطينية كبيرة



مبادرة السلام تفجر خلافات فلسطينية كبيرة

رياح الحرب الباردة تتحرك نحو المنطقة

مع تواصلها وتصاعد زخمها، خلقت الانتفاضة وضعاً نوعياً جديداً في منطقة الشرق الأوسط، ووضعت النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي على نار حامية، ودفعت بالقوى الدولية والدول الكبرى للتحرك من جديد بحثاً عن حلول لهذا الصراع المزمن. إلى ذلك، تحركت من جديد رياح الحرب الباردة بين العمالقين السوفياتي والأمريكي باتجاه المنطقة، وتحركت الإدارة الأمريكية بقوة لاستثمار الانتفاضة في تعزيز تفردها بعمليات البحث عن حل، وضمان مصالحهما الاستراتيجية الحيوية فيها، باعتبار أن من يصنع الحل يقطف ثماره. وتقاطعت المصالح السوفياتية مع مصالح القيادة الرسمية لمنظمة التحرير، وأدارت القيادة السوفياتية ظهرها لجبهة الرفض والمنشقين الفلسطينيين، ووقفت مساندتها لمواقف القيادة السورية من الصراع الفلسطيني الداخلي. وتحرك دبلوماسيوها باتجاه قيادة المنظمة في تونس لاستثمار الانتفاضة، وتوظيف ما خلقته من أجواء، وبخاصة في اللقاءات المرتقبة بين وزير الخارجية أدولف شيفرنادزه ونظيره الأمريكي شولتس في نيسان/أبريل ١٩٨٨، وبين الرئيسين ريفان غورباتشوف في شهر أيار/مايو من العام ذاته.

وفي ٧ نيسان/أبريل ١٩٨٨، أي بعد أربعة أشهر على الانتفاضة، وجه الاتحاد السوفياتي دعوة لوفد من قيادة المنظمة برئاسة أبو عمار لزيارة موسكو، بعد أن ظل يتهرب من دعوة مثل هذا المستوى القيادي الفلسطيني، بسبب تقديرات سوفياتية خاطئة تتعلق بمواقف م.ت.ف. المحتملة بعد خروجها من بيروت. وبعد الاتفاق الأردني - الفلسطيني في العام

١٩٨٥ فترت العلاقة الفلسطينية - السوفياتية، وعارض السوفييت الاتفاق بقوة، خشية أن يكون حسان طروادة لطربهم من المنطقة. وفقدت العلاقة بين الطرفين حيويتها التاريخية المعروفة قبل العام ١٩٨٢، ووصلت حد الجمود. وتجنب السوفييت من عام ١٩٨٤ حتى ١٩٨٨، دعوة أبو عمار لزيارة موسكو، كي لا يمنحوا منظمة التحرير، الموقعة على "اتفاق عمان" من خلف ظهرها، أي دعم معنوي في مواجهة خصومه الفلسطينيين والعرب المعارضين للاتفاق.

والى ذلك، حظيت تلك الزيارة باهتمام استثنائي لدى الأوساط السياسية والإعلامية العربية والدولية وفي الأوساط الشعبية الفلسطينية. وخلال لقاءات الوفد الفلسطيني في موسكو برئاسة أبو عمار، عبر الجانب السوفيتي، على لسان الرئيس غورباتشوف أمين عام الحزب الشيوعي السوفيتي، عن التضامن مع الانتفاضة ومع أهدافها العادلة^(١) وعبر عن مشاعر الفخر والاعتزاز السوفيتي بنضال الشعب الفلسطيني العنيف ضد الاستعمار ومن أجل انتزاع حقوقه الوطنية وتحرير أرضه من الاحتلال. وأكد غورباتشوف قناعة السوفييت بأن الانتفاضة تتمتع بميزات ديمقراطية عميقة ومتعددة، أهمها المشاركة الجماهيرية الواسعة فيها، وأن هذه الميزات تمكّنها من الصمود في مواجهة القمع والإرهاب الإسرائيلي، والتواصل حتى تحقيق أهدافها. وخلال تلك الزيارة حذر السوفييت من محاولات البعض اجهضها، وحددوا من جديد رؤيتهم لعناصر التسوية العادلة والدائمة لقضايا المنطقة. وعبر القادة السوفييت أمام الوفد الفلسطيني، عن قناعتهم أن الانتفاضة قادت إلى تغيير نوعي في الموقف الدولي من الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ومن كل قضايا النزاع في الشرق الأوسط، ولو لاما لما تحركت الإدارة الأمريكية ولما نشّطت مساعيها الدبلوماسية من جديد بحثاً عن حلول. واضافوا أن الوضع السياسي الدولي الراهن يعمل لصالح تحقيق تسوية عادلة في الشرق الأوسط. واتفق الطرفان الفلسطيني والسوفيتي على انه لا يمكن إجراء تسوية لصراعات المنطقة دون مشاركة الاتحاد السوفيتي إلى جانب الولايات المتحدة، ودون الاعتراف بدور م.ت.ف. كطرف رئيسي يمثل الشعب الفلسطيني في المؤتمر، وشددوا على ان يستند المؤتمر المنعقد إلى مبدأ حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بهذا المبدأ، كقاعدة من قواعد عمله، وبخاصة القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨. وخلال الزيارة أعلمتقيادة السوفياتية الوفد الفلسطيني بأنها أبلغت الإدارة الأمريكية بأن مبادرة شولتس تأخذ بعين الاعتبار فقط مصالح طرف واحد وهو إسرائيل، وأنها اذا كانت راغبة حقاً في التوصل إلى تسوية حقيقة فإن التسوية، أي تسوية، يجب ان تراعي مصالح جميع الأطراف ويشكل متوازن، وأن عناصر التسوية ينبغي ان تتضمن شروطاً أساسية ثلاثة: الانسحاب التام من الأرضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، وإقرار الحقوق الوطنية

للشعب الفلسطيني، بما في ذلك حقه في تقرير مصيره بنفسه وإقامة دولته المستقلة، وضمان الأمن لجميع شعوب ودول المنطقة وفقاً لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بذلك. وأبلغ السوففيت الوفد الفلسطيني تقديراتهم بأن شامير قد توصل خلال زيارته إلى واشنطن إلى تفاهم مشترك بالتراث، وأن يجري العمل على كسب الوقت حتى يتسمى للحكومة الإسرائيلية اتخاذ الخطوات والتدابير التي تكفل قمع الانتفاضة وإخمادها، وتسهل على الإدارة الأمريكية تحركها لمعالجة نزاعات المنطقة.

يومها، تعامل الوفد الفلسطيني مع هذه المعلومات باعتبارها معلومات أكيدة، وأكد تطابق الموقف الفلسطيني مع الموقف السوففيتي بشأن أهمية انعقاد المؤتمر الدولي. وشرح الأسس السياسية المتوازنة التي تعتمدها م.ت.ف. لانعقاده، وفي مقدمتها التمسك بجميع هيئات قرارات الأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية التي توفر الحل العادل والشامل. وبصدد التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي، وأكد الوفد الفلسطيني أن ذلك يتم من خلال توجيه دعوة مستقلة إلى منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وأن المنظمة يمكن أن تشتراك بوفد مستقل أو في إطار وقد عربى مشترك مع بقية البلدان العربية المعنية. وأيد الجانب السوففيتي هذا المطلب العادل للمنظمة. ولاحظ الجانب السوففيتي أن التطورات الأخيرة، وبخاصة اندلاع الانتفاضة وتواصلها، أثبتت استحالة استبعاد المنظمة عن حل أزمة الشرق الأوسط، وان اتساع الاعتراف الدولي بهذه الحقيقة يتزايد يومياً أكثر فأكثر، ويحاصر الموقف الإسرائيلي المدعوم أمريكا. وتحدث أبو عمار عن الجهد الذي بذلتها القيادة الفلسطينية لعقد قمة عربية طارئة لدعم الانتفاضة، وتوحيد الموقف الرسمي العربي تجاه المسائل السياسية المطروحة. وأكد الوفد حرص م.ت.ف. على تصحيح العلاقة مع سوريا، وطلب مساعدة السوففيت على هذا الصعيد. وأبدى الجانب السوففيتي حماساً شديداً للموضوع، ووعد باستمرار بذل الجهود مع القيادة السورية لتحقيق هذا الغرض. واتفق الطرفان على استمرار التواصل، واجراء الاتصالات الدولية والإقليمية الالازمة، ومتابعة التشاور والتنسيق فيما بينهما.

ومع تصاعد الانتفاضة، كان الدعم الدولي لها ولمطالبها يتعاظم أكثر فأكثر، ومع تعاظمه كانت إسرائيل تتعرض لضغوط خارجية قوية من اقرب حلفائها الدوليين. وكانت صورة الإرهاب الفلسطيني تت弟兄 أكثر فأكثر من ذهن الرأي العام العالمي، وتحل محلها صورة إسرائيل كدولة إرهابية. وتوالت اجتماعات مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت كلها تخرج بقرارات تدين الممارسات القمعية الإسرائيلية وتدعم مطالب الانتفاضة. ولم تنج الإدارة الأمريكية من النقد الخارجي والداخلي بسبب مواقفها الداعمة والمؤيدة للمواقف غير الواقعية الإسرائيلية، والصادمة على ممارساتها القمعية

غير الإنسانية ضد النساء والشيوخ والأطفال العزل من السلاح. وتعرضت واشنطن لضغوط عربية كان أقواها ما صدر عن أقرب أصدقائها وحلفائها، فلم يتربد بعض الزعماء العرب في مصارحة أركان الإدارة الأمريكية بأن استمرار دعمها للأعمال الوحشية الإسرائيلية يعرض المصالح الأمريكية في المنطقة لأخطار جدية، ويعرض عدداً من الدول العربية لحالة خطيرة من الأضطرابات وعدم الاستقرار، ويسهل وبعجل في مد لهيب الانتفاضة إلى شوارع بعض العواصم العربية.

ومع تواصلها، عززت الانتفاضة ثقة الشعوب العربية بنفسها ومن ضمنها شعب فلسطين، وأعادت الاعتبار للنضال الوطني الفلسطيني بعدما شوهته الصراحتين الفلسطينية الداخلية والحروب التي وقعت على الأرض اللبنانية. وأقامت السوريين والقوى الفلسطينية المعارضة واللبنانية المتحالفه معها بأن لا طائل من استمرار حروبها المدمرة على المخيمات الفلسطينية في لبنان، خصوصاً ان الانتفاضة نقلت نقل حركة النضال الوطني الفلسطيني للأراضي المحتلة، فقد الوجود الفلسطيني الفصائلي، وخصوصاً الفتحاوي، في لبنان موقعه الرئيسي الحاسم في النضال ضد الاحتلال، وتعزز مكانة منظمة التحرير عربياً ودولياً. وتوقفت حروب أمل ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان، وتم تخفيف الحصار المضروب حول سكانها. وأخرجت الانتفاضة التيار الإسلامي من أزمة الوطنية، وسهلت عليه توحيد صفوفه في الضفة والقطاع. وحررته من مأزق عدم مشاركته لأطراف الحركة الوطنية، لسنوات طويلة، في محاربة الاحتلال بالسلاح، بعد أن ظل سنوات طويلة يناصب الحركة الفلسطينية العداء، وكثيراً ما افتعل معها معارك جانبية، في موقع كثيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وخلال أقل من ٦ شهور، نجحت الانتفاضة في إعادة الاعتبار كاملاً لمنظمة التحرير بعدما نفرت بعض الأنظمة منها. وأحيطت الانتفاضة بعض مظاهر التضامن العربي من جديد. واستجابت الدول العربية لطلب قيادة م.ت.ف. عقد مؤتمر القمة العربية لدعم الانتفاضة. والتقي عدد من الزعماء العرب في الجزائر ٩-٧ حزيران/يونيو ١٩٨٨ للبحث في سبل دعم الانتفاضة ومواجهة الغطرسة الإسرائيلية وأسس توحيد الموقف العربي حول مفهوم تسوية النزاع العربي الإسرائيلي. وقبل مغادرتهم أرض الجزائر قرروا تقديم دعم مادي للانتفاضة من خلال مؤسسات منظمة التحرير. كما جددوا التزامهم باعتبار منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد لشعب الفلسطيني. ودعوا المجتمع الدولي والأمم المتحدة والدول الكبرى للتحرك لحماية الشعب الفلسطيني، والضغط بقوة على إسرائيل لوقف أعمال البطش والتنكيل التي تقوم بها ضد شعب الانتفاضة. وطالبوها بتحرك دولي جماعي فعال من أجل إيجاد حل عادل وشامل و دائم للقضية الفلسطينية وللنزعاع العربي الإسرائيلي. وأعادوا التأكيد، من جديد، على اعتبار المؤتمر الدولي بمشاركة كل الأطراف بما فيها م.ت.ف. هو الإطار المناسب.

ومع تأكيد الانتفاضة على دور م.ت.ف.. أدركت القيادة الأردنية ان مرحلة جديدة قد بدأت، ليس فقط على صعيد علاقتها بالضفة الغربية ومنظمة التحرير، بل على صعيد وضع المنطقة ككل، وأقدمت على خطوة سياسية نوعية تمثلت في إعلان الحكومة الأردنية في ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٨٨ عن إلغاء الخطة الأردنية للتنمية في الضفة الغربية. وفسرت الحكومة موقفها بالقول إنها اتخذت قرارها "إيمانًا منها بان الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسي في حل قضيتها، ودفعاً لاي شبهة قد تنشأ حول تعامل الاردن مع الشعب الفلسطيني في أرضه بحكم الصلة الوثيقة تاريخياً وجغرافياً بالشعب الفلسطيني، وتباوياً مع توجهات ورغبة م.ت.ف. ممثله الشرعي والوحيد". وبعد يومين، أعلن الملك حسين في ٣١ تموز/ يوليو ١٩٨٨ عن فك الارتباط الأردني بالضفة الغربية^(٢)، في وقت كانت اللجنة التنفيذية تعقد اجتماعاً عادياً في بغداد. وأكد الملك وقوفه بجانب نضال الشعب الفلسطيني بقيادة م.ت.ف. ضد الاحتلال، وقال في خطابه: "ما دامت هناك قناعة جماعية بأن النضال من أجل تحرير الأرض المحتلة يمكن أن يدعم بفك العلاقة القانونية والأدارية بين الضفتين فلا بد ان نؤدي واجبنا ونفعل ما هو مطلوب منا".

يومها، اختلف أعضاء اللجنة لمنظمة التحرير في تفسير الموقف الأردني، لا سيما وإن الشك في النوايا كان سائداً لسنوات طويلة في علاقة الطرفين بعضهما البعض. البعض اعتبره مؤامرة أردنية هدفها تخلي الأردن عن مسؤولياته السياسية والاقتصادية تجاه الشعب الفلسطيني في وقت حرج وحساس، ومحاولة إخراج قيادة م.ت.ف. واختبار قدرتها على تحمل المسؤولية، والمرأهنة على فشلها في النهوض ببعض المسؤولية. وطالب أعضاء في التنفيذية بتبني موقف يقول بأن الإجراء الأردني باطل لأنه إجراء تم من طرف واحد، وبدون علم منظمة التحرير ودون تنسيق مسبق معها. أما الرأي الآخر فقد اعتبر الخطوة الأردنية ثمرة من ثمار الانتفاضة، ونتيجة تجديد العرب التزامهم باعتبار م.ت.ف. معملاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وتسليم دول العالم بأن المنظمة هي الاب الشرعي للانتفاضة، وطالب بالترحيب بالموقف الأردني والإعلان أن م.ت.ف. سوف تتحمل كامل مسؤولياتها تجاه الأهل في الضفة الغربية، التي نشأت بعد خطوة فك الارتباط الأردنية. وفي نهاية النقاش، صدر بيان رسمي عن الاجتماع حمل وجهة نظر الرأي الثاني. لاحقاً، تبين أن الملك حسين سبق وان بلغ أبو عمار بتوجهاته الجديدة وبخطوة فك الارتباط قبل الإعلان عنها بساعات قليلة، ولم ينكر أبو عمار علمه المسبق بالخطوة الأردنية، إلا أنه اعتبر عدم تنسيق خطوة فك الارتباط مسبقاً وعدم نقاش تبعاتها مع قيادة منظمة التحرير بمثابة عدم إبلاغ له ويشير الشكوك في النوايا.

في حينه لم يختلف أعضاء المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية حول الموقف من الخطوة الأردنية، لكن خلافاتهم زادت حول العلاقة الفلسطينية - السورية، و حول تقييم

الانتفاضة وقدرتها على التأثير في الموقف الدولي من الحقوق الفلسطينية، وحول البرنامج السياسي الذي صار الوضع يتطلبه، وحول العلاقة بين الداخل والخارج.

(٢) وفي ١٩٨٨/٨/٤ ارسل ياسر عبد ربه رسالة مطولة الى قيادة الجبهة في دمشق، عرض فيها خلاصة مداولات اللجنة التنفيذية بشأن الخطوة الاردنية، وقال في الرسالة: "اجد نفسي مضطرا لكتابه هذه الرسالة المطولة، لكن الحال الوضع المتتطور على الصعيد الوطني يجعلني امام واجب ان اكتب لكم ما اجده ضروريا، وضروريا جدا ولا يتحمل التأخير... ان التطورات المتلاحقة تشهد على ان أزمة تتفاقم وتستشرى داخل صفوف حركتنا الوطنية، وبعض مظاهرها صار ظاهرا للعيان، كما سأشرح لاحقا. وهذه الازمة تشمل الجميع دون استثناء، ولو بدرجات، وتتجلى عندهنا بشكل او باخر. ومن المؤسف انه وبعد مرور ثمانية أشهر على اندلاع أهم حدث، الانتفاضة، في تاريخ شعبنا، الحدث الذي سماه بعض القادة من التقيناهم (بيلاك مثلا) انه تجربة فريدة في تاريخ كفاح الشعوب، لم تنسن لنا فرصة الوقوف الجاد امام مدلولاته وما يتطلب من سياسة جديدة، ومن توجهات على الصعيدين السياسي والتنظيمي، سواء بالنسبة لنا او لمجموع الحركة الوطنية". واستعرض باسهاب الموقف من الانتفاضة، وشرح مدلولات وابعاد انتقال مركز ثقل الحركة الوطني للداخل. وبين كيف ان الشريحة المهيمنة من البيروقراطية الفلسطينية تتصرف على اعتبار ان الانتفاضة بكل ما خلفه وتحدثه من نتائج وانجازات يمكن تجثيرها لصالح تعزيز نفوذ وهيمنة هذه الشريحة في الخارج. وقالت الرسالة: "لقد صارت الانتفاضة بحاجة الى مشروع سياسي تتقدم به الى العالم، لا يتضمن فقط مطالب الشعب الفلسطيني، كما هو حال البرنامج الوطني، وإنما تتضمن ايضا رؤية الشعب المنتفض لأسس التسوية في هذه المرحلة، ووظيفته الأساسية تسليم الانتفاضة بسلام سياسي يجعلها تشق طريقها، وتكسر، ولو بالتدريج، الجدران التي تقف امامها بما فيها داخل اسرائيل". وختم ياسر رسالته بالقول: "ارجو وارجو ان لا تتصرف، لا في قرار اتنا ولا في توجهاتنا التنظيمية باعتماد دمشق كمركز اتنا... ويجب ان لا تتصرف على اساس ان هذا هو المأوى الذي لا غنى عنه".

وفي إطار التنسيق الفلسطيني - السوفيتي المشترك، واستطلاع نتائج اللقاءات الأمريكية - السوفيتية التي تكثفت في تلك الفترة، والتعرف على رأي موسكو بشأن تاريخ انعقاد المجلس الوطني، توجه ياسر عبد ربه الى موسكو والتلقى يوم ١٩٨٨/٩/١١ نائب وزير الخارجية السوفييتية بولياكوف. وفي اللقاء عرض بولياكوف نتائج اتصالات السوفيت مع بعض الرسميين الأمريكيين ومع عدد من النواب والخبراء الأمريكيين،^(٤) وقال: "استقبلنا الموفد الأمريكي أرماكوست، وتم تبادل الآراء بشأن النزاعات الإقليمية ومنها: النزاع في أفغانستان، وال الحرب العراقية الإيرانية، وقضايا الشرق الأوسط، وجنوب إفريقيا، وكوريا،

وكمبوديا، وبعض المسائل المتعلقة بأمريكا اللاتينية". واكد بولياكوف عدم التوصل مع الموفد الأمريكي الى نتائج نهائية، لكنه لمس نهجا مشتركا في السعي لتسوية كل هذه المسائل بالوسائل السلمية. وأشار بولياكوف الى ان الجانب السوفييتي ألح في اللقاء على تطبيق اتفاقية جنيف بشأن أفغانستان. واكد تصميم الاتحاد السوفييتي على مواصلة انسحابه من أفغانستان وفق جدول متفق عليه مع حكومة نجيب الله. وإن المعارضة الافغانية الموالية لايران وبخاصة تحالف الأحزاب السبعة، غير ملتزمة بالاتفاقات، وتشهد أفغانستان سقوط قتلى يوميا، وقال: "سألنا الأميركيان بصراحة هل يريدون الحرب أو السلام في أفغانستان". واستنتاج بولياكوف انهم يريدون تسوية سياسية منسجمة مع طلبات المعارضة بإنشاء حكومة افغانية ائتلافية رجعية وليس حكومة مصالحة وطنية. وقال: "أكدنا موقفنا بإقامة حكومة مصالحة تجذب ومصالح الجميع". وبشأن تطور الوضع في باكستان قال بولياكوف: "الأميرikan قلقون جدا بشأن مستقبل النظام الباكستاني بعد اغتيال ضياء الحق، ونحن رفضنا بشكل حاسم وقاطع كل الافتراضات حول علاقتنا باغتياله".

و حول الشرق الاوسط، وأشار بولياكوف الى ان الأميركيان يقرؤن انه تشكلت فيه اوضاع جديدة نتيجة قرار الملك حسين بنقل الصلاحيات القانونية والإدارية للضفة الغربية إلى م.ت.ف. وقدر بولياكوف من لقائه مع مورفي، الذي تم بعد يومين فقط من قرار فك الارتباط، ان خطوة الملك جاءت مفاجئة للأميرikan، وان موسكو ترى ان القرار الاردني مثل مرحلة جديدة في طرق البحث عن حلول واقعية لنزاعاته المستحکمة، وكرس دور م.ت.ف. ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني. وقال بولياكوف: "مورفي يتصور انه بعد هذا القرار لا بد من التعامل مع المنظمة بصورة مباشرة، وانهحان وقت ذلك". وأشار الى اعتراف الأميركيان بأن قرار الملك جاء نتيجة رد فعل على قرارات قمة الجزائر، وان ارماكوست ومورفي حملـا الملك حسين مسؤولية تخريب اتفاق لندن بينه وبين شمعون بيروز. وأشار الى ان جميع الأطراف ينتظرون قرار م.ت.ف.، وان الأميركيان ينتظرون بالتحديد البرنامج السياسي الذي يمكن ان تطرحه المنظمة في الظروف الجديدة. واوضح ان الحديث يجري عن الاعتراف بقرار مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨، وتأكيد إعلان القاهرة^(٥)، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود. وقال بولياكوف: "في الوقت الحاضر لا يمكن تقييم الأوضاع في إسرائيل تقريبا موحدا". ويعتقد السوفيييت ان حزب العمل يسعى إلى الانتصار في انتخابات الكنيست القادمة، وهو مستعد من حيث المبدأ لاتخاذ خطوات عملية للتسوية على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام. ونقل عن الأميركيان قولهما ان قرار المجلس الوطني الفلسطيني سيؤثر مباشرة على نتيجة الانتخابات الاسرائيلية. واكد بولياكوف على ان الانتفاضة بدون عنف تتضع المجتمع

الإسرائييلي في وضع حرج جداً. وذكر بما قاله غورياتشوف، حول ضرورة ان يصل المجلس الوطني الفلسطيني الى قرار بالاعتراف بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، ويحق إسرائيل في الوجود، ويؤكد على الأمن المتبادل، والسلام لجميع دول وشعوب المنطقة، والإعلان عن الدولة. وقال: "هم يتهمونكم بالإرهاب، وإعلان القاهرة وثيقة مهمة جداً للرد عليهم، ومن المهم جداً الإشارة لها مرة أخرى في هذا الوقت بالذات. انتم وصلتم درجة من الواقعية والتضييق السياسي، والخطوات اللاحقة تعتمد على البرنامج السياسي الذي سيقره المجلس الوطني، وبالبرنامج الواقعي يمكنكم الحديث مع شمعون بيريز أو شامير.. وعندها يأتون إليكم ولن تكونوا بحاجة لأن تذهبوا إليهم..."

ومن زيارة جورج حبش الى موسكو، قال بولياكوف: "حبش جاء إلى موسكو وتحدث عن خيارات الإشراف الدولي، والدولة، والحكومة المؤقتة". وأضاف: "قلنا له فكرة الإشراف الدولي بشكل عام جيدة، لكن الأميركيان رفضوا هذا الاقتراح بشدة بعد أن عرضناه عليهم". ونقل الى الوفد الفلسطيني انه فهم من حبش بأنه سيصر في المجلس الوطني على موقفه الرافض للقرار ٢٤٢، وأن حبش لن يؤيد الدولة لكنه لن يعارضها. ورداً على سؤال ياسر عبد ربه لو أعلنا الحكومة هل تعرفون بها؟ وهل يمكن إبلاغ الأميركيان بتوجهات المنظمة ونوابها؟ قال بولياكوف: "نحن نطرح على الأميركيان أنكم تتحدثون عن شروط. أما بالنسبة لموقفنا من اعلانكم الحكومة فالملهم هو رد فعل الدول الأخرى، وتثيرات هذه الحكومة على الصيغة القانونية الدولية للقضية الفلسطينية". وأشار الى ان عدداً كبيراً من الدول الأوروبية ودول أمريكا اللاتينية تقول يجب ان يكون هناك دولة ذات سيادة حتى يعترفوا بالحكومة. ونقل عن شخصية أمريكية أقوالاً وصفها انها حكيمة خلاصتها انه يجب العمل بكل السبل حتى تصبح فكرة التخلص عن الأرضي المحتلة فكرة عادلة عند الإسرائيليين.

وحول موعد عقد المجلس الوطني، قال بولياكوف: "في اللقاء طرح حبش علينا، بحضور روبيت، سؤالاً حول الموعد الأنسب للمجلس الوطني قبل او بعد الانتخابات. وقلت له لو كانت الانتخابات في ديسمبر كنت، أنا بولياكوف، نائب وزير الخارجية، أتبني عقد المجلس الوطني في نوفمبر/تشرين الثاني، ولكن الانتخابات في نوفمبر/تشرين الثاني". واكد صعوبة تحديد موقف سوفيتى من الموضوع، ورأى ان الواقعية تدفع نحو عدم عقد المجلس إلا بعد بحث الامر مع الأميركيان، وأن أسبوع أو أسبوعين تأجيل افضل للفلسطينيين.

لاحقاً، نقل الاتحاد السوفييتي للقيادة الفلسطينية خلاصة لقاء وزير الخارجية الأميركي والsovieti شيفرنادزه - شولتس، الذي تم الفترة بين ٢٤-٢٢ ايلول / سبتمبر ١٩٨٨. وفي إطار العلاقة الخاصة للحزب الشيوعي السوفييتي مع الجبهة الديمقراطية حرص

أركان السفارة السوفيتية في دمشق على إطلاع قيادة الجبهة الديمقراتية على مضمون الرسالة السوفيتية للقيادة الفلسطينية.^(١) وقد أشار شيفرنادز إلى الإجماع الواسع الذي تبلور في العالم لصالح مؤتمر دولي، وإلى أن التطورات في منطقة الشرق الأوسط تخلق معطيات لبده الخطوات العملية لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، وإن التلاؤ قد يؤدي إلى انفجار كبير جديد يشكل خطرا حقيقيا على السلام الدولي، وإن الواقعية المتزايدة في الموقف الفلسطيني لا تلقى للأسف، حتى الآن، موقفا مناسبا من تل أبيب. وأشارت الرسالة إلى أن شيفرنادز قد للجانب الأمريكي التصور السوفيتى للمرتكزات الأساسية للحوار حول التسوية، وكانت على النحو التالي: القاعدة القانونية الدولية لقيام الدولة الفلسطينية هي القرار ١٨١، ولابد من الاعتراف بقرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨، وحل مشكلة اللاجئين على أساس قرارات الأمم المتحدة، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تحرير المصير وإقامة الدولة، وإقامة كونفرالية بين الدولة الفلسطينية والأردن، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، والتخلص من الإرهاب، وعقد مؤتمر دولي بمشاركة جميع الأطراف المعنية، بما فيها م.ت.ف. وإسرائيل والدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي. وقالت الرسالة السوفيتية إن شيفرنادز اقترح على شولتس الدخول في بحث عملى لموضوع عقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي، وإن شولتس وعد بالتفكير بإمكانية التقارب بين الموقفين السوفيتى والأمريكي، وقال إن بعض الأفكار السوفيتية المطروحة تسير في الاتجاه الصحيح. وركز شولتس على فكرة خلاصتها أن مقياس فائدة المؤتمر الدولي هو السؤال التالي: هل يمكن لهذا المؤتمر أن يسهل المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والعرب. وختم السوفيت رسالتهم للقيادة الفلسطينية بالقول: "لسنا من أقوالهم تأثيرا متزاما للحملة الانتخابية في أمريكا وإسرائيل على النهج السياسي للإدارة الأمريكية في أمور الشرق الأوسط".

في حينه، شكك بعض أعضاء المكتب السياسي للجبهة بكلام ياسر عبد ربه حول نتائج زيارة موسكو، ورفضوا التبعية لموسكو!.. وشددوا على استقلالية موقف الجبهة عن الرفاق السوفيت. وزاودوا بالحديث عن عدم الارتهان لمواقف السوفيت. علما بأن الأمين العام كان من المتحمسين جدا لتطوير العلاقة مع الحزب الشيوعي السوفييتي، ومن أشد المدافعين عن مواقفه، هذا الدفاع الذي بلغ درجة دخول الجبهة الديمقراتية في مناسبة قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني واللبناني حول العلاقة مع موسكو.

استجابة متأخرة لتوجهات الانتفاضة الواقعية

بعد أكثر من نصف عام على انطلاقتها، كانت الانتفاضة قد تحولت إلى نمط حياة، وعمقت ثقة الفلسطينيين داخل الوطن وخارجه بأنفسهم وقدرتهم على مواجهة الاحتلال.

وواصلت بث شحنات قوية من توجهاتها السياسية الواقعية. وارسلت القيادة الوطنية الموحدة اكثر من رسالة للقيادة الفلسطينية تضمنت المطالبة بتوفير الحماية السياسية لانتفاضة، ودفع النضال الفلسطيني من اجل حقوقه الوطنية خطوات جديدة على الصعيد الدولي، وطالبتها بتبني موقف واقعي يقوم على الاعتراف الرسمي بوجود دولة إسرائيل ضمن حدودها قبل حرب ١٩٦٧، وربط هذا الاعتراف بتسليم إسرائيل ودول العالم بقيام الدولة الفلسطينية المستقلة على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة التي احتلت منذ العام ١٩٦٧.

إلى ذلك، فتحت القيادة الفلسطينية، تحت ضغط الانتفاضة، ورشة حوار داخلي حول عقد دورة جديدة للمجلس الوطني استمرت ما يقارب ثلاثة أشهر،^(٧) شارك فيها اعضاء اللجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية وممثلون اضافيون عن كل الفصائل باستثناء منظمة الصاعقة والقيادة العامة والمنشقين من جماعة أبو موسى (الانتفاضة) وجماعة عربي عواد. كان هدف الحوار محاولة الوصول إلى اتفاق بشأن تعديل البرنامج المرحلي للمنظمة وتوضيحه بصورة ملموسة، والوصول إلى قاسم مشترك حول صيغة اعتراف م.ت.ف. بالقرارين ٢٤٢ و ٣٢٨، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، كما طالب بذلك الانتفاضة بعض الدول العربية والدول الكبرى.

في حينه، ظهرت حالة تباين داخل القيادة الفلسطينية وداخل كل فصيل من فصائل الثورة دون استثناء. وكان أوضحها وأخطرها ما ظهر في الجبهة الديمقراطية من خلافات فكرية وسياسية وتنظيمية خرجت من الأطر الداخلية إلى الأطر الوطنية داخل وخارج الوطن. ولم أتردد في أول اجتماع عقده القيادة الفلسطينية في تونس تحضيراً لدور المجلس الوطني في الرد مواجهة على موقف الأمين العام للجبهة. وقلت بوضوح: "ليس سراً أن هناك خلافات سياسية داخل قيادة الجبهة حول التوجهات الوطنية، وإذا كان بعض الرفاق، ومن ضمنهم الأمين العام، يعتبرونها شأنًا داخلياً فلأننا اعتبر قضيائنا الانتفاضة والموقف منها شأنًا وطنياً من الطراز الأول. ومن حق كل الوطنيين الفلسطينيين الغيورين على الانتفاضة ومصالح الشعب التدخل لمنع وقوع ما يؤثر على مسيرتها، فهي رأس مالنا الوطني لا نملك سواه وليس من حق أحد تبديده". وأكدت على أن ما طرحته الأمين العام يمثل وجهة نظر تيار أو اتجاه في الجبهة، وإن هناك تياراً آخر له وجهة نظر أخرى. ورحت استعرض وجهة النظر الأخرى من قضايا الخلاف. عندها صدم الحاضرون وفوجئوا بالموقف، وصمم الأمين العام من عرض الخلافات الداخلية على القيادة الفلسطينية، معتبراً ذلك محاولة للاستعانة بقوى خارجية والاستقواء بها ضدّه وضد رفاق آخرين. لكنني لم اكتثر بذلك، وتابعت الحديث، داخلياً وخارجياً عن الخلافات في الجبهة. فصدمة الانتفاضة ايقظتني، ودفعتنا ورفاقاً آخرين للشروع، بجرأة، في مراجعة

المفاهيم السائدة حول العمل الحزبي والعلاقات الحزبية الداخلية التي لا تتسع الا لرأي واحد وتقع الرأي الآخر، خصوصاً وان مواقف الجبهة خلال حروب أهل على المخيمات الفلسطينية في لبنان، أقنعني بأن غالبية قيادة الجبهة تغلب مصالح التنظيم الضيقة ومصالحها الخاصة على المصالح الوطنية العامة. مما الحق أضراراً كبيرة بمصالح الفلسطينيين في لبنان وبالوحدة الوطنية وبال موقف الوطني العام، وقدم خدمة هامة للمنشقين، ارضاءً للسوريين، ووفر غطاءً فلسطينياً لحربيهم وحرموا حركة أهل ضد م.ت.ف.، حين حملت "اليمين الفلسطيني" مسؤولية تغيير حروب المخيمات، علماً ان معلوماتها وقناعاتها تؤكد عكس ذلك.^(٨)

في آب/اغسطس ١٩٨٨ عقد المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية دورة اجتماعات لتحديد موقف الجبهة وتوجهاتها الوطنية تمهدًا لانعقاد دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة. في تلك الدورة تقدم عدد من الأعضاء بمشروع سياسي يحدد وجهة عمل الجبهة وهيئتها المركزية في إطار مؤسسات منظمة التحرير وفي الاجتماعات القيادية الفلسطينية التحضيرية. تضمن المشروع اقتراحات محددة منها: العمل على صدور مبادرة سياسية فلسطينية تتضمن التأكيد على إقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع وعاصمتها القدس إلى جانب دولة إسرائيل.^(٩) وان تبدي الدولة الفلسطينية استعدادها للالتزام بجميع ترتيبات الأمن التي يقرها المؤتمر الدولي بين جميع دول المنطقة. وتؤكد المبادرة المقترحة على ان الاعتراف المتبادل يمكن ان يتم على قاعدة التكافؤ وضمان احترام حق الشعب الفلسطيني في الاستقلال، وعلى ان ينعقد المؤتمر الدولي على قاعدة قرار ٢٤٢ وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وفق اختياره الحر والمستقل.. الخ. وأدخل الأمين العام، بالاعتماد على أغلبية في المكتب السياسي، تعديلات أساسية على المقترن تنسفه من أساسه. واقتراح ضوابط لموقف الجبهة في الحوار الوطني قيدت حركة المكتب السياسي، ابرزها: "ان لا تتناول كلمة الجبهة في المجلس الوطني مسألة دولتين للشعبين (فلسطينية ويهودية)" ، وفي الحوارات الثنائية والجماعية مع كافة الفصائل والقوى والشخصيات ان "لا تتصدر الدعوة إلى دولتين على ارض فلسطين". في حينه رفضت "أقلية" المكتب السياسي اقتراحات الأمين العام وضوابطه، وقدمت اقتراحًا بدعوة اللجنة المركزية لاجتماع لبت الموقف، مع منح الأقلية الحق في تقديم تقرير سياسي تنظيمي مستقل عن تقرير الأغلبية. وافق المكتب السياسي بالاجماع على الاقتراح، علماً بأنها المرة الأولى في تاريخ الجبهة التي يتم فيها الموافقة على تقييم أكثر من تقرير للجنة المركزية. وبعد الفشل في التوفيق بين الموقفين راح كل طرف يعد تقريره الخاص، ويجري الاتصالات الالزمة مع كوادر التنظيم داخل الوطن وخارجيه لتعزيز موافقه في اللجنة المركزية وفي صفو الكادر الأساسي. وصار شبه مؤكد ان الأزمة داخل الجبهة الديمقراطية مرشحة للتفاقم والدخول المجهول.

إلى ذلك، لم يتردد قادة التيار الديمقراطي داخل الجبهة في اطلاق قيادة فتح على مجريات الصراع مع أغلبية المكتب السياسي، واطلاق قيادة حزب الشعب وعدد آخر من الاصدقاء السياسيين، والطلب منهم التحرك في محاولة للتاثير على موقف الامين العام. وحاول ابو اياد استثمار علاقته الشخصية مع الامين العام، باتجاه الانتقال من دمشق الى تونس، وضغط على رموز التيار الديمقراطي (ياسر عبد ربه، صالح رافت، ممدوح نوبل، عصام عبد اللطيف، جميل هلل) باتجاه عدم قطع شعرة معاوية معه، والالتزام بالشكليات الحزبية، واحترام منصب الامين العام وخصوصا في الاجتماعات الرسمية واللقاءات الوطنية العامة. وشبه ابو اياد حالة الجبهة بطائرة صعدت بقمة في سماء العمل الوطني الفلسطيني، ونمط علاقاتها العربية والدولية بسرعة، وقال: "ان طائرتكم تحلق الان في الاعالي، وخلافاتكم تضعها امام الاستمرار في الصعود او السقوط بسرعة والتحطم على الارض". واستهجن موقف الامين العام وقيادة الجبهة من التوجهات الجديدة، وقال: "انت اصحاب البرنامج المرحلي منذ عام ١٩٧٤ ولا ادرى لماذا تتخلون عنه بعدما لاحت في الافق امكانية دفعه خطوات جديدة قوية على الصعيدين العربي والدولي، وفي العلاقة مع اسرائيل". الا ان الامين العام لم يستجب لطلب ابو اياد منه ان يترك دمشق، وتبني التوجهات الفلسطينية الواقعية، وظل على موقفه.

انتقلت خلافات الجبهة الى سائر فروعها ومنظوماتها الحزبية وهيئاتها القيادية والقاعدية داخل الوطن وخارجها. وعملت أغلبية المكتب السياسي على تقاييس نفقات الجبهة داخل الأرضية المحتلة، وتحولت موازنة منظمة الجبهة في الوطن المحتل الى قضية صراع أساسية اضافية في المكتب السياسي واللجنة المركزية^(١٠). واستخدمت أغلبية المكتب السياسي المال سلاحا لمحاربة منظمة الجبهة في الداخل ومحاصرتها، لسبب بسيط هو انحيازها رسميا الى مواقف التيار الديمقراطي حول قضايا الخلاف السياسية والتنظيمية. إلى ذلك، وضعت "الاغلبية" مبالغ طائلة تحت تصرف عدد محدود من الكادر من التزم بموافقتها للتاثير على مواقف الكوادر والعناصر وتأمين انحيازهم لها. وكانت نتيجة هذه السياسة من طرفى الجبهة "الاغلبية والأقلية" إفساد أعداد كبيرة من كوادر الجبهة داخل الوطن المحتل، وتمكن عدد من الكوادر الانتهارية من استغلال أجواء الانقسام، والاندفاع صعودا نحو المراكز القيادية لدى المعسكرين، خصوصا وان كلا المعسكرين "الأقلية والأغلبية" عملا على كسب ما يمكن كسبه من عناصر منظمة الجبهة في الداخل دون التمحص مليا في تاريخ العناصر التي استندت لها مهام قيادية، ودون فحص مدى الاحترام والتقدير الذي تتمتع به من قبل قاعدة التنظيم ومن الجماهير الوطنية العربية، الأمر الذي تسبب بنفور سريع للكادر الأساسي المناضل وابتعاده عن زوج ثقله في الصراع.

وفي الفترة ذاتها، بدأ يتشكل في الساحة الفلسطينية تيار سياسي واقعي من مختلف الفصائل والشخصيات الوطنية المستقلة. كان قاسم هذا التيار المشترك الإقرار بدولتين لشعبين على أرض فلسطين التاريخية، والاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، والإعلان عن قيام دولة فلسطين على الأراضي التي احتلت العام ١٩٦٧. وراح هذا التيار يضغط من داخل الوطن المحتل وخارجها على القيادة الفلسطينية، وداخل الفصائل، وعلى المستوى الوطني العام. وبعد جدل صعب وطويل وحوار ساخن، استطاع التيار الواقعي أن يجعل نفسه أغلبية ساحقة في فتح وفي الحزب الشيوعي الفلسطيني وداخل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. واستقطب حوله أغلبية أعضاء المجلس الوطني والشخصيات الوطنية المستقلة داخل وخارج الأرض المحتلة.

والحق يقال، أنه لو لا الانتفاضة وشعاراتها الواقعية لما استطاع هذا التيار أن يطرح أفكاره وأن يدافع عنها، خصوصاً وأن المواقف الجديدة تمثل استداره بمقدار ١٨٠ درجة عن مواقف سابقة عبيء بها الشارع الفلسطيني وقواعد التنظيمات وكوادرها سنوات عدة. لكن الغطاء الذي وفرته الانتفاضة كان سندًا قوياً لحركتها السريعة باتجاه الواقعية، وسهل انقلابها على ذاتها. فهي صاحبة فكرة تعديل البرنامج المرحلي لجهة الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، وصاحبة فكرة الإقرار بدولتين لشعبين الفلسطيني والإسرائيلي على أرض فلسطين التاريخية.

على أبواب انعقاد دوره المجلس الوطني، عقدت القيادة الفلسطينية العديد من الاجتماعات الموسعة، ويمكن القول أن اجتماع ١٩٨٨/١٠/٦ كان أهم تلك الاجتماعات، حيث تم تلخيص المناقشات التي سبقته، وتمت بلورة عدد من الاستخلاصات السياسية الأساسية. فبعد عودته من رحلته إلى الصين والهند وبنغلادش دعا أبو عمار القيادة الفلسطينية للجتماع. وكان واضحاً أن حصيلة اتصالاته العربية والدولية الأولية شجعته على البت في الموقف. يومها، بدأ أبو عمار الاجتماع بعرض نتائج رحلته وأشار إلى أن الوضع الدولي يتجه نحو الوفاق، وإلى أن سمة المرحلة الجديدة هي حل النزاعات الدولية بالطرق السلمية وعبر المفاوضات، وأن فرصة دولية مواتية حالياً لحل المسألة الفلسطينية سلمياً. وقال: "شدد كل من زرناهم والتقييناهم، وكلهم أصدقاء، على أهمية أن لا يكون هذا الوفاق الدولي الجارف على حسابنا وعلى حساب قضيتنا". وذكر أبو عمار المجتمعين بالوفاق الدولي الذي حصل لفترة محدودة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حول خلق دولة يهودية في فلسطين، وكيف تعامل العرب والفلسطينيون معه. وكانت نتيجة تكريس ضياع الأرض الفلسطينية وتثبيت وجود دولة إسرائيل. وقال: "إن الحرب الباردة التي اشتعلت، مطلع الخمسينيات، بين المعسكرين كانت بمثابة حرب عالمية ثالثة، استمرت على نار خفيفة قرابة أربعة عقود، وشملت معظم بقاع الأرض، أوشكت الآن على الانتهاء.

وكل من قابليناه نصح باستثمار الانتفاضة بأسرع وقت ممكن وعدم تضييع الفرصة التاريخية السانحة." ونقل الى الاجتماع نصائح القيادة الصينية الصديقة وموافقتها على الدورات العسكرية التي طلبناها، وتشدیدهم على المحافظة على امن القيادة الفلسطينية في هذه الفترة بالذات، والشيء ذاته قاله قادة عراقيون. واکد أبو عمار توفر معلومات مؤكدة بأن مجموعات الاغتيال تحركت من إسرائيل وسوريا لاغتيال بعض القيادات الفلسطينية. وقال: "بعد الاجتماع يمكن إطلاع الاخوة الآخرين على القائمة التي وردت أسماؤهم فيها، وطبعاً أسمى شخصياً في رأس القائمة". واکد ان الانتفاضة حررت القيادة الفلسطينية من الابتزاز، وهي لم تخضع قبلها لأحد فما بالكم بعدها، وإن "الحيط" الفلسطيني ليس واطياً كما يتوهم البعض، كما ان المناضلين قادرون على ضرب الرؤوس المتماءمة والحاقدة، ولدينا مقاتلون مستعدون للموت دفاعاً عن قيادتهم وقضيتهم، سامح الله إخواني العرب أما أعدائي فأنا كفيل بهم". وأشار الى ان القيادة الفلسطينية مجبرة على القتال على أكثر من جبهة، وأن كل الدلائل تشير الى احتمال نجاح حزب الليكود في الانتخابات الإسرائيلية القادمة. ومثل هذا التطور يطرح سؤالاً، ما العمل بعد فوز الليكود؟ واکد على أن استمرار الانتفاضة والانتقال بها مرحلة للأعلى هي الورقة الأساسية التي يجب الحرص عليها، باعتبارها الورقة الوحيدة القوية المتوفرة. وابلغ الى الاجتماع ان اللجنة العليا للانتفاضة والمجلس العسكري الأعلى ماضيون في برنامج تصعيدي وفق مراحل متقدة عليها، وأن مرحلة العصيان المدني آتية، ثليها مرحلة أقسى، وقال: "نحن لننكسر السلاح لترى المنازل".

وبلغ الى الاجتماع ان الكويت قدمت خمسة ملايين دولار لدعم الانتفاضة، واللجنة الشعبية الكويتية قدمت مليوناً، والقيادة الليبية وعدت بدفع مليون دولار شهرياً لدعم الانتفاضة، وان الليبيون طلبوا تقديمها مباشرةً لمؤسسات الانتفاضة ومؤسسات المجتمع المدني داخل الأرضي المحتلة. وقال: "استجبنا لطلباتكم وأخذتكم مدوخ نوبل وأكرم هنية وضعوا بالتنسيق مع الاخوة في "قاوم"، قائمة بأسماء المؤسسات وأرقام الحسابات في البنك العربي، وسلموا، نيابة عنكم وعن لجنة الانتفاضة، نسخة عنها للبيبين. ومع ان منظفاته غير سلية لكن وافقنا على تقديم الدعم الليبي مباشرةً للداخل، ونأمل ان يوفوا بوعدهم وان تصل اهلنا المحتاجين".^(١١)

وعن التوجهات الفلسطينية الجديدة قال أبو عمار: "لا بد من برنامج سياسي معقول ومقبول من اخوانكم في الداخل ومن العالم". ولخص الخيارات التي تم التوصل اليها في المناقشات السابقة وهي: "العودة للأردن، وهذا الخيار مشطوب ويرفضه الجميع. او الموافقة على الحكم الذاتي، وهذا أيضاً مرفوض بالإجماع في الداخل والخارج". وعن الدولة والحكومة قال: "هناك فكرة إعلان دولة بحدود ١٩٦٧ بدون حكومة، وفكرة أخرى

تطلب إعلان دولة وتشكيل حكومة مؤقتة في الوقت ذاته، وايضاً فكرة تشكيل حكومة مؤقتة بدون إعلان دولة. أما بشأن خيار الإشراف والانتداب الدولي على الضفة والقطاع، فاعتبره أفضل الخيارات. ووصف أبو عمار هذا الخيار بالخيار الصعب ان لم يكن المستحيل، لانه مرفوض أمريكيا وإسرائيليا، ويحتاج الى قرار من مجلس الامن الدولي وهذا غير ممكن التحقيق في الظرف الراهن، والفيتو الامريكي جاهز للتعطيل. واعتبر فكرة إشراف دولي تشارك فيه دول السوق الأوروبية المشتركة خياراً جديداً، لكنه حتماً مرفوض بقوه أمريكا وإسرائيلياً، لأن كلاهما لا يريد اي دور لأوروبا. وختم حديثه بالتأكيد على حاجة الفلسطينيين إلى إعادة اسم فلسطين إلى حيز الوجود، وإعادة تثبيتها على خريطة المنطقة السياسية والجغرافية. وأكّد أهمية تنشيط الحركة السياسية الفلسطينية ومتابعة الاتصالات والمشاورات العربية والدولية، قبل وضع التصور الفلسطيني النهائي، وقال: "مطلوب منا وضع تصورنا النهائي خلال فترة قصيرة، وأن نقرر نهايتنا متى سنعقد المجلس الوطني، والأخوة الجزائريون بانتظار جوابكم حتى يرتبوا أنفسهم". وذكر الحاضرين بالتّربيات الأمنية والإدارية الطويلة العريضة التي يقوم بها عادة الجزائريون قبل انعقاد المجلس.

يومها، لم يتطرق أبو عمار، من قريب أو بعيد، إلى مسألة اختيار رئيس لدولة فلسطين، رغم انه المرشح الوحيد لهذا المنصب دون منافس. وفي المناقشات التي تلت مداخلة أبو عمار، لم يتطرق أي من الحاضرين الى الموضوع. تحدث عبد الله الحوراني عضو اللجنة التنفيذية في الاجتماع وقال: "في آخر لقاء اتنا اتفقنا على إعلان الاستقلال، وتکليف اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي بتشكيل الحكومة في الوقت والظرف المناسبين، وأن يصدر عن المجلس الوطني بيان سياسي يوضح توجهاتنا السياسية دون لبس او غموض. وقلنا بأن على اللجنة القانونية في المجلس الوطني إنجاز صياغة وثيقة إعلان الاستقلال، وأن يتم فصل الجانب السياسي في الوثيقة عن الجانب القانوني". وذكر الحضور باتفاقهم على تشكيل لجنة لصياغة الإعلان السياسي الذي سيصدره المجلس مع إعلان الاستقلال وقيام الدولة. وأكّد عدم الحاجة الى بدء النقاش من جديد كلما حضر الاجتماعات عدد من الإخوان الجدد. عندها تدخل بعض الحضور وقالوا دعونا نبرمج عملنا ومناقشاتنا، وطالب آخرون بحسب مسألة تاريخ انعقاد دورة المجلس الوطني بعد ان حسم موضوع المكان. وطرح على الاجتماع سؤال: هل نعقد المجلس قبل الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية القريبتين أم بعدهما؟ تبأنت الآراء، وكان هناك من رأى عقده قبل الانتخابات الإسرائيلية، ليضع الإسرائيليين والأمريكان وجهاً لوجه أمام الموقف الفلسطيني. وكان هناك رأي آخر يرى عكس ذلك، معتقداً ان إعلان التوجهات الفلسطينية الجديدة قبل الانتخابات الإسرائيلية يخضعها للمزيدات الانتخابية، ويدفع

بالمرشحين من كلا الطرفين إلى اتخاذ مواقف متطرفة منها، ويفرض عليهم التزامات يصعب عليهم التخلص منها بعد الانتخابات. عندها، تدخل أبو عمار وقال: "المصريون نصحونا بعقد دورة المجلس بعد الانتخابات الإسرائيلية والموقف السوفياتي قريب من ذلك". وأكد ميله للأخذ بالنصيحة المصرية، "بالرغم من أنهم أصحاب كامب ديفيد"، والأخذ بنصيحتهم لا يعني بالضرورة عودته لهواه المصري القديم المعروف للجميع. وقال: "نصيحتهم مؤشر على الموقف الأمريكي، ونحن نريد أكل العنب وليس مقاتلة الناطور". ولم يشأ أي من الحاضرين جعل هذه المسألة الفرعية قضية خلافية كبرى، طالما أن الفرق الزمني بضعة أيام فقط.

أما بشأن القضايا الأخرى فالخلاف حولها كان على أشدّه، باعتبارها قضايا جوهيرية تمس المواقف المعلنة للفصائل المجتمعية، وكانت قياداتها مستنفرة وتسرع إلى الإعلان عن مواقفها من كل تصريح يمس القضية والعمل الفلسطيني، حتى قبل التحقق من دقة وصحة الموقف المطروح. في السنوات السابقة، سنوات مجد العمل العسكري الفلسطيني وعزم، كان التسابق بين الفصائل على تبني العمليات العسكرية، وكان ذلك يسبب شيئاً من الصراع الداخلي بين الفصائل ويمس صدقية البيانات والبلاغات العسكرية الفلسطينية. كانت بعض الفصائل بارعة في رصد نشرات أخبار الإذاعة الإسرائيلية، بهدف تسقط أخبار الحوادث التي كانت تقع داخل إسرائيل، وإصدار بلاغات عسكرية بكل حادث يلحق أضراراً بالمجتمع الإسرائيلي، حتى ولو كان الحادث عرضياً، وناتجاً عن تماس كهربائي أو خطأ فني أو حادث طرق. ورويداً رويداً، طال التنافس المسائل السياسية الأساسية، ووفقاً لتقالييد العمل الفصائلي صارت المواقف المعلنة تمثل قيادة حقيقة على قادة الفصائل في الاجتماعات الداخلية، وكان يعيق التوصل إلى القواسم المشتركة الممكنة فيما بينها، ويحد من حركة ممثليها ومتذوبيها في كل الهيئات القيادية الفلسطينية المشتركة، بدءاً من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وحتى أدنى هيئة وطنية.

في اجتماع ٦/١٩٨٨، كان الدكتور جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية، أبرز المتحدثين الذين عبروا، بدقة، عن رأي المعارضين والمحظوظين حول الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨. وقدم مداخلة طويلة ومتماسكة حول الموضوع^(١) قال فيها: "تابعت تفاصيل مناقشاتكم السابقة من خلال ما نقله الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام للجبهة الشعبية، ومن واجبي أخذ ما دار فيها بعين الاعتبار. وبالرغم من أهمية الموضوعات المطروحة علينا الآن، أود لفت نظر الأخ أبو عمار والأخوة الآخرين إلى ضرورة الوقوف أمام موضوعات الانتفاضة وقضاياها". وأكد أهمية إجراء تقييم عام، وتحديد المهام المباشرة والملموسة التي يحدث الالتزام بها تصعيدياً حقيقة في حركة الانتفاضة. ورأى أن تحديد الخيار الفلسطيني يجب أن يتم بناء على تحليل سياسي دقيق للوضع الذي تمر

به القضية الوطنية ، وأشار الى ان الانتفاضة، "كما هو واضح للجميع" ، فرضت القضية الوطنية بقعة على الرأي العام العالمي وعلى الدولتين، وتزامن ذلك مع الوفاق الدولي. وبين ان هدف الولايات المتحدة الأمريكية، في هذه المرحلة، هو انتزاع تنازلات مجانية من القيادة الفلسطينية تمس بالانتفاضة واهدافنا الوطنية. وقال: "لو كنا أمام تنازلات مقابل تنازلات، أي أمام دولة فلسطينية مقابل تنازلات معينة نقدمها لإسرائيل لاستطعت، بغض النظر عن موقفي الشخصي، تفهم الموضوع". واعتبر الانجرار الآن وراء المطالب الأمريكية والاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ والإقرار بوجود دولة إسرائيل خطأ سياسيا جسيما. أما بشأن بقية النقاط التي لخصها رئيس اللجنة التنفيذية، أي إعلان الاستقلال وتكليف اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي بتشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة، قال: "نحن منها من حيث المبدأ، فنحن نرى ضرورة توضيح كامل لوثيقة إعلان الاستقلال، وإن لا يكون فيها أي التباس". وحول توقيت تشكيل الحكومة المؤقتة، قال: "أظن أنه مرتبط بوضع سياسي جديد غير الوضع الذي نمر فيه الآن. ويدون ذلك نفع في إشكالية ازدواجية القيادة بين اللجنة التنفيذية والحكومة المؤقتة". وختم مداخلته بالتأكيد على أن لدى القيادة الفلسطينية وقت كاف لمناقشة هذا الموضوع بصورة أشمل وأعمق. وكانت جملته الأخيرة إشارة واضحة للعارفين بهماлиз العلاقات الفلسطينية، إلا ان أمين عام الجبهة الشعبية يتحاشى التصادم مع المتمميين لفكرة تشكيل الحكومة، وخصوصا نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية، ويفضل الالاء بالموقف النهائي للجبهة الشعبية حول الموضوع في اجتماع ثانٍ خاص يعقد بين قيادتي فتح والجبهة الشعبية. لم يخف أمين عام للجبهة الديمقراطية امتعاضه من هذا الموقف، بل اعتبره استغلالا للخلافات داخل الجبهة، لاسيما وانه يدرك اكثر من سواه، انه في الاجتماعات الثانية بين التنظيمات تم المساومات الحقيقة حول كل القضايا التنظيمية الخاصة والسياسية العامة.^(١٢)

بالمقابل، تولى صلاح خلف أبو أياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الدفاع عن فكرة ربط الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية بمبادرة سياسية تشمل الاعتراف بصيغة ما بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ وقال: "قبل الانتفاضة كان لدينا برنامج مرحلٍ صار عمره الآن ٤ سنٰة، ولم نفكّر من قبل في تعديله وتطويره، أو في طرح آلية مبادرة سياسية جديدة. والانتفاضة تدفعنا الآن للتفكير في هذا الموضوع الكبير". وعن تعديل الميثاق قال: "من السهل إلقاء الخطابات عن قفسية الميثاق الوطني الفلسطيني، وأنا من أشد الداعين للتمسك بالميثاق وبالبرنامج المرحلي. ولكن نحن كممثلين للشعب الفلسطيني، علينا أن نفكر بكيفية الخروج من الجمود بكيفية التحرك باتجاه الدولة، فالدولة لن تأتينا وحدها من السماء، والرفض المطلق لها يخدم الأعداء". وحذر من الفتنة الداخلية التي يمكن ان

يخلقها العدو. ورأى بناء على التجربة التاريخية ان من يريد تحرير فلسطين عليه أن يبدأ بدولة على أي جزء من الأرض الفلسطينية، وان الحديث يدور حول الضفة والقطاع. وقال: "من أجل الدولة المستقلة نقدم كل شيء"، وطلب من المجتمعين تذكر عبر الماضي، وذكرهم أن الذين "سبقوكم" رفضوا عام ١٩٤٨ تقسيم فلسطين، فطارت الدولة الفلسطينية، وطارت كل فلسطين. وان الصهيونية أخذت الأرض شبراً وراء شبراً، وفلسطين لن تعود دفعة واحدة، وقال: "اطن انكم جميعاً نفضلتم ايديكم بعد كامب ديفيد من حرب جديدة يتصر فيها العرب ويحررها فلسطين". وشدد على ضرورة عدم تبسيط الموقف واستسهال توجيه الاتهامات بالاحتلال والاستسلام وتقديم التنازلات المجانية للعداء، وأكد كرهه لهذه المصطلحات، وطالب المجتمعين بالتفكير بعقل هادئ وبمسؤولية عالية، كما فكر اليهود من قبل، ويدون ذلك لا يمكن الانتصار في الصراع الطويل المرير. وشدد على أهمية بالتفكير بمسؤولية في كيفية إعطاء الأجيال اللاحقة الفرصة والقدرة على متابعة النضال. وقال: "قد تتحرك سياسياً، ونطرح مبادرة سلام ولا يستجاب لها، فليس من شيء جاهز حتى الآن كما اعتقاد، علينا التحرك، ودخولكم المفاوضات كممثلين الشعب الفلسطيني يحتاج إلى صراع قاس ومرير". وذكر المجتمعين بأن الوصول إلى دولة مستقلة، أو حتى دولة منقوصه السيادة على أراضي الضفة والقطاع، يحتاج إلى نضال قاس وشرس وطويل، وقال: "الدولة لن تقدم لكم على طبق من فضة ولا من تنة.. لكننا في هذه الحالة نكون قمنا بواجبنا كقيادة شعب وحاولنا وعملنا شيئاً. وإذا كنتم لا تريدون التحرك عودوا إلى الأردن، وسلموا الملك حسين الضفة الغربية من جديد، وقولوا له نحن أخطأنا عندما اعتبرنا أنفسنا الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني". وطالب بالتفكير في كيفية حشر العدو بدل أن تتحشر القيادة الفلسطينية. ونبه إلى تأmer العرب كل العرب على منظمة التحرير، وقال: "وأننا لا استثنى أحداً، وهم يراهنون الآن على خلافاتكم وعلى فشلكم في الاتفاق، وعدم قدرتنا على عقد دورة المجلس الوطني، وإذا عقدناها فهم يراهنون على عدم قدرتنا على الخروج بشيء جديد". ورأى أن الثورة تعيش على استمرار الحركة وتموت بالجمود. واعتبر الخيار الدولي الذي طرحة أبو عمار مطلاً سليماً، لكنه جزء من عملية طويلة توصل إلى التسوية. وقال: "إذا أعلنتم الاستقلال وأعلنتم قيام الدولة الفلسطينية بدون بيان سياسي واقعي يخاطب العالم سوف تخسر وستكون النتيجة عكسية تماماً". وفضل عدم عقد دورة المجلس الوطني في حال عدم التوصل إلى اتفاق على بيان سياسي واقعي. وطرح سؤالاً حول كيفية التقدم خطوة إلى الأمام دون الاقتراب من إلغاء ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية؟ وفي معرض الاجابة على السؤال، قال: "بإمكان ترك إخوانكم في الداخل يأخذون المبادرة على عاتقهم، لكن هذا خيار خطير جداً على القضية وعليكم، وقد يقود إلى شق وحدة م.ت.ف. ووحدة

الشعب الفلسطيني بين داخل وخارج، والى إنتهاء دور منظمة التحرير كممثل شرعي لكل الشعب.” وختم مداخلته بالتأكيد على ضرورة اتخاذ المجلس الوطني قرارا فلسطينيا تاريخيا كبيرا بمستوى القرار الأردني بفك الارتباط بالضفة الغربية، وتمنى على الجميع ان يكونوا في مستوى المسؤولية.

وكان مفهوما للعارفين بداخل الوضع الفلسطيني ان موقف ابو ياد يقاطع مع رؤية ابو عمار بأن الوقت حان لاعتراف منظمة التحرير بقرار مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨، وانه لا يمكن تمرير هذا الاعتراف دون الاعلان عن قيام الدولة الفلسطينية، حتى لو كان الاعلان نظريا.

اتفاق على اعلان الاستقلال وخلاف حول المبادرة

في نهاية المناقشات تم تثبيت توجه بالإعلان عن قيام دولة فلسطينية مستقلة الى جانب دولة إسرائيل، بالاستناد الى القرار ١٨١، وهو الأساس الدولي ذاته الذي قامت عليه دولة إسرائيل. وأتفق على تكليف الشاعر محمود درويش عضو المجلس الوطني، ومن يريد الاستعانت به، إعادة صياغة صيغة إعلان الاستقلال التي أعدها رئيس اللجنة القانونية في المجلس الوطني الفلسطيني، او وضع صيغة أخرى جديدة، باعتبار الصيغة المقدمة طويلة وجامدة وغير مناسبة وتطلى عليها لغة القانون.^(١٤) ومن باب المجاملة لبعض الأعضاء قيل يترك لمحمدون أن يستعين بنم يراه مناسبا. وهناك من قال، بصوت خافت، ان صيغة اللجنة القانونية طويلة معككة، واقرب الى المرافعة القانونية الفاشلة حول تاريخ فلسطين والفلسطينيين، خالية من حيوية الانتفاضة والمتضمن ولا علاقة لها بأحساس الناس ومشاعرهم الوطنية. آخرون قالوا ان على قضيتنا السلام اذا كانت رئاسة اللجنة القانونية ستتولى الدفاع عن حقوق شعبنا في محافل القانون الدولي. واتفق في ذلك الاجتماع أيضا، على استكمال الاتصالات العربية والدولية الازمة بشأن “اسس وعناصر المبادرة السياسية” التي سيطرحها المجلس لشعبنا وعلى العرب والعالم. وافق المجتمعون تأجيل انعقاد المجلس الوطني الى ما بعد الانتخابات الأمريكية والإسرائيلية، والعمل على تصعيد زخم حركة الانتفاضة ومصادماتها مع الاحتلال في الأيام والأسابيع القادمة، باعتبار ذلك مسألة حيوية جدا لتعزيز التوجهات الفلسطينية الجديدة.

تكلفت اجتماعات اللجنة العليا ولجنة العمل اليومي لمتابعة الانتفاضة، ونالت مسألة العلاقة مع حركة حماس اهتماما جديا، فالاحتکاکات تصاعدت، والمعلومات الواردة من الضفة والقطاع أشارت الى أنها مصممة على طرح نفسها بديلا لقيادة الوطنية الموحدة، وفرض برنامجها النضالي على الناس بالقوة، وخصوصا شقه المتعلق بتوفيقتها الخاص

بالاضربات، وانها تتصرف وكأنها المعنية بقضايا أمن الانتفاضة، وتعتقل من تزيد وتحقق معهم بأساليب غير إنسانية.

وبتاريخ ١٩٨٨/٨ عقدت اللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل اجتماعاً موسعاً شارك فيه عبد الرحمن الحوراني باعتباره ممثلاً لحركة حماس، وتحدث أبو عمار مطولاً حول التوجهات المطلوبة للمجلس الوطني الفلسطيني وقال: "ابواب المجلس مفتوحة للاخرة في حركة حماس، وخلافنا معهم كما دلل الحوار لا يتعلق بالقضايا البرنامجية". حماس تعتبر نفسها أكبر من الفصائل وتطلب "تواضع" مساواتها بفتح. تزيد السيطرة على المنظمة ومؤسساتها وتنسى طابور الشهداء. فتح وحدها قدمت شهداء من قيادتها وكادرها الأساسي يزيد على كل شهداء حماس". وأشار إلى أن معتقلي فتح ضاقت بهم السجون الإسرائيلية، وذكر بطول قوانم شهداء فتح وفصائل م.ت.ف، وكيف ان منظري الاخوان المسلمين اصدروا فتاوى في السبعينيات نزعوا فيها صفة الشهادة عن شهداء م.ت.ف. الذين سقطوا في مواجهة الاحتلال. وأكد ان من يلتحق بالنضال متاخراً لا يحقق له التحدث مع قيادة منظمة التحرير بلغة استعلائية، ولا يمكنه ان يشكل البديل. وقال: "انا اقول امامكم، وبحضور اخي عبد الرحمن، ان هناك تياراً قوياً في حماس يعتقد ان بإمكانه خلق منظمة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وهذا التيار يرى في حماس بديل لكم جميعاً، ويعمل على توسيع العلاقة معكم داخل وخارج الأرض المحتلة".

ثم انتقل أبو عمار للحديث عن التوجهات الوطنية، وأشار إلى الاجماع على إحداث تعديل ما في البرنامج السياسي المرحلي الذي اقره المجلس عام ١٩٧٤، وأقره في دوراته اللاحقة، وإن الخلاف يدور حول حجم التعديل وبنوعيته. واعتبر ما ورد في خطابه في ستراسبورغ بمثابة حد أدنى يحظى بالإجماع. وأكد أن التباين الداخلي لا يمس الوحدة الوطنية، وإن التباين أو الخلاف مع بعض الدول العربية لن يؤثر على قرارات قمة العرب في الجزائر ولا يلغيها، وإن التعديل المطلوب هو طرح رؤية فلسطينية محددة لأسس التسوية السياسية، وعدم الاكتفاء بطرح المطالب والأهداف الوطنية العامة. ونبه إلى أن الأسس النهائية للتسوية السياسية لا يقررها الفلسطينيون، وقال: "هذا لو كنتم انتم وحدكم تقررونها". وذكر المجتمعين بأن الانتفاضة هي رافعة النضال الفلسطيني في هذه المرحلة، وأن لها احتياجاتاً الكثيرة ولا يجوز تجاهل مطالبة قيادة "قاوم" بتوفير الحماية السياسية للانتفاضة، وإن البرنامج السياسي الواقعي يساعد على تحريك الرأي العام العالمي والدول الصديقة على حمايتها.

تدخل، أبو عمر، جمال الصوراني،^(١٥) وقال: "الأول مرة شعبنا يظهر أمام العالم وهو موحد، وعلى الآخرة في حركة حماس ان يعملوا على تعزيز هذه الصورة، والاهم تجسيدها على الأرض في حركة يومية مع كوادر م.ت.ف". وأكد الصوراني على أهمية ان يشمل دعم

المنظمة كل المؤسسات الفلسطينية في الداخل بغض النظر عن الجهة التي تشرف عليها وتقودها. وكان واضحا انه يقوم بجس نبض ممثلي حركة حماس، ويحاول تقديم بعض الإغراء لهم في حال انضباطها لبرنامج "القيادة الموحدة" ودخولها اطرها واطر م.ت.ف. في الخارج.

اما عبد الرحمن الحوراني، فدافع عن دور حماس في الانتفاضة، وشكك في التقارير التي تصل القيادة الفلسطينية حول مواقف حماس، ودعا الى نبذ الخلافات وحلها بروح التعاضد والتآزر التي علمنا ايها القرآن الكريم. وتلا عددا من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية لدعم دعوته التوفيقية. وبعد مناقشة قضايا الموظفين والطلاب ومسائل اخرى، تم الاتفاق على تسديد فروقات رواتب الموظفين داخل الارض المحتلة البالغة سنويا ما يزيد على تسعه ملايين دولار، وعلى ان تتم زيارة في استيعاب الخريجين تصل الى ما بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ خريج. واقر تخرج الثانويين باعتماد شهادة نصف السنة، ومتابعة التعليم المنزلي لطلاب المدارس التي اغلقتها الاحتلال. وجرى حديث موسع حول العجز في ميزانية اسر الشهداء، ونقص المبالغ اللازمة للنهوض بالأعباء الإضافية التي تفرضها احتياجات الأسرى والمعتقلين. وتقرر صرف نصف مليون دولار لتعويض أصحاب البيوت المنسوفة، على ان تقدم دائرة الوطن المحتل كشفا للصندوق القومي بالبيوت موقعا من رئيس اللجنة التنفيذية. ولنفس النزاعات التي ظهرت في بعض المناطق بين العمال وارباب العمل حول الاجور وايام العطل، تقرر تشكيل لجنة تحكيم مركزية، تتفرع منها لجان لوائية تكون مهمتها فض نزاعات العمل، وان تكون اللجان الفرعية والمراكزية من العمال وأصحاب العمل، وشخصيات وطنية تحظى بتقدير الجميع واحترامهم.

ومع اقتراب موعد الانتخابات الإسرائيلية وجهت القيادة الفلسطينية رسالة للناخبين العرب واليهود دعوهم فيها الى انتخاب السلام، وإعطاء أصواتهم لدعوة السلام. وطرحت قيادة م.ت.ف. رؤيتها للسلام بين الشعرين وسبل تحقيقه. لاحقا، علق ناطق رسمي باسم الخارجية السوفيتية على البيان الفلسطيني ووجده فرصة لطرح رأيه. وجاء في التعليق السوفيتي ان البيان الذي أصدرته م.ت.ف. بقصد الانتخابات الإسرائيلية يؤكّد صدق توجه منظمة التحرير من أجل التسوية السلمية للصراع العربي - الإسرائيلي، واستعدادها للمشاركة في المفاوضات مع حكومة إسرائيل، في إطار المؤتمر الدولي... ونفهم ما جاء في بيان المنظمة على انه تحرك فلسطيني باتجاه اتخاذ قرارات موزونة وواقعية في دورة المجلس الوطني القائم... ولكن مع الأسف فإن هذه السياسة الفلسطينية الموزونة، لا تجد صدى حتى الآن لدى القيادة الإسرائيلية، حيث لا يزال هناك من يعول على التعامل بأسلوب القوة. وتصل موسكو من الأرض المحتلة كل يوم أخبار عن أعمال التنكيل الإنسانية بالسكان المدنيين، وعن الاستعمال الواسع للرصاص المطاطي. والاتحاد

السوفيفيتي يرى انه لا بد من كسر الحلقة المفرغة من العنف والقهر والعدوان في الشرق الأوسط ، وان نبدأ عمليا بالحلحلة السياسية للنزاع العربي الإسرائيلي.

إلى ذلك، قامت قيادة م.ت.ف. باستطلاع واسع لمواقف الدول العربية والقوى الدولية الصديقة بشأن التوجهات السياسية الجديدة، وتحركت وفرد عديدة إلى العديد من البلدان العربية الصديقة. في حينه، رحب الاتحاد السوفيتي ودول السوق الأوروبية المشتركة بالتوجهات السياسية الواقعية الفلسطينية، ونصح بتأجيل خطوة الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية، باعتبارها خطوة تصعيدية تعقد عملية البحث عن السلام في المستقبل. ولم يتردد السوفييت في طرح تحفظهم مباشرة مع قيادة المنظمة، بل وأبلغوا الوفد الفلسطيني الذي زار موسكو في النصف الأول من تشرين أول ١٩٨٨ برئاسة أبو مازن أن الاتحاد السوفييتي يقدر الدوافع الفلسطينية للإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية، لكنه يرى في صدور هذا القرار عن المجلس الوطني تعقيداً لعملية السلام في المستقبل، وقد تتخذه إسرائيل والإدارة الأمريكية مادة للتشويش علىمبادرة السلام والتلهب من الاستحقاقات التي تملّيها على الجميع.^(١٦) ونصح السوفييت الوفد بتأجيل اعلان قيام الدولة والاكتفاء بالاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٢٣٨، وبحق إسرائيل في الوجود، وتجنب الإقدام على مغامرة تشكيل الحكومة المؤقتة، باعتبارها خطوة غير مضمونة النجاح، وقد تلحق أضراراً بمنظمة التحرير وتقدّها بعض الاعتراف الدولي الذي تتمتع به.

وظهر التباين الفلسطيني الداخلي أمام السوفييت، حيث طرح أبو علي مصطفى نائب أمين عام الجبهة الشعبية وجهة نظر كاملة المعارضة للبرنامج السياسي للجبهة. وعلق أبو مازن على الموضوع، وقال، موجهاً كلامه للوفد السوفييتي، "هذا طيف من الآراء الفلسطينية، أردننا أن تسمعواها من أصحابها مباشرة، نحن يا رفاق نؤمن بالتجددية السياسية في إطار م.ت.ف.، ونعتز بها، ونعتبرها مصدراً من مصادر قوتنا واستمرار ثورتنا". وأضاف أحد أعضاء الوفد إلى قوله إن لدى الاخ أبو عمار القائد العام نظرية متكاملة حول تباين الآراء، عنوانها ديمقراطية غابة البنادق. ودافع أبو مازن عن أهمية اعلن قيام الدولة وقال: "بصراحة لا نستطيع الاعتراف بالقرار ٢٤٢ دون الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية. فالاعتراف مربوط من وجهة نظرنا بالدولة". أما بشأن الحكومة المؤقتة فقال: "الموضوع قيد البحث وهناك اتجاه قوي لا يعتبرها ملحة في الوقت الحاضر".

قمت من جانبي، بناء على اتفاق مسبق مع ياسر عبد ربه وصالح رافت، بإنباء بعض العاملين في الخارجية السوفييتية والمتخصصين بالشؤون الفلسطينية، ومن نشأت معهم صداقات خلال عملهم في دمشق وبيروت، بتطور الخلافات داخل قيادة الجبهة التي انتمي إليها، ويتبلور تيارين رئيسيين فيها،^(١٧) الاول بقيادة الامين العام المساعد،

ياسر عبد ربه، ويفت مع إعلان الاستقلال ومع اطلاق مبادرة السلام، ومع التوجهات الفلسطينية الواقعية الداعية إلى الاعتراف بالقرارين ٤٢ و٢٣٨ والإقرار بدولتين للشعبين، والآخر برئاسة الأمين العام نايف حواتمة ضد هذه التوجهات. وشرح لهم رؤية التيار الذي انتمي له لطبيعة الأزمة وجذورها، وأكدت على أنها جزء من الأزمة الوطنية العامة التي تعيشها الحركة الوطنية منذ مدة طويلة وكشفت عنها الانتفاضة. وانطلاقاً من قناعتي المبنية على التجربة العملية بأن قيادة الجبهة الديمقراطية تتأثر كثيراً بالآراء السوفيتية، فقد أبلغت إلى هؤلاء أن الأوضاع في الجبهة تسير بتسارع شديد باتجاه الفرز الداخلي، وبالتالي نحو الانشقاق. وقامت بتسلیمهم الوثائقين الداخليتين اللتين تعبّران عن وجهي نظر التياريين اللذين تشکلا داخل الجبهة "الأقلية والأغلبية"، وطلبت منهم إبقاء الموضوع طي الكتمان، وطالبتهم بالتدخل مع الرفيق الأمين العام للتراجع عن موقفه الراهن لإعلان الاستقلال، والرافض للتوجهات الفلسطينية الجديدة، وبخاصة اطلاق مبادرة سلام.

في حينه، استفسر السوفيت حول موازين القوى بين التيارين داخل الجبهة، وركزوا على موقف منظمة الجبهة في الداخل من قضايا الصراع، كما استفسروا حول مواقف عدد من الرفاق أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية المعروفين لهم جيداً. ونصحوا ببذل كل الجهود الممكنة لتحاشي الانقسام، ووعدوا بإبداء رأيهم صراحة مع أمين عام الجبهة، من منطلق الحرص على دور الجبهة ومكانتها. وقامت بتسلیمهم رسالة القيادة المركزية للجبهة في الداخل المؤرخة في ١٩٨٨/٥/٢٥ والتي قالوا فيها،^(١٦) "إن قيادة الجبهة في الوقت الذي شخصت مبكراً طبيعة الانتفاضة باعتبارها ثورة شعبية واسعة انخرطت في اطرها سائر طبقات الشعب وأكّدت قدرتها الذاتية على التواصل والتتصاعد والانتصار، إلا أن هذا لا ينفي حقيقة أن المكتب السياسي قد تختلف عن الاستجابة السريعة لمتطلبات الانتفاضة، التي باتت تتفضّي تحول قيادة حزبنا في الخارج والداخل إلى هيئة أركان للانتفاضة تعبّر عن حاجتها إلى مبادرة سياسية ملموسة تشق الطريق أمامها نحو النصر".

وخلال تلك الفترة زار موسكو وفد من قيادة الجبهة الديمقراطية برئاسة أمينها العام، وعضوية هشام عبد العزيز عضو أمانة السر، و"صارم" ممثلها السياسي في موسكو، انضممت إليه بناء على طلب الأمين العام.^(١٧) وبالفعل، تدخل السوفيت مع الأمين العام، خارج الاجتماعات الرسمية وداخلها، وبذل موقفه أمامهم. وفي الاجتماعات الرسمية أيد حواتمة المبادرة السياسية الفلسطينية، وشدد على أهمية إعلان الاستقلال، وخفف من حدة طرحه تشكيل حكومة مؤقتة بعد أن لمس معارضته سوفيتية لها. وهاجم مواقف قيادة الجبهة الشعبية ووصفها بالطرف، وشنّ دور قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني

في الدفاع عن التوجهات الوطنية الواقعية، علماً بأنه كان ضدّها وضدّ مشاركتي في عضوية وفد م.ت.ف. الذي ترأسه أبو مازن، وكان ينتمي قيادة الحزب الشيوعي بتبني موقف ذيلية لليميني الفلسطيني. وبعد عودته من موسكو إلى دمشق، تراجع الأمين العام، داخلياً علينا، دون تردد، عن الموقف الإيجابي الذي أبلغه إلى الرفاق السوفيت بشأن الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٢٨ واعتراضهما قاعدة للمفاوضات، وأصرّ على استبدالهما بنص يتحدث عن جميع قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

لاحقاً، قامت عناصر من المخابرات السوفيتية الاـ KGB بإبلاغ مسئول الأمن المركزي في الجبهة الديمقراطية بما قمت به في موسكو، وتسبّبوا لي بإحراج شديد داخل المكتب السياسي، ناهيك عن الإنذار الحربي المعمم الذي تلقّيته كعقوبية على هذه المخالفة الحربية الخطيرة.^(٢٠) وللآن، لم اعرف حقيقة أهداف عناصر المخابرات السوفيتية، هل هي للضغط على الأمين العام؟ أم لتأجيج الصراع داخل قيادة الجبهة؟ أم لكسب جهاز الأمن وقادته وضمان استمرار تعاظن جهاز أمن الجبهة معهم؟!

إلى ذلك، تباينت مواقف الدول العربية من التوجهات الفلسطينية الجديدة بين من ساندتها ومن رفضها وعمل على إحباطها وإفشالها. فالأردن والجزائر ومصر ودول المغرب وب دول الخليج، رحبّت بانعقاد دورى المجلس الوطنى وبالتالي التوجهات التي اعتمدتّها القيادة الفلسطينية، وسهلّوا سفر أعضاء المجلس الوطني المتواجدّين في بلدانهم إلى العاصمة الجزائرية. أما القيادة المصرية، فبجانب ترحيبها بالتوجهات السياسية، فقد دفعت باتجاه عقد دورى المجلس الوطنى بعد الانتخابات الأمريكية والإسرائييلية وليس قبلهما. وشجّعت أبو عمار على التحرّك باتجاه التفاهم مع الملك حسين حول صيغة تشكيل الوفد المشترك للمؤتمر الدولي.

وفي أواخر تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨ بادر الرئيس مبارك إلى ترتيب قمة ثلاثة مصرية - أردنية - فلسطينية عقدت في مدينة العقبة، وجه إنّها الرئيس مبارك رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب،^(٢١) بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، عرض لهم ما دار في اجتماع العقبة. وفي رسالته قال مبارك: "لقد رأيت من المناسب أن أضعكم في الصورة بالنسبة لنتائج المباحثات التي أجريتها مع أخي جلالة الملك حسين والأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في العقبة يوم السبت ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر الجاري.. تعلمون، أننا كنا نسعى طوال الفترة الماضية إلى إعادة بناء الجسور بين الأردن ومنظمة التحرير، باعتبار العلاقة الطيبة بينهما هي شرط أساسى لازم للبلورة موقف عربي موحد". وي شأن ذلك الارتباط مع الضفة الغربية بينت الرسالة أن هناك تسلیم أردني فلسطيني بأهمية الحفاظ على خصوصية العلاقة بينهما، وعدم التفريط فيها أو المساس بها. وإن الجانب الفلسطيني تفهم الإجراءات التي اتخذتها المملكة الأردنية الهاشمية مؤخراً بشأن

الرابطة القانونية مع الضفة الغربية، وأعتبر أن هذه الإجراءات متى وضعت في سياقها الصحيح كفيلة بأن تصبح عنصراً إيجابياً على طريق تحرير الأرض واستخلاص الحقوق. وقالت الرسالة: "أعرب السيد ياسر عرفات عن الحرص على إقامة اتحاد كونفدرالي بين الدولة الفلسطينية، عندما تنشأ، وبين الأردن.. واتفق الطرفان على تهيئة المناخ لعقد المؤتمر الدولي للسلام، والحصول على موافقة جميع الأطراف على مشاركة م.ت.ف." وبشأن دورة المجلس الوطني الفلسطيني أشارت الرسالة إلى أن رئيس اللجنة التنفيذية طرح تصور القيادة الفلسطينية لما يمكن إنجازه في الدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني التي تقدر عقدها في ١٢ نوفمبر/تشرين الثاني القادم في العاصمة الجزائرية، وإن هذا التصور يقوم على إعلان دولة فلسطينية تطبيقاً للقرار رقم ١٨١ الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧. وفي ما يتعلق بالحكومة المؤقتة، قالت الرسالة: "الرأي الفلسطيني (أغلبية) يميل إلى تأجيل هذه الخطوة".

أما موقف العراق فرسالة الرئيس مبارك ذاتها أشارت إلى موقفه الأولي من التوجهات الفلسطينية، حيث قالت: "وقد توجهت عقب انتهاء هذه المباحثات في العقبة إلى بغداد ومعي السيد ياسر عرفات، حيث جرى استعراض للموقف.. وأعرب الرئيس صدام عن تأييده لتحرك م.ت.ف. بهدف إنهاء الاحتلال وتمكن الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشروعة".

لاحقاً، تبين أن موقف القيادة العراقية كان مع عقد دورة المجلس الوطني ومع إعلان الدولة الفلسطينية، وبعارض مبادرة السلام المقترحة. وأوعز العراق لقيادة جبهة التحرير العربية، بتأييد قيام الدولة والتصويت ضد مبادرة السلام، وضد اعتراف منظمة التحرير بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨. لكن معارضه العراق للموافقة الفلسطينية على القرارات بقيت هادئة وغير عدوانية. أما القيادات السورية والليبية، فكانتا ضد عقد دورة المجلس الوطني، وضد التوجهات السياسية الفلسطينية بالملحق. وبدلت القيادة السورية، في تلك الفترة، جهوداً دبلوماسية كبيرة مع الحكومة الجزائرية من أجل تعطيل انعقاد الدورة على أرض الجزائر، ودفعت كل الفصائل والشخصيات الفلسطينية المرتبطة بها إلى مقاطعة الدورة، وإلى فتح النار الإعلامية ضد توجهات "اليمين الفلسطيني المستسلم والمتساوق مع الحلول الأمريكية". وحاولت دفع قيادتي الجبهتين الشعبية والديمقراطية إلى المقاطعة، لكن قياديتهما لم تستجبوا لهذا الطلب. وبادرت القيادة الليبية لعقد اجتماع حضرته فصائل جبهة الرفض الفلسطينية وحضرته قيادة الجبهة الديمقراطية، وضغطت هي الأخرى باتجاه مقاطعة دورة المجلس. إلا أن قيادتي الجبهتين لم تستجبوا للموقف الليبي، بل أكدتا على أنها ذاتبان إلى الجزائر "لمصارعة اليمين الفلسطيني" وإحباط مخططاته، وتعطيل توجهاته السياسية الإسلامية، على حد تعبيرهما. ولم تمانع

القيادة السياسية السورية في سفر من يريد حضور المجلس، لكن أجهزتها الأمنية أبلغت إلى قيادة الجبهة الديمقراطية، بطرق غير مباشرة، أن من يسافر منها ويشارك في أعمال المجلس الوطني سيمنع من العودة إلى سوريا. في حينه، ترددت قيادة الجبهة، إلا أن سفر أعضاء الجبهة الشعبية شجعها على السفر والمشاركة في أعمال دورة المجلس الوطني كالعادة وبكامل أعضائها.^(٢٢)

وفي ضوء نتائج الاتصالات والمشاورات الداخلية والخارجية، تم تحديد موعد انعقاد الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني بصورة نهائية. وكان واضحًا أن المنظمات التابعة لسوريا (منظمة الصاعقة، والقيادة العامة، والمنشقين عن فتح بقيادة أبو موسى) سوف تقاطع الدورة. وجرى شبه توافق فلسطيني داخلي على اعلان المجلس عن قيام دولة فلسطين على الأراضي الفلسطينية التي احتلت في العام ١٩٦٧. أما الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٢٢٨ وبحق إسرائيل في الوجود، وتشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة، فقد بقيت موضوع خلاف، وانتقل الحوار حولهما إلى جلسات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، التي انعقدت في أروقة قصر الصنوبر في العاصمة الجزائرية في الفترة الواقعة من ١٢-١٥/١١/١٩٨٨ بحضور حشد واسع من المراقبين والصحافيين ومراسلي وكالات الأنباء العربية والأجنبية. وسميت تلك الدورة "دورة الانتفاضة والشهيد أبو جهاد - خليل الوزير".

وعلى أبواب الدورة ١٩، وجهت قيادة حركة حماس رسالة مطولة للمجلس قالت فيها، "ولا نذيع سراً إذا أعلنا أن انعقاد دورتكم هذه في ظل التراجع العربي وضغوطه على القيادة الفلسطينية يراد منه انتزاع شرعية الكيان اليهودي باسمكم، وقد تتمثل الشرعية بالاعتراف بقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ أو القرارات ٢٤٢ و ٢٢٨ أو غيرهما من القرارات والمشاريع التي تؤكد حق الكيان اليهودي في العيش بسلام وأمان فوق أرضنا المقدسة".

واقتربت حماس، في النداء نفسه على المجلس الوطني تبني برنامج آخر يقوم على أساس، أولاً: التأكيد على أن أرض فلسطين كاملة غير منقوصة حق للشعب الفلسطيني وللامامة كلها. وإن الوجود الصهيوني عليها أو على جزء منها سواء ما احتل في عام ١٩٤٨ أو عام ١٩٦٧ لا يبطل هذا الحق بأي حال من الأحوال. ثانياً: التخلص من مسيرة الحلول السلمية والمؤتمرات والقرارات الدولية والوقوف أمام تيار الواقعية السياسية وكل المنادين بالتفاوض مع العدو والاعتراف به، مهما كلف ذلك من ثمن. ثالثاً: اعتناد الجهاد طريقاً وحيداً للتحرير وإعادة البنية الفلسطينية المقاتلة لاستئناف العمل الفدائي، وأحياء العمليات الاستشهادية داخل فلسطين المحتلة. رابعاً: ربط القضية الفلسطينية بعمقها الإسلامي، والعمل على حشد طاقات الأمة الإسلامية وامكاناتها الهائلة لمعركة تحرير المسجد الأقصى المبارك. خامساً: الإنفاق الصادق لأوضاع الشعب الفلسطيني

داخل فلسطين وخارجها وتبني أماله والآمه، والعمل على تخفيف معاناته على الأرض."

إلى ذلك، كان واضحاً للقيادة الفلسطينية أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجبهة التحرير العربية الموالية للعراق، وعدد من قيادات فتح، وضمنهم أبو الطف، سيصوتون ضد الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٢٢٨، لكنهم سيصوتون لصالح صدور وثيقة إعلان الاستقلال والإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية على الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧. أما حزب الشعب فكانت قيادته من أشد المتمحمسين للتوجهات الفلسطينية الجديدة، وبخاصةمبادرة السلام، باعتبارها تتطابق مع مواقفه السياسية التي كان يتبنّاها منذ سنوات طويلة، والتي كانت سبباً رئيسياً للكثير من مشكلاته مع كل الفصائل الفلسطينية دون استثناء، واحد أسباب بقاءه خارج إطار القيادة الأولى للمنظمة.

أما قيادة الجبهة الديمقراطية فقد ظل موقفها ملتبساً، حيث لم يكن لديها موقف موحد، وظهرت خلافاتها الداخلية للجميع. ولم يستطع، في حينه، مكتب الجبهة السياسي التوصل إلى موقف موحد، وكان كلما اجتمع ازداد الخلاف وتشعبت قضيّاه، وكثيراً ما اختلطت الفصايا السياسية بالتنظيمية والماليّة والإدارية، ورفعت "الإقليمية" شعار الديمقراطية والاصلاح. وي بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٨، عقد لقاء بين قيادة الجبهة وقيادة حزب الشعب "الشيوعي" في الخارج، طرح فيه سليمان النجاشي عضو المكتب السياسي للحزب، بوضوح، موقف الحزب من اطروحات الجبهة، وقال: "نحن مختلفون، وكل محاولاتنا لكسر هذا الخلاف لم تجد، بالرغم من حرصنا الشديد على ان نخوض معركتنا متحدين مع شعبنا، ومع القوى التي تساندنا". وعدد نقاط الخلاف بين الحزب والجبهة وركز على الموقف من ترتيب الأولويات الفلسطينية. وأكد ان حزب الشعب يعتبر الإعلان السياسي اهم وثيقة، وخصوصاً ان مقدمته تتحدث عن الانتفاضة ومهام القرى الوطنية اتجاهها، وفقرتة الثانية تتحدث عن الخيار الفلسطيني. وقال: أنا لا أرى ان صيغة حق تقرير المصير غامضة، وأقول ان هناك تطوراً كبيراً في الفكر السياسي الفلسطيني عندما نتعامل مع قرار ٢٤٢ بالصيغة الجديدة. وذكر ان قمة فاس والجزائر وضعاً ٢٤٢ دون ذكره مباشرة، ورفضت م.ت.ف. ٢٤٢ لانه يتحدث عن ازالة آثار العدوان ولا يتحدث عن حقوق الشعب الفلسطيني. وأكد ان الحزب سيواصل الحديث عن الدولة المستقلة، وأنه ليس ضد الكومنولث مع الاردن ولكن بعد الاستقلال الحقيقي، وليس بعد اعلان قيام الدولة. وأشار الى بيان القيادة الوطنية الموحدة رقم ٢٨ حيث عادت "قائمة" لتؤكد على البرنامج السياسي الواقعي الواضح. وفيما يخص الحكومة المؤقتة، قال: "لنا في الحزب تحفظات على اعلانها الان، ولستنا ضد الصيغة التي تقول يكلف المجلس الوطني المجلس المركزي واللجنة التنفيذية بالإعلان عنها في الوقت المناسب". واعتبر برنامج الحكومة المؤقتة في حال تشكيلها هو برنامج المجلس الوطني وقرارته، وأشار الى ضرورة وضع ضوابط وطنية ملزمة.

في ذلك اللقاء، ظل موقف الأمين العام للجبهة الديمقراطية على حاله وتبني موقف اغلبية المكتب السياسي. وعلى ابواب المجلس، رفع نايف حواتمة وتيرة تصريحاته النقدية للتجهات الفلسطينية، وراح يشدد على ضرورة ان تتضمن قرارات المجلس الوطني قرارا واضحا ينص على ان اساس انعقاد المؤتمر الدولي هو جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية. وشدد على ضرورة صدور قرار ملزم بتشكيل حكومة مؤقتة فورا. وصار واضحا للتيار الديمقراطي ولقوى الوطنية الفلسطينية ان طرف في الجبهة متمسكان بموافقتهم المتباعدة، وان اصرارهما عليها سيقود حتما الى انشقاق يكون له صدأه في الساحة الفلسطينية، وأنه ليس في صالح الانتفاضة والحركة الوطنية الفلسطينية وخصوصا في هذه المرحلة.

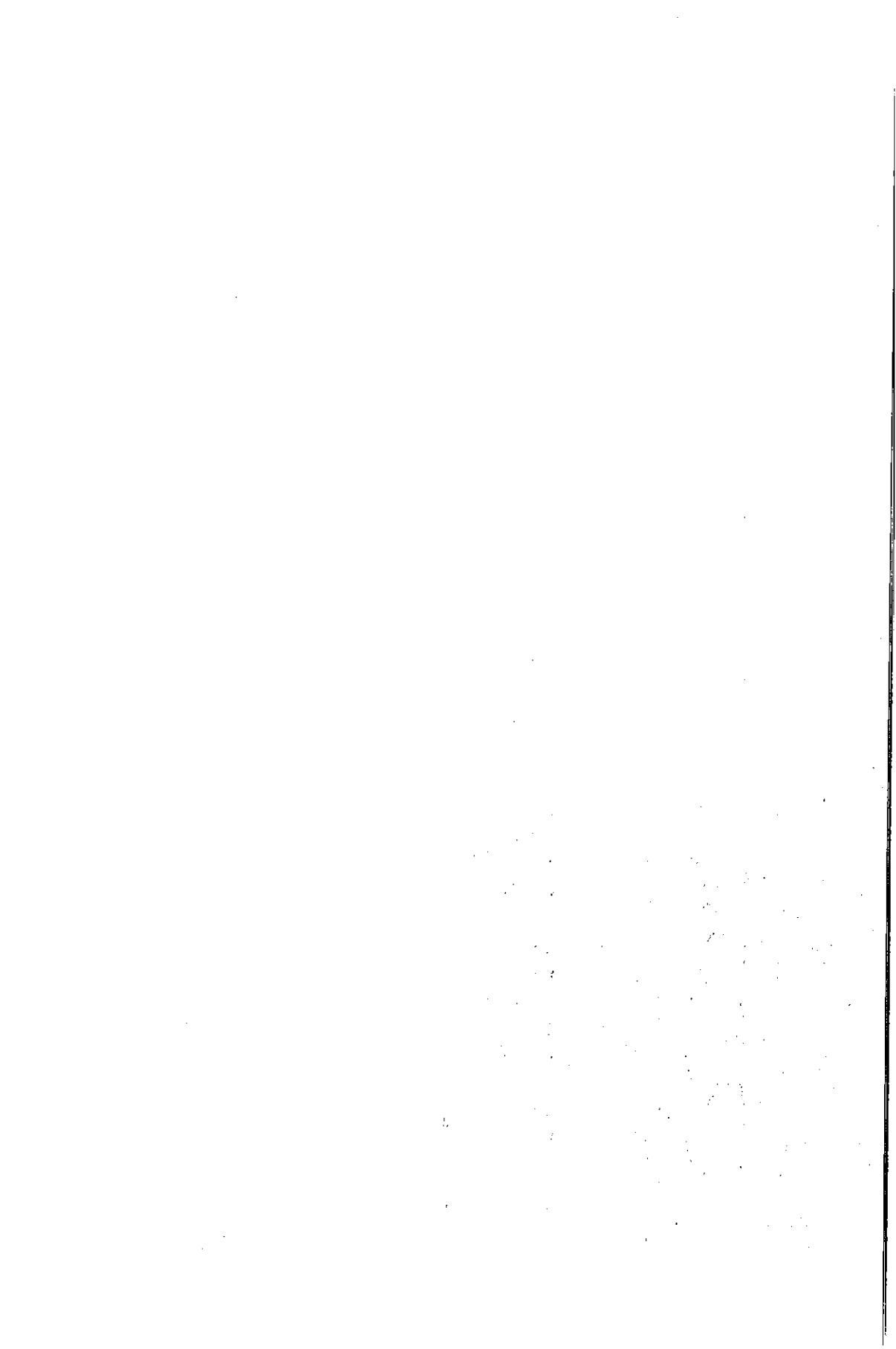
هوامش الفصل الرابع

- (١) بعد نجاح قيادة م.ت.ف. في إفشال زيارة شولتس للمنطقة، واخر شباط /فبراير ومطلع اذار /مارس ١٩٨٨، وجهت القيادة السوفيتية دعوة لقيادة الفلسطينية لزيارة موسكـ. وحرصت على تقييد الزيارة على ابواب لقاء وزير الخارجية الأمريكية شوانتس مع نظيره السوفيتـ شيفرنادـ، وضم الوفد بالإضافة الى ابو عمار عدداً كبيراً من اعضاء اللجنة التنفيذية هـ : فاروق القدوـيـ، ابو علي مصطفـيـ، محمود درويـشـ، سليمـان النجـابـ، يـاسـرـ عبدـ رـبـهـ، وـعبدـ اللهـ الحـوارـيـ، وـسفيرـ فـلـسـطـنـ فيـ مـوسـكـ.
- (٢) في ٢١ تموز /يوليو ١٩٨٨، التقى الملك حسين خطابـاً قالـ فيـهـ: "فيـ الفقرـةـ الاخـيرـةـ تـبيـنـ انـ هـنـاكـ تـوجـهاـ فـلـسـطـيـنـياـ وـعـربـيـاـ وـدـولـيـاـ يـؤـمـنـ بـضـورـةـ اـبـراـزـ الـهـوـيـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ، بـشـكـلـ كـامـلـ، فـيـ كـلـ جـهـدـ اوـ نـشـاطـ يـتـحـصـلـ بـالـقـضـيـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ وـطـلـرـاتـهاـ. كـماـ اـخـضـعـ اـنـ هـنـاكـ قـنـاعـةـ عـامـةـ بـانـ بـقـاءـ الـعـلـاقـةـ الـقـانـونـيـةـ وـالـادـارـيـةـ مـعـ الضـفـةـ الـغـرـبـيـةـ يـتـنـاقـشـ مـعـ هـذـاـ التـوـجـهـ. وـيمـكـنـ القـولـ اـنـ هـذـاـ الـاعـلـانـ سـاهـمـ فـيـ اـنـهـيـارـ اـسـسـ مـبـادـرـةـ شـولـتسـ. "نصـ خـطـابـ الـمـلـكـ حـسـنـ: "شـوـؤـنـ فـلـسـطـيـنـيـةـ، (الـعـدـدـ ١٨٥ـ، آـبـ/ـأـغـسـطـسـ ١٩٨٨ـ)"
- (٣) تتـكـنـ الرـسـالـةـ مـنـ ١٩ـ صـفـحةـ بـخطـ الـيدـ، تـضـمـنـتـ تـحلـيلـ لـطـبـيـعـةـ الـمـرـاحـلـ، وـمـوـاـقـفـ الـاطـرـافـ الـوطـنـيـةـ مـنـ الـتـطـورـاتـ كـمـاـ تـبـلـتـ فـيـ اـجـتـمـاعـاتـ الـلـجـنةـ التـنـيـذـيـةـ بـعـدـ اـعـلـانـ الـمـلـكـ حـسـنـ قـرـارـ فـكـ الـارـتـابـاتـ بـالـضـفـةـ الـغـرـبـيـةـ، وـاقـترـحـ يـاسـرـ عبدـ رـبـهـ خـطـوـطاـ عـرـيـضـةـ لـمـبـادـرـةـ سـلـامـ. وـنـظـرـاـ لـطـولـ الرـسـالـةـ تـعـذرـ نـشـرـهـاـ فـيـ الـكـتـابـ."
- (٤) فـيـ اـطـارـ التـنـسـيقـ الـفـلـسـطـيـنـيـ -ـ السـوـفـيـتـيـ، زـارـ يـاسـرـ عبدـ رـبـهـ بـوـصـفـهـ عـضـوـ لـجـنةـ تـنـيـذـيـةـ، مـوسـكـ بـنـاءـ عـلـىـ دـعـوـةـ رـسـمـيـةـ، وـهـنـاكـ التـقـىـ بـولـيـاـكـوفـ نـائـبـ وزـيرـ الـخـارـجـيـةـ، وـتـبـادـلـ الـمـعـلـومـاتـ حـولـ أـخـرـ الـتـطـورـاتـ، وـاـطـلـعـ الـجـانـبـ السـوـفـيـتـيـ يـاسـرـ عـلـىـ نـتـائـجـ الـلـقـاءـ بـالـأـمـرـيـكـاـنـ.
- (٥) فـيـ اـطـارـ الـبـحـثـ عـنـ صـيـفـةـ لـمـشـارـكـةـ مـ.ـتـ.ـفـ. فـيـ الـاتـصـالـاتـ وـالـلـقـاءـاتـ الـدـولـيـةـ بـشـانـ حلـ التـزاـعـ، التـقـىـ اـبـوـ عـمارـ يـوـمـ ٧ـ تـشـرـينـ الثـانـيـ/ـنوـفـمـبرـ ١٩٨٥ـ بـالـرـئـيـسـ مـبارـكـ بـحـضـورـ اـبـوـ اـيـادـ وـرـئـيـسـ الـمـجـلـسـ الـوطـنـيـ الـفـلـسـطـيـنـيـ الشـيـخـ عـبـدـ الـحـمـيدـ السـانـعـ. وـبـعـدـ الـلـقـاءـ تـلاـ اـبـوـ اـيـادـ عـمـارـ بـيـانـاـ عـرـفـ فـيـ حـيـهـ يـاـعـلـانـ الـقـاهـرـةـ وـأـعـلـنـ فـيـ شـجـبـ مـ.ـتـ.ـفـ. لـجـمـيعـ عـمـلـيـاتـ الـإـرـهـابـ وـادـانـ الـعـمـلـيـاتـ الـخـارـجـيـةـ. رـاجـعـ النـصـ الـكـامـلـ مـلـحقـ رقمـ (٤ـ).
- (٦) فـيـ اـطـارـ التـنـسـيقـ الثـانـيـ وـتـبـادـلـ الـمـعـلـومـاتـ، نـقـلـ مـندـوبـ السـفـارـةـ السـوـفـيـتـيـةـ فـيـ دـمـشـقـ إـلـىـ قـيـادـةـ الـجـبـهـةـ رسـالـةـ حـولـ نـتـائـجـ لـقـاءـ شـيفـرـنـادـزـةـ مـعـ شـولـتسـ وـزـيرـ الـخـارـجـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ. وـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـقـيـادـةـ السـوـفـيـتـيـةـ كـانـتـ تـقـمـ بـاـبـلـاغـ الـمـعـلـومـاتـ، بـوـاسـطـةـ سـفـارـتهاـ فـيـ دـمـشـقـ أوـ بـيـروـتـ، إـلـىـ الـقـيـادـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ

قبل ابلاغها الى الجبهة. اما المعلومات الخاصة بالجبهة فكانت تنقل عبر القنوات الامنية.

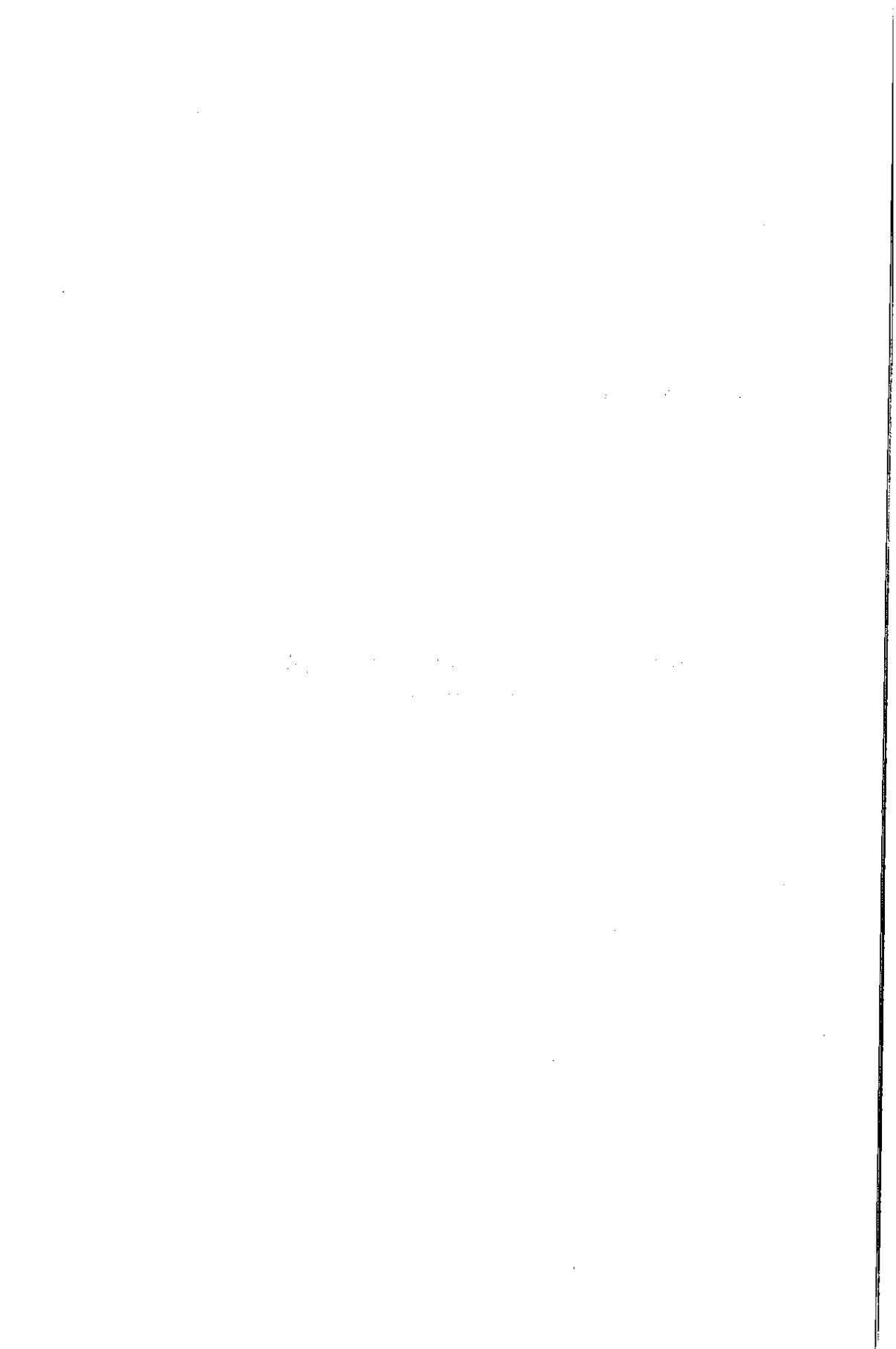
- ٧) على ابواب كل دورات المجلس الوطني، جرت العادة ان تدخل الفصائل في حوار داخلي لبلورة توجهات ونتائج الدورة سلفاً، وكانت حواراتها تستغرق بضعة ايام، ورشة الحوار تحضيراً للدورة المجلس الوطني التاسعة عشرة اختلفت عن كل سابقاتها، واستندت شهوراً طويلة ليس فقط بسبب طبيعة القضايا المطروحة على جدول الاعمال، بل ايضاً لاجراء الاتصالات العربية والدولية ومراقبة ردود الفعل عليها.
- ٨) نادراً ما راجعت فصائل الثورة مواقفها في المحطات الرئيسية، وعندما يبادر بعضها، يحاول، قدر المستطاع اثبات صحة وجهة نظره وتحميل الآخرين مسؤولية الاخطاء. ويشأن حرب المخيمات لم تراجع الجبهتان مواقفهم بشكل واضح وصرح لآخر، وما صدر عنهم ليس أكثر من كلام تبريري وناقص.
- ٩) راجع نفس المبادرة والموافق المضادة في كتاب **قضايا التجديد والديمقراطية - الوثائق السياسية والتنظيمية المقدمة الى اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية (١٩٩١)**
- ١٠) قبل عودة الجبهة للمشاركة في اعمال اللجنة التنفيذية، كان ياسر عبد ربه يتولى المسؤلية المباشرة عن مالية الجبهة. وخلال الانتفاضة، بلغت موازنة الداخل ما يزيد عن ٢٠٠ الف دولار شهرياً. وبعد ثبيت عضويته في اللجنة التنفيذية سلم ياسر عبد ربه مالية الجبهة كاملة لعضو المكتب السياسي نبيل حمادة الذي كان يعارض مواقف الاتلية بعنف، مما سهل على المكتب السياسي محاصرة منظمة الجبهة داخلياً.
- ١١) خلال احدى لقاءات أبو عمار بالعقيد معمر القذافي، وافق العقيد على تقديم مساعدات مالية للاقتاضة وقال نحن لا نثق في جهاز م.ت.ف. ونزير تأمين وصولها مباشرة لاطر الانتفاضة، وسمى عبد الله حجازي مسؤولاً عن هذه المهمة. في حينه، وافق أبو عمار على طلب العقيد وسمى ممدوح نوبل واكرم هنية لتنسيق تأمين وصول المبالغ لاطر الانتفاضة. قمنا بعدة زيارات الى ليبيا سلمنا خلالها ارقام الحسابات وعنوان المؤسسات، وانتظمت عملية الصرف بضعة شهور.
- ١٢) حضر اجتماع ٦/١٩٨٨ كل من أبو عمار، د. جورج حبش، أبو مازن، أبو اللطف، طاعت بعقوب أمين عام جبهة التحرير الفلسطينية، سليمان النجاشي، ابراهيم مصطفى، القس إيليا خوري، عبد الرحيم أحمد، ياسر عبد ربه، هايل عبد الحميد أبو الهول، وصلاح خلف أبو أياد، جويد الغصين، عبد الرزاق اليحيى، عبد الله الحريري، نزار أبو غزالة أمين الصندوق القومي في عمان، سمير غوشة، أبو المعتصم، اكرم هنية، وممدوح نوبل.
- ١٣) على ابواب دورات المجلس الوطني، تعودت قيادات الفصائل الفلسطينية الدخول في مساومات مع أبو عمار وقيادة فتح حول قضايا سياسية وتنظيمية ومالية. وكثيراً ما ربط هذا التنظيم او ذلك موقفه من مسائل وطنية بتنسمية الاعضاء الجدد المنتمي اضافتهم للمجلس او بدفع استحقاقاته المالية، وكانت تبالغ في طلباتها لتحصل على ما تريده. إلى ذلك، كان أبو عمار يستمر تناقضات الفصائل للحد من طلباتها كلها.
- ١٤) في حينه، لم يوفق المحامي انيس القاسم المقيم في لندن، رئيس اللجنة القانونية في المجلس، في صياغة وثيقة اعلان الاستقلال. حيث ركز على الجوانب القانونية، وكانت الصيغة اشبه بمراجعة قانونية امام محكمة، قال عنها البعض مراجعة فاشلة عن قضية عادلة.
- ١٥) جمال الصوراني أبو عمر من مؤسسي م.ت.ف. ظل عضواً في اللجنة التنفيذية سنوات طويلة. لم يتم لأي من الفصائل الفلسطينية، وكان يدافع عن حقوق المستقلين في منظمة التحرير، وبهاجم استئثار الفصائل بقرارات ومقدرات المنظمة ومؤسساتها. ارتبط بعلاقة تاريخية خاصة مع أبو عمار، وكان أبو عمار يستعين به في معالجة الازمات الداخلية.

- (١٦) ترأس ابو مازن الوفد، وضم : ابو علي مصطفى نائب الامين العام للجبهة الشعبية، وسليمان النجاشي عضو المكتب السياسي لحزب الشعب عضو اللجنة التنفيذية، وعبد الله الحدراني عضو تنفيذية المنظمة، وبعد الطيف ابو حبلة ابو جعفر مدير عام الدائرة السياسية في المنظمة، وممدوح توفيق عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية عضو المجلس العسكري الاعلى، بالإضافة لسفير فلسطين في موسكو.
- (١٧) خلال ١٤ عاما من العلاقة المتواصلة مع السفارتين السوفيتين في دمشق وبيروت نمت علاقة نضالية وشخصية بين قيادة الجبهة وعدد واسع من كادرها مع اركان السفارتين. الى ذلك، شجع المكتب السياسي كل اشكال التعاون مع الملحقين السياسيين والعسكريين والامنيين، بلغ الامر في بعض المجالات وخصوصا الامن مراحل متقدمة تخطت حدود تبادل المعلومات.
- (١٨) راجع نص رسالة الداخل ملحق رقم (١٢).
- (١٩) قبل مغادرة وفد م.ت.ف. موسكو، وصل وفد الجبهة بناء على دعوة من لجنة التضامن، والتحقت به بناء على طلب الامين العام. وبعد اطلاع الامين العام على محاضر الاجتماعات تبرأ، واتهمني بالخروج على مواقف الجبهة لجهة تأييد مشروع مبادرة السلام. وعرضت عليه عدم المشاركة في الوفد، لكنه رفض، عندها أبلغت اليه اني سأبالغ الرفاق السوفيت بأن ما طرحته في اللقاءات مع الوفد الفلسطيني يعبر عن وجهة نظرى الشخصية. فتراجع وتبني موقف الاقلية المتطابقة مع الاطروحات الوطنية الواقعية.
- (٢٠) بعد عودة وفد الجبهة من موسكو الى دمشق اتهمني الامين بالخروج عن موقف الجبهة وابتزازه مما اضطره الى الخروج عن موقف الجبهة. ونلت باغلبية الاصوات عقابا حزينا وانذارا معمما بالفصل من المكتب السياسي، بسبب مشاركتي في وفد م.ت.ف. دون موافقة المكتب السياسي، وبسبب موقفى في اللقاءات الوطنية.
- (٢١) راجع نص رسالة مبارك ملحق رقم (٥).
- (٢٢) قبيل انعقاد دورة المجلس الوطني لم تكن علاقة الجبهة الديمقراطية بالقيادة السورية على ما يرام. في حينه ترددت قيادة الجبهة في سفر جميع اعضائها الاساسيين الى الجزائر، وكانت من المترددين، خاصة وان مسؤولياتي الوطنية في لبنان ومعركة مفروشة لم تكن مرحبة للسوريين، وكانت اخشى الاعتقال او عدم القدرة على العودة، وحسمت التردد وسافرت ايمانا مني بان الدورة ستكون حاسمة وطنيا ولارضاع الجبهة.



الفصل الخامس

وَقَاعِ لَيْلَةِ إِعْلَانِ الْاسْتِقْلَالِ وَقِيامِ الدُّولَةِ الْمُسْتَقْلَةِ



وقائع ليلة إعلان الاستقلال وقيام الدولة المستقلة

اشتباكات سياسية فصائلية قوية قبل الإعلان

لم يكف القيادة الفلسطينية فترة ثلاثة شهور و٣٥٠ ساعة من الحوار والنقاش حول التوجهات الفلسطينية الجديدة^(١) وكالعادة، نقلت القيادة ما تبقى من خلافاتها حول نص "مبادرة السلام الفلسطيني" ووثيقة اعلان الاستقلال وقيام الدولة، ومسألة الحكومة المؤقتة، والبيان السياسي الى جلسات دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة. وكالعادة، أيضاً، افتتح أبو عمار دورة المجلس بخطاب سياسي. وتميز خطابه في تلك الدورة بتوجيهه رسالة مباشرة الى الرئيس الأمريكي، قال فيها: "ارجو من الرئيس جورج بوش أن تكون هناك سياسة امريكية جديدة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط. وأقول له، باسم الشعب الفلسطيني، نأمل ان لا تكون سياسة متحيز لاسرائيل. نحن لا نطلب المستحيل، نحن نطلب الحق والعدل، نحن نطلب الوطن الذي طردنا منه". وأشار أبو عمار بطريقة غير مباشرة الى الخلافات القائمة حول التوجهات وقال: "مجتمع ونحن نفخر بديمقراطيتنا، ديمقراطية غابة البنادق، وهي أصعب الديمقراطيات وقد اختلف مع اخواني ولكنهم يحملون ظهري عندما اتقدم. وانا أختلف معهم ولكنني أحلمي ظهورهم عندما يتقدمون، هذه هي الديمقراطية الفلسطينية ونتقدم دائمًا الى الامام".^(٢)

بعد كلمة أبو عمار، القى السيد عبد الحميد المهرى، رئيس الوزراء الجزائري، كلمة رحب فيها بانعقاد المجلس على ارض الجزائر، واعلن عن وضع امكانات الجزائر تحت تصرف الثورة الفلسطينية، وكرر مقوله الرئيس الجزائري بومدين "الجزائر مع الثورة الفلسطينية طالمة او مظلومة". بعدها، اعلن سيدى الشيخ عبد الحميد السانح رئيس المجلس

الوطني عن سرية الجلسات، وتم تثبيت جدول الاعمال المتفق عليه. وتم تثبيت العضوية، وتمييز الدورة عن سبقاتها بحضور ٢٢ كادرا فلسطينيا ابعدتهم سلطات الاحتلال الى الارضي اللبناني بسبب دورهم المميز في الانتفاضة. وقدم الى المجلس ثلاثة تقارير خطية: الاول التقرير السياسي تلاه فاروق القدوسي ابو اللطف رئيس دائرة السياسية في منظمة التحرير، والثاني تقرير الصندوق القومي تلاه جويد الغصين عضو اللجنة التنفيذية رئيس دائرة الصندوق، والثالث تقرير الوطن المحتل والانتفاضة تلاه عباس زكي عضو اللجنة المركزية لفتح سكرتير لجنة الانتفاضة. الى ذلك، تلي على المجلس طيلة ايام انعقاده سيل واسع من البرقيات ورسائل التأييد والمساندة للمجلس الوطني وتوجهاته، وخصوصا من الاراضي المحتلة، وكانت مذيلة بـألف الواقع واحتام كافة المؤسسات. وبعد تلاوة التقارير، بدأت المناقشات العامة، وراح الاعضاء من مختلف التنظيمات والاتجاهات يدللون بآرائهم حول القضايا المطروحة للنقاش. وكالعادة اعطى سيدى الشيخ الاولوية الكلمات الرسمية للفصائل.

في حينه، لفت نظر اعضاء المجلس ان فهد سليمان عضو المكتب السياسي هو الذي صعد للمنصة للاقاء كلمة الجبهة الديمقراطية، وتساءل بعضهم عن السبب، واستفسر آخرون عن شخصيته. وحظيت كلمة الجبهة بانتباه فاق ما نالته الكلمات الأخرى، وجاء فيها: "ان التطورات الاخيرة والمكاسب العظمى التي حققتها الانتفاضة تتطلب التفكير الجاد بصيغة تعزيز مكاسب الانتفاضة وتكريسها وفتح الآفاق أمامها". وحول الاساس القانوني لاعلان الدولة قال: "بما ان المقصود هو اشهار القرار ١٨١ الذي اعترف لشعبنا بحقه في اقامة دولة مستقلة، فلا نرى انه من المفيد الاشارة بالنص الى الشق الآخر من هذا القرار الذي نص على انشاء دولة يهودية، حتى لو اتي هذا في سياق الاشارة الى ظلم تاريخي لحق بشعينا". واعطت الكلمة اهمية فائقة لمسألة تشكيل الحكومة المؤقتة، وقالت : "اما بالنسبة للحكومة المؤقتة.. فإننا، مع تأكيدينا على اهمية ان يضع المجلس الوطني النصوص التي ينبغي الالتزام بها بحيث تأتي منبثقة عن م.ت.ف.. وان تعكس في تكوينها الائتلاف الوطني القائم في المنظمة.. ننظر الى اعلان الحكومة المؤقتة متلازمـا مع الاستقلال باعتباره جزءا من معركة متكاملة". وجاء في الكلمة حول الاعتراف بالقرار ٢٤٢، "على هذا الاساس فإن موقفنا من القرار ٢٤٢ يتحدد، اولا واخيرا، على أساس من تكامله وترابطـه مع كافة قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية.. وندعو المجلس الى الى تبني موقف من القرار ٢٤٢ يغلق الابواب امام اية تفسيرات يمكن ان تنتقص من حقوق شعبنا.. وهذا يتطلب ربطـة اية اشارة الى القرار ٢٤٢ بالتمسك الحازم بجميع قرارات الامم المتحدة.. فالشرعية الدولية كل لا يتجزأ".^(٣)

الى ذلك امتدت خطب الاعضاء في الجلسات العامة ساعات طويلة، وكرر كل فصيل

مواقفه السياسية الأساسية التي طرحتها في اجتماعات الحوار الوطني المعروفة للجميع. وكانت نبرات اصواتهم متواترة وعالية، وكانت وتيرتها ترتفع أكثر اذا تحرش خطيب بموقف هذا القائد او ذاك الفضيل، او اذا نقلت الصحف ووكالات الانباء خبرا مسربا يدعم موقفا سياسيا معينا يتعارض مع موقف هذا الفضيل او ذاك. ولم يكتف كل فضيل من فضائل م.ت.ف. بالقاء كلمة مركبة واحدة، بل عمل على دعمها بخطب أخرى، القاما اعضاء آخرون من التنظيم ذاته. وكانت قيادات الفضائل تضع، قبل جلسات المجلس وخلالها، سيناريوهات لمداخلات وكلمات مماثلتها. وكثيرا ما كان يتم طلب تأجيل كلمة هذا المتحدث او ذاك لاغراض تكتيكية تتعلق بالرد على موقف هذا الخطيب او ذاك الذي سيقى كلمته لاحقا. وكانت هذه المناورات والتكتيكات الفضائية الصغيرة تسبب، في بعض الاحيان، احراجات للشيخ عبد الحميد السانج. حيث كان البعض يتهمه بالتمييز بين الاعضاء، وكثيرا ما وجد نفسه في اشتباك طارئ بسبب منح هذا المتحدث او ذاك افضالية في الكلام. كان سيدى الشيخ، كما كان يسميه جميع اعضاء المجلس دون استثناء، مستعدا دوما للاشتباك مع الجميع، حول القضايا المتعلقة بإدارته للجلسات، باستثناء أبو عمار. فالاشتباك مع أبو عمار يختلف عنه مع الآخرين. الآخرون كانوا يراعون سن الشيخ وموقعه، ويقدرون صعوبة مهمته، خصوصا عندما تكون الخلافات بين الفضائل قوية، ويحرضون على انتقاء كلماتهم في حال الاختلاف معه. اما أبو عمار فلم يكن يراعي هذه القضايا، الا اذا كانت الجلسات رسمية او في الحضور ضيف عرب وأجانب. وفي الجلسات العادية، كان يمنع نفسه حق مقاطعة كل متكلم. وقليلة تلك المرات التي لم يقطّع أبو عمار كلمات الخطباء المركزيين. كان يشتبك مع المعارض اذا تجاوز الحدود التي رسمها لموقفه في ذهنه، وكان يقطّع المؤيد لوجهة نظره ليداعبه ويثني على كلامه ويزوده بمعلومات اضافية كي يسترسل في كلامه. وكان الخطباء، المؤيدون والمعارضون، يستذكرون تدخلات ومقاطعات أبو عمار التشويشية، ويطلبون الحماية من رئيس المجلس. وكان سيدى الشيخ يريد دوما مداعبا الاعضاء وأبو عمار ويقول: "يحق للقائد العام ما لا يحق لغيره، القائد العام للثورة هو الوحيد بينكم القادر على اصدار اوامر الحبس ووقف الراتب، انتم انتخبتموه قائدا لكم وعليكم تحمل المسؤولية، وانا رجل طاغٍ في السن ولم اعد اتحمل دخول السجون". وكان أبو عمار يعلق على كلام الشيخ دوما: "وانا، كما يعرف اخوانكم العسكر ما عنديش لحية مشطة، ولا أحامل في القضايا الأساسية".

كان عضو المجلس محمد عبد الرؤوف عرفات القدوة، أبو عمار، يجلس كعادته في الكرسي الأول من الصف الاول المخصص للاعضاء، لكنه الكرسي الاقرب الى منصة الرئاسة. كان يستمع للخطباء ويسجل في دفتره الخاص. ولا احد يعرف ما سجله الا عندما يفتحه

ليشهد منه بمجريات واقعة ما. وكان يقرأ بريده المتنوع والغزير، الذي يبدأ بأخبار الانفلاحة وموافق الدول والهيئات الدولية من القضية الفلسطينية، وينتهي بالرد على طلب مساعدة مالية او تذكرة سفر لا تتعدي قيمتها ١٠٠ دولار. ويدون على كل ورقة من اوراقه ملاحظاته وتعليماته، تحول بعدها الى اجراءات عملية يقوم بها المرافقون مع أصحابها المعنين.^(٤) وكان يستمع لكل من يريد ان يهمس في اذنه حول مسألة ما، وكان يرد عليه بالطريقة ذاتها. ومن مكانه، كان يكفل حراسه ومرافقه باستدعاء هذه الشخصية الوطنية او تلك، او نقل ورقة من اوراق ارشيفه لهذا القائد او ذاك الكادر. كان يقوم بكل ذلك؛ يستمع ويكتب، يقرأ ويهمس، ويراقب مجريات المجلس في آن واحد. تراقبه وتنظر له فتجده منهمكا في تقليل الارواح دون انقطاع، وتظن انه لا يستمع للخطيب وانه مشغول عنه في القراءة والكتابة، لكنك تفاجأ عندما تسمع تعليقه الجدي او الهزلبي على جملة قالها المتكلم. يمتنع عن الرد على استفسار وجه له، لكنه يفاجئ الجميع ويفتح صوت الميكروفون المنصوب امامه، وينطلق بالحديث والتعليق والرد دون ادن رئيس الجلسة، او ليقرأ على المجلس جملة او فقرة من رسالة "طالها" من بين اوراقه الكثيرة، او لينقل للمجتمعين شفويًا خبرا جديدا اراد تمريره لاعتبارات يراها هو ضرورية. وكان دوما ينهي كلامه بطلب المسامحة من المتكلم ومن رئاسة المجلس بسبب المقاطعة.

عموما، مرت الخطابات والمداخلات حول القرارات السياسية لدوره المجلس التاسعة عشر بسلام، وان لم يخل الامر من اشتباك بين هذا الخطيب وذاك المستمع. وكالعادة، تجدد النقاش في اللجان الفرعية التي شكلها المجلس، وخصوصا في اللجنة السياسية حيث حشدت مختلف الفصائل ابرز كوادرهما، على امل تثبيت الصياغات المطلوبة، وكأن قرارات المجالس الوطنية السابقة روجعت او نفذت بحذافيرها والتزم الجميع بها. وخلال اجتماعات اللجان الفرعية، كانت القيادة الاولى لكل فصيل تتلقى خلف الكواليس،^(٥) وتبث كل كلمة وفاصلة من نصوص القرارات السياسية، وكل جملة من جمل وثيقة اعلان الاستقلال. وفي اجتماعات اللجنة السياسية، تجددت السجالات حول مشاريع القرارات السياسية. اما نص وثيقة اعلان الاستقلال فترك للقيادة البت بصيغتها النهائية، وهي لم تكن موضع خلاف، بل موضع مساومة لتحقيق مطالب سياسية تتعلق بمبادرة السلام وما سيصدر عن المجلس من قرارات تنظيمية اخرى. وبعض الفصائل ربط موافقته عليها بالمموافقة على قضايا سياسية او مالية.

كانت وثيقة اعلان الاستقلال جاهزة، فالشاعر محمود درويش وضعها كوثيقة للتاريخ، وصاغها بصيغة ترضي جميع الوطنيين الفلسطينيين الحريصين على انتزاع حقوق الشعب طال الزمن او قصر، ونزع منها كل جملة او كلمة قد ترّ بأنها قد تقف حجر عثرة في طريق الاجيال اللاحقة لاستكمال النضال من اجل الاهداف الوطنية السامية. بناتها على

القواسم الوطنية المشتركة المتفق عليها بين الجميع، وترك المسائل المختلف حولها لنصوص القرارات السياسية. وهو، بمعرفته الدقيقة بموافق المستقلين والفصائل مشاكلها الداخلية وبعضها مع بعض، حرص على تجنب كل ما من شأنه توثير العلاقات الوطنية وتأجيج المشكلات، فيما لا يمس جوهر النص كما يراه هو.^(٧)

كل دورات المجلس الوطني الفلسطيني السابقة كانت دوما مسرحا لاشتباكات سياسية بين الفصائل الفلسطينية. ولا انذر دورة واحدة حضرتها منذ عام ١٩٧١، مرت دون اشتباكات سياسية وتنظيمية فلسطينية. الفرق الوحيد بينها يتعلق بطبيعة المعارضي مختلف حولها، وبالتالي النهاية المقدرة سلفا للدورة. ومن يراجع دورات المجلس الوطني قبل الدورة التاسعة عشرة، يجد ان بعضها كان محطات بارزة في تعزيز الخلافات على المستوى الوطني، وفي تبدل التحالفات السياسية والتنظيمية، وبعضاها الآخر كرس انقسامات داخل منظمة التحرير وداخل هذا الفصيل او ذاك.

كانت الخلافات حول القضايا السياسية الوطنية والتنظيمية الاساسية مقبولة في نظر الشارع الفلسطيني، وفي اوساط الاعضاء المستقلين والمرابقين، لكن خلافات كثيرة أهدى فيها الوقت وتواترت الاعصاب دون مبرر. بعضها كان تفصيليا تم تضخيمه وافتعاله لاعتبارات حزبية ضيقة او شخصية لا علاقة لها بالوضع الوطني. وببعضها وقع لاعتبارات تتعلق بمجاراة هذا النظام العربي او ذاك من الانظمة ذات الصلة المباشرة بتسوية الصراع. واكثر منها تلك المحاولات التي تمت لتقريب نصوص القرارات والوثائق الوطنية من مواقفها الحزبية الداخلية او المعلنة، وضمان ورود نص القرار الوطني بشكل يتفق والتعابير والمصطلحات التي يستخدمها عادة هذا القائد او ذاك في خطابه السياسي وفي أحدياته الداخلية والصحفية. فالامين العام للجبهة الديمقراطية مثلا، بقي في الدورة التاسعة عشرة حتى اللحظة الاخيرة يصر، بطريقة نفرت الجميع، على إضافة تعديلات اساسية على بعض النصوص، لاعتبارات تتعلق بالصراع داخل قيادة الجبهة، وليتتجنب ردود فعل القيادة السورية، وأخرى لغوية لتقريب قرارات المجلس من خطابه السياسي، ونصوص قرارات اللجنة المركزية للجبهة. آخرون قاموا بالمحاولة ذاتها لكنهم لم يكونوا منفررين واستفزازيين.

بعد اجتماعات مطولة عقدتها القيادة الفلسطينية واللجنة الفرعية استمرت عدة ايام، فرغت كل اللجان من صياغة مشاريع قراراتها دون خلافات جوهرية جديدة، باستثناء اللجنة السياسية. لجنة الوطن المحتل والاتفاقية صاغت مسودة قراراتها دون خلاف.^(٨) وأكدت على ضرورة تطوير دور القيادة الوطنية الموحدة ومنحها الصلاحيات الضرورية لمتابعة كافة جوانب عمل الاتفاقية ونشاطها والامور المتعلقة بتنظيم حياة المواطنين والشيء ذاته حصل في اللجنة العسكرية، واللجنة القانونية، واللجنة المالية، ولجنة شؤون

الفلسطينيين في لبنان.. الخ. وكان واضحاً للجميع أن اجتماعات اللجنة السياسية سوف تتواصل إلى أن يظهر الدخان الأبيض أو الأسود من الغرفة التي تجتمع فيها القيادة الفلسطينية. فاللجنة السياسية غربت نقاط الخلاف عن الأخرى المتفق عليها. وعند الصياغة، كانت المناقشات أقوى وأكثر صراحة ووضوحاً، لكنها كانت أهداً من مناقشات الجلسات العامة ومن اجتماعات اللجنة السياسية. ورفعت حصيلة عملها لمن بيدهم القرار النهائي للبت بال مختلف حوله. وهناك في اجتماعات القيادة تجري عادة المساومات بعيداً عن رقابة الأعضاء، ويكون القادة عادة أكثر حرراً في كلامهم وأكثر ليونة في مواقفهم. في حينه، طالت مناقشات الأمان العامين وملأ أعضاء المجلس طول الانتظار. وظهر يوم ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر دعا سيدى الشيخ الأعضاء، قبل استراحة الغداء، لمناقشة توصيات اللجان باستثناء توصيات اللجنة السياسية. وجرى التصويت على التوصيات واحدة واحدة، ومر التصويت على معظمها بسرعة ودون اشكالات باستثناء توصيات اللجنة السياسية^(٤)، حيث رغب الأعضاء برفع الجلسة قبل البت بها.

بعد رفع الجلسة، كان واضحاً لجميع الأعضاء أن الجلسة المسائية سوف تكون ماراثونية وحاصلة حيث سيتم التصويت على البيان السياسي وأسس "مبادرة السلام الفلسطينية" فقرة فقرة، وعلى بقية توصيات اللجنة السياسية توصية توصية، وهنا تكمن الخلافات، وتم مساومات اللحظة الأخيرة حولها، حيث لم تنجح اجتماعات القيادة، المتواصلة، في تقرير وجهات النظر، ولم يفلح أحد في ابتكار صيغة ترضي الجميع.

في الجلسة المسائية، استكملا التصويت على توصيات بقية اللجان. وبقيت بعض توصيات اللجنة السياسية المختلف بشأنها. طرح رئيس اللجنة السياسية خلاصة مناقشات اللجنة وحدد بدقة نقاط الخلاف. واتضح أن لا خلاف حول مشروع قرار تشكيل الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين. عندها تدخل أبو عمار، وقال: "دعونا ننتهي من المصائب الكبرى مصيبة تلو مصيبة". وكان أبو عمار يدرك أن تمرير القرار الخاص بالحكومة مجرد بعض المعارضين على المسائل الأخرى من بعض أوراقهم. ورغم التباين الحاصل حول الموضوع، إلا أنه أمكن تجاوزه من خلال صيغة قبل بها الجميع حيث نصت على: "يقرر المجلس الوطني في دورته التاسعة عشر غير العادية، دوره الانفاسة:

- ١) تشكل لدولة فلسطين حكومة مؤقتة في أقرب وقت ممكن وطبقاً للظروف وتطور الأحداث.
- ٢) يفوض المجلس المركزي اللجنة التنفيذية بتحديد موعد تشكيل الحكومة المؤقتة، وتكلف اللجنة التنفيذية بتشكيلها، وتعرض على المجلس المركزي لنيل ثقته. وبعد المجلس المركزي النظام المؤقت للحكم إلى حين ممارسة الشعب الفلسطيني لسيادته الكاملة على الأرض الفلسطينية.
- ٣) يتم تشكيل الحكومة المؤقتة من القيادات والشخصيات

والكتفاءات الفلسطينية من داخل الوطن المحتل وخارجها، وعلى اساس التعديلية السياسية وبما يجسد الوحدة الوطنية. ٤) تحدد الحكومة المؤقتة برنامجها على قاعدة وثيقة الاستقلال والبرنامج السياسي لمنظمة التحرير وقرارات المجالس الوطنية. ويكلّف المجلس الوطني اللجنة التنفيذية بصلاحيات ومسؤوليات الحكومة المؤقتة لحين اعلان تشكيل الحكومة.^(٥)

بعد الانتهاء منه علق أبو عمار قائلاً: "وقتنا لم يضع سدى، فالوحدة الوطنية يا اخوان غالبة وتستحق السهر والتعب". اما سيدى الشيخ رئيس المجلس فقال: "هذه فاتحة خير وأأمل ان تمر المسائل الاخرى بالسلاسة ذاتها. الديمقراطية مررت واحدة ونتمنى على الاخوة في الجبهة الشعبية ان تمرر ما يقابلها. وعلق البعض "المهم ما سيمرره أبو عمار". رد آخر بصوت منخفض، "المهم ما سيقرره القائد العام وليس ما سيمرره."^(٦)

بعد التصويت على القرار المتعلق بالحكومة، قرأ رئيس اللجنة السياسية نص "مبادرة السلام الفلسطينية" وجاء فيها: "فإن المجلس، من موقع المسؤولية تجاه شعبنا الفلسطيني وحقوقه الوطنية ورغبته في السلام، وتجاوزها مع الارادة الإنسانية الساعية لتعزيز الانفراج الدولي ونزع السلاح النووي وتسوية النزاعات الإقليمية بالوسائل السلمية؛ يؤكد عزم م.ت.ف. على الوصول إلى تسوية سياسية شاملة للصراع العربي - الإسرائيلي وجوهره القضية الفلسطينية، في إطار ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ وأحكام الشريعة الدولية وقواعد القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وأخرها قرارات مجلس الأمن الدولي ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨، وقرارات القمم العربية، بما يضمن حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة على ترابه الوطني. ويوضع ترتيبات الأمن والسلام لكل دول المنطقة.^(٧)" وتحقيقاً لذلك يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني على.. ثم توقف رئيس اللجنة السياسية عن استكمال القراءة ليلفت نظر الاعضاء، وقال: "انتبهوا الفقرة التالية فيها المصيبة"، واضاف، "ما رأيكم في القفز عنها وشطبها حتى نرتاح.."، عندها سمع اكثر من تعليق من اعضاء في القيادة كانت كلها تعتبرها نكهة في غير محلها، شبهها البعض بأنها اقرب الى الضحك في مجلس العزاء. اما سيدى الشيخ فقال: "الانتباه الضروري يا اخوان ويا حبذا لو ان احدا يعطينا تعديلا يرضي الجميع."

استكمل رئيس اللجنة السياسية: "ويؤكد المجلس على ضرورة انعقاد المؤتمر الدولي تحت اشراف الامم المتحدة وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي وجميع اطراف الصراع في المنطقة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وعلى قدم المساواة. أخذين بعين الاعتبار ان المؤتمر الدولي ينعقد على قاعدة قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير، عملاً بمبادئ

واحكام ميثاق الامم المتحدة بشأن تقرير المصير للشعوب، وعدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة او بالغزو العسكري، ووفق قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية".

بعد قراءة هذه الفقرة، توقف رئيس اللجنة السياسية وتتسائل هل نكمل ام نتوقف؟ هر امين عام الجبهة الديمقراطية رأسه ويده معرضان. وقال "موضع فقرة - جميع قرارات الامم المتحدة - يفقدها قيمتها". أما سيدى الشيخ فقال كلمات متواترة وحازمة، وطلب اكمال قراءة المبادرة كلها، وأكد ان التصويت سيتم على المبادرة كاملة وليس على فقرة واحدة منها. أما أبو عمار فقال: أخطئنا حين سمحنا لك قراءة نص المبادرة السياسية، الوضع لا يتحمل هزارا.

اكمel رئيس اللجنة السياسية قراءة بقية نقاط المبادرة، وجاء في فقرتها الثالثة: "الفاء جميع اجراءات الضم وازالة المستعمرات في الاراضي الفلسطينية والعربية منذ عام ١٩٦٧".

اما الفقرة الرابعة فنصت على "السعي لوضع الاراضي الفلسطينية المحالة بما فيها القدس العربية تحت اشراف الامم المتحدة لفترة محددة لحماية شعبنا ول توفير مناخ مؤات لاتجاه اعمال المؤتمر الدولي والوصول الى تسوية شاملة وتحقيق الامن والسلام للجميع، بقبول ورضى متبادلين، ولتمكن الدولة الفلسطينية من ممارسة سلطاتها الفعلية على هذه الاراضي". ونصت الفقرة السابعة: "يضع مجلس الامن ويضمن ترتيبات الامن والسلام بين جميع الدول المعنية في المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية".

وخارج بنود المبادرة تمت الاشارة للعلاقة مع الاردن، حيث نصت الفقرة ما قبل الاخيرة على: "يؤكد المجلس على قراراته السابقة بشأن العلاقة المميزة بين الشعبين الشقيقين الاردني والفلسطيني وان العلاقة المستقبلية بين دولتي الاردن وفلسطين ستقوم على اسس كونفدرالية وعلى اساس الاختيار الطوعي والحر للشعبين الشقيقين، تعزيزا للروابط التاريخية والمصالح الحيوية المشتركة بينهما".

وفي الفقرة الاخيرة تمت معالجة مسألة الموقف من الارهاب، وجدد المجلس التزامه بقرارات الامم المتحدة التي تؤكد حق الشعوب في مقاومة الاحتلال الاجنبي والاستعمار والتمييز العنصري وحقها في النضال من اجل استقلالها، وجدد رفضه للارهاب بكل ا نوعه بما في ذلك ارهاب الدولة، مؤكدا التزامه بقراراته السابقة بهذا الخصوص، وقرارات القمة العربية في الجزائر لعام ١٩٨٨، وقرارى الامم المتحدة ٤٢/١٥٩ لعام ١٩٨٧ و ٤٠/٦٠ لعام ١٩٨٥ وبما ورد في اعلان القاهرة بتاريخ ١٩٨٥/١١/٧ بهذا الخصوص.^(١) وكان واضحا ان هذه الفقرة موجهة للامريكان والاوربيين، واصر أبو عمار على ادراجها في النص بناء على الاتصالات وطلب الوسطاء، الذين لم تتوقف جهودهم خلال المجلس.

بعد الانتهاء من تلاوة نص مبادرة السلام الفلسطيني، طلب بعض الاعضاء فتح باب المناقشة العامة من جديد حول المبادرة. آخرون قالوا ان لا داعي لذلك، فالمواقف معروفة، والموضوع اشبع نقاشا. تدخل أبو عمار واكد ضرورة الالتماء قبل منتصف الليل من القرارات السياسية ومن مبادرة السلام، فالاهمل في الداخل يتبعون الاجتماعاتمنذ اكثر من ثلاثة ايام، "ارهقناهم واسفلناهم عن الانتفاضة، و موقفهم من هذه المسألة معروف لكم جميعا". وبين ابو عمار وصول رسائل ومكالمات كثيرة تطالب بجعل يوم ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر يوم اعلان الاستقلال. وان وثيقة اعلان الاستقلال لا خلاف حولها، و توصيات اللجنة السياسية لا خلاف حولها^(١). باستثناء مبادرة السلام، والمبادرة معروفة للجميع، والخلافات محصورة في جملة واحدة فقط. و تمنى على المعارضين ان لا يربطوا بين تصوitemهم على اعلان الاستقلال والتصويت على القرارات السياسية ومبادرة السلام الفلسطينية. و تمنى على الاخوان في الجبهة الديمقراطية ان يقبلوا التعديل الأخير الذي تم اجراؤه، حيث تم وضع الجملة التي ارادوها: "ووفق قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية" في نهاية الفقرة، وهذا يكفي ويحقق الغرض المقصود. رد امين عام الجبهة الديمقراطية بصوت منخفض، وقال : "لا، لا يكفي لأن وضعها في نهاية الفقرة يغير المعنى كلها ويفقدها قيمتها"، واعتبر التعديل الاخير استخفاف بعقول الناس. وربط كلماته بحركة سلبية برأسه ويده. لاحظ صلاح خلف ابو اياد حركة نايف حواتمة وعلق بصوت عال نسبيا وقال: "لن نتوسل ل احد كي يتلزم بموقف يخدم الانتفاضة، كفى ابتزازا، ولن تخضع للضغوط العربية، والتاريخ لن يرحم احدا". واضاف بصوت عال، "النقاش انتهى، يا شيخ، اقترح قفله فورا، وان يتم التصويت على الموضوع مباشرة". احد اعضاء المجلس اقترح تطبيق النظام القائل باعطاء كلمتين لاصحاب المواقف المختلفة دون فتح باب المناقشة، آخر قال كلمة واحدة تكفي. ثالث قال ربع او نصف كلمة تكفي... تعينا والامور محسومة.

مدخلة ابو اياد حسمت موقف فتح والمستقلين

في حينه، قرر سيد الشیخ اعطاء اصحاب وجهات النظر المتباعدة حق تقديم مداخلة واحدة اخيرة، وشدد على ان تكون قصيرة ومركزة ومحددة. وغمز من قناة حواتمة امين عام الجبهة الديمقراطية حين خصه بـ ملاحظته الاخيرة واعطاه الكلمة الاولى ورجاه بأن تكون مختصرة جدا. فالكل يعرف ان خطاباته طويلة ومملة ومكررة. وطلب حواتمة تأجيل كلمته الى وقت لاحق ليسمع ما سيقوله الآخرون. أعطى الشیخ الكلمة لممثل الحزب الشیوعي الفلسطيني الذي تحدث بإيجاز شديد، مؤكدا على موقف الحزب الداعم لكل جملة وكلمة وردت في مبادرة السلام الفلسطينية وفي وثيقة اعلان الاستقلال.

واشاد سليمان النجاشي بقدرة العقل الفلسطيني على التفاعل مع مستجدات المرحلة الجديدة، وانهى حديثه بالتمني على جميع الاعضاء التصويت "بنعم" لما لذلك من قيمة معنوية وسياسية عملية على مسيرة النضال الوطني وبخاصة الانفاضة. وأكد بأن الحزب سيصوت معها، وسينهض بمهامه من موقعه الوطني وموقعه في الانفاضة، من أجل تحويلها الى خطوات عملية على الارض وفي العلاقات الدولية وبخاصة داخل الوطن المحتل.^(١٤)

بعده تحدث امين عام الجبهة الديمقراطية، وكفر مواقف الجبهة من مسألة الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، وطالب بنقل جملة "وقف قرارات الامم المتحدة.." من نهاية الفقرة، ووضعها، مباشرة بعد قراري مجلس الامن الدولي بحيث تصبح، "ينعقد المؤتمر الدولي على قاعدتي قراري مجلس الامن رقم رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ وجميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية". وأكد حواتمة على ربط موافقة الجبهة الديمقراطية على اعلان الاستقلال وقيام الدولة بتعديل هذه الفقرة. وظهر موقفه وكأنه اكثر تطرفا من موقف الجبهة الشعبية، حيث اعلن ابو علي مصطفى نائب الامين العام بكلمات مختصرة بان الجبهة الشعبية "ستصوت مع وثيقة الاعلان، وسوف تتحفظ فقط على الجملة المتعلقة بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، وموقفنا منها ليس جديدا". وأكد حرص الجبهة الشعبية على الوحدة الوطنية بالرغم من الخلاف، وختم حديثه، وهتف بالشعار الذي رفعه الدكتور جورج حبش "وحدة وحدة حتى النصر".

بعد مداخلات الشعبية والامين العام للديمقراطية والحزب الشيوعي، اشار ابو مازن برأسه الى ياسر عبد ربه ولی مستفسرا، وابتعها اشاره بيده تعنى دعونا نلتقي للحظات. خرجنا ثلاثة عندها انتبه الشيخ للحركة، وقال: منعو مغادرة القاعة لانتنا سنصوت بعد قليل. رد احد الاخوان من بعيد وقال "الكولسات القصيرة يا سيدى الشيخ مسموحة". بادر ابو مازن الحديث وقال: "موقف صاحبكم واضح" وسائل عن موقف بقية اعضاء الجبهة في المجلس. رد ياسر عبد ربه، وقال: "تصويت الجبهة لن يكون موحدا وسيكون بعدها انقسام". قلت: الانقسام سيكون قبل رفع الجلسة اذا صوت الامين العام ضد الدولة الفلسطينية وضد اعلان الاستقلال، فسأقف واقول ان مقاتلي الجبهة الديمقراطية وكوادرها داخل الوطن وخارجها مع القرارات السياسية ومع اعلان الاستقلال وصوت الامين العام لا يمثل الجبهة. وسأرفع بيدي رسالة الرفاق من الداخل.^(١٥) قال ابو مازن: "بلاها، لدينا كما تعرفون عددا من اعضاء فتح المتضامنين مع نايف ضدكم، ويفضل عدم استفزازهم. ابو اياد سينتولى الرد على المعارضة بلغة واضحة وحازمة، ارجو له التوفيق لأن كلمته حاسمة في تحديد تجاه تصويت اعضاء فتح. والمهم ان نحصل على ٥٥٪ من الاصوات، وهذا يكفي ولا نزيد أكثر". قال ياسر: "خبصة وطنية كبيرة.. لا

تخشى على ابو اياد فهو يعرف كيف يخاطب جمهور فتح ويستفزه ويستفزه،” وكرر ما قاله ابو مازن بشأن ما سأوله. قلت: ستسمعونها ول يكن ما يكون.

وبعد التصويت، انبرى ابو اياد، صلاح خلف، للدفاع عن التوجهات الفلسطينية الجديدة، وعن مشاريع القرارات السياسية، بما فيها الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، وفند ما طالب به امين عام الجبهة الديمقراطية، وقال: ”البعض يحاول التذاكي علينا، المؤتمر الدولي لن ينعقد على اساس جميع قرارات الامم المتحدة التي تتضمن قرار التقسيم رقم ١٨١، والقرار الخاص بعودة اللاجئين رقم ١٩٤، هذه قضايا توضع على جدول الاعمال وليس كشرط لانعقاد المؤتمر الدولي. من يريد تعطيل انعقاد المؤتمر الدولي بمشاركة م.ت.ف. لحساب الدول العربية فليعلن موقفه بصراحة ووضوح ودون مواربة.” وأشار الى ان النضال الوطني الفلسطيني يمر في لحظات تاريخية شبيهة بتلك التي مر فيها منتصف السبعينيات. في تلك الفترة المفصلية، رفعت حركة القوميين العرب شعار الكفاح المسلاح، وشكلت منظمة شباب الثأر وشاركت في تشكيل منظمة ابطال العودة. لكنها ربطت موقفها بالعرب، وقيدته بقرار الرئيس جمال عبد الناصر، فتأخرت عن حمل البنديمية وممارسة الكفاح المسلاح، فسبقتها اليه حركة فتح، وتقدمت عليها في قيادة الشعب الفلسطيني. وقال ابو اياد: ”والآن أرى أن التاريخ يعيد نفسه، والمشهد يتكرر من جديد. وبالنهاية عن كل عضو في الحركة أقول لكم ولكل ابناء شعبنا، بأن فتح حسمت موقفها، وقررت أن تقود هذه الانطلاقة الفلسطينية الجديدة. وقررت أن تحمل المسؤلية التاريخية ولن تهرب منها فهذا قدرها.” واكذ ثقته واعتزاذه بقدرة فتح على حمل هذا الحمل الوطني الثقيل، وعلى أنها ستتصدى بحزم لكل محاولات الالتفاف حول التمثيل الفلسطيني. واعتبر ان من يعارض المبادرة الفلسطينية يريد ان يفسح المجال لمبادرات الآخرين. ويخطئ من يظن ان فك الارتباط الاردني انهى دور الاردن في تسوية القضية الفلسطينية. وأشار الى ان اسرائيل ومعها امريكا والغرب لا تزال تصر على عدم الجلوس مع اي عضو في م.ت.ف. حتى لو كان من ”المستسلمين والمخاوزلين“ كما يحلو للبعض ان يصنف الناس.“ واكذ قناعته ان اتفاق الملك حسين في لندن مع شمعون بيريز لم تلغ خطوة فك الارتباط.^(١) ومن يريد تكريس فك الارتباط، وتكريس دور المنظمة، عليه تأييد المبادرة الفلسطينية والتصويت لصالح الخط السياسي الصحيح. وفي ختام كلمته قال: ”نحن واثقون من النجاح، معتمدين على اراده شعبنا الجبار، وهو اكبر من كل قيادته مع احترامي الكبير لكل الاخوان. وسيسجل التاريخ الفلسطيني، بأن حركة فتح ومعها الحزب الشيوعي الفلسطيني فقط كانوا رواد الانطلاقة الفلسطينية الجديدة، ولست بحاجة للقسم أمام هذا المجلس بأن فتح ستبقى وفية لمبادئها.“ وشدد على ان فتح لن توقف النضال حتى يحقق الشعب الفلسطيني العظيم كل اهدافه الوطنية التي من أجلها سقط

الاف الشهداء، وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير والدولة، وبأنها لن تفرط بذرة من تراب فلسطين. فتاریخ فتح وسیرتها النضالية خير شاهد على مواقفها ودورها.

ونظرا لما يتمتع به ابو اياد من احترام فلسطيني وفتحاوي ومن بلاغة في الكلام وقوه حجة في الدفاع عن قناعاته وموافقه، فقد كان دفاعه حاسما في توحيد موقف حركة فتح، حول التوجهات السياسية الداخلية، وأثر على تصويت الجناح المتشدد في الجبهة الديمقراطية، وفي توجيه تصويت العديد من الشخصيات الوطنية المستقلة. وكانت كلمته حاسمة حازمة واضحة استنفرت المشاعر الوطنية والفتحاوية. كان ابو اياد يتحدث بصوت جهوري عال وكانت جمله وكلماته منتقة اثرت في جميع الحاضرين وخصوصا اعضاء فتح في المجلس، وعددا آخر من الاعضاء المستقلين. بعد انتهاء مداخلة ابو اياد، طلب بعض الاعضاء الكلام وكان واضحا ان معظمهم يريدون دعم موقف ابو اياد واستناده. لكن ابو اياد قال بصوت حازم: "سيدي الشيخ رجاء التصويت، وعدم فتح الباب لمناقشات جديدة. هكذا انفقنا وهكذا يجب ان يتم". اضاف أبو عمار كلمات حاسمة وجهها للشيخ: "اقفل النقاش ياشيخ واطرح الموضوع على التصويت". عندها، اعلن الشيخ قفل باب النقاش، وتم التصويت على القرارات السياسية بصورة علنية، ولم يؤخذ باقتراح البعض بأن يكون التصويت سريا. وصوت اعضاء الجبهتين الشعبية والعربية وعدد محدود من قيادات وكوادر فتح، ضد الفقرة المتعلقة بالموقف من القرارات ٤٨-٤٦ و٢٤٢ و٣٣٨. وبلغ مجموع من صوت ضد هذه الفقرة ٤٨-٤٦ عضوا فقط. أما اعضاء الجبهة الديمقراطية فقد صوت غالبيتهم الساحقة معها، وكان تصويت بعضهم على مضض، وفوجئ بعض اعضاء المجلس بموقف امينها العام حواتمة عندما بدأ موقفه ورفع يده مؤيدا القرارات التيعارضها في مداخلته.

بالرغم من كل الاشكالات التي وقعت في المجلس الوطني بين الفصائل حول القرارات السياسية، وخصوصا حول الفقرة المتعلقة بالقرار ٤٢ و٣٣٨، فإنه مع إطلاعه فجر الخامس عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، كان كل شيء جاهزا للإعلان عن استقلال فلسطين، والإعلان عن قيام دولة فلسطينية لكل الشعب الفلسطيني على الأرضي الفلسطينية التي احتلت في عام ١٩٦٧. فمشروع وثيقة الإعلان أنجز بشكل كامل، وصار جاهزا للتلاوة الرسمية على أعضاء المجلس. فقد سلمه الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش الى أبو عمار منذ مدة، والتحق الأول والثاني والثالث والعشر في النص تم من قبل كل المعنيين بالتدقيق.^(١٧) وعرض بصيغته النهائية قبل أعمال الدورة التاسعة عشر وخلالها على جميع القوى الفلسطينية، ولا ملاحظات رئيسية عليه. وترجمته إلى اللغة الانجليزية، هي الأخرى، أنجزت خلال أعمال المجلس على يد عضوين ضليعين في السياسة وفي الأدب الانجليزي، هما البروفسوران إدوارد سعيد وإبراهيم أبو لغد.

وصار هو الآخر جاهزا للتوزيع على الصحافة وعلى وكالات الأنباء مع النص باللغة العربية. وجميع أعضاء المجلس والمراقبين دون استثناء، كانوا هم الآخرون مهتمون بإعلان الاستقلال، ومتشوقون لسماع النص بعد طول انتظار. الكل متلهف بانفعال، والكل مستعجل وينتظر بشوق وأمل وألم اقرار اعلان الاستقلال وقيام الدولة، وكان التأخر بعض ساعات اضافية على ٤٠ عاما مشكلة عويصة تلحق اضرارا فارحة بالقضية الوطنية وبالمجتمعين!

من قرأ نص الوثيقة ومن لم يقرأها، كان واثقا أن النص باللغة العربية سوف يكون قطعة أدبية جميلة، محبوكة بدقة سياسية. فالكل "يسلم" ويثق بقدرة الشاعر محمود درويش. والشيء ذاته ينطبق على النص المترجم. فالثقة في قدرات ادوارد سعيد وابراهيم أبو لغد السياسية والأدبية عالية جدا. صحيح أن القليل من أعضاء المجلس الوطني كانوا على تماس مباشر مع الاستاذين الفلسطينيين إلا أن سمعتهم وشهرتهم الأبية والسياسية عند الفلسطينيين والغرب والعرب كانت كافية لمنحهما الثقة الكاملة، والتيقن مسبقا من دقة ما قاما به.

صمت.. بيان.. عاصفة

مع اقتراب عقارب الساعة من إشارتها إلى دخول البشرية الدقائق الأولى من فجر ١٥/١٠/١٩٨٨، التأمت الجلسة الخاتمية للمجلس الوطني بحضور كامل الأعضاء. ورغم تأخر الوقت، لبى أركان السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي في الجزائر دعوة الفلسطينيين لهم لحضور تلك الجلسة. وبيطه وتناقل ناتج عن الكبر في السن، صعد رئيس المجلس الوطني سيدى الشيخ عبد الحميد السائح إلى المنصة الرئيسية. وبعد اعتلاء المنصة وجلوسه فوق كرسي الرئاسة، حيث جلس بجانبه مساعدوه، إفتح الشيخ السائح المنصة مجلس الوطني الجلسة وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم نستكمل اعمالنا، وأدعوا الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية والقائد العام للثورة الفلسطينية ان يتفضل ويتلو علينا وثيقة اعلان الاستقلال وقيام الدولة. وانا اصر على ذكر صفتة كقائد عام لان اعلان الاستقلال يحتاج يا اخوان الى كفاح طويل ومرير حتى تتم ترجمته على ارض فلسطين الطاهرة. وباسمكم جميعا وباسم الشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجده أطلب من المناضل ياسر عرفات أبو عمار التقدم للمنصة المخصصة للاقاء الكلمات التاريخية". ولم ينس رئيس المجلس الوطني تتبه الأعضاء الى ضرورة الاصغاء الجيد لكل جملة وكلمة في نص الوثيقة، فالوثيقة هامة جدا وتاريخية، كما قال، ولا يجوز أن تخرج للعرب وللعالم وللأجيال اللاحقة وفيها أخطاء سياسية أو لغوية او ان تكون ناقصة او زائدة حرقا، فالزائد في علم اللغة والسياسية اخو الناقص.

نهض أبو عمار حاملا بيده اليسرى نص الوثيقة، ونهض معه جميع أعضاء المجلس الوطني العاملين والمراقبين، وكل الضيوف وأعضاء السلك الدبلوماسي والمرافقون. صعد إلى المنصة بسرعة وبحيوية ونشاط. أخذ أبو عمار يتلو الإعلان بتأن ووضوح. قرأ المقدمة: "بسم الله الرحمن الرحيم... على أرض الرسالات السماوية إلى البشر، على أرض فلسطين ولد الشعب العربي الفلسطيني، نما وتطور، وأبدع وجوده الإنساني والوطني عبر علاقة عضوية لا انقسام فيها ولا انقطاع، بين الشعب والأرض والتاريخ... ومن جيل إلى جيل، لم يتوقف الشعب العربي الفلسطيني عن الدفاع الباسل عن وطنه. ولقد كانت ثورات شعبنا المتلاحقة تجسيدا بظوليا لارادة الاستقلال الوطني...". خلال تلاوة الفقرة الأولى، كان الصمت الكامل يخيم على القاعة الرئيسة لقصر المؤتمرات، الواقع في منطقة حرشية جميلة في أحدي ضواحي مدينة الجزائر، بناه الجزائريون في اواخر عهد الرئيس أحمد بن بليا عهد وصار ناجزا في عهد الرئيس بومدين لاستقبال قمة عدم الانحياز، والمؤتمرات الأخرى التي انعقدت على ارض المليون ونصف مليون شهيد. ورغم ضخامة القاعة، وبالرغم من كثافة الحشد، فقد كان بالامكان سماع صوت سقوط الابرة على الأرض. كان ذلك الهدوء غريبا على الاجتماعات الفلسطينية، ولم تشهده أي من الدورات السابقة للمجلس الوطني الفلسطيني. واصل أبو عمار القراءة، وتلى الفقرة المتعلقة بظلم الفلسطينيين: "مع الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني بتشريعه وبحرماته من حق تقرير المصير، اثر قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ عام ١٩٤٧ الذي قسم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية، فإن هذا القرار ما زال يوفر شروطا للشرعية الدولية تضمن حق الشعب العربي الفلسطيني في السيادة والاستقلال". ثم تلى الفقرة المتعلقة بالانتفاضة: "إن انتفاضة الشعب الكبرى المتتصاعدة في الأرض المحتلة، مع الصمود الأسطوري في المخيمات داخل وخارج الوطن، قد رفعا الادراك الانساني بالحقيقة الفلسطينية، وبالحقوق الوطنية الفلسطينية، إلى مستوى أعلى من الاستيعاب والنضج، وأسدلا ستار الخاتم على مرحلة كاملة من التزييف، ومن خمول الضمير، وحاصرت العقلية الرسمية الاسرائيلية التي أدمنت الاحتكام إلى الخرافنة والأرهاب في نفها الوجود الفلسطيني...". خلال تلاوة هذه الفقرة، قطع أبو عمار بالتصفيق والهتاف بحياة الانتفاضة، ووقف جميع الأعضاء والمراقبين والضيوف تحيية لانتفاضة والمنتفضين. ثم تابع القراءة واقترب من الجملة التي تتضمن النص المباشر على إعلان الاستقلال وقيام دولة فلسطين على الأرض الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧. توقف أبو عمار لحظة ملية بالرهبة والانفعال، ثم تابع القراءة، وقال: "...استنادا إلى الحق الطبيعي والتاريخي والقانوني للشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين، وتحسينيات أجياله دفاعا عن حرية وطنهم واستقلاله، وانطلاقا من قرارات القمم العربية، ومن قوة الشرعية

الدولية التي تجسدها قرارات الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧، وممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير، والاستقلال السياسي والسيادة فوق أرضه، فإن المجلس الوطني الفلسطيني يعلن باسم الله، وباسم الشعب العربي الفلسطيني، قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.^(١٨) وكرر قيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس مرتين.

ما ان أنهى أبو عمار هذه الجملة المركبة في الخطاب، حتى نهض جميع الحاضرين، ودبت قاعة قصر الصنوبر بالتصفيق والهتاف وبالصراخ بأعلى الأصوات "الله اكبر، عاشت فلسطين حرة عربية". رددها الحاضرون بصوت واحد، وبدون تحضير مسبق، ثم ارتفعت الأصوات وتداخلت الهتافات. البعض استمر يصيح بأعلى صوته "الله اكبر، عاشت فلسطين عربية" والبعض الآخر راح يهتف "بالروح بالدم نديك يا فلسطين". وأخرون راحوا يرددون بأعلى أصواتهم ومن أعماق حناجرهم شيد "بلادي بلادي لك حبي وفؤادي". جميع الحاضرين هتفوا وصفقوا كالأطفال، وبعضهم استعاد أيام شبابه، وذكريات المظاهرات من أجل فلسطين. دموع الفرح سالت من عيون الكثيرين. الرجال قبل النساء، الكبار قبل الصغار من اعضاء المجلس بكوا فرحا، صرخوا الله اكبر، المجد لفلسطين، الله اكبر والمجد للانتفاضة والنصر للثورة ولمنظمة التحرير. والبعض هتف بحياة القائد العام للثورة.

حالة جيشان سادت قاعة المجلس، هيئة رئاسة المجلس بقيت في مكانها، ورئيس اللجنة التنفيذية بقي واقفا خلف المنصة بانتظار استكمال قراءة الوثيقة. العواطف تغلبت على كل شيء آخر، الاعضاء نسوا انفسهم، الحلم الفلسطيني بالدولة تحول الى حقيقة، والكل يعرف بانها حقيقة نظرية مسجلة على ورق فلسطيني. فلأول مرة في تاريخ الشعب الفلسطيني يطلع الفجر الفلسطيني حاملا نور الحلم بالاستقلال. الضيوف والاشقاء الجزائرون اصحاب البيت فوجئوا برد فعل الفلسطينيين. وعلق بعضهم قائلا، ماذا سيفعل الفلسطينيون عندما تقوم على الارض. بعض الحاضرين من الاعضاء والاعضاء المراقبين لم يصدق أنه صار لشعب فلسطين دولة أسوة بشعوب الأرض. تعانق الاعضاء بحرارة وهذا بعضهم بعضا. الجميع رد: "واللقاء حتما في القدس إن شاء الله". وبعضهم قال: "اليوم على الورق وغدا على الأرض إن شاء الله". الكل فرح من الأعماق رغم معرفته الاكيدة أن الثمن المدفوع باهظ جدا. قفزوا عن اعلان المجلس الوطني، الذي انعقد في غزة في العام ١٩٤٨، استقلال فلسطين كلها، وتشكيله حكومة عموم فلسطين، ووافقوا على أقل بكثير مما رفضه الآباء والاجداد كي لا تخسيع البقية الباقيه، وكيف يثبتوا اسم فلسطين على الخرائط والارض، ويسهلوا على الاجيال اللاحقة سبل الحياة ويؤسسوا لهم قاعدة يقررون منها مستقبلهم ومستقبل علاقتهم بكل جيرانهم.

قبلوا عن قناعة ما رفضوه سابقاً وتركوا للجيال اللاحقة الحرية الكاملة في اصدار حكمهم، املين ان يكون الحكم منصفاً وعادلاً. قبلوا وكلهم أمل بأن ينهض الشهداء يوماً ويدافعوا عن أنفسهم وعن أخوانهم وتاريخ ثورتهم. فمن أجل هذا الإعلان النظري عن الاستقلال وعن قيام الدولة الفلسطينية على ٢٢٪ فقط من أرض فلسطين التاريخية، تنازل ممثلوا الشعب الفلسطيني عن بقية الأرض الفلسطينية، وأقرّوا أن اسمها صار دولة إسرائيل. أما الشعب الفلسطيني فقد قدم، في الربع الأخير من القرن العشرين فقط، مئات الوف الشهادة والجرحى والمعوقين والمشردين. وبالحساب النسبي، هذا الرقم يفوق ما قدمه أي شعب آخر من أجل مثل هذا الهدف النبيل والمقدس.

ومن أجل تحرير جزء من الأرض والعودة اليه وبناء الدولة المستقلة وصلت معاناة الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، في كثير من الأحيان وفي بعض المواقع، حدود الإبادة الجماعية، كما حصل في المخيمات الفلسطينية في لبنان، والطنطورة، ودير ياسين، وكفر قاسم، وقبية، وفي مواقع أخرى كثيرة لم يذكرها التاريخ، ولم يكشف عنها المؤرخون الجدد والقدامى حتى الآن. قرابة مليون شردوا من ديارهم في العامين ١٩٤٨ و ١٩٦٧، حتى لا تكون هناك بولة فلسطينية، وحتى تقوم على أرضهم دولة "اللأغياز" القادمين من شتى أنحاء المعمورة. المعاناة طالت الشعب بأسره: نساءه، شيوخه، شبابه، أطفاله، ولم ينج كبير أو صغير، غني أو فقير، منها. وهذا لم يحصل في التاريخ من قبل. فمن لم يقتل بالرصاص داسته جنائزير الدبابات، أو مات بالبلطات، أو تحت سياط الجنادل. ومن لم يمت بالبلطات تناشرت أشلاؤه في الهواء، أو انطمرت في أعماق الأرض مع شظايا القذائف والصواريف مختلفة العيارات. ومن لم تقتله الرصاصات والقنابل والصواريف قتلته سياط التعذيب متعددة الجنسيات. في ربع القرن الأخير فقط، كل صنوف الموت جربها ابناء شعب فلسطين ب Maliyin السبعة او الثمانية والله اعلم بعده. حقاً من لم يمت جرعاً عانى عذاب الجوع. ومن لم يستشهد من الشهداء تحت التعذيب مات غرقاً أو مسموماً أو دفع للانتحار. ومن لم يمت على الأرض مات في الجو، ومن لم تدفن أشلاؤه راحت مع الريح، أو دفنت في بطون الوحوش والطيور الكاسرة. وبحذا لو ان الباحثين والمؤرخين يفتحون سجلاً خاصاً ويدونون قصة كل واحد منهم.

تحدث التاريخ عن فنون النازيين في قتل خصوصهم، ولم يتحدث احد حتى الآن عن كيفية تسخير تكنولوجيا النصف الثاني من القرن العشرين لابادة شعب فلسطين. العلم برمتته وظف لتعذيبه وقهقهه، ولقتل حلمه وطموحه في العودة والاستقلال وإقامة دولته المستقلة أسوة بشعوب الأرض الصغيرة والكبيرة. مخياته وارضه وجسده تحولت الى حقول لاختبار الصناعات الحربية الحديثة ولتدريب الاغرار الجدد. عدداً صنوف القهر المعروفة تجدوا فلسطينياً ما ابتكى فيها، من لم يعان سياط الجنادل عانى فقدان الهوية وجواز

السفر والتشريد والحرمان من الوطن. ومن لم يعاني التشريد عانى الشوق للأهل المشردين في شتى بقاع الأرض، وحرم قبل موته القديم أو القادم من اللقاء بهم. جيل ورث الموت والعذاب والأمل وورثه من بعده لجيل آخر. من سبق، أخذ نصيبه ومضى ومعه الأم لا تعد ولا تحصى، لكنه لم يضيع الأمل بالحرية والاستقلال. سلم العذاب للجيل اللاحق لكنه ربطه بآحكام بفتح الحياة الوعادة ويمستقبل مشرق عزيز، وغلفه بباقة من ورود الأمل بالدولة المزدهرة والعودة المعززة المكرمة. ومن لم يعاني هذا وذلك عانى الغربة في داره وأرضه، حيث سلبه المحتل بالسوط أو بالبسطار أرضه. وأهـ كـمـ مـنـ إـمـرـأـةـ فـلـسـطـيـنـيـةـ هـتـكـ عـرـضـهـاـ أوـ قـتـلـتـ مـعـ جـنـيـنـاـ أوـ أـصـبـيـتـ بـمـسـ مـنـ الجـنـونـ،ـ وـكـانـ ذـنـبـهاـ الـوـحـيـدـ الـكـبـيرـ أـنـهـ فـلـسـطـيـنـيـةـ أـحـبـتـ بـلـدـهـاـ،ـ وـأـحـبـتـ طـفـلـهـاـ وـأـرـضـهـاـ التـيـ قـالـواـ لـهـاـ بـأـنـهـ مـقـدـسـةـ مـنـ عـنـدـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ،ـ وـكـمـ مـنـ طـفـلـ فـلـسـطـيـنـيـ قـتـلـ دـوـنـ ذـنـبـ اـقـتـرـفـهـ سـوـىـ أـنـهـ فـلـسـطـيـنـيـ يـرـاهـ بـعـضـ خـطـراـ عـلـىـ حـاضـرـهـ وـمـسـتـقـبـلـهـ.

الكل عانى، ومن لم يعاني ما ذكر من صنوف الموت والقهر عانى عذاب السجون والمعتقلات، سجون واسعة وكبيرة تتسع لالآلاف، وأخرى بالكاد تتسع لانسان واحد. مئات من الفلسطينيين حشروا في غرفة واحدة، حتى باتوا مصفوفين ومرتبين فوق بعضهم البعض كما ترتب الأشياء الجامدة. ومن لم يعاني هذا كله حرقته شمس الأرض وحرارتها وهو "داخل صهريج" أو وهو واقف تحتها أو فوقها في صحراء العرب من أجل لقمة العيش. دلوني على صنف من صنوف الآلام والمعاناة والعذاب أدلّكم على فرد أو عائلة أو حمولة أو عشيرة أو قرية أو مدينة أو مخيم فلسطيني عاشها وعانى منها. ولكن دلوني أيضاً على بطولة خارقة صنعها الإنسان منذ قدم التاريخ، فرداً أو جماعات، أدلّكم على فلسطينية وفلسطيني أو فلسطينيين قاموا بما هو أعظم منها.

بالأمل والأصرار، قاتل الفلسطيني ضد قهر الطبيعة وغضبها المتكرر والمتنوع. قاوم إرادة القدر واستطاع الصمود والنجاة. وبالتصميم والعزم قاتل الفلسطيني الإنسان الظالم كما قاتل الطبيعة الحاقدة عليه، وخرج من قتاله وصراعه مع البشر كما خرج حيا في معركته ضد قوى الطبيعة ضد ظلمها له. في فترة ما، كان الحلم بالدولة والأمل بالعودة سيفه الوحيد في مواجهة الأقدار والطبيعة والطامعين بأرضه، وبهما صارع ظلم العالم له. شعب بكماله قاتل وصمد وعاش بفعل بذرة الأمل المتجددة في داخله. كانت الطبيعة ضده والقدر ضده، وكان الإنسان ضده بما في ذلك "بعض إخوانه العرب"، إلا أنه لم ييأس من ضعفه أمام جبروت عدوه، ولا من ظلم ذوي القربي له، ولم يستسلم لمشيئة القدر ولا لموازين القوى التي بقيت نصف قرن جامدة ضده.

لم يتردد الفلسطينيون في حمل كل صنوف الأسلحة التي توفرت لهم ليستخدموها ضد الأعداء. بعضهم تمنى الموت ليخلص من العذاب، لكنه لم يتردد في صنع الموت للأعداء.

قاتل بالحلم وبالأمل وبالقلم، واستخدم المدفع، قذف القنابل والصواريخ، فجر القنابل، زرع العبوات الناسفة، ودفع لخافط الطائرات والمساومة عليها، سلب ونهب، وسائل وتسلل واعترف، وكذب وصدق وخداع، وقتل وقاتل. عمل كل ذلك، المقبول منه والمرفوض، الصحيح منه والخطأ، من أجل أن يبقى على قيد الحياة فقط. ثقة الفلسطيني بنفسه كبيرة وهي التي تدفعه للتعلق بالحياة وبها يكبر الأمل. واجه أعداءه وجهاً لوجه بالكلام، بالصمت عذبهم وأذاقهم الامرئين، بصدق في وجه جلايه، كفر بالأديان وامن بالخرافات وبالمعجزات وكل الغبييات. اتبع كل الاساليب كي لا يفني في المواجهة، وصنع من ابسط الاشياء اسلحة فتاكة لا تنتهي.

نعم بالكف قاوم المخزن، وارتقت عينه على الحاجب». بالحجر قاوم وحوله الى قوة فاقت قوة وفعالية فرق عسكرية جرارة وبه قرب يوم النصر.. باختصار، تحمل ما تحمله البشر وما لم يتحمله البشر، وصنع قدره بكل السبيل وأخرها كانت انتفاضته بالحجر. هذا في الربع الأخير من الزمن الذي نحيا، أما عما سبق فالحديث متشعب وطويل وعنده حدث ولا حرج، كتب عنه الكثير ولا داعي للتكرار، رغم أن هناك الكثير الكثير مما يمكن أن يضاف ويقال.

كل هذه الذكريات التاريخية والمشاهد الحية، مرت ليلة اقرار قيام الدولة واعلان الاستقلال كشريط سينمائي جال امام انظار الحاضرين واخترق اذهان معظم اعضاء المجلس الوطني ومنئات الوفوف الفلسطينيين في الارض المحتلة وخارجها.

القيادة ترقص وتبكي فرحا

جلسة ليلة الاعلان استمرت حتى الفجر. النوم طار من العيون، المخيّمات والمدن والقرى الفلسطينيّة سهرت مع أعضاء المجلس طيلة تلك الليلة بانتظار مخاض الولادة. المطاردون سهروا في العراء، والجرحى يقوّى يقطّين في المستشفيات، والمسجونون كذلك. كلهم سهروا فلقين فرحين ومتاهيّبين للصدام. فالمخاض عسير، والعدو يتربص بالمولود الجديد، ولا بد من السهر وإبراز التكافف والوحدة، وإقامة الأفراح وجعل ليلة اعلان الاستقلال ليلة الليالي الملاح. هذا ما تم منتصف ليلة ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، في كل أماكن تجمع الشعب الفلسطيني، داخل الوطن وخارجـه. في الضفة والقطاع، زغردت النساء في البيوت والشوارع وعلى أسطح المنازل، وكبر المشايخ من على مأذن الجوامع، ودق الرهبان والقسّاوسة أجراس كنائسهم، ورددوا ترانيم الأدعية المقدّسة. دعوا الرب في السمومات الأعلى أن يصون المولود الجديد ويحفظه. الشباب والأطفال والشابات والشيوخ نزلوا الشوارع حاملين المشاعل متهدّين قوات الاحتلال

غير أبهين بالموت. ذعر الاحتلال وصدم من هدير حناجرهم وبقي مصدوماً فترة طويلة. في الجليل والنقب شربوا انخاب الفرح بالاستقلال، في لبنان احتفلوا بالرصاص وبإطلاق قذائف المدافع على الطريقة اللبنانية.. لم يبق مكان فوق الكرة الأرضية وخارجها وداخلها إلا احتفل الفلسطينيون فيه. في القارات الخمس احتفلوا، وفي المحيطات والبحار وباطن الأرض وأعلى السماء احتفلوا، في الجبال والسهول والوديان احتفلوا، وفي العراء والخيام والقصور احتفلوا أيضاً، فكل هذه الاماكن فيها فلسطينيون يتمسكون باهدافهم الوطنية المشروعة، ويحلمون بالعودة والدولة المستقلة.

في تلك الليلة، أنسَت الفرحة كل أعضاء المجلس الوطني أن قراءة إعلان الاستقلال لم تستكمِل. بعد خمس دقائق من الهاتف المخلوط بالدموع، حاول الشيخ عبد السائح رئيس المجلس الوطني السيطرة على الأجواء لكن عبثاً. بعد عشرة دقائق كرر، هو ومساعدوه المحاولة، لكن محاولتهم بقيت دون جدوى ولم يفلحوا. بعد ما يقارب الربع ساعة، اضطُرَّ سيدِيُّ الشِّيخِ رئيْسِ المَجْلِسِ إِبْنِ الْخَامِسِ وَالثَّانِيْنِ لَأَنْ يَصْرُخَ بِأَعْلَى صوْتِهِ. الْكُلُّ يَعْرُفُ شِيخَنَا، الشِّيخَ عَبْدَ الْحَمِيدِ السَّائِحِ، رئيْسِ المَجْلِسِ الْوطَّنِيِّ، رَجُلٌ جَلِيلٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ، لَكِنْ صَرْخَتْهُ كَانَتْ أَقْوَى مِنْ صَرْخَاتِ أَبْنَاءِ الْعَشَرِيْنِ. إعلان الاستقلال وقيام الدولة جدد شبابه وأرجعه إلى صباه، وأعطاه قوة جباره. نهض من فوق كرسيه، ونسى نفسه واقفاً، صفق وبكي وأنشد مع المنشدين هتف وغنى لفلسطينين. ثم صاح بصوت جهوري ومن بعده مساعدوه قائلين عشرات المرات: "إِيَّاهَا الْأَخْوَةِ أَعْصَاءِ المَجْلِسِ، هَنِيْنَا لَكُمْ بِإِعْلَانِ مِيلَادِ دُولَتِكُمْ، وَلَكُنْ نُرْجُوكُمْ بِاسْمِ فَلَسْطِينِ أَنْ تَوْجِلُوا التَّعْبِيرَ عَنِ الْفَرْحَةِ إِلَى مَا بَعْدِ اِنْتِهَاءِ الْجَلْسَةِ الْخَاتِمِيَّةِ، وَلَا تَنْسُوَا أَنَّ الْأَخَّ القَائِدِ الْعَالَمِيِّ أَبُو عَمَّارِ الرَّئِسِ الْوَاقِفِ إِمَامَكُمْ يَنْتَظِرُهُمْ كُمْ، وَلَمْ يَنْتَهِ بَعْدَ مِنْ قِرَاءَةِ إعلان الاستقلال. نُرْجُوكُمْ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْهَدْوِ وَالسِّيَطَرَةِ عَلَى الْمُشَاعِرِ وَالْعَوَاطِفِ. لَدِينَا عَمَلٌ كَثِيرٌ، وَلَا تَنْسُوَا أَنَّ بَيْنَنَا ضَيْوَفًا أَعْزَاءِ يَحْضُرُونَ مَعَنَا هَذِهِ الْلَّهَظَاتِ التَّارِيْخِيَّةِ الْمَبَارَكَةِ، أَتَعْبَنَاهُمْ وَعَذَبَنَاهُمْ وَيَرْغَبُونَ فِي مَغَارِبِ الْمَكَانِ لِيَزْفُوا بِالْبَشَرِيِّ لِحُكْمَاتِهِمْ وَشَعُوبِهِمُ الصَّدِيقَةِ. ثُمَّ لَا تَنْسُوَا أَنَّ أَجْهَزةَ الْأَعْلَامِ الْمَحْلِيَّةِ وَالْوَدَلِيَّةِ تَنْقُلُ كُلَّ مَا يَجْرِيُ أَوْلًا بِأَوْلَ مِبَاشِرَةٍ عَلَى الْهَوَاءِ. صَرَّاخُ الشِّيخِ وَمَسَاعِدِهِ لَمْ يَجِدْ نَفْعًا، فَالْأَعْصَاءُ نَسَوا أَنفُسِهِمْ. الْجَمِيعُ تَصْرِفُ كَالْتَّلَامِيْنِ الْمَشَاغِبِيْنِ فِي الصَّفَوْفِ الْابْتَدَائِيِّ، وَوَجَدُوا فَرْصَتَهُمْ لِعَدْمِ الْانْضِبَاطِ لِأَوْمَرِ الْمَدِيرِ. بَعْضُهُمْ تَبَهُّ لِلْمِيْكَوْفُونَاتِ الْمُوْضُوَّعَةِ أَمَامَهُمْ، فَرَاحُوا يَسْتَخْدِمُونَهَا فِي الْهَتَافِ لِفَتْحِ الْحَيَاةِ يَاسِرِ عَرَفَاتِ وَالْشِّيْدِ لِفَلَسْطِينِ وَفِي قِرَاءَةِ الْأَبِيَّاتِ الشَّعْرِيَّةِ، وَخَصْوصًا مَطْلَعَ قَصِيْدَةِ أَبُوِ الْقَاسِمِ الشَّابِيِّ "إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ فَلَا بدَ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدْرِ". أَحَدُهُمْ جَعَلَ الْمِيْكَوْفُونَ إِذَاْعَةً مَحْلِيَّةً. مَذْيَعُ فَلَسْطِينِيُّ عَمِلَ سَابِقًا فِي إِذَاْعَاتِ صَوْتِ فَلَسْطِينِ، صَوْتِ الثَّوْرَةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ الَّذِي تَنَقَّلَ مِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ هَرِبًا مِنْ قَصْفِ الْأَعْدَاءِ وَقَصْفِ الْأَخْوَةِ وَمَطَارِدِهِمْ.

تذكر ربي عوض نفسه، وتذكر طفاته وخبراته كمذيع فقال بصوته الجهوري: " هنا صوت فلسطين صوت الدولة الفلسطينية المستقلة. صوت القدس، صوت نابلس صوت يافا والمثلث، صوت عكا وحيفا والجليل، صوت غزة هاشم والقطاع، صوت النقب، صوت الجليل، صوت الخليل، صوت دولة فلسطين الحرة المزدهرة المستقلة، استمعوا لنا أيها المواطنين في كل مكان، فصوتنا ينطلق على الموجات القصيرة والمتوسطة ليلًا ونهارًا، وإذا عنا تبث بكل لغات الأرض. وأود لفت انتباه الأخوة الشهداء، كل الشهداء الفلسطينيين وعرباً وأوروبيين وعجماء وسنغال وسيرلانكين وفلبينيين.. لأن إذاعتنا ستثبت فقراتها الخاصة بهم في الأوقات المعروفة لهم ولرب العالمين فقط. وعلى الذبذبات التي حددتها شيخ الشهداء جمجم وحجاني وعطا الزير، أبو جلدة وأبو دية، والعرميطة، وعز الدين القسام، وعبد القادر الحسيني، وحسن سلامة، وعبد الرحيم محمود، وأبو جهاد، وأبو علي إبراهيم، وأبو الوليد، وأبو صبري، وخالد نزال، وال حاج سامي أبو غوش، وغسان كنفاني، وستكون لنا معهم ومعكم مقابلات نفتح فيها كل الحسابات...".

سيطر ربي بإذاعته المحلية على الموقف، وبصوته وكلماته المؤثرة أبكى وأسال دموع العديد من أعضاء المجلس. وقبل أن ينهي بثه ر乾坤 نحوه أحد مساعددي رئيس المجلس الوطني، وهمس في أذنه كلاماً غير مسموع. فجأة أنهى ربي فقرته الإذاعية بالقول: "تهنئكم وتحمّلوا، ونتمنى عليكم باسم هيئة رئاسة المجلس أن تفسحوا للأخ أبو عماد القائد العام للثورة الفلسطينية المجال لاستكمال تلاوة وثيقة إعلان الاستقلال وقيام الدولة المستقلة. وندعوكم بعد ذلك لأمسية تاريخية جميلة تحييها إذاعتنا على شرفكم في الساحة الخارجية أمام قاعة المؤتمرات، إذاعة الشهداء واللاجئين، إذاعة دولة فلسطين، تدعوكم لاحفل ساهر كبير".

بعد هذه الوصلة المؤثرة، جلس الأعضاء في أماكنهم وتتابع أبو عماد تلاوة البيان: "إن دولة فلسطين هي للفلسطينيين بينما كانوا. فيها يطربون هوبيتهم الوطنية والثقافية، ويتعمدون بالمساواة الكاملة في الحقوق. وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية، في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على أساس حرية الرأي، وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأقلية حقوق الأقلية واحترام القرارات الأغلبية، وعلى العدل والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون أو بين المرأة والرجل، في ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل، وعلى أساس الوفاء الكامل لترااث فلسطين الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمح بين الأديان عبر القرون".

وأكمل قراءة بقية الفقرات بهدوء، وختمتها بترتيل فقرته الأخيرة: "وفي هذا اليوم الخالد، في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٨ ونحن نقف على عتبة عهد جديد نتحنى إجلالاً

أمام أرواح شهدائنا وشهداء الأمة العربية الذين أضاعوا بدمائهم الطاهرة شعلة هذا الفجر العتيد، واستشهادوا من أجل أن يحيا هذا الوطن.. ونرفع قلوبنا على ايدينا لتعلماها بالنور القادر من وهج الانتفاضة المباركة، ومن حملة لواء الحرية شيوخنا واطفالنا.. والمرأة الفلسطينية الشجاعة حارسة بقائنا وحياتنا وحارسة نارنا الدائمة.. إننا ندعوا شعبنا العظيم إلى الالتفاف حول علمه الفلسطيني، والاعتراض به والدفاع عنه ليظل أبداً رمزاً لحربيتنا وكرامتنا في وطن سيفي دائماً وطننا حراً لشعب من الاحرار." وأنهى أبو عماد خطابه بتلاوة آية من القرآن الكريم: "قُلْ اللَّهُمَّ مَاكَ الْمَلَكُ تَؤْتِي الْمَلَكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمَلَكُ مَمْنَ تَشَاءُ، وَتَعْزُّ مَمْنَ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مَمْنَ تَشَاءُ، بِيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". صدق الله العظيم.

بعد الانتهاء من قراءة إعلان الاستقلال، رفع سيدى الشيخ الجلسة قائلاً إنها استراحة قصيرة، وفوراً، عادت الأجواء الاحتفالية التي سادت عند بداية الخطاب. وقبل مغادرة القاعة أذاع صوت الثورة، صوت الدولة، على لسان ريهي وبصوته الجمهوري نشرة اخبارية هزلية، تحدثت عن قيام حركة انفصالية هدفها استقلال قطاع غزة عن دولة فلسطين وإلحاقه بجمهورية مصر العربية، وعن نجاح تشكيلات الامن الفلسطينية في قمعها. وجاء فيها أيضاً اخبار عن تمرد في صفوف اللاجئين الفلسطينيين في شاتيلا وصبرا والرشيدية ضد قيادة الدولة وضد برنامجها لاستيعاب اللاجئين، واتهامها بالتفريط بحقهم في العودة أو التعريض.

وخلال بث النشرة الاخبارية كانت هتافات الاعضاء تدوي داخل القاعة، وزحف الجميع إلى الساحات الخارجية وهو يهتئون بعضهم ببعض، فرحبن بميلاد دولة فلسطين، وراحوا ينشدون نشيد: بلادي بلادي لك حبي وفزادي. ورويداً رويداً، بدأ التشيد يتrepid في كل أرجاء قصر المؤتمرات ومحبيه. وفي الساحة الرئيسية، وأمام عدسات التلفزيون، تظاهرون أعضاء المجلس كما كانوا يتظاهرون في الخمسينيات والستينيات من أجل الوحدة العربية، وضد توطن اللاجئين، وضد حلف بغداد، وضد المشاريع الأمريكية والاستعمارية. ساروا وعدسات المصورين وتقارير المراسلين تبث صور الاحتفال على الهواء مباشرة. ورفع المحفلون ابو اياد وجورج حبش وأبو الهول على الاكتاف. وربدوا خلفهم "فلسطين عربية، وبالروح بالدم نفديك يا فلسطين". الى ذلك نظمت حلقات الدبكة على الطريقة الفلسطينية القديمة، الجميع دبك ورقص وكل حسب طاقتة ومهارته. البنات شبنكن أياديهن بآيادي الرجال، ودبكون معاً شمالية وغزاوية وغورانية وبدوية. الكل استعاد شبابه، كبار السن استرجعوا ذكرياتهم، والشباب أبدعوا في الدبكة وفي الغناء وفي إلقاء الأبيات الشعرية الحماسية، وصدقوا مواويل ميجانا وعتاباً وعلى العين يا أبو الزلف. غنو للأرض، غنو للشجر، غنو للحجر حتى التالية والتقديس. استمرت الحفلة ساعة

· وساعتين، وكأن الوقت اول السمر. الساعة قاربت الرابعة صباحاً والكل يعمل من العاشرة صباحاً، وبالرغم من ذلك كان الجميع يتمتع بحيوية كبيرة وبنشاط عال. ولم تتوقف الحفلة إلا بعد تكرار نداء هيئة رئاسة المجلس بالميكروفونات "نرجو من الأعضاء التوجه إلى قاعة الاجتماعات لاستكمال الجلسة ومناقشة توصيات اللجنة السياسية، ونعتذر للاحنة الصحفيين ومراسلي الوكالات، ونشكرهم من الأعماق فالجلسة ستكون مغلقة ومحصورة بالأعضاء فقط".

دولة على الورق بدون حكومة وبدون رئيس

بعد ساعات الفرح التأمت الجلسة، وجلس الجميع في مقاعدهم. وتلا أحد أعضاء اللجنة السياسية بقية التوصيات. وكان ضمنها دعوة الدول العربية الخمس المعنية مباشرة بالصراع العربي الإسرائيلي (مصر،الأردن،سوريا،لبنان،وم.ت.ف.) إلى تحقيق أعلى مستويات التنسيق السياسي والدبلوماسي بينها لمواجهة متطلبات المرحلة السياسية القادمة وللتقوية الموقف العربي التفاوضي، فإن يرتقي التنسيق إلى مستوى القمة. وشدد المجلس على ضرورة استكمال الحوار بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير من أجل التوصل إلى معالجة قضايا الخلافات اللبنانية - الفلسطينية معالجة إيجابية في جميع الميادين، ولما فيه المصلحة المشتركة للشعبين الشقيقين. ودعا إلى ترسیخ الاخرة بينهما على اسس متينة تكفل الحقوق السياسية والنسابية والاجتماعية للشعب الفلسطيني في لبنان، وتتوفر الامن للمخيمات في مواجهة الاعتداءات الاسرائيلية، بالتعاون الوثيق مع السلطة اللبنانية.

هذه التوصيات اقرت جميعها بسرعة فائقة، وتحولت إلى قرارات، ودونت ملاحظة تقول بضرورة تدقيقها من هيئة رئاسة المجلس. المؤيدون رفعوا أيديهم مع القرارات السياسية، والمعارضون ثبتو معارضتهم، وكذلك فعل المتحفظون. فالتصويت كانت مطبوعة في اللجان سلفاً وفقاً للعادة الفلسطينية، والمختلف حوله يرفع للقيادة الفلسطينية، وهناك تسوى الخلافات وفقاً لتقليل التراضي حول المسائل المستعصية. وبفضل "ديمقراطية التراضي" هذه كثيراً ما صدرت القرارات "مفشكلة" وبصيغة "لم" تجمع الشيء ونقضيه بهدف إرضاء قادة هذا الفصيل بكلمة وذلك بجملة، وثالث ب نقطة أو فاصلة، للإدعاء أمام كواذرهم وقواعدهم بانتصار مواقفهم وخطهم، وكان هذا الانتصار سيحرر القدس ويعيد اللاجئين.

اصدر المجلس قراراته وأعلن قيام الدولة الفلسطينية. ولم يعلن أي شيء حول رئيس هذه الدولة، واكتفي بإحالة هذا الموضوع إلى المجلس المركزي واللجنة التنفيذية. أما

بشأن تشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة فالقرارات أشارت إلى أن الحكومة على الطريق. في الحقيقة لم يجر التوقف، لا في الدورة التاسعة عشرة ولا في التحضيرات التي سبقتها أمام موضوع انتخاب رئيس لدولة فلسطين. ولم يطرح الموضوع على جدول أعمال المجلس الوطني كنقطة رئيسية. الجميع اعتبرها مسألة إجرائية يمكن البت بها لاحقاً. المهم، الآن، هو إعلان الاستقلال، والإعلان عن قيام دولة فلسطين، وما عدا ذلك تفاصيل ليس صعباً الاتفاق لاحقاً حولها. هكذا، كانت المواقف المعلنة، وهكذا كان الرأي السائد في القيادة الفلسطينية. أما غير المعلن منها فالشهر القادمة كانت كفيلة بكشفه، خصوصاً وأن قرارات المجلس منحت اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي صلاحيات إضافية تمكّناً منها من معالجة هذه التفاصيل، وضمنها مسألة تشكيل الحكومة، وانتخاب رئيس دولة فلسطين في الوقت الملائم.

كان أبو عمار المرشح الوحيد لهذا المنصب، لكنه هو الذي أصر، علينا وبحدة، على تأجيل موضوع انتخاب رئيس دولة فلسطين. بعض الأعضاء فضلوا التأجيل، لأن الموضوع يتطلب دراسة قانونية واتصالات سياسية وإخراجاً خاصاً. آخرون حبذاوا التأجيل إعتقداً منهم بأن هذا الموضوع سوف يثير شيئاً من الحساسيات الفلسطينية الداخلية، خصوصاً وأن البعض طرح فكرة نائب للرئيس أو نواب له. على كل حال، قفز المجلس في قراراته عن الموضوع، وتم الاجماع على تأجيله إلى إشعار آخر. واكتفى المجلس بتوكيل اللجنة التنفيذية بأن تقوم بمهام الحكومة، وهذا يتضمن تكليف رئيس اللجنة التنفيذية القيام بمهام رئيس دولة فلسطين إلى إشعار آخر. وتساءل البعض: لا ندري كيف سنتعامل مع أبو عمار بصفته رئيس الدولة؟!

و قبل شروق شمس يوم ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر، أعلن رئيس المجلس الوطني انتهاء أعمال الدورة دورة "الانتفاضة والشهديد أبو جهاد"، وتفرق الأعضاء، وذهب كل منهم إلى مكان اقامته وهو سعداء فرحة بإعلان الاستقلال وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة على الورق. فرحوا لأن دورة الانتفاضة انتهت دون وقوع انقسام فلسطيني كما أشاع البعض أو تمنى ربما. صحيح، أن الوحدة الوطنية أصبحت بتصدع لكنه لم يصل درجة الانشقاق كما توقع الكثيرون.

إلى ذلك، تفرق أعضاء الجبهة الديمقراطية في المجلس وهم حزاني ومرتبكون، بعضهم كان فرحاً واعتبر نفسه حق انتصاراً وطنياً وحزبياً، آخرون تالموا واعتبروا انفسهم مهزومين. وبعضاً منهم بكى، وبكاؤهم لم يكن فرحاً بقيام دولة لشعب فلسطين كما حصل مع بعض الأعضاء الآخرين، وليس حزناً على اضطرار الشعب الفلسطيني إلى قبول قيام دولة فلسطين على ٢٣٪ من الأراضي الفلسطينية المقدسة، وتنازلهم عن مدن يافا وحيفا

وعكا واللد والرملة وصفد وبقية المدن والقرى الفلسطينية، بل بسبب عدم تطابق قرارات المجلس الوطني مع قرارات اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، وبسبب تغليب المصلحة الوطنية ومصلحة الانتفاضة ومتـ.ـفـ.ـ على المصالح الحزبية التي يعتبرونها قمة المصالح الوطنية. وأيضاً، لأن عدداً من أعضاء المكتب السياسي تمرد على موقف الأمين العام وموقف أغلبية المكتب السياسي. وكلهم يدركون أن التعديل الذي تمت أضافته على القرار السياسي الأساسي في مبادرة السلام لا يمكنه إخفاء هزيمتهم المدوية، ناهيك عن ظهورهم أمام جميع أعضاء المجلس مرتكبين وغير مستقلين في موقفهم السياسي. وفوق هذا وذاك فهم يدركون أن اضطرارهم إلى التصويت مع مبادرة السلام الفلسطينية سوف يعرضهم لعقاب القيادة السورية.

اما الأقلية من أعضاء الجبهة في المجلس ففرجتهم كانت فرحتين، الاولى، لأن الخط الوطني الفلسطيني الواقعى انتصر على سواه، والثانية، لأنهم انتصروا على اغلبية المكتب السياسي وفرضوا موقفهم على عموم الجبهة، وأصبحت قرارات المجلس الوطني سلاحاً وطنياً بيدهم بإمكانهم استخدامه بفعالية في صراعاتهم الداخلية، وأيضاً في علاقاتهم الوطنية. وبعد انفصالهم اعمال الدورة تجمعوا وشريوا الانخاب، وتبادلوا الطرائف فيما بينهم على موقف رفاقهم وهزيمتهم المرة، واستذكروا في ما بينهم "ضوابط" الأمين العام لدور الجبهة في المجلس الوطني وفي العلاقات الوطنية^(١٤) والتي نصت على: "في حوارنا مع كافة الفصائل والقوى والشخصيات في إطار الحوار الوطني لا تتصدر الدعوة إلى دولتين على ارض فلسطين. ونعمل لوصول مذكرة من الهيئات والشخصيات، تشارك فيها كل القوى، إلى القيادة الفلسطينية والمجلس الوطني تطرح ويتطلب المجلس الوطني بقرارات سياسية تستوحى التوجهات الواردة في مذكرة الجبهة للمجلس". وفي ذلك اللقاء تحدث مجموعة الأقلية في ما يجب عمله بعد دورة المجلس، فكلهم خرجوا من الدورة وهو مقتنع بأن الانشقاق واقع لا محالة، وأن الأمين العام وأغلبية المكتب السياسي واللجنة المركزية لن يمرروا لهم دورهم في الحوار الوطني وفي المجلس الوطني، ولن يغفرو لهم موقفهم، العقاب الحزبي لن يكون أقل من الفصل، حتى لو أدى ذلك إلى تدمير الجبهة. واتفقوا فيما بينهم على عقد اجتماع خاص بهم لمناقشة خطواتهم اللاحقة في مواجهة خطوات الرفاق القادمة حتماً، واتفقوا على أن تكون خطواتهم هجومية بعدما أصبحوا جزءاً من الأغلبية الوطنية الواقعية.

حقاً، لقد خرجت الجبهة الديمقراطية من الدورة التاسعة للمجلس الوطني الفلسطيني وخلافاتها الداخلية متفاقمة أكثر من أي وقت مضى. وكان واضحاً للجميع أنها ماضية نحو انقسام عمودي كبير، وإن التعبير عن الازمة المستفلة التي يعانيها جميع اطراف النظام السياسي الفلسطيني سوف يظهر في تفجر اوضاع الجبهة. وقبل مغادرة الجزائر

تحدث وتحدث آخرون من التيار الواقعي في الجبهة "الإقليمية" مع أبو عمار وأبو ابراهيم وأبو مازن ومع آخرين من اللجنة المركزية لفتح حول مسار اوضاع الجبهة بعد المجلس، وطلبنا ملخصاتهم لنا في معركتنا الداخلية. في حينه، قال أبو عمار: ومثله قال أخوانه الآخرون، "دعونا نحاول كسب الأمين العام للجبهة فانحيازه للخط الواقعي ولبرنامج السلام مكسب وطني، والمحافظة على وحدة الجبهة الديمقراطية ضرورة وطنية، وضرورية للانتفاضة، فدوركم فيها أساسي وكبير".

إلى ذلك، حرصت قيادة الجبهة الشعبية على توضيح موقفها، وعقد أمينها العام جورج حبش مؤتمراً صحفياً يوم ١٥/١١/١٩٨٨ قال فيه: "هذا يوم تاريخي في حياة شعبنا الفلسطيني. ونحن ندرك الفارق الكبير بين اعلان دولتنا وقيام هذه الدولة على الأرض. وسنعرف كيف نخلق ميزان القوى الجديد الذي يفرض على العدو الصهيوني الاعتراف بدولتنا المستقلة". ورداً على سؤال الصحفيين قال حبش: "لقد كانت هناك نقطة خلاف أساسية تتعلق بالبيان السياسي، خاصة منه تلك المادة التي تتحدث عن اسس مشاركة م.ت.ف. في المؤتمر الدولي المقترن، اي، تعيين قرار مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٢٨ مضافاً اليهما عبارة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. في مثل هذه الحالات، كانت الجبهة الشعبية سابقاً، تحافظ على عضويتها في المجلس الوطني، وتتمتع عن المشاركة في اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي، غير ان الانتفاضة فرضت علينا في هذه المرحلة ان نظل متحدين في اللجنة التنفيذية والمركزي، رغم خلافنا على قضية مركبة. ورفعنا شعار ثورة ثورة حتى النصر ووحدة وحدة حتى النصر، ونحن صادقون في اقوالنا". واوضح أمين عام الجبهة الشعبية ان اليسار الفلسطيني جزءٌ عضويٌ من المنظمة وانه خلال مرحلة التحرر الوطني يجب اتحاد كل القوى في جبهة وطنية واحدة ضماناً للانتصار. ووصف اليسار بأنه سيكون مراهقاً اذا نسي هذه النقطة، ووجه حديثه للقوى الفلسطينية التي ايدت القرارات السياسية: "جريوا واذا لم تنجح التجربة ستتحد مجدداً على اسس أكثر جذرية".

وبعد مغادرة الجزائريين، عقد أبو عمار مؤتمراً صحفياً عقب فيه على موقف الخارجية الأمريكية من قرارات المجلس، وقال: "صباح هذا اليوم أصدرت الخارجية الأمريكية بياناً علقت فيه على قرارات مجلسنا الوطني، وادعى بأن هذه القرارات غامضة وتدعم إلى القضاء على دولة إسرائيل. وادعى كذلك بأن بياننا السياسي غامض ويتحدث بلغتين وإن أي مباحثات يجب أن تعتمد على قرار ٢٤٢ وإن المجلس الوطني والبيان السياسي الذي صدر عنه يدعوا إلى تدمير إسرائيل". وأضاف: "كان مجلسنا الوطني واضحاً عندما قال بقبول ٢٤٢ مصحوباً بحقنا في الدولة وحقنا في تقرير المصير.. أنا اريد أن أسأل أين الغموض في بياننا السياسي عندما نقول قبل القرار ٢٤٢ مع حقنا في دولة؟

ان بياننا يتضمن الاعتدال والمرؤنة والواقعية. حقا هذه الدورة هي دورة الانتفاضة، ولكنها في الوقت نفسه دورة من أجل السلام، هذا اذا كانت الولايات المتحدة واسرائيل ترغبان في ذلك.” وفي معرض رده على اسئلة الصحفيين، وصف ابو عمار موقف الرئيس الامريكي جورج بوش بأنه يتجه للایجابية وقال: ”على الجميع ان يدرك انه لا سلام في المنطقة دون مشاركة الفلسطينيين”. ونفى ان تكون ثمة مشاورات جرت بين م.ت.ف. والادارة الامريكية حول قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، لكنه اضاف: ”انا مستعد ان ابدأ حوارا مع الولايات المتحدة من أجل شعبي.. ولكن قراراتنا لم تتخذ استجابة لواشنطن، بل استجابة لمبدأ السلام”.

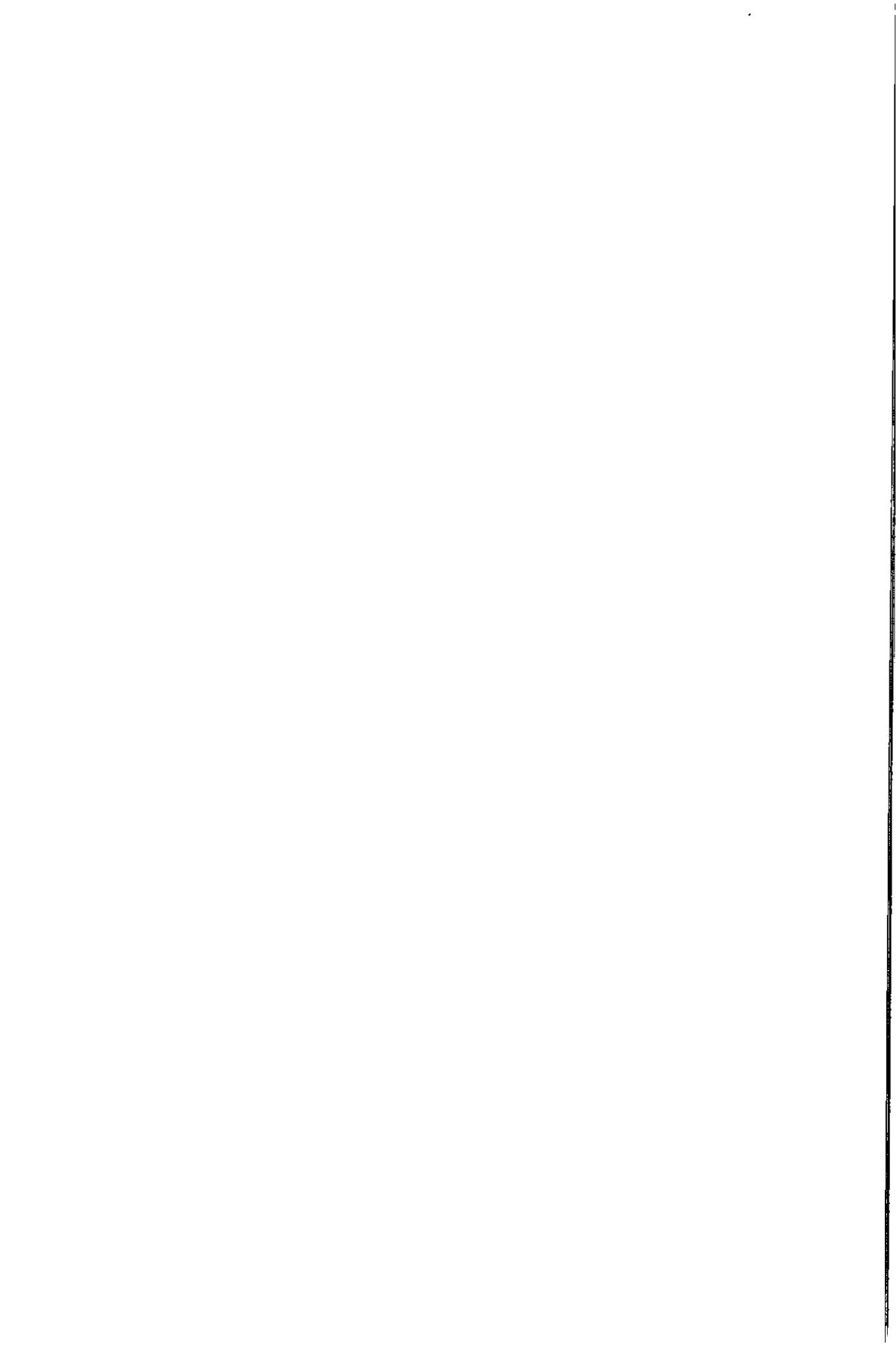
هوامش الفصل الخامس

- ١) هذه الارقام كرها ابو عمار مرات عديدة في اجتماعات رسمية. وكان يعرضها في معرض الافتخار بالديمقراطية الفلسطينية، والاعتزاز بالحوار الوطني للوصول الى اجماع وطني في المراحل الحاسمة.
- ٢) ديمقراطية غابة البنادق مصطلح استخدمه بعض الفلسطينيين ابان مرحلة صعود دور الثورة في لبنان حيث كانت الخلافات الفلسطينية الداخلية تعالج بعيدا عن استخدام السلاح، بالرغم من ان بيروت الغربية والمخيمات كانت غابة من البنادق والأسلحة المتنوعة. وللاطلاع على خطاب ابو عمار: راجع وثائق المجلس الوطني - الدورة ١٩. اما بقية المعلومات فمصدرها محاضر ومتذكرة خاصة.
- ٣) راجع نص كلمة الجبهة الديمقراطية في المجلس الوطني، مجلة الحرية الناطقة بلسان الجبهة، عدد النصف الثاني من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨.
- ٤) في مرحلة الثورة، نجح ابو عمار في الامساك بالاوپاعض الفلسطينية الداخلية والخارجية، وهو من صنف الزعماء الذين يهتمون بمتابعة تفاصيل التفاصيل. وهو يصرف جهدا ووقتا كبيرين على قراءة كل ما يصله من اوراق وتقارير رسمية هامة، او شخصية بسيطة، وخصوصا ما له علاقة بالمسائل الامنية والمالية. وهو يرد عليها كلها بإشارة من قلمه، تعود بعدها الى صاحبها لمتابعة تنفيذها، فيجد نفسه غارقا في مراجعات يومية للدواوين البيروقراطية تطول او تقصير، وفقا لمستوى موقعه وعلاقته الشخصية بالمعنيين بالتنفيذ. وبعد قيام السلطة فرض ابو عمار النظام ذاته على كل المستويات القيادية الفلسطينية.
- ٥) "كوليسة القيادة" هي احد تقليد عمل الفلسطيني الاساسية في مرحلة الثورة. وكان هذا التقليد يبرز على ابواب اجتماعات المجلسين الوطني والمركزي، وفي الازمات الحادة. وفيه يفتح ابو عمار دفتر اسراره ومعلوماته الخاصة، ويطرح الواقع الحقيقية وتتخذ القرارات والتوجهات النهائية. ويحرص ابو عمار دائما على البقاء على معلومات خاصة لا يطلع الآخرين عليها.
- ٦) حظى الشاعر محمود درويش باحترام جميع فصائل الثورة وتقديرها له، حتى التي كان يختلف معها سياسيا وفكريا. وكان خبيرا بالاوپاعض داخل الفصائل وعلى صلة مع غالبية قياداتها. وظل حريصا على احترام وجهات نظر الآخرين، والترفع عن دخول صراعات الفصائل، مع القيام بددور المصلحة والمقرب لوجهات النظر حيث امكن. وكان دوره مقبولا من الجميع. كلف بصياغة وثيقة اعلان الاستقلال بعد فشل اللجنة القانونية، وتفرغ لصياغتها عدة ايام.
- ٧) راجع نص قرارات المجلس بشان الانتفاضة.. ووثائق المجلس الوطني - الدورة التاسعة عشر.

- ٨) راجع نص قرارات اللجان الأخرى في نفس المصدر ذاته.
- ٩) راجع النص الكامل للقرار في المصدر ذاته.
- ١٠) كان ابو عمار يهوى النكات السياسية، بما فيها التي تمسه، وهناك بعض المقربين منه يعرف مزاجه ومتى يمكنهم رواية النكتة حتى لو كانت من العيار الثقيل.
- ١١) راجع نص مبادرة السلام في؛ وثائق المجلس. الدورة التاسعة عشر.
- ١٢) راجع نص اعلان القاهرة ملحق رقم (٢).
- ١٣) من توصيات اللجنة السياسية التي تحولت الى قرارات: ١) السعي لوضع الاراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس العربية، تحت اشراف الامم المتحدة لفترة محددة لحماية شعبنا، وتوفير مناخ مؤات لانجاح اعمال المؤتمر الدولي، والوصول الى تسوية سياسية شاملة، وتحقيق الامن والسلام للجميع بقبول ورضى متبادلين وتمكن الدولة الفلسطينية من ممارسة سلطاتها الفعلية على هذه الاراضي. ٢) وضع مجلس الامن ويضمن ترتيبات الامن والسلام بين جميع الدول المعنية في المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية. ٣) الغاء جميع اجراءات الضم والالحاق وازالة المستعمرات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي الفلسطينية والعربيه المحتلة منذ عام ١٩٦٧. ٤) ضرورة ان تشمل اية ترتيبات انتقالية حق شعبنا في السيادة على الارض والمياه والمصادر الطبيعية والشؤون السياسية والاقتصادية كافة.
- ١٤) خلال الحرارات التي سبقت المجلس، اعتبر الحزب الشيوعي الفلسطيني ان اعلان الاستقلال سابق لوانه قبل تحرير الارض التي ستقام عليها الدولة الفلسطينية، لكنهم خلال انعقاد الدورة ساروا مع القیار العام المؤيد لاعلان الاستقلال.
- ١٥) في ايار/مايو ١٩٨٨، وردت رسالة من اجتماع الهيئات القيادية للجبهة في الداخل تؤكد على ضرورة التصويت مع مبادرة السلام، وaidت وجهة نظر الاقلية في المكتب السياسي. راجع كراس التجديد والديمقراطية - اصدار قيادة تيار التجديد في الجبهة الديمقراطية.
- ١٦) لمزيد من المعلومات حول لقاء شمعون بيريز مع الملك حسين، راجع؛ وليم كوان، الدبلوماسية الامريكية والصراع العربي الاسرائيلي. (القاهرة: مركز الامارات للترجمة والنشر، ١٩٩٤)
- ١٧) بعد انجاز الوثيقة، عرضها ابو عمار على اللجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية، وسلمت نسخ قليلة لعدد من القادة تعهدوا عدم تسريبها للاعلام قبل تلاوتها في المجلس حتى لا تفقد قيمتها المعنوية.
- ١٨) راجع نص وثيقة اعلان الاستقلال ملحق رقم (١).
- ١٩) راجع نص قرارات اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية في كراس التجديد والديمقراطية الصادر عن تيار التجديد والديمقراطية.

الفصل السادس

الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة



الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة

اعتراف دولي أسرع من المتوقع

فكرة الدولة المستقلة حلم راود القيادة الفلسطينية وجميع الفلسطينيين سنوات طويلة. وقرار المجلس اعلن الاستقلال وقيام الدولة على ارض الضفة والقطاع والقدس، حدد هدف الانتفاضة وهدف كل الشعب في الداخل والخارج. بعض اعضاء المجلس اعتبروه هدفاً مرحلياً، آخرون قالوا انه استراتيجي نهائي وتحقيقه انجاز تاريخي كبير. وهناك من قال أنه ليس مفيداً الآن، وبالحد الأدنى لجيل أو جيلين، الخوض في نقاش عقيم حول تصنيف هذه الخطوة التاريخية. قرارات المجلس تضمنت تنازلًا صريحاً عن أراضي فلسطينية، رفض الآباء والأجداد عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ تقديم أقل منه بكثير مقابل دولة على نصف فلسطين. وقرارات المجلس ومبادرة السلام فيها اعتراف ضمني بدولة إسرائيل، رفضت القيادة ذاتها تقديم ما هو اقل منه ابان مفاوضات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ - ١٩٧٩. مقابل علاقة مع الادارة الأمريكية ومشاركة م.ت.ف. في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل. وما أقدمت عليه القيادة قبله بقيت عديم من الزمن ترفضه ومتربدة في الاقدام عليه.^(١)

شعب فلسطين في الداخل كان صاحب المبادرة، وكل أصدقائه وخصومه وأعدائه يدركون ان الانتفاضة المجيدة، عبر قيادتها الموحدة، هي التي شجعت قيادة م.ت.ف. على حسم امرها والسير في هذا الاتجاه الواقع دون تردد. وجميع القوى الوطنية الفلسطينية تقر بهذه الحقيقة، وتعرف بأن الانتفاضة هي التي أنضجت الأوضاع الداخلية والإقليمية والدولية باتجاه الاقدام على هذا الفعل التاريخي الكبير. فهي التي عززت ثقة الفلسطينيين

بأنفسهم، وعززت استقلالية القرار الفلسطيني ومكنت القيادة من التصرف بعيداً عن الضغط والابتزاز.

جميع أعضاء المجلس الوطني انطلقاً من وحي الانتفاضة عندما رفعوا أيديهم مowaافقين على إعلان الاستقلال وعلى القرارات السياسية الأخرى. ولولا الانتفاضة وتواصلها عشرة شهور كاملة لكان من المستحيل التفكير بالموضوع، ولما امكن توفير اجماع وطني حول اعلان الدولة. الجميع صوتوا مع القرار وهم مقتنعون بأن ادامة الانتفاضة وضمان استمرارها، وبناء المؤسسات الوطنية على الأرض، ومواصلة التصادم مع جيش الاحتلال، والتمرد على سلطاته وتحديها.. الخ، ضرورات عملية لا غنى عنها لانتزاع اعتراف العالم بحق الشعب الفلسطيني في تحقيق هذا الهدف الواقعي المقدس والنبيل. وكانوا مقتنعين أيضاً أن توقف الانتفاضة "لا قدر الله" يلحق أذى كبيراً بالتجهيز والاهداف الوطنية ويعري القيادة أمام شعبها وأعدائها.

إلى ذلك، كان لا بد من فتح ورشات عمل متعددة في الخارج ينخرط فيها جميع الفلسطينيين، ولا بد من تطوير زخم نضالات الانتفاضة وتصعيدها وضمان تواصلها فترة ليست قصيرة. ولم يكن خلاف حول ضرورة الشغل جدياً، في مختلف المجالات والساحات، لتكريس اعلان الدولة كحقيقة سياسية، وتكثيف الجهود السياسية والدبلوماسية للحصول، بأسرع وقت ممكن، على اعتراف دول العالم بدولة فلسطين. فالاعتراف السريع بالمولود الجديد بمثابة الغذاء المعنوي للدولة الجديدة، والانتفاضة هي الغذاء المادي لنمو هذا المولود الذي خلق وسط أزمة، ولتمكنه من إثبات حضوره على الأرض وفي العلاقة بالعالم.

انتزاع الاعتراف ورثة وطنية عامة، وكان من الطبيعي والمنطقي أن تنخرط فيها كل القيادات الفلسطينية، خصوصاً وأن قرار إعلان الاستقلال صدر عن المجلس الوطني بالإجماع. إلى ذلك، فالورشة باتت خاصة لمراقبة الشعب الفلسطيني في كل مكان، وجميع الفلسطينيين في الداخل والخارج راحوا بعد المجلس الوطني يتربون ردود الفعل العربية والدولية. القوى السياسية تتبع بقلق، والشخصيات الوطنية تترقب، والمواطن العادي، داخل الوطن وخارجها، يرافق ويترقب أكبر قدر من الاعتراف بالدولة. الماكينة الفلسطينية السياسية والاعلامية لم تتأخر في بدء العمل، بل بدأته بحيوية ونشاط فور انتهاء أعمال المجلس، وكيف لا طالما أن أبو عمار شخصياً يتابع، يومياً، تفاصيل حركتها.

بعد المجلس، طلب أبو عمار من الأمانة العامة كافة التوجّه معه إلى تونس، والبقاء بجانبه والمشاركة في تحركاته السياسية المقبلة من أجل انتزاع الاعتراف بإعلان

الاستقلال. وخص بالطلب أمين عام الجبهة الديمقراطية وقال له: "بقاوئك بجانبي ضروري جداً ولا عذر لكم، فهذا الخط السياسي هو خطكم القديم، وجبهتكم شريك قديم و دائم في قيادة منظمة التحرير، والآخرون كانوا شركاء موسميين تارة داخلاًها وأخرى خارجها". بعض الامناء العامين وعده بإنجاز مهامه الملحقة بأسرع وقت ممكن، في هذه العاصمة العربية أو تلك، والالتحاق به بأسرع وقت للشغل معاً. هذا ما قاله د. جورج حبيش وسمير غوشة وأبو العباس، ولم يميز نايف حواتمة نفسه عن الآخرين، ولم يتوقف طويلاً امام طلب أبو عمار وتمنياته الخاصة واعتبرها نوعاً من المجاملة ان لم تكن محاولة تدوير.

إلى ذلك، لم ينتظر أبو عمار، بعد انفصاله أعمال الدورة التاسعة عشرة، ايام من الامناء العامين لحظة واحدة. لقد تمنى عليهم المشاركة وسجل موقفه، وقال: "الوقت من ذهب ولدينا عمل كثير"، وبدأ حركته السياسية مباشرة كما رسمها في ذهنه. طلب من معتمدي مدراء مكاتب م.ت.ف. في الخارج اللحاق به إلى تونس، وهناك فتح ورشة عمل طويلة عريضة. كان يدرك ان قرارات المجلس الوطني اصابت الوحدة الوطنية بتتصدع ليس بسيطاً بالرغم من الاجماع على اعلان استقلال، وغدت الوحدة بحاجة لترميم سريع. والمناقشات داخل المجلس والمؤتمرات الصحفية التي عقدت قبل مغادرة قصر الصنوبر لا تبشر بالخير على اكثر من صعيد، وتشير إلى توتر في العلاقات بين الفصائل. واوضاع الجبهة الديمقراطية ليست على ما يرام، ولا يستطيع تجاهل تفاعلات ازمنتها على اوضاع م.ت.ف. والقيادة تفرق وعلاقاتها ليست على ما يرام، واعضاء المجلس الوطني بدأوا بمغادرة الجزائر وهم قلقون على وحدة م.ت.ف.، ويشكون بقدرة القيادة على تكريس إعلان الاستقلال كحقيقة من الحقائق السياسية في المنطقة. فالدولة أعلنت على الورق ولا شيء، مضمون اكثـر من الإعلان. الجزائر اعترفت فوراً، ومعظم الدول العربية وعدد من الدول الإسلامية وعدم الانحياز وعـدت أبو عمار بالاعتراف.^(٢) والحصول على اعترافها يحتاج إلى شغل سياسي جدي في أكثر من مجال وعلى أكثر من صعيد. الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي حلـيف العرب والفلسطينيين لم تحـذر الخطوة. ودول أوروبا لم تحسـم أمرها كمجموعة، وبعـضها أثارت اشكالـات قانونية تتعلق بصـيغـة الاعـتـراف بـدولـة بـدون حـكـومـة وـبدـون رـئـيسـ، وـمنـها مـنـ اـرادـ اـنتـظـارـ رـذـ فعلـ الـادـارـةـ الـامـريـكـيـةـ. الـادـارـةـ الـامـريـكـيـةـ ضدـ اـعلـانـ الاستـقلـالـ وـضـدـ الـاعـتـرافـ بـالـدـولـةـ، وـكـانـ هـمـهاـ فـقـطـ صـدـورـ بـيـانـ وـاضـحـ منـ المـجـلـسـ يـعـتـرـفـ بـالـقـرـارـ ٢٤٢ـ وـيـحـقـ اـسـرـائـيلـ فـيـ الـوـجـودـ ضـمـنـ حدـودـ آمنـةـ وـمـعـتـرـفـ بـهـاـ، وـنبـذـ العنـفـ وـالـارـهـابـ منـ حيثـ المـبـداـ.

في تونس، جمع أبو عمار كل معتمدي منظمة التحرير لدى دول العالم^(٣) في مجموعات

صغيرة. المعتمدون في أوروبا جمعهم وحدهم، والمعتمدون لدى الدول الآسيوية عقد لهم اجتماعاً خاصاً بهم. والشيء ذاته فعله مع المعتمدين في الدول الاشتراكية، والأفريقية وبسواها. كان هدفه من عقد كل هذه الاجتماعات المصغرة هو تشغيل المعتمدين في مهمة واحدة وحيدة هي الحصول على اعتراف دول العالم بدولة فلسطين. هذا ما فكر به أبو عمار وما قاله صراحة لهم، وهكذا هو يتعامل عادة مع القضايا الوطنية. يحدد لنفسه مهمة يراها مركزية، ويكرس جهده ووقته وعلاقاته لإنجازها. يرمي بكل ثقله من أجل تحقيقها، ويرفض الانشغال بسواها حتى لو كانت في نظر إخوانه الآخرين أساسية وحيوية. ويستمتع إذا رافقها صراع مع آخرين، خصوصاً إذا كان واثقاً من هزيمتهم. ووفقاً لتفكيره البراجماتي والعملي، ليس مما الأسلوب، فالملهم تحقيق الهدف المطلوب. إذا تحقق بطرق مبدئية صحيحة فهذا جيد، ولكن لا مانع لديه من اللجوء لأساليب أخرى ملتوية يجيدها، واللجوء إلى طرق غير مبدئية يحسن تمويهها، واتخاذ مواقف مناورة إذا اقتضى تحقيقها ذلك. فمن أجل القضية الوطنية لا توجد حواجز ولا محركات إلا المحركات الوطنية الكبرى.

وكالعادة، لم ينتظر أبو عمار تحرك الدائرة السياسية لمنظمة التحرير، المسئولة عن ممثلي م.ت.ف. المعتمدين لدى دول العالم، والمعنية بتوجيه نشاطهم. لذا بادر ودعا إلى دورة اجتماعات حرص على أن يقودها بنفسه واعطاها كل الوقت اللازم. فهو بالاجمال لا يثق في قدرات الآخرين على الشغل كما يريد، وتشغيل الكوادر بأقصى طاقاتهم. ويخشى أن تركها لهم أن "يُخْبِسُوا"، إذا وافق وسهل لهم القيام بالمهمة. والمعتمدون، دون استثناء، تعودوا منذ وقت طويول على مخاطبة مكتب القائد العام مباشرة أكثر من مخاطبته للدائرة السياسية المسئولة عنهم رسمياً.⁽⁴⁾ بعضهم كان يخاطب مسؤوليه المباشرين في الدائرة كنوع من رفع العتب، أو تحسباً للمستقبل. آخرون لم يكونوا يراغبون هذه الاعتبارات ولو بصورة شكلية. هكذا نظمت، بعد الخروج من بيروت، أمور علاقة مكاتب منظمة التحرير في الخارج مع القيادة. والنظام ذاته أو ما يشبهه، سارت عليه بقية دوائر منظمة التحرير ومؤسساتها. وكل رؤساء الدوائر يقلدون أبو عمار في تعامله مع الآخرين. هذا هو الواقع القائم المعمول به منذ عدة سنوات، ولا أحد كان يحتاج على تجاوز أبو عمار للدائرة السياسية أو أية دائرة أخرى. وغالبية أعضاء اللجنة التنفيذية رؤساء الدوائر كانوا راضين وبالحد الأدنى متكيفين مع طريقة عمل أبو عمار. المعتمدون راضون ومبسوطون، وأبو عمار راض ومبسوط، رغم تراكم وتزايد الشغل عليه بصورة مرهقة. أما غير الراضين فلا يعبرون ولا يفصحون عن مواقفهم إلا باللهامات والتذمر في المكاتب والسهيرات من خلف ظهر أبو عمار، وأحياناً في جلسات خبيئة مع الآخرين. يصارحون بعضهم بعضاً ويتحدثون مع البعيدين عن أبو عمار حول مصادرته

صلاحياتهم، لكنهم يتحاشون مصارحته والحديث مباشرة معه. وإذا صدف وطرح أحدهم ملاحظاته جاداً أو مازحاً كان رد أبو عمار جاهزاً: "الآنرأيتم فردية ياسر عرفات، قبلتم بأسلوب عمله ٢٠ سنة، وتريدون تغييره بعد أن تجاوز عمره الـ٩٦! يا أخوان بعد عمر الـ٤ يصعب التغيير". في أحدى رحلاته من أجل انتزاع الاعتراف بالدولة ودعم الانفاضة، سأله عن اسم الكتاب الذي لم يتوقف عن قراءته طيلة الرحلة، قلت انه رواية جميلة، واقترحت عليه ان يستبدل قراءة الوراق الرسمية وبهذا اعصابة بقراءتها، وان يكفي مع اكرم هنية فرز اوراق ملف الانفاضة، ويعننا صلاحية صرف مساعدة لا تتجاوز الفي دولار لمن نعتقد ان طلبه محق وحاجته ماسة. كان رده الفوري: "لديك تطلعات خطيرة! وماذا سأشتغل اذا لم اعالج قضايا الناس، ولماذا بنيت كل هذه الاجهزة وشبكة العلاقات؟ وكيف سأعرف ما تفعلون اذا لم اطلع على التقارير اليومية؟"

على كل حال، هذا الأسلوب في الاحتجاج هو الذي كان دارجاً في العلاقة داخل كل أطر ومؤسسات المنظمة دون استثناء. المؤسسات موجودة وتعج بالمتراغين من ذوي الكفاءة والاختصاص، وأيضاً من لا كفاءة ولا اختصاص عندهم. لكن وجود الدوائر بهيكلياتها التنظيمية لا يعني اطلاقاً قيامها بمهامها وفقاً لتسليسل الدرجات في اللوائح والأنظمة. وترؤس عضو لجنة تنفيذية لكل واحدة منها لا يعني بالضرورة أنها كمؤسسة قادرة على اتخاذ القرارات المطلوبة بشأن مهامها ومسؤولياتها، خصوصاً اذا كانت قراراتها بحاجة إلى موازنات إضافية جديدة. فصرف الموازنات الشهرية والسنوية الدورية والبالغ الاستثنائية بحاجة إلى قرار من أبو عمار. في حينه كانت المبارات الفردية ضعيفة جداً لدى معظم العاملين في دوائر م. ت. ف. أما أعضاء القيادة الفلسطينية فكانوا يشكون بعضهم لبعض من فردية أبو عمار، لكنهم جميعاً كانوا يسهلون له تفرده بالعمل، ونادرًا ما تحدث أحدهم أمامه حول الموضوع. كانوا يسهلون عليه الاستفරاد بهم واحداً واحداً. وببعضهم كان مستفيداً من هذا النمط من العلاقات شبة القبلية، يستغله لاغراض شخصية وحزبية. أما كوادر المنظمة، من مدنيين وعسكريين، فكانوا يقطّعون الوقت في هذا البلد العربي أو ذلك بالحديث عن الماضي المجيد، وتكرار تحليل الوضع والتطورات، وتسقط الأخبار، وقراءة ما تصدره دوائر المنظمة ومراكز الأمن والدراسات من نشرات إخبارية، وينتظرون ما تحمله وتخفيه الأيام لهم، ويتدبرون حاجاتهم المالية الضرورية وغير الضرورية بالحصول على قرارات صرف استثنائية من أبو عمار، وبعض الصرفيات كانت تعادل الراتب الشهري او تزيد.

في اجتماعاته مع المعتمدين حرص أبو عمار على مشاركة مسؤولين من الدائرة السياسية في كل المجتمعات التي عقدها. مسؤول قسم أوروبا شارك في اجتماعات المعتمدين لدى الدول الأوروبية. والشيء ذاته حصل مع مسؤول قسم آسيا، وقسم أفريقيا، وقسم

الدول الاشتراكية. "الوقت من ذهب ونحن في سباق مع الزمن، والمسؤولية تاريخية وكبيرة. مبادرة السلام الفلسطينية والانتفاضة أوراق قوة بآيديكم اذا احستتم استغلالها، وصداقاتنا القديمة العميقة مع الدول والاحزاب والحركات والشخصيات مفيدة، وحان وقت استثمارها في الوصول الى الاعتراف بدولة فلسطين. سابقاً، ساعدنا من استطعنا مساعدتها ولم نقصر مع احد في آسيا وأفريقيا أمريكا اللاتينية، وانا واثق من ان اصدقانا لن يتخلوا عنا، وما نطلب ليس المستحيل. المعترضون بمنظمة التحرير وبكم كمعتمدين ليس هناك ما يمنع اعترافهم بالدولة". بهذه الكلمات وما شابهها خاطب أبو عمار المعتمدين. وفي الاجتماعات، لم يكتف بالحديث الوطني العام مع المجموع، بل جلس مع كل واحد منهم على انفراد، وناقشه في مهمته بالتفصيل. لمع ذاكرته التي تمتاز بحفظ الاسماء مربوطة دائمًا بأماكن وحوادث بارزة، ودخل في تحديد أسماء الشخصيات والاحزاب التي يجب الاتصال بها. وكتب رسائل خطية، بعضها طلبها المعتمدون وبعضاً لم يطلبوها، وحملهم رسائل شفوية للزعماء، وللمعاذين المقربين من رؤساء الدول. "المهم الحصول على الاعتراف وأنا جاهز لتقديم كل ما تطلبون بما في ذلك التحرك لطرف كل منكم، المهم ربوا الدعوات الرسمية، ونظموا بروتوكول الزيارة، وباللغونى وأعانني الله علىكم رحلة الىكم بدأ اعرف من الآن بأنها مرحلة لكنها ضرورية ولا بد من القيام بها، والمهم الحصول على الاعتراف بدولة فلسطين".^(٤)

قدم الوعود والاغراءات للمعتمدين، وضمّن كلماته شيئاً من التهديد. والعقارب المطروح كان الاستبدال بشخص آخر. قال لهم: "من لا يستطيع الحصول على اعتراف الدولة التي يعمل فيها لا بد من اعتباره فاشلاً في عمله، والفاشل لا بد من تغييره. المعتمد الذي لا يجلب الاعتراف بدولة فلسطين يرتفع ويعين فوراً بدرجة سفير في تلك الدولة. أما الذي لا ينجح فسيتم خلعه من منصبه. هيا الى العمل من أجل فلسطين، وحان وقت الوفاء لدماء الشهداء وأحلامهم". بهذه الجملة، كان أبو عمار ينهي حديثه مع المعتمدين، وكان يضيف: "مطلوب رسالة يومية من كل معتمد حول نشاطه واتصالاته ونتائجها". وطلب أبو عمار رسائل وتقارير يومية من المعتمدين كان له ما يبرره، فهو يعرفهم فرداً فرداً، وهو الذي عينهم في مراكزهم ويعرف كفاءة كل منهم، ويعرف همته ونشاطه وأسلوب عمله. يعرف ان فيهم الأولياء الأنقياء المستقيمين الذين تابعوا مهامهم الجديدة بروح الثورة ونفس الثوار، ولم تفسدهم المهاجر والمناصب الدبلوماسية الجديدة. ويعرف ايضاً بأن بعضهم استغلوا مواقعهم وانغمسو في ملذاتهم.^(٥) وهناك من تحولوا تجارة واستغلوا في التجارة في البلدان الذين اعتمدوا فيها، وجمعوا ثروة كبيرة، وبنوا لأنفسهم مشاريع اقتصادية خاصة بهم، باتت تأخذ معظم وقتهم وعلى حساب مهامهم الأساسية. ويعرف أيضاً أن المهمة التي لا يلتحقها هو شخصياً تضيع في أدراج المعتمدين، أو تتبخر من

اذهانهم إذا أغفل عينه عنها. وكل في موقعه يعرف كم من مهمة نبيلة ضاعت بسبب عدم المتابعة. هكذا تعود بعض المعتمدين على العمل في مرحلة ما بعد الخروج بيروت. وسهل غياب الرقابة والمحاسبة الاندفاع في هذه الدروب الضارة.

لا شك في أن المهمة التي حملها المعتمدون مهمة وطنية من الطراز الأول، لكنها لم تكن سهلة على الاطلاق، وبجاجة الى متابعة مباشرة واستناد من أبو عمار شخصيا. الحكومة الجزائرية شقت الطريق، وأرادت أن يكون لها شرف الاعتراف الأول في العالم بدولة فلسطين. هذا ما أعلنه المهرى الممثل الشخصي للرئيس الجزائري الشاذلي بن جيد من على منصة المجلس الوطني في الليلة الشهيرة، قبل انفلاط جلسه الأخيرة. اعتراف الجزائر بدولة فلسطين بعث الامل في نفوس الفلسطينيين، ونبه الدول الصديقة كما نبه الخصوم والاعداء. وتحول موضوع الاعتراف الى قضية صراعية، وكان واضحا للجميع ان سوريا ومعها لبنان ولبيبا من الغرب لن تعرف بدولة فلسطين، وستحاول التأثير على مواقف الآخرين وضمنهم ايران. واسرائيل والصهيونية العالمية ان تمر على الموضوع بهدوء، ولن تبقى مكتوفة اليدين. والادارة الامريكية لن تسهل الامر على منظمة التحرير، وكثير من الدول الصديقة للفلسطينيين، والمؤمنة بعدالة قضيتهم، مضطرة لأخذ رأي الامريكان قبل الاعتراف بدولة فلسطين. وتجربة م.ت.ف. الطويلة في مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة كبيرة وغنية، وتؤكد بأن الصراع حول الاعتراف بالدولة لن يكون سهلا. "الفشل ممنوع ويجب النجاح في هذه المعركة الدبلوماسية الحاسمة بأي ثمن، ويجب انتزاع اعتراف العالم بدولة فلسطين بكل السبل الممكنة". هكذا قال أبو عمار وقالت اعضاء القيادة الفلسطينية في لقاءاتهم التي تمت بعد اعلان الاستقلال واعلان قيام الدولة، وهكذا قال كل اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، حزبيين ومستقلين، قبل مغادرتهم ارض الجزائر.

المندوبون، عاد كل منهم الى بلد عمله. وبدأ أبو عمار اتصالاته المباشرة، وشرع في رحلاته المكوكية الى دول العالم للحصول على الاعتراف بالدولة. وحرص على ان تكون لجنة العمل اليومي لمتابعة الانتفاضة معه في كل الرحلات. في حين انخرط قليل من اعضاء اللجنة التنفيذية بجدية في الورشة. آخرون تعاملوا مع قرار إعلان الاستقلال وقيام الدولة كما يتعاملون في العادة مع قرارات اللجنة التنفيذية.^(٦) هؤلاء غادروا الجزائر الى أشغالهم ومساريعهم الخاصة وأماكن سكنائهم. الأئمان العاملون للفصائل ألغوا أنفسهم من الشغل في هذه الورشة الوطنية الهامة، وتعاملوا مع قرارات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني كما كانوا يتعاملون عادة مع قرارات دورات المجلس السابقة، ومع قرارات مكاتبهم السياسية ولجانهم المركزية.^(٧) وبعد انتهاء دورة الجزائر أسرعوا بالعودة الى مراكزهم القيادية، بعضهم توجه الى دمشق وبعضهم الى تونس

وآخرون إلى عمان وبغداد. كان همهم شرح وتفسير قرارات المجلس لقواعد تنظيماتهم وكأنه المنتصر الأول، أو كأن الشغل في ورشة انتزاع الاعتراف مسألة تفصيلية عندهم بالقياس لورشاتهم الحزبية الداخلية. لم يشاركوا في الحركة السياسية بعد المجلس. ولم يكتفوا بعد المشاركة بل راحوا يشاغبون عليها في محاولة لاثبات حضورهم السياسي والاعلامي. ومن باب الأمانة فإن بعضهم أصدر تصريحاً ما ناشد فيه دول العالم وأصدقاء الشعب الفلسطيني الاعتراف بدولة فلسطين... وحتى لا نهضم ونطمس جهودهم يمكن أن نسجل أيضاً أن بعضهم أرسل رسائل إلى هذا الحزب الحاكم أو ذاك الرئيس أو الوزير في هذا البلد أو ذاك من تربطه بهم علاقات خاصة.

قرارات المجلس الوطني تفجر الجبهة الديمقراطية

في العمل السياسي الفلسطيني كثيراً ما غلت الفصائل مصالحها الخاصة النابعة من منطقات حزبية ضيقة بالحديث المبدئي الصارم عن مصالح الشعب والحرص على القضية الوطنية. بعضها كان يارعاً في ديماغوجية وأخرون كانوا فاشلين. الأماناء العاملون للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجبهة النضال وجبهة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير العربية غادروا الجزائر وكانت مشكلاتهم الداخلية بسيطة بالقياس لمشكلة أمين عام الجبهة الديمقراطية. فقد انسجموا في المجلس مع اطروحتهم. دخلوا المجلس الوطني موحدين في الرؤية والموقف، وخرجوا وهم في الحالة ذاتها، وما أضيف إليها أو نقص منها لن يسبب لهم إشكالات داخلية. أما هو، فقد دخل المجلس مكتشوفاً ومجدداً من كل أوراق القوة التي كان يتمتع بها. عارض التحالف مع فتح في مرحلة الانتفاضة وخلف موقفه بموقف متطرف، نظر له بالقول، "البرجوازية الوطنية تسعى إلى التساقط مع الحلول الأمريكية وهي مستعدة للتضحية بالانتفاضة من أجل ذلك." وخلافاته مع رفقاء قادة الجبهة التاريخيين الذين ساهموا في تأسيس الجبهة ولعبوا دوراً ملماساً في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية ظهرت جليّة أمام جميع أعضاء المجلس.^(٤) والقوى الفلسطينية جميعها فوجئت بحدتها وبالمستوى الذي بلغته. والمفاجأة الأكبر كانت وقف الأمين العام للجبهة وعدد من قادتها المعروفين بواقعيتهم ضد مبادرة سلام تقوم على أساس دولتين للشعبين. فهذا التنظيم، الجبهة الديمقراطية، معروف بواقعيته، ويدوره في عقلنة مواقف م. ت. ف.، وهو صاحب المبادرة في طرح برنامج السلطة الوطنية الذي أقره المجلس الوطني عام ١٩٧٤. وهو الذي خاض معارك الدفاع الفكرية والسياسية والجماهيرية عن البرنامج، ولم يأبه بردود الآخرين، حتى حين تعرض لاعتداءات مسلحة. إلى ذلك، خرج أعضاء المجلس الوطني وهم مقتتون بأن انصاراً أعلان الاستقلال في قيادة الجبهة انتصروا، ومضى بعضهم حد وصف ما حصل على أنه انتصار للخط

الوطني الفلسطيني الواقعي على الخط القومي. ولاحظوا أيضاً أن موافقة حواتمة أمين عام الجبهة على القرارات السياسية وأعلن الاستقلال تمت على مضض. وموقفه في المجلس كان مرتكباً ومتربداً ومحatarاً بين قناعته الحقيقة التي تسجم مع التوجهات والقرارات وبين مصالحة الحزبية والذاتية الضيقة التي تتصادم معها. وافق تحت الضغط الداخلي والوطني الخارجي على كل قرارات المجلس بما في ذلك مبادرة السلام. وتساءل البعض لماذا خاض معركة خاسرة وعرض نفسه لموقف لا يحسد عليه؟ كانت معارضته غير مفهومة لاعتراض القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ أساساً لانعقاد المؤتمر الدولي ولحل القضية الفلسطينية واستبدالهما بكل قرارات الشرعية الدولية. فهو يعرف أكثر من سواه، أنه بأطروحته هذه يفرد خارج سرب الواقعيين الفلسطينيين الذي انتمى اليه لسنوات طويلة، وإن محاولة تقليد قيادة الجبهة الشعبية المنتسبة منذ البداية لسر布 المعارضة الفلسطينية لم يستوعبه أحد، بما في ذلك قيادة الجبهة الشعبية.^(١)

حاول حواتمة التعميه على العوامل الحقيقة التي دفعته إلى تغيير موقفه، وتسلح بموقف الجبهة في الدورتين السابعة عشرة والثامنة عشرة حين تحدي السوريين، إلا أنه لم ينجح، خصوصاً أن أخوانه "الإقليمية" لم يترددوا في نشر كل الفسيل الداخلي أمام جميع أعضاء المجلس. كشفوا تأثير الجغرافيا على توجهات الجبهة وقراراتها الداخلية، وقالوا لكل من استفسر أو لم يستفسر من أعضاء المجلس عن موقف الجبهة: أن هم الأمين العام وأغلبية المكتب السياسي مجارة مواقف القيادة السورية وإرضائها وتجنب التصادم معها، حتى لو كان ذلك على حساب موقعه القيادي الوطني، وعلى حساب دور الجبهة الديمقراطية فلسطينياً وعربياً ودولياً. وشرحوا تفصيلاً كيف عملت أغلبية المكتب السياسي، قبل المجلس، على استرضاء القيادة السورية بالابتعاد مسافة عن ياسر عرفات المتصادم معها. وبينوا لصف واسع من أعضاء المجلس مدى تأثير منعه من العودة إلى دمشق بعد الدورة الثامنة عشر القاسية. في تلك الفترة، تشردت وتشتت قيادة الجبهة وطالت غربتها عن دمشق. وخلال فترة التشرد تنقل الأمين بين العاصم العربية وعواصم الدول الاشتراكية وتحاشى زيارة تونس، وتجنب اللقاء مع أبو عمارة على أمل تخفيف غضب القيادة السورية والبقاء قرار منع العودة إلى دمشق. في حينه، رفضت الجزائر تأمين إقامة دائمة للأمين العام، وفضلت أن تكون إقامته في تونس بجانب أبو عمارة. وفي الاجتماعات الداخلية هاجم مواقفها واتهماها بالتواطؤ مع عرفات لاذلال الجبهة وقال: "لو كانت الجزائر دولة مواجهة لما أعطت فصائل الثورة مكتباً واحداً. الجزائر بعيدة آلاف الكيلومترات عن إسرائيل وتتردد في توفير إقامة أمين عام فصيل فلسطيني رئيسي".

حقاً، لقد كان التشتت بعد الدورة التوحيدية الثامنة عشرة صعباً. وبعد عودتها اعطلت

أغلبية المكتب السياسي أولوية مطلقة لتأمين استقرار قيادة الجبهة في دمشق، فطالبوها بالمساهمة في شق منظمة التحرير، وضغطوا عليها للانضمام لجبهة الرفض المشكلة من الجبهة الشعبية ومنظمة القيادة العامة وجبهة النضال الشعبي ومنظمة الصاعقة بقيادة خالد الفاهم رئيس المجلس الوطني سابقا. وفي الاتصالات بالقوى السياسية الفلسطينية والسويسرية، كان الأمين العام يناغم الموقف السوري بدلاً من فضحه، وكان يبرر مواقفه في المجتمعات الحزبية الداخلية المصغرة بالقول: عظم فتح أزرق وقوى ويتحمل الضربات العربية، أما عظام الجبهة الديمقراطية فهي هشة ولا تتحملها. فتح منذ عام ١٩٨٤ غير موجودة فعليها في سوريا ولا في لبنان، ورتب نفسها مع الدول العربية ونظمت أوضاعها في تونس والجزائر واليمن والسودان والعراق ولبنان، وزوّدت كواحدتها على مكاتب منظمة التحرير المنتشرة في شتى أنحاء المعمورة. أما نحن في الجبهة الديمقراطية فتواجدنا في سوريا هو الأساس، فلماذا نعرض أنفسنا للتتصاص مع السوريين؟! فتح بالعة الأخضر واليابس في م.ت.ف.. ونحن ليس لنا فيها بواب واحد، ولا تتعامل معنا كشركاء. أبو عمار يريدنا بجيده وليس بجانبه، ويتعامل معنا على طريقة "أركب حذك يا الموتور"، ويصول ويجلو في عواصم العرب والعالم ولا أحد يعرف ماذا يفعل وماذا يقول. اليوم فتح مستثاره بمكاتب م.ت.ف. وغدا بالسفارات. في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني تصدرنا المعركة الداخلية والخارجية وساهمنا بفعالية في استعادة الوحدة الوطنية ودفعنا غالياً ثمن ذلك، ولدينا رصيد وطني عسكري وسياسي وجماهيري قادر على صيانة سمعة الجبهة. تكتيك الجبهة الشعبية، نجح في صيانة مصالحها في كل الساحات وداخل م.ت.ف.. سوريا منعتنا بعد المجلس الوطني من العودة إلى دمشق، لكنها سهلت عودة قيادة وكوادر الجبهة الشعبية رغم أنها شاركت في تلك الدورة وساهمت في توحيد منظمة التحرير. وباسر عرفات يهتم بمن ينتقده ويعارضه أكثر من اهتمامه بخلفائه، يركض وراء جورج حبش والجبهة الشعبية ويصرخ باعتبارنا ضمئونين بجيده، وبعض الرفاق للأسف يسهلون له موقفه من الجبهة وبيروت.

مساء اليوم التالي على انفلاط أعمال دورة المجلس عقدت الكتلة البرلمانية للجبهة اجتماعاً موسعاً في مقر إقامة الأمين العام في العاصمة الجزائرية لتقدير الموقف قبل مغادرة الجزائر. وكان الاجتماع كثيراً افتتحه الأمين العام بالقول: "المؤافقة على القرارات السياسية للمجلس الوطني ستؤثر على وضعنا الداخلي وعلى وضعنا في لبنان وعلى علاقتنا مع سوريا ولبنان. أنس العلاقات الحزبية الداخلية تهشم وتبعض الرفاق لم يحترموا العلاقات الرفاقية، نشروا ما أرادوا من الغسيل الداخلي وشوهدوا سمعة الجبهة". حاول بعض أركان قيادة الجبهة من "القليل" لملمة الموقف وبينوا أن ظهور تعدد الآراء داخل الجبهة ظاهرة صحية ويسعى صورتها الخارجية ولا يمسها، وإن خلافات فتح

وتبادر مواقف قادتها تنشر على الناس ولاتزال التنظيم الفلسطيني الاول، والكل يفهمها على انها نمط من ممارسة الديمقراطية. واخترعوا فكرة تقول: بأن قرارات المجلس تتطابق مع قرارات لجنتنا المركزية، حتى لو لم ترد الفقرة التي أرادها بعض الرفاق في الموضع المطلوب. وبطريقة ديماغوجية، نجحوا في تغيير اجراء الاجتماع، الا ان جمع قطع الزجاج بعد تحطمها صعب وغير مفيد. ولاحقاً وجدت "الأغلبية" في الفكرة مخرجاً لها، ورددتها في تعاميمها الداخلية الموجهة لقواعد وكوادر التنظيم، علماً بأن المبتدئ في السياسة يستطيع ببساطة رؤية التعارض بين الموقفين.

بعد اجتماع كتلة الجبهة في المجلس تفرق اقطاب التياريين وهم مصممون في قراره انفسهم على متابعة المعركة الداخلية، والتسلح بما جرى في المجلس الوطني وينتائجه السياسية. وعاد أمين عام الجبهة الديمقراطية الى دمشق، ولم تمانع السلطات السورية دخوله اراضيها، واعتبرت تبادر مواقف الجبهة داخل المجلس كافياً للسماح لковادرها بالعودة الى دمشق. وكان واضحاً أنها على اطلاع تفصيلي على مجريات الصراع الداخلي قبل وخلال المجلس، وانها تراهن على تعزيز خلافاتها الداخلية. وقدرت ان تواجد حواتمة في دمشق يبقى الجبهة الديمقراطية في موقع المتصادم مع ياسر عرفات وتوجهاته، ويدفع بأوضاعها نحو مزيد من التناحر، وقد توصله الى الانشقاق. أما تواجده في العاصمة التونسية بجانب ياسر عرفات، او الجزائرية القريبة منه، فقد يخفف من حدة توتراتها الداخلية، وقد يدفع الامين العام نحو تغيير موقفه، وانخراط الجبهة في متابعة تنفيذ التوجهات الفلسطينية في المجالين العربي والدولي. وقد يسهل رأب الصدع بين تياريها المتصارعين، ويقربها من ياسر عرفات.

ويبدأ من اندفاع قيادة الجبهة الديمقراطية تجاه النهوض مع قيادة فتح بمتطلبات المرحلة الجديدة والعمل على تمين الوحدة الوطنية، بدأ الامين العام، ومعه اغلبية في مكتبه السياسي، بالضغط باتجاه فتح مسافة عن فتح تحت شعار القيادة السورية قادرة على شل عملنا واريakan في سوريا ولبنان. فهي بعد الدورة الثامنة عشرة، عطلت دور قيادة الجبهة، "قيادة فتح لم تلتقت لأوضاع الجبهة ولم تسهم في معالجة متطلبات تشردنا". كان الامين العام يعرف أكثر من سواه ان سوريا كانت ضد عقد دورة المجلس الوطني، وضد اتخاذ قرار فلسطيني بالاعلان عن قيام الدولة المستقلة، وضد كل القرارات السياسية التي اتخذها. وكان يدرك أن أعمال المجلس بمحصلتها الاجمالية أغضبت القيادة السورية، وزادت من عدوانيتها ضد أبو عمار ضد م.ت.ف.. كما أنها ربما غضبت عليه وعلى كل من وافق على قرارات المجلس الوطني. كما كان يدرك انهم سوف يميزون في المعاملة بين الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية، فهم يقبلون من قيادة الجبهة الشعبية ما يرفضونه من قيادة الجبهة الديمقراطية، هكذا فعلوا بعد دورة المجلس الثامنة عشرة التوحيدية، وهكذا توقع ان يفعلوا بعد دورة اعلان الاستقلال.

كانت ثقته بالانفاضة ضعيفة. وكان مقتنعاً بأن موازين القوى الدولية والإقليمية والمحلية لا تفرض على إسرائيل تقديم تنازلات أساسية لمنظمة التحرير. وكان يرى "أن انتزاع التنازلات من الجانب الإسرائيلي يحتاج إلى أحداث تغير جوهري في موازين القوى، وهذا الأمر غير مرئي في المدى المنظور"، وخصوصاً بعد اتفاقات كامب ديفيد، وهزيمة م.ت.ف. في بيروت، وفي مرحلة تراجع الحرب الباردة، وتوجه الوضع الدولي نحو الوفاق. كان يعتقد أن الانفاضة وحدها غير قادرة على تحقيق هذا التغيير، "ويجب عدم تحملها ما يفوق طاقتها حتى لا تنتكس الجماهير وتصاب باحباط شديد يؤثر على دورها النضالي لسنوات طويلة لاحقة". وكان يرغب في تقليد موقف قيادة الجبهة الشعبية في معارضة التوجهات السياسية، والبقاء في إطار م.ت.ف. والاستناد لموقف عربي. وبعد انتهاء أعمال المجلس الوطني، رفض الاستجابة لتمنيات بعض رفقاءه من قيادة الجبهة إلى جانب تمنيات أبو عمار وأبو أياد عليه بالبقاء في تونس، للمساعدة في العمل على نيل الاعتراف بدولة فلسطين. وشكك أمام رفقاءه في اقوال أبو عمار بأن فتح مستعدة لتقاسم لقمة العيش مع الجبهة، وأنها مستعدة لمشاركة في تحمل المسئولية عن المرحلة الجديدة كما تم تحملها في السابق، ومشاركة في رسم ادق تفاصيل الموقف الفلسطيني. وفضل السفر إلى دمشق مباشرة ليطلع اللجنة المركزية وكوادر الجبهة على مجريات الأمور في المجلس. ولبعلاج "تمرد" أعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي الذين وقفوا مع قرارات المجلس الفلسطيني، وخرجوا على إرادته وعلى قرارات اللجنة المركزية.⁽¹¹⁾ وأمام الحاج أبو عمار عليه للبقاء في تونس، وعده وعدا قاطعاً بالعودة سريعاً إلى تونس بعد انجاز بعض المهام التي لا يمكن تأجيلها، وكان واضحاً لجميع المطلعين على خلافات الجبهة الداخلية أن أمينها لن يعود لمشاركة في الورشة الوطنية ولا في تحمل المسئولية عن المرحلة الجديدة. رفض عملياً الاستماع لتمنيات قيادة فتح عليه بالبقاء في تونس، ورفض السماح لقول أبو عمار له: "المواقف الرفضاوية لا تليق بك ولا بأي من قيادة الجبهة الديمقراطية، فتح والديمقراطية كانوا دوماً حلفاء في إطار م.ت.ف. وسيبقون كذلك رغم انف السوريين وكل الحساد والعوازل الآخرين". أثر السفر سريعاً هربوا من الضغوط الوطنية، إذ لم يعد منسجماً مع رفقاءه أعضاء قيادة الجبهة وأصدقائه أبو أياد وأبو الهول وأبو مازن المقيمين في تونس. وكان يعتقد أن لديه ما هو اهم من البقاء في مركز القرار الفلسطيني في تونس بكثير. لدية ورشة داخلية صعبة ومعقدة جداً، وبخاصة معالجة الأزمة الداخلية التي عصفت بها رياح قوية من كل جانب، ومعالجة ردود الفعل السورية على موافقة الجبهة على كل قرارات المجلس. ورداً على المطالبة ببقاءه في تونس كان يقول "لو سلمنا جدلاً أن مركز ثقل الحركة السياسية والدبلوماسية الفلسطينية يتمركز الآن في تونس، فمجاورة ياسر عرفات ومرافقته في حركته السياسية

اليومية من أجل القضية لا يمكن تجิيرها لغيره، فلم مرافقته والتضخيه بمصالح الجبهة في أكثر من مكان".

بعد المجلس مباشرة، توجهت مع ياسر عبد ربه وجميل هلال وعصام عبد اللطيف وعد آخر قليل من اعضاء الجبهة "الاقلية" في المجلس الى تونس لمناقشة الخطوات الداخلية اللاحقة. وهناك عقدنا سلسلة لقاءات خاصة لا علاقة لها بالاطر الحزبية الرسمية للجبهة. وكان واضحنا ان انقسام الجبهة أصبح قدرا لا مفر منه. فالرفاق الآخرون لن يسكنوا على دورنا في المجلس، بل انهم عقدوا اجتماعاتهم الخاصة بهم، ولن يقبلوا بالحضور لتوجهات الاقلية التي انتصرت وطنيا. وسوريا لن توقف لعبها بالاوضاع الداخلية للجبهة قبل اتمام الانشقاق. بالمحصلة تم الاتفاق على متابعة المعركة الداخلية والشروع بإجراء الاتصالات واللقاءات الحزبية مع كوادر منظمات الجبهة داخل الوطن وخارجها، ودعوتها لحماية التوجهات الوطنية داخل الجبهة والدعوة لها خارجها. وجرى توزيع المهام القيادية الداخلية من جديد. واقتراح البعض التركيز على منظمة الجبهة في لبنان الى جانب الانتفاضة، ومحاولة استقطاب كوادرها العسكرية، باعتبار ان من لديه الامن والقوات بإمكانه حسم المعركة، تماما كما هو الحال في الانقلابات العسكرية في الدول العربية.

في حينه، لم اكن متحمسا لفكرة شق قوات الجبهة خشية دفع الرفاق الى سفك دماء بعضهم بعضا، ويسبب قناعتي بأن صوت الانتفاضة والداخل يجب ان يبقى مرتفعا لا يعلوه صوت آخر. كما ان مرحلة العمل العسكري الفلسطيني من الساحة اللبنانية قد انتهت الى اشعار آخر، اضافة الى ان عرق تيار الديموقراطية والتجديد "الاقلية" في الرمال اللبنانية يشغله عن توجهاته الوطنية والداخلية، ويبقى تحت تأثير الموقف السوري.

في ذلك الاجتماع، حاولت تخفيف اندفاع بعض الرفاق باتجاه الانشقاق. فالازمة الفكرية السياسية التنظيمية عامة وتشمل الجميع، والحركة الوطنية في الخارج دخلت بعد الخروج من بيروت مرحلة تراجع وهبوط، وهذا التراجع لا يساعد على نمو فصائل جديدة خرجت من رحم القديمة. وتفتت بتوجهات رموز الاقلية دون استثناء كرواد حركة جماهيرية ديمقراطية كانت ضعيفة. والانسان لا يتخلى عن جلده؛ تحليلاتهم وموافقهم السياسية صحيحة، لكنهم من حيث السلوك الديمقراطي قد لا يختلفون كثيرا عن الرفاق الآخرين، حتى وان تباينت الاطروحات داخل المجتمعات الحزبية الموسعة. واندفاعهم وبخاصة ياسر عبد ربه باتجاه الانشقاق لا يخلو من الذاتية. خصوصا وانه تعرض لحملة تشويه داخلية ظالمة من الامين العام واعضاء في المكتب السياسي، فأغلبية المكتب السياسي حاولت انتزاع قرار داخلي حزبي بتبديل مهامه وانهاء عضويته في اللجنة التنفيذية، بما يعني

تجريده من مناصبه الوطنية ونقل مركز عمله من تونس الى دمشق، دون مراعاة امنه الشخصي، وتغيير مهمته من مجال العمل في اطر المنظمة وفي العلاقات الوطنية الى مهام ذات طابع حزبي داخلي، لا جد له عليها.

في حينه، لم أفقد الامل نهائيا، ورأيت في تصويت الأمين ومن معه من الاغلبية مع قرارات المجلس الوطني، كافيا لان يكن حافزا لمحاولة بذل جهد اضافي للمحافظة على وحدة الجبهة، حتى لو كان تصويت الرفاق قد تم تحت ضغط داخلي وخارجي. فانقسام الجبهة يدمّرها واوضاع الحركة الشعبية الفلسطينية لم تعد تستوعب انشقاقات اضافية او تشكل فصائل جديدة. وانقسامها يؤثر على اوضاع الانتفاضة لا سيما وان دور كوادرها وقواعدها اساسي في اطر الانتفاضة، وبخاصة اطار "قاوم" القيادة الوطنية الموحدة. كما ان انشقاقها يضعف قوة اندفاع منظمة التحرير على الطريق الواقعي الذي شقته قرارات دورة المجلس الوطني، ويشوش الوحدة الوطنية المطلوبة، ويشغل قيادة منظمة التحرير، في اخرج الاوقات، في قضايا داخلية فرعية.

الى ذلك، لم افقد الامل في ان تركيز الشغل على تغيير موقف الأمين العام مفيد ومنتج، خصوصا انه كان متربدا، وموافقه المعلنة تختلف عن قناعاته ورغباته المضمرة. فمعارضته للتوجهات الوطنية الجديدة ليست مبدئية، وليس مستحيلا اقناعه بان مواصلة العمل المشترك مع قيادة فتح في مرحلة الانتفاضة يقوى مواقف الجبهة الفلسطينية وعربها، وان الابتعاد عنها والخروج من قيادة منظمة التحرير يجعلها رهينة بيد القيادة السورية واجهزتها الامنية، مما يفقده دوره الشخصي المميز ويجرده من نكهة الوطنية الفلسطينية، و يجعله واحدا من طابور طويل عريض يقيم في دمشق ويسعى الى كسب ود القيادة السورية. وهو يدرك اكثر من سواه ان بإمكان الجبهة الحد من ابتزازات أبو عمار بواسطة العلاقة الخاصة مع ابو اياد وابو مازن وابو الهول وابو ماهر وابو اللطف. وابتزازه في كل الاحوال لا يمثل خطرا على مستقبل الجبهة وموقعها وسمعتها الوطنية والعربية والدولية، واقل ضررا من الناحيتين الوطنية والحزبية من ضرر الخضوع للابتزاز السوري.

وحواتمة الامين العام يدرك، كما سواه، من قادة م.ت.ف. ان بإمكان الانتفاضة، مسندة بالخط السياسي الواقعي الذي اقره المجلس الوطني، تحقيق بعض اهداف الشعب الفلسطيني في مرحلة الوفاق الدولي، حتى لو كانت موارizen القوى المحلية والاقليمية مختلفة لصالح اسرائيل، وكانت الاوضاع الدولية ليست كما يشهيها الفلسطينيون. وهو يعرف ان رغبة الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوروبية في حماية مصالحها في المنطقة وتوسيعها يدفعها للعمل على خلق نوع من الاستقرار فيها. وجميع القوى الدولية

الكبرى تسلم بصيغة واخرى بان صنع الاستقرار في المنطقة يتطلب العمل بصورة جدية على استكمال معالجة النزاع العربي الاسرائيلي على غرار ما تم مع مصر، واسكات الفلسطينيين وارضائهم بصيغة واخرى.

وكلت واثقا ايضا من ان خروج الرفيق الامين العام من دمشق ونقل مقر اقامته الى تونس يكتيان لاحادث تغير كامل في موقفه. فوجوده في سوريا يقيد حركته ويحد من تفكيره الحر والمستقل. وتحقيق خطوة الانتقال ليست مستحيلة، وشرطها الاول اقناعه "بالملموس" بأن دوره القيادي سوف يعزز وطنيا في حال اقامته في مركز القرار الفلسطيني بتونس، وان أبو عمار بحاجة اليه ولن "يتقطع" فيه كما يعتقد، وان المحافظة على تمايز موقفه وموقف الجبهة عن فتح ممكنا. ونقل مقر الجبهة من دمشق الى تونس يتطلب، ضمن امور اخرى، التفاهم مع أبو عمار وقيادة فتح، حول تقديم دفعة مالية "حرزانة"، وتوفير مقر مناسب للامين العام، وتعيين عدد من كوادر الجبهة في سفارات دولة فلسطين، ودفعها لتفطية المتطلبات المالية التي ستترتب على نقل مركز قيادة الجبهة من دمشق الى تونس. فانتقاله يعني نقل بعض مئات من الكوادر المدنية والعسكرية مع عائلاتهم من سوريا ولبنان وتوطينهم في تونس وعدد من الدول العربية الأخرى. وکنت شبه واثق من ان أبو عمار وقيادة فتح سوف يوفرون معظم المطلوب، وسوف يتعاملون مع حواتمة بطريقة لائقة ترضيه ويقدرون له موقفه ولجبهة دورها التاريخي. فأبو عمار وأبو اياد وأبو ماهر غنيم وأبو الهول قالوا اكثر من مرة، "احرصوا على وحدة جبئتكم فوحدتها ضرورة وطنية، واحذروا من اشغال الاوضاع الفلسطينية في هذه المرحلة في صراعاتكم الداخلية حتى لو كانت ابعادها وطنية". صحيح ان قيادة فتح قالت لرموز التيار الديمقراطي كونوا على ثقة بأننا لن نتخلى عنكم، وان أبو عمار اكد بأن الدعم المالي للجبهة سوف يستمر تقديره عبر القناة المعتمدة سابقا اي ياسر عبد ربه، الا ان اتهام رموز التيار الديمقراطي من قبل الاغلبية بالعرفاتيين والاتحاقي بفتح كان فيه ظلم للاقلية، وفيه تحن على الحقيقة التاريخية. وقد جاء في حينه في سياق الصراع الداخلي وفي اطار المعركة الاعلامية الطاحنة وغير النزيهة وغير الشريفة التي خاضها طرفا الجبهة بعضهما ضد بعض. والشيء ذاته ينطبق على اتهام قيادة فتح وبخاصة ياسر عرفات بأنه اشتغل على شق وحدة الجبهة الديمocrاطية. وبال مقابل فإن اتهام الاقلية للاغلبية لكل في بعض مراحل الصراع بالعملية الديمocrاطية، كان فيه تطير ومبالفة افرزتها مجريات الصراع الداخلي. لصالح الاجهزة في سوريا، كان فيه تطير ومبالفة افرزتها مجريات الصراع الداخلي. وحرص اغلبية المكتب السياسي على مجازاة الموقف السوري على حساب الموقف الوطني السليم تم في حينه بناء على حسابات خاطئة، ونتيجة حتمية لتركيبة قيادة الجبهة وتعقد مسيرة النضال الوطني بصورة عامة في تلك المرحلة. فازمة الجبهة جزء من ازمة الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد استقطعت واتضحت عناصرها بعد تخلف قيادتها عن

استيعاب المهام السياسية الوطنية الجديدة، وعن ادراك ما تملية مرحلة الانتفاضة من دور جديد للتنظيم ككل في الداخل والخارج، وترددتها في تبني توجهات وطنية تعزز دورها الوطني، وأصرارها على اعطاء افضلية مطلقة في رسم توجهاتها السياسية لمسألة استقرار مركزها القيادي في دمشق وعدم تعرضه للخطر. وانفجار اوضاع الجبهة الديمقراطية لم يكن سوى "تنفسة" مدوية لاحتقان اوضاع النظام السياسي الفلسطيني بأزمات فكرية وسياسية وتنظيمية معقدة.

نتائج المجلس الوطني خلقت الاوراق الفلسطينية

رغم تعيب الامناء العامين للفصائل عن مركز القرار الفلسطيني في تونس، وعدم مشاركتهم في الجهود المبذولة من أجل انتزاع الاعتراف بدولة فلسطين، فإن ورشة العمل على محور "الاعتراف بدولة فلسطين" اشتغلت ماكينتها السياسية والاعلامية بصورة جيدة، وباتت حركتها شبه اوتوماتيكية وبدأت تعطي ثمارها. فقد توالت بعد أيام قليلة من انتهاء أعمال المجلس اعترافات دول العالم بدولة فلسطين بتسارع كبير. الجميع ترقب الاذاعات، الشعب وقيادات التنظيمات وكوادرها،تابعوا الموضوع ساعة بساعة، والكل كان يعد ويحصي يومياً عدد الدول التي اعلنت اعترافها بدولة فلسطين؛ خمسة، عشرة، عشرين، ثلاثين.. الخ، كافة الدول العربية اعترفت بالدولة الفلسطينية باستثناء سوريا ومعها لبنان. ومعظم اعضاء القيادة الفلسطينية اعتبروا اعتراف الحكومة الاردنية السريع بالدولة الفلسطينية والاعلان عن فتح سفارة رسمية لها في عمان، تكريساً نهائياً لفك الارتباط بين الضفتين الذي اعلنه الملك حسين اواخر تموز/يوليو ١٩٨٨، ونهائية رسمية لخيار إعادة إلحاق الضفة الغربية بالأردن. وقد كان في هذا الاعتراف تسليماً نهائياً من القيادة الاردنية بحق منظمة التحرير الفلسطينية في السيادة على الضفة الغربية وسائر الاراضي الفلسطينية المحتلة، وفي التفاوض على مستقبلها. في حينه، قال أبو عمرا: "لاتسرعوا.. فك الارتباط، يا اخوان، لا يهمني، المهم تراجع الاردن عن خيار الضم والالحاق، ويريد، هذه المرة، باشكال جديدة وان يأتي منكم مثلماً تم بعد النكبة عام ١٩٤٨". وأشار الى ان الدولة الفلسطينية لا تزال مرفوضة امريكياً واسرائيلياً، وان الاردن خرج من الباب وقد يعود بمساعدة الآخرين من الشباك، وذكر المجتمعين ان الامريكان كانوا يقولون دائمآ: لا أحد من العرب يتتحدث عن دولة فلسطينية. الى ذلك، اعتبرت القيادة، في حينه، الاعتراف المصري بالدولة الفلسطينية يوم ٢١/١١/١٩٨٨، وفتح سفارة فلسطين في القاهرة، رغم الاحتجاج الاسرائيلي، التزاماً مصرياً من حيث المبدأ بالتخلي عن الشق الفلسطيني من اتفاقيات كامب ديفيد. وكان هناك اجماع على ان لا اطماء مصرية في الارض الفلسطينية، مصر لديها اراضي شاسعة، وفاض بشرى، ومصالحها المصرية العليا تصب باتجاه قيام دولة فلسطينية مجاورة لها، تفصلها عن اسرائيل.

وبجانب العرب، اعترفت معظم الدول الاسلامية ودول عدم الانحياز بالدولة الفلسطينية، باستثناء الذين اضطروا الى مجازة الموقف الامريكي. وحتى يوم ٢٥/١١/١٩٨٨، اعترفت ٥٢ دولة بدولة فلسطين. ورحب الاتحاد السوفييتي بالنتائج والقرارات السياسية للمجلس الوطني، لكنه لم يكن متاحماً للاعتراف بدولة على الورق ولا تمارس سيادة على أرضها. وراح يبحث عن صيغة قانونية تمكّنها من تطوير مستوى العلاقات الدبلوماسية الرسمية مع المنظمة، والاعتراف بدولة فلسطين. ورفع لاحقاً من مستوى ممثليّة م.ت.ف. في موسكو. لكنه لم يرم بثقله بشكل مكشوف بجانب م.ت.ف. في معركة انتزاع الاعتراف. واكتفى بالإيعاز لحفاته في دول حلف وارسو بتطوير علاقاتهم الدبلوماسية مع المنظمة والاعتراف بدولة فلسطين. وتحاشى التصادم المباشر مع الإدارة الأمريكية حول الموضوع في وقت كانت أجواء الحرب الباردة بينهما في انحسار. وكان الميل المشترك نحو حل النزاعات الإقليمية بالوسائل السلمية، هو الصادع في العلاقة بين المعسكرين. وفي ٩/١٢/١٩٨٨ ارسلت القيادة السوفييتية رسالة الى أبو عمار، أكدت فيها دعمها للموقف الفلسطيني، وأشارت الى ان المؤتمر الدولي يبقى الصيغة الأفضل لمعالجة الصراع العربي الفلسطيني - الإسرائيلي.

وفي ١٢/١١/١٩٨٨ اعلن الرئيس ريفان ان الحكومة الامريكية على استعداد للالجتماع مع عرفات عندما يتضح بشكل قاطع ان عرفات مستعد للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود كدولة والتفاوض معها باسم الفلسطينيين على هذا الاساس. معظم الدول الاوروبية لم تعرف، في البداية، رسمياً بالدولة الفلسطينية، وواجه بعضها اشكالات قانونية حقيقة تتعلق بالاعتراف بحركة وطنية تحريرية كدولة لا حكومة لها. لكنها جميعها قررت للقيادة الفلسطينية خطواتها السياسية الواقعية الجديدة، وارضتها برفع المستوى التمثيلي الاعتباري لمنظمة التحرير في بلدانها. واعلنت الحكومة البريطانية يوم ١٨/١١/١٩٨٨ انها تقيّم الموقف الفلسطيني ايجاباً. وراح بعضها يتعامل مع ممثلي المنظمة كما يتعامل رسمياً مع سفراء الدول الأخرى. ونشّطت جهودها، وبخاصة فرنسا، باتجاه عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط، تحضره الدول الكبرى، وجميع اطراف الصراع في المنطقة وضمنهم منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٨، اصدرت الامم المتحدة قراراً جديداً حول القضية الفلسطينية حمل الاول الرقم ٤٣/١٧٦، دعت فيه الى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط بمشاركة م.ت.ف. على قدم المساواة مع الاطراف الأخرى. وقرر مجلس الامن ان يستعمل اسم فلسطين اعتباراً من ١٥ كانون الاول/ديسمبر بدلاً من م.ت.ف.، دون المساس بمركز المراقب للمنظمة ووظائفها في منظمة الامم المتحدة. وبهذين القرارات تعزّزت مكانة م.ت.ف. وارتقت اسهم مشاركتها في المؤتمر الدولي حسب قرار الجمعية

العامة، الذي صدر في تشرين الأول/نوفمبر ١٩٨٨ بأغلبية ١٣٨ صوتا، بما فيها اصوات جميع الدول الأوروبية، ودعا إلى عقد المؤتمر الدولي بمشاركة م.ت.ف.، ووفق صيغة تقترب إلى حد كبير من الاسس التي تبنّاها المجلس الوطني الفلسطيني.

وخلال الفترة ذاتها، اتخذ البرلمان الأوروبي قرارا رسميا دعا فيه حكومات الدول الأوروبية للاعتراف بمنظمة التحرير باعتبارها حكومة مؤقتة. وأعلنت الحكومة اليونانية عن استعدادها للاعتراف الكامل بدولة فلسطين. ووجه الرئيس الفرنسي مitterrand دعوة رسمية إلى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لزيارة فرنسا، وهناك تم التعامل معه كما يعامل رؤساء الدول، ومد له البساط الأحمر، وعزفت له الموسيقى النشيدان الفلسطينيين والفرنسي.

أثار هذا الاعتراف الواسع بدولة فلسطين، جزئياً مسألة رئيس الدولة الفلسطينية، ومسألة تقبل أوراق السفراء المعتمدين لدى دولة فلسطين. إلا أن هذا الموضوع لم يطرح لاحقا على أيٍ من الهيئات الفلسطينية بصورة رسمية. فالجميع بما في ذلك أبو عمار كان يرى أن هذا الأمر ليس ملحاً. لا داعي للسرع، دول العالم تعاطت مع الوضع الفلسطيني كما هو، وهناك أمور كثيرة يجب إنجازها قبل التفكير في مسألة الرئيس. هكذا كان رد أبو عمار المعلن على كل من أثار الموضوع. وكان جوابه مقنعاً خصوصاً وأن نسبة كبيرة من دول العالم اعترفت بدولة فلسطين، وأرضها محظلة ورئيسها غير موجود من الناحتين القانونية والرسمية. ومعظم من اعترف بها تعامل مع أبو عمار، رئيس اللجنة التنفيذية، رئيس دولة. واستقبل أبو عمار في دول كثيرة كما يستقبل رؤساء الدول. وخرج لاستقباله رؤساء دول، وأصططط لتحيته حرس الشرف على أراضي أكثر من مطار. وعزفت له الفرق الموسيقية النشيد الوطني الفلسطيني إلى جانب النشيد الوطني للدولة المضيفة. ومد له البساط الأحمر على أراضي العديد من دول العالم قبل الإعلان عن قيام دولة فلسطين وقبل أن ينتخب رئيساً لها.

في الأسبوع الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨، وجه ستيف أندريسن وزير خارجية السويد دعوة لرئيس اللجنة التنفيذية. في حينه لم يلتقي أبو عمار بمن سيصطحبهم معه، فالزيارة خاطفة، واللقاء مع ممثلي المنظمات اليهودية الأمريكية، برئاسة ريتا هاوزر، لا يستحق مجرد التداول فيه. أنه أقرب إلى ندوة لمدة ساعة أو ساعتين، والمؤتمر الصحفي الذي سيعقده أبو عمار في ستوكهولم أهم من اللقاء. في اللقاء مع ريتا هاوزر وجماعتها تعرض أبو عمار لاستئذنة استفزازية، حول الإرهاب ورئيس دولة فلسطين والعلاقة مع إسرائيل. في حينه أجاب على بعض الأسئلة، وغادر القاعة وترك ياسر عبد ربه ومحمد درويش يتعاركاً مع أعضاء المنظمات الصهيونية الأمريكية. وفي يوم ١٢/٨/١٩٨٨

صدر بيان مشترك عن اللقاء، وقال أربعة من الوفد اليهودي، إن وزير الخارجية الأمريكية شولتس على علم مسبق باللقاء ويسودة الوثيقة التي تم خضت عنه.

مساء يوم وصوله، ٦/١٢/١٩٨٨، التقى أبو عمار مع اندرسون. وخلال الاجتماع نقل اندرسون عرضاً أمريكياً لحوار فلسطيني - أمريكي مباشر بشروط، منها اعتراف المنظمة بحق إسرائيل في الوجود، ونبذ وادانة الإرهاب. في حينه، فوجئ ياسر عبد ربه ومحمد درويش المرافقين لابي عمار بالعرض. وبعد قراءته، أدخل أبو عمار والوفد المرافق له تعديلات عليه.^(١٧) وأضافوا بخط ياسر عبد ربه إلى تعريف منظمة التحرير، جملة تقول: "يوصفها القائمة بدور الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين". وفي موضع آخر أضافوا "في إطار المؤتمر الدولي". وارسلونصه إلى تونس لعرضه على القيادة الفلسطينية لمناقشته، ونقله إلى الرفاق السوفيت وأخذ رأيهم فيه. وبالرغم من أن الوقت تجاوز منتصف الليل عقد المتواجدون من أعضاء القيادة الفلسطينية اجتماعاً طارئاً في منزل محمود عباس أبو مازن، وجرت مكالمة هاتفية مطولة بين تونس وستكهولم، نوقشت فيها الملاحظات وتم استخلاص بعض النقاط الواردة في المشروع. واستدعي القائم بأعمال السفارة السوفيتية في تونس تيغران والمعتمد كممثل لدى م.ت.ف.، وكان هناك ميل لتأجيل الجواب إلى ما بعد عودة الوفد. وترك لأبو عمار والوفد المرافق حرية التصرف حسب قناعتهم والظروف المحيطة بهم في ستكهولم.

في حينه، وانسجاماً مع قناعتي، بشأن الشغل لكسب الأمين العام للجبهة نايف حواتمة لجانب التوجهات الجديدة، أرسلت مسودة نص المشروع للمكتب السياسي في دمشق، وقلت: الموضوع مازال قيد الدراسة واكدت على سرية الموضوع، معتقداً بأن ارساله سوف يساعد في تحقيف حدة التوتر داخل المكتب السياسي ويرطب الأجواء المتوترة بين أعضائه. إلا أن أمين عام الجبهة سارع إلى كشفه، وتعمد توزيعه على الصحافة ووكالات الانباء، وادان وجود ياسر عبد ربه ضمن الوفد الفلسطيني، دون قرار مسبق من المكتب السياسي للجبهة. وتسبب سلوك الأمين العام بإحراج شديد لياسر عبد ربه ولبي في إطار القيادة الفلسطينية والهيئات الوطنية الأخرى التي تعمل فيها. ولم يتزدد بعضهم في طرح الموضوع بصورة رسمية. وتصعدت حدة الخلاف داخل الجبهة، حيث اعتبرت أغلبية المكتب السياسي ما جاء في المشروع السويدي - الأمريكي خروجاً خطيراً على قرارات المجلس الوطني قبل أن يجف مدادها. وندمت ندماً شديداً على تسرعي بإرسال المشروع إلى دمشق، وقررت وقف الاتصال مع المكتب السياسي، وعدم ارسال أي اوراق أو معلومات فلسطينية رسمية.

إلى ذلك، دخلت الساحة الفلسطينية في صراع جديد حول المشروع الأمريكي الخاص ببدء الحوار مع م.ت.ف. وبعد عودة الوفد إلى تونس دافع أبو عمار في اجتماعات القيادة

الفلسطينية عن موافقه المبدئية على نبذ العنف وادانة الارهاب الواردة في العرض. وفي اجتماعات القيادة قال أبو عمار: "بالله عليكم قولوا لي ما الفرق بين ما يطلب مني الآن وما قلته في اعلان القاهرة عام ١٩٨٥ في حينه قلت ما قلته ولم يكن لدينا اتفاقية، ولم نكن بحاجة ماسة لحماية شعبنا من بطش الاحتلال كما نحن الآن".

لاحقاً، مهدت وساطة اندرسون لحوار فلسطيني - امريكي، كما سيتضح لاحقاً، وعقدت جلسته بعد شهر واحد (١٢/١٨/١٩٨٨) من انتهاء دورة المجلس الوطني ومن اطلاق مبادرة السلام الفلسطينية. في حينه فوجئت معظم الدول العربية وصدمت المعارضة الفلسطينية وكل من عارض قرارات المجلس الوطني، وضمهم "أغلبية" قيادة الجبهة الديمقراطية، بالتفاعل الدولي السريع مع التوجهات الفلسطينية. وفوجئت بال موقف الامريكي الجديد وبإقدام عدد من دول العالم على تطوير موقفها وعلاقتها بمنظمة التحرير، وبعد الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية، والذي بلغ حتى اواخر كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٨ اقربة ٨٥ دولة، وكما فوجئت بالاعتراف العربي شبه الشامل بالدولة الفلسطينية المستقلة حيث اعتقدت اغلبيتها ان الاعتراف بالدولة الفلسطينية سوف يكون موضع خلاف عربي واسع. وراح بعضها يتحدث عن سيناريوهات لشطب القضية الفلسطينية على يد قيادة م.ت.ف. وعن تورط اليمين الفلسطيني في المؤامرة المزعومة.^(١٦) وكالعادة، لم تعرف هذه القوى الفلسطينية، بخطأ تقييراتها السياسية السابقة، وخصوصاً قولها ان مبادرة السلام ستشق وحدة الموقف العربي التي برزت في قمة الجزائر، وتتحقق اضراراً واسعة بالتضامن العربي مع الانتفاضة.

الى ذلك، بقي الشارع العربي مشدوداً للانتفاضة، واستقرت مساندته عند حدود تقديم المادي والمعني لها. ووقعت صراعات بين المنظمة وبعض لجان دعم واستناد الانتفاضة التي تم تشكيلها في عدد من الدول العربية.^(١٤) ورفض بعض هذه اللجان تقديم الدعم المالي عبر م.ت.ف.. بل فتح قنوات مباشرة مع اطر ولجان الانتفاضة من خلف ظهر م.ت.ف. ومع المؤسسات والجمعيات الخيرية والاجتماعية التي تشكلت على مستوى المدن. وغابت اشكال الاستناد والتضامن من الشوارع العربية، وتحولت المظاهرات الى مهرجانات وندوات مقلصة وموسعة لجمع التبرعات وتأكيد الدعم والاستناد المعنوي. وتحولت الاعتصامات امام المؤسسات الدولية وفي المساجد والساحات العامة والجامعات الى رفع عرائض ومؤذنات احتجاجية. وظهر للقوى الدولية سيطرة النظام الرسمي العربي على حركة الشارع وقدرته على التحكم فيها وتوجيهها، وتقلصت مخاوف القوى الدولية والاقليمية من وقوع انفجارات شعبية واسعة في بعض زوايا المنطقة العربية ضد المصالح الأمريكية والأوروبية.

في تلك الفترة، اربكت القيادة الاسرائيلية وذهلت من تسارع التطورات لصالح م.ت.ف.

وخصوصاً تراجع صورتها كمنظمة ارهابية. وفقدت اسرائيل زمام المبادرة في الحركة السياسية على الصعيد الدولي وتعرضت لضغوط متواصلة داخل مؤسسات الأمم المتحدة. وحاولت القيام بحملة دبلوماسية وسياسية مضادة، وعملت أجهزتها الاعلامية والدبلوماسية على مقاومة التيار الدولي المساند للحقوق الفلسطينية ولمطالب الانتفاضة، إلا أنها لم تفلج في التأثير فيه. بل أنه بدأ بالتأثير، أكثر فأكثر، داخل المجتمع الإسرائيلي. وبدأت أصوات إسرائيلية وازنة في الشارع وفي أوساط الأجهزة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، تتحدث عن استحالة القضاء على الانتفاضة بالقوة والارهاب. وأعلنت المخابرات الإسرائيلية في ١٢/١٢/١٩٨٨ تقييمها الإيجابي لقرارات دور المجلس الوطني، وأكدت أن الوسائل العسكرية، غير كافية وحدها لاخماد الانتفاضة. ورفض رئيس الحكومة الإسرائيلية شامير هذا الاستخلاص، واستنكر صدور تصريحات سياسية عن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية.

وأكثر الحديث في إسرائيل عن الخسائر الاقتصادية والسياسية والمعنوية الكبيرة التي تلتها الانتفاضة ومت.ف.إ.إ.إ.إ. ووقدت تصدعات سياسية داخل الحزبين الكبارين في إسرائيل، العمل والليكود، واستقال موشي عمירاف من مركز تجمع الليكود، وخرج شلومو لاهط رئيس بلدية تل أبيب، عضو الحزب الليبرالي المنضوي في إطار الليكود، عن سياسة حزبه، وطالب علينا بالانسحاب بسرعة من المناطق الفلسطينية وتسليمها إلى الأردن. واستشهد البعض بدعوة كيسنجر حكومة إسرائيل إلى الانسحاب الفوري من قطاع غزة، والانسحاب من محيط مدينة نابلس في الضفة الغربية. واحتدم الصراع داخل حزب العمل بين معسكري الحمائم والصقور، وطالب انصار الأول بإخلاء معظم المناطق الفلسطينية المحتلة والتفاوض مع قيادة مت.ف. ودفعت الانتفاضة عبد الوهاب دراوشه عضو الكنيست إلى الخروج من حزب العمل وتشكيل حزب عربي جديد سمى الحزب العربي الديمقراطي^(١٠).

في حينه، لم تذعن الحكومة الإسرائيلية للضغط الدولي، ولم تستمع للآصوات الإسرائيلية العقلانية. إلى ذلك، تأججت الانتفاضة في كل أنحاء الضفة والقطاع ولم تتوقف احتفالات الشعب الفلسطيني داخل وخارج الأرض المحتلة فرحاً بقيام دولة فلسطين، وبرزت في الاحتفالات مظاهر عسکرة الانتفاضة، حيث خرج المسلحون بأعداد كبيرة إلى الشوارع، وظهر المطاردون والملتهمون whom يحملون الأسلحة. وصدت الحكومة الإسرائيلية من إجراءاتها القمعية ضد الانتفاضة باعتبارها سبب كل التطورات وكل الخسائر. وقامت بحملة ابعد جديدة لنশطاء الانتفاضة، ولجأت إلى معاقبة الناس بنصف أعداد كبيرة من بيوتهم. وزجت كل من طالته يدها من الشيوخ والشبان والأطفال في السجون، ونفذت أشكالاً متنوعة من العقوبات الجماعية ضد أهالي القرى والمخيימות وضد التجار، وفرضت

على الكثير منهم غرامات مالية عالية. ولجأت إلى زيادة أيام وساعات حظر التجول، وعمدت إلى إغلاق المدارس والجامعات، وقطع الأشجار وإتلاف محاصيل الكثير من الفلاحين. وأعلنت أوامرها الصريحة لجنودها باستخدام الرصاص الحي ضد المتضيّفين، على أمل النجاح في ضرب الرئبة التي تغذى المولود الفلسطيني "الدولة الفلسطينية" باكسيد الحياة. وارتقت نسبه الخسائر البشرية في صفوف المواطنين، وأزدادت جنائزات التشيع ومجالس العزاء بالشهداء في كل مكان، ومع ازديادها كان لهيب الانتفاضة يزداد ويرتفع أكثر فأكثر.

ومع اقتراب الذكرى الأولى لانطلاقة الانتفاضة وذكرى سقوط الشهداء واحتفالات الفصائل بمناسباتها الخاصة من جديد، اندفعت الجماهير في مقاومتها للاحتلال، ورفعت من مستوى تحديها لقواته رغم غياب أعداد كبيرة من كوادرها الأساسية في السجون، واستمرت في مقاطعة المنتوجات الإسرائيليّة. وتطورت أشكال التضامن الاجتماعي، وتوسعت ظاهرة التكافل الاسري في الداخل، وبين أسر كثيرة في الخارج مع أخرى في الداخل. ورفعت م.ت.ف. من مستوى انفاقها ودعمها المادي والتمويلاني لأطر الانتفاضة وللناس العاديين.⁽¹¹⁾ وتم الاتفاق مع وكالة غوث اللاجئين "الأونروا" على زيادة موازنتها المخصصة لاغاثة وتشغيل اللاجئين. وانهالت التبرعات المالية والعينية للاحتفاضة من داخل الخط الأخضر، وظلت توظف في معالجة القضايا الطارئة، ولم تستثمر في نهوض مبرمج لبنية الاقتصاد الوطني. وعممت القيادة الوطنية الموحدة "قاوم" صيغة المجالس الموحدة لشتى قطاعات المجتمع الفلسطيني. وظهر تنافس قوي بين منظمة التحرير وحركة حماس في الشارع وفي أكثر من مجال، ومن ضمن ذلك تقديم الخدمات والمساعدات الإنسانية للمواطنين.

إلى ذلك، بقيت حركة حماس خارج القيادة الوطنية الموحدة، وصعدت نضالاتها المستقلة ضد الاحتلال ووطلت مواقعها في الشارع الفلسطيني. وكرست حركة حماس ذاتها جهة سياسة وقوة مناضلة مقررة في اوضاع الانتفاضة ونشاطاتها ضد الاحتلال بموازاة منظمة التحرير. وراحت تطرح برامج نشاطات وأضرابات موازية للبرامج المطروحة من قبل القيادة الوطنية الموحدة، مواعيد شهرية للاضرابات الشاملة خاصة بها، ونجحت في فرضها على الشارع، ولم تتوان في البداية من فرضها بالأكراه. وبدأ التنافس التنظيمي والتباين السياسي يظهران بين القرى والفصائل المنتسبة للمنظمة. وتكتلت القوى العلمانية المعارضة لمبادرة السلام الفلسطينيّة في مواجهة المؤيدة لها، وتقررت من حركة حماس. ولم تلتزم الفصائل والقوى الوطنية والإسلامية بشعار الانتفاضة "لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة". ولم تستطع إبقاء الانتفاضة والمصالح العليا للشعب خارج صراعاتها التنظيمية والعقائدية والسياسية. كما لم تستطع المحافظة على طابعها

الجماهيري. واشتد الصراع بين المنظمة والتيار الإسلامي وأخذ أحياناً أشكالاً عنفية، بما في ذلك استخدام الأسلحة. وعملت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية على تصعيده بأساليب استخبارية متنوعة. واندفعت قيادة م.ت.ف. وبخاصة فتح نحو توجيه كواذرها لغزو اللجان الشعبية المستقلة التي بنتها الانتفاضة، وعززت سيطرتها على إطارها القيادي على حساب الكوادر والشخصيات الوطنية المستقلة، وزادت من تدخلها في عمل القيادة الوطنية الموحدة، بما في ذلك الزامها بانتظار مصادقة لجنة العمل اليومي للانتفاضة المقيمة في تونس على بياناتها الدورية، والزامها بإعادة صياغة البيانات وفقاً للتعدیلات التي تصلها من الخارج.^(١٧) وكثيراً ما تسببت هذه التدخلات في إشكالات داخل القيادة الموحدة واطرها الفرعية. وصدرت عدة طبعات من البيان الواحد تحمل صياغة متباعدة اربكت حركة الشارع وقلصت تفاعله معها. ولم تساهم تلك التدخلات والخلافات في تطوير الدور القيادي للقيادة الموحدة، وبقيت تكرر صيغة بيانها الدوري.

وزادت مظاهر عسكرة الانتفاضة أكثر فأكثر، وغدت الانتفاضة "الذراع العسكري الضارب" لمنظمة التحرير. واتسعت ظاهرة الملثمين وزادت الاشكال ذات البعد التصادمي العنيف مع قوات الاحتلال. وكثرت عمليات اعدام العمالء والتحقيق مع المشبوهين بأساليب بعضها اقرب للأساليب الفاشية، وأخذت محل مكان اساليب التوبية والتشهير والعزل الاجتماعي والدرج في العقوبات التي اتبعتها الانتفاضة في بداية انطلاقتها. وألحق تكرر وقوع الاخطاء الكبيرة والمتنوعة اضراراً بسمعة الانتفاضة داخلياً وخارجياً. وبدأت ظواهر القلق على الانتفاضة والخوف من بعض الممارسات الطائشة تنتشر في صفوف المواطنين. ونفرت اوساط شعبية واسعة وشخصيات وطنية وازنة من الانتفاضة، ودفعت بعضها للاستكفار عن العمل في اطرها، والمشاركة في فعالياتها النضالية وخصوصاً التي يظهر فيها السلاح بكثرة.

وبجانب المواقف والممارسات الخاطئة، لم تستطع فصائل م.ت.ف. إبقاء الانتفاضة واطرها القيادية في منأى عن خلافاتها السياسية التي ظهرت في المجلس الوطني الفلسطيني، ولم تبن الاسس الكافية بإشراك الداخل في صناعة القرارات الوطنية الأساسية وتسوية الخلافات الطارئة. وحاولت قيادتا الجبهتين الشعبية والديمقراطية دفع أنصارهما وأعضائهما لاتخاذ مواقف باسم "قاوم" تعبر عن وجهات نظرهما الخاصة مقابل التوجيهات التي فرضها أبو عمار على الانتفاضة من خلال اللجنة العليا للانتفاضة، ولجانها الفرعية المقيمة في القاهرة وعمان، والأطر الفتحاوية في الضفة الغربية والقطاع. وبقي حديث قيادة م.ت.ف. وكل قيادات القوى الوطنية والإسلامية عن بناء مؤسسات الدولة على الأرض معلقاً في الهواء. ولم تنجح القيادة في تحويل الأطر القديمة والجديدة إلى مؤسسات وطنية ثابتة وقابلة للنمو والتطور. أما حديثها عن الوحدة الوطنية، والهتاف

"وحدة وحدة حتى النصر" فقد تحولت الى شعارات فصائلية لم يتم تطبيقها في العلاقات الوطنية. وكانت المشاحنات السياسية والتنظيمية المتواصلة تبين للجماهير ما هو عكسها، وتبث في صفوفها بعض القلق حول العلاقات بين الفصائل وحول مستقبل الانقسامية ومصير التضحيات الكبيرة والثمينة التي قدمتها.

إلى ذلك، توالي الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية. وبعد الحصول على اعتراف عدد كبير من دول العالم، تعززت المكانة السياسية لمنظمة التحرير أكثر فأكثر، وزال القلق الفلسطيني الشعبي والرسمي حول الاعتراف بالدولة الفلسطينية، ولم يعد أي من القيادات الفلسطينية يتبع الموضوع. فاعتراف قرابة ٩٥ دولة بالدولة الفلسطينية كان كافياً لطمأنان جميع الفلسطينيين على أن المولود الفلسطيني الجديد قد ثبت اسمه على البرق، جنباً لجنب مع أسماء دول الشرق الأوسط. وكثير الحديث حول تركيز الجهود على بناء مؤسسات الدولة الفلسطينية على الأرض. في حينه، أوقف أبو عمار متابعة نشاط المعتمدين الفلسطينيين، ونال بعضهم لقب سفراء دولة فلسطين. ونقل جهده الرئيسي باتجاه إحداث اختراق جدي على جبهة العلاقة الفلسطينية مع الدول الأوروبية، وعلى جبهة دخول دولة فلسطين مؤسسات ومنظمات الأمم المتحدة. واعتقد أبو عمار وعدد كبير من أعضاء القيادة الفلسطينية أن حجم الاعتراف الذي نالته دولة فلسطين كاف لتأمين موقعها الطبيعي في الأمم المتحدة ومؤسساتها المتنوعة أسوة بالدول الأخرى. إلا أن الأيام والأسابيع اللاحقة أكدت أن هذه الأفكار لا تستند إلى تحليل موضوعي دقيق للموقف الأمريكي ولأوضاع الدولية السائدة، وأنها ليست سوى أمنية وأحلام يقطنها فلسطينية، بنيت على نشوء الاعتراف الدولي الواسع بالدولة الفلسطينية، وعلى افتتاح العديد من الدول الأوروبية على قيادة منظمة التحرير.

فالجهود الفلسطينية التي بذلت على محور دخول المؤسسات الدولية منيت بالفشل، وكانت مضيعة الوقت، حيث اصطدمت بموقف أمريكي قوي، وتسببت في فتور العلاقات مع العديد من الدول التي تحاشت التصادم مع الإدارة الأمريكية. فالإدارة الأمريكية أخذت ما يناسبها من القرارات السياسية للمجلس الوطني وأيدتها، وتحفظت رسمياً على إعلان قيام الدولة الفلسطينية وعارضت دخول المنظمة أي من المؤسسات، واعتبرته خطوة تصعيدية تعقد عملية البحث عن السلام في المنطقة. ورغم نصيحة السوفييت وعدد من الدول الأوروبية للقيادة الفلسطينية عدم المضي قدماً في معركة دخول المؤسسات لأنها معركة خاسرة حتماً، مضت المنظمة في المعركة حتى نهايتها، وكان أبو عمار يقول: "خسارة معركة المؤسسات في مواجهة أمريكا مكسب معنوي إقليمي ودولي كبير وليس خسارة، والمهم أنني أخوض المعركة ضد أمريكا في وقت يتزداد الجميع لها. وتقاعس الأصدقاء عن دعمتنا في هذه المعركة الهامة يحرجهم ويفرض عليهم رفع مستوى الدعم في المعارك الكثيرة القادمة".

لاحقاً، القت الادارة الامريكية بثقلها ضد تمثيل دولة فلسطين في مؤسسات الأمم المتحدة. ونجحت في حشد موقف دولي ومن ضمنه الدول الأوروبيية في مواجهة هذا الهدف الفلسطيني العادل. واستخدمت العصا الغليظة ضد بعض المؤسسات الدولية وضمنها اليونسكو وأخذتها لابتزاز كبير، وهددتها بقطع المعونات عنها ان هي أقرت منح دولة فلسطين عضويتها. وهددت بعدم تسديد الالتزامات المالية لأية مؤسسة دولية تدخلها دولة فلسطين ووقف المساعدات عنها، والانسحاب منها. ونفذت، لاحقاً، تهدیدها ضد منظمة اليونسكو، وضد منظمة الصحة العالمية، عندما منحت دولة فلسطين عضويتها الكاملة. ومضت الادارة الامريكية نحو ما هو أبعد من ذلك حين ضغطت على دول كثيرة للانسحاب من المؤسسات التي دخلتها المنظمة، وأوقفت مساهماتها المالية والتنظيمية في نشاطاتها السنوية.

الاعتراف بدولة فلسطين كان فرعاً رئيسياً من فروع الورشة التي فتحتها قرارات دورة الجزائر. والنجاح في هذا الفرع مهم ومهם جداً، ولكن اكماله كان يتطلب النجاح في فروع أخرى. فضمان تواصل الانتفاضة وتوفير الحماية السياسية لها فرع آخر لا يقل حيوية عن الفرع الأول. وبعد المجلس، وبعد توالي اعترافات دول العالم بدولة فلسطين، جرى التداول في القيادة الفلسطينية حول سفر أبو عمار إلى الأمم المتحدة وحضور اجتماع الجمعية العمومية وإلقاء كلمة فيها، وتوضيح التطور النوعي في الموقف السياسي الفلسطيني. في حينه، أقرت الفكرة من حيث المبدأ باعتبارها مفيدة حتماً، وكلف بعض أعضاء اللجنة التنفيذية بالتحضير لها. والتحضير المطلوب هو تحضير الكلمة التي سيقيها أبو عمار، وإجراء اتصالات سياسية مع الدول العربية والدول الإسلامية والأفريقية الصديقة، لتأمين حضورها على مستوى وزراء الخارجية. وكذلك الاتصال مع الأمين العام للأمم المتحدة، ومع الجهات الأمريكية الرسمية المعنية، لتأمين دخول أبو عمار إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ووضع الترتيبات الادارية الازمة. وبجانب ذلك كلّه، كان لابد من بعض الترتيبات الأمنية المعقّدة..!

بعض أعضاء القيادة تساءلوا عن إمكانية رفض الادارة الامريكية السماح لأبو عمار بدخول نيويورك. ولم يتردد أبو عمار في القول: "هذه مسألة مضمونة، والأمريكان سوف يرحبون بالفكرة وبالزيارة. في العام ١٩٧٤، زرت أمريكا وكان معى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية^(١٦)، والتيت كلّمة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت وقتها في قمة التطرف، وكان عملنا العسكري في الذروة، وكنا متهمین بالإرهاب، ولم يكن عندنا انتفاضة". وأضاف: "أنتم جهّزوا نص الخطاب واتركوا الباقی على أخوكم أبو عمار".

وكان مفهوماً للجميع أن الورشة الأمنية المطلوبة لا علاقة للجنة التنفيذية بها. فمثل هذه الورشة بالتحديد يتولاها عادة أبو عمار شخصياً. صحيح أنه رجل قدرى يؤمن بقوله

تعالى "قل لمن يصيّبكم إلا مأكلي الله لكم،" إلا أن قدرته كانت دائمًا مربوطة بالعمل. فهو يؤمن أيضًا بقول الرسول (صلعم) "اعقل وتوكل". كان يؤمن بالقدر، لكنه كان يقظاً على أمره الشخصي إلى أبعد الحدود، ويتابعه بنفسه ولا يوكله لأحد. لديه حاسة سادسة خاصة بالأمن وخصوصاً تجاه أمره الشخصي. يؤمن بالقدر لكنه يؤمن بالحدس. ولديه حدسٍ الخاص المزعج لحياته الشخصية، ولحياة كل من يراقبه ويعيش معه. فكثيرة هي المرات التي كان يغير فيها مكان نومه في آخر لحظة، وأكثر منها تلك المرات التي كان يحدد فيها مكاننا ما لعقد اجتماع ثم يستبدل قبل لحظات من الموعد المحدد، دون ذكر السبب. "في المسألة الأمنية لا تساهل إطلاقاً، لا خجل ولا حرج". وهذه القناعة وتلك الأفكار هي التي مكنته من النجاح في المحافظة على حياته والنجاة من محاولات الشطب والإغتيال الكثيرة التي تعرض لها، وكان بعضها من إعداد الإسرائييين، وبعضاً من إعداد فلسطيني وعربي.

لاحقاً، ومع بدء العمل في ورشة الخطاب في الأمم المتحدة بدأت تظهر بعض الصعوبات والعراقيل الجدية بشأن سفر أبو عمار إلى نيويورك. فقد تسرّيت أبناء أولية عن رفض الولايات المتحدة الأميركيّة منح أبو عمار تأشيرة لدخول أراضيها بدعوى الإرهاب وما شابه ذلك. في البداية، ساد أوساط القيادة الفلسطينية اعتقاد بأنّها مناوره أميريكية ومحاولة ابتزاز. لاحقاً ظهر أن المسألة جدية وجدية جداً. بعد التأكد من ذلك، شن أبو عمار حملة قوية ضدّ الإدارة الأميركيّة، واقتصر بعض أركان القيادة الفلسطينية العمل على نقل جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة من نيويورك إلى مقر الأمم المتحدة في جنيف، وثبتت تلك الفكرة كتوجه رئيسي وبدأ العمل به مباشرة، ومضى بعض أعضاء القيادة إلى ما هو أبعد من ذلك، وطالبوه بالعمل على نقل مقر الأمم المتحدة من الولايات المتحدة الأميركيّة إلى دولة أوروبية.

هوامش الفصل السادس

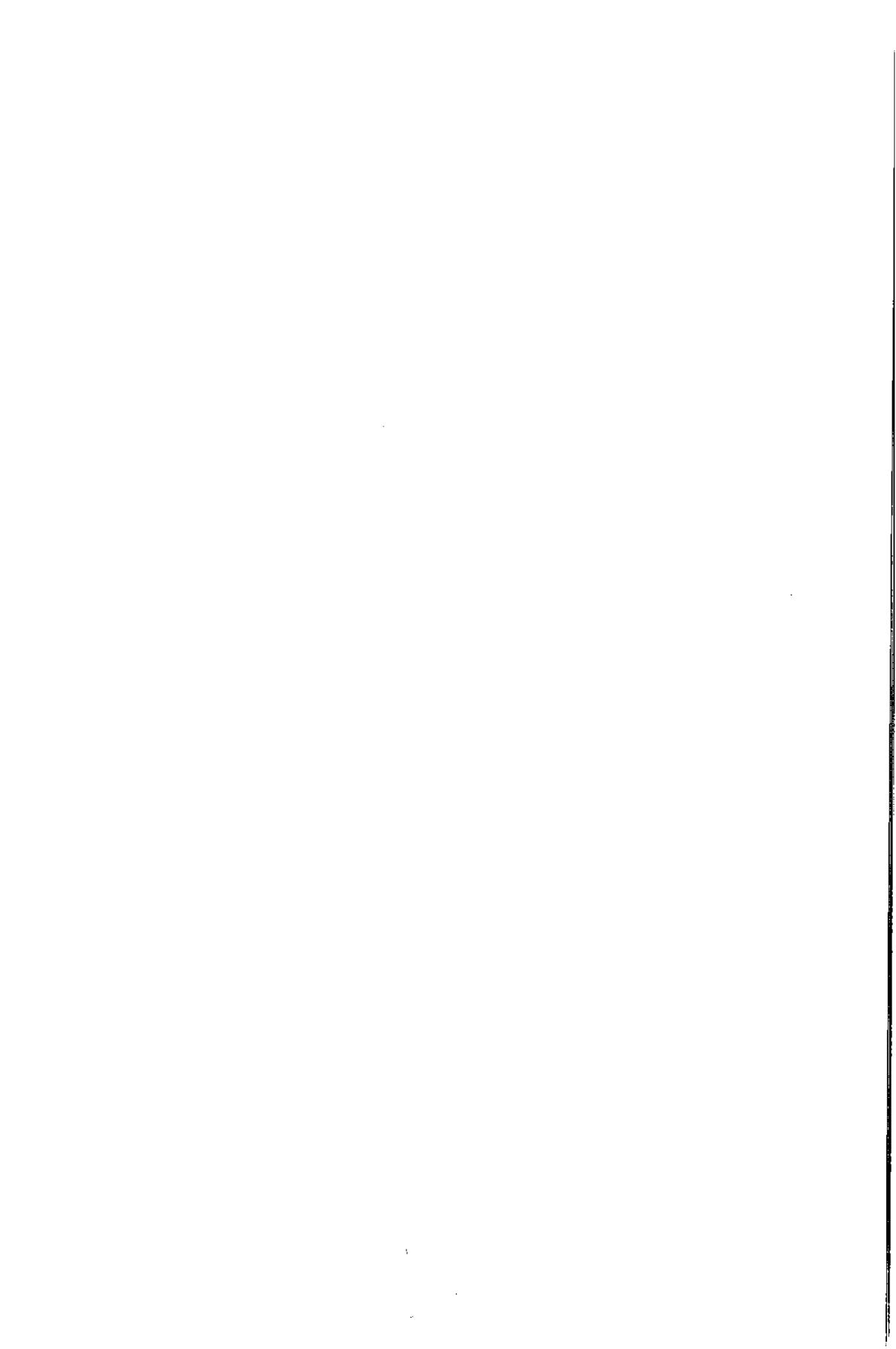
- ١) في سياق عمليات البحث الكثيرة عن حل للصراع العربي الفلسطيني - الإسرائيلي كان موقف م.ت.ف. السلمي من القرار ٢٤٢، ورفضها الاقرار بحق اسرائيل في الوجود، عقبة امام مشاركتها فيها. وساهم ذلك الرفض في تعطيل عمليات البحث عن حلول، ووفر غطاء لاسرائيل لمواصلة احتلال الارضي الفلسطيني، وتسبب في ابقاء العلاقة الفلسطينية الامريكية مقطوعة، وحد من امكانية تطويرها مع اوروبا، ووترها في بعض الاحيان مع اطراف عربية.
- ٢) لم يكن اعتراف الجزائر مفاجئاً للقيادة الفلسطينية، وقبل الاعلان عن الاستقلال زار ابو عمار معظم الدول العربية ومن ضمنها الجزائر وحصل على وعد بالاعتراف. وبعد اعلان قيام الدولة اجرت الجزائر اتصالات واسعة مع الدول العربية ودول الانحياز للاعتراف بها، وكانت قد رفضت التجاوب مع مطلب القيادة السورية بعدم عقد دورة اعلان الدولة في الجزائر.
- ٣) في الاجتماعات الداخلية واللقاءات الخارجية الرسمية، كان ابو عمار يتباهى بان عدد مكاتب م.ت.ف. في العالم اكثر من عدد سفارات اسرائيل. وبعد ارتفاع عدد الدول المعتبرة بالدولة الفلسطينية الى ٨٥ دولة، راح يتباهى بأن المعترفين بالدولة الفلسطينية اكبر عدداً من المعترفين بدولة اسرائيل.
- ٤) نجح ابو عمار في تنظيم علاقة مباشرة مع كل العاملين في دوائر م.ت.ف. منهن دون اعضاء اللجنة التنفيذية، ومع كل سفارات ومكاتب المنظمة. النقطة ذاته من العلاقة اقامه ابو عمار داخل القوات فلم يكن يكفي بالعلاقة مع القادة الرئيسيين، بل مدتها الى الضباط الصغار. وكان يشجع كل اتصال مباشر او مخاطبة مباشرة تتم من قبل ذوي الدرجات والرتب الصغيرة، وكان يتباوب مع طلباتهم. وهذا الاسلوب اضعف دور رؤساء الدوائر وكبار الضباط، وزرع نمطاً من عدم الثقة في علاقات العمل.
- ٥) ابان مرحلة الثورة كان ابو عمار مقتنعاً بأن العلاقات الشخصية والاتصالات المباشرة لها وزن كبير في العلاقات السياسية، وكان يبرر رحلاته الكثيرة بان الاكثر من الحركة الخارجية يبقى اسم المنظمة والقضية الفلسطينية موضع تداول في وسائل الاعلام العالمية. وتحول السفر الى جزء من نظام حياته.
- ٦) يتميز ابو عمار بذاكرة قوية لجهة حفظ الاسماء واستذكار دور الافراد في الاحداث الهامة. وكان يحرص على اقامة علاقات مباشرة مع اوسع صف من الكوادر والضباط. وكان بناء على معرفته المباشرة وتقديره الخاص يسند لهم المهام الاساسية، ويعطي التكليفات لكل مهمة ثابتة او طارئة.

- (٧) نادرا ما راجعت الهيئات القيادية الفلسطينية قراراتها. ولا اذكر مرة واحدة وقف فيها المجلس المركزي او الوطني او هيئة رئاسة المجلس الوطني لمراجعة قرارات المجلسين . والشيء ذاته ينطبق على اعمال اللجنة التنفيذية . واستذكار القرارات كان يتم عند اللزوم من قبل الفصائل والاقرارات، وبخصوصا في اطار المحاكمات الحزبية.
- (٨) كان الامناء العامون لفصائل الثورة يعتبرون انفسهم في معظم الاحيان فوق الهيئات الحزبية، ويستغلون قرارات هيئاتهم المركزية (مكاتب سياسية ولجان مركزية ومكاتب تنظيمية) لشعار الهيئات الدنيا والوسيطة بتفصيلاتها . وعند مراجعة القرارات كان يتم تضييع المسؤولية من خلال تعيم الاخطاء ، ولم تكن ثمة محاسبات جدية ازاء التقصيرات.
- (٩) تعتبر "القيادة التاريخيين" شائعا في الثورات . وفي اطار الثورة الفلسطينية كان له وقعه الخاص به قيم مادية ومعنوية، وبخصوصا عند تشكيل الهيئات القيادية . ولم تتشد الجبهة الديمقراطية ولا الاحزاب الشيوعية العربية عن الفصائل الاخرى . ولا زالت فتح تعطي الادمية موقعها خاصا في اطار علاقتها الداخلية، بما في ذلك في اطار استناد المهام ومنع الصالحيات في اللجنة المركزية والمجلس الثوري.
- (١٠) قبل العام ١٩٧٣ بدت صورة الجبهة الديمقراطية في الشارع الفلسطيني، وعلى الصعيد الرسمي الفلسطيني والعربي والدولي، على انها تنظيم يساري متطرف سياسي . ثم نجحت الجبهة بعد تشرين الثاني توقيعها في العام ١٩٧٣ في تغيير الصورة لجبهة اعتبارها تنظيما واقعيا ومحظوظا . في حين كانت صورة الجبهة الشعبية تشير الى انها تنظيم سياسي يفرد خارج سرب الواقعين، وله مواقف وممارسات متطرفة، ويسعى لمنافسة فتح.
- (١١) اعتبرت الاغلبية ما قامت به الاقلية في المجلس وبعد تمردا على القرارات الحزبية، وخروجها عن تقاليده العمل الحزبي . فالمركزية الديمقراطية، كتنظيم للعلاقات الحزبية الداخلية تمنع التعددية داخل التنظيم، وتحرم الاقلية افرادا وجماعات من طرح وجهة نظرها على القوى الاخرى . وفي اجتماعات المكتب السياسي باللجنة المركزية التي تلت اجتماعات المجلس تعرضت الائتلاف كجماعة وكأفراد الى محاسبات حزبية، وتم التشكيك بمواقفها في اطار التنظيم تحت شعار التشكيك والاستعانت بقوى اخرى والمعاملة لها.
- (١٢) للاطلاع على التعديلات راجع ملحق رقم ٧ .اما بشان العرض الامريكي الذي قدمه وزير خارجية السويد الى قيادة م.ت.ف. راجع: وليم كوان، **الدبلوماسية الامريكية والنزاع العربي الاسرائيلي** (القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر ١٩٩٤)
- (١٣) اصدرت الفصائل المقاومة في دمشق بيانات نارية اتهمت قيادة فتح بالتورط في مؤامرة لوقف الانتفاضة . وكان ضمنون البيانات واحدا واخلاقها انحصر في النبرة ودرجة المساس بالافراد . راجع مجلة **الهدف والحرية وبقية صحف الفصائل الصادرة في فترة بدء الحوار مع الامريكان اواخر عام ١٩٨٨**.
- (١٤) خاص ابو عمار صراعات ضد كل اشكال تقديم الدعم المباشر للانتفاضة من جانب اللجان الشعبية التي تشكلت في الدول العربية، وكان احدها مع لجنة "ترريم" في الامارات العربية التي جمعت مبالغ طائلة . وكان معظم القيمين على هذه اللجنة من المعارضين لابو عمار وموافقهم اقرب للجبهة الشعبية وحماس . وكان ابو عمار يتعامل مع مواقف اللجان باعتبارها توجيهات من الانتفاضة المقدمة على ارضها.
- (١٥) عبد الوهاب دراوشا كان احد كوادر حزب العمل الاسرائيلي في الوسط العربي . خلال فترة الانتفاضة وبعد نهوض الشعور الوطني الفلسطيني في صفوف الفلسطينيين في اسرائيل التقط دراوشا تحول مزاج الشارع الفلسطيني، وشكل الحزب الديمقراطي العربي، وحرص على اقامة علاقة مباشرة مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ولا زالت علاقته وثيقة حتى الان.
- (١٦) في اطار تقديم الدعم لمخيימות غزة، طلب ابو عمار من القيادة المصرية تقديم دعم مصرى مباشر

والمساعدة في نقل مواد عينية من المنظمة إلى غزة. في حينه، وافقت القيادة المصرية على القيام بهذا الواجب القومي. واستندت مهمة التنفيذ إلى اللواء محمد عبد السلام من المخابرات المصرية. وفعلاً، تم شراء كميات من التموين من مصر بأسعار مخفضة، شحنتها المخابرات وسلمت للجان المخيمات.

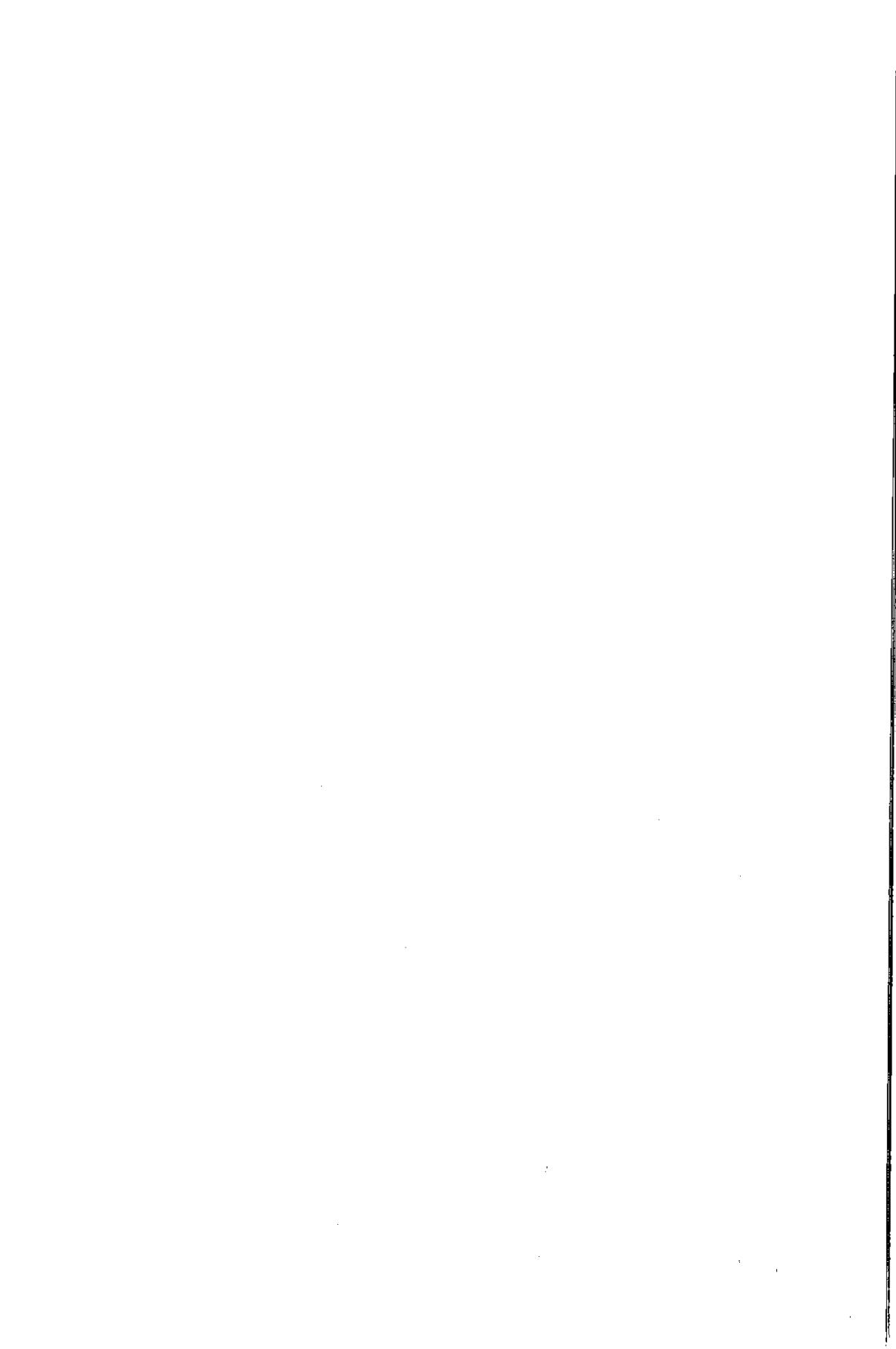
١٧) حاول أبو عمار، من البداية، فرض صيغة البيانات على القيادة الوطنية الموحدة، إلا أن موقفه اصطدم برفض القيادة الموحدة، وبدعمت لجنة الانتفاضة في الخارج موقفها. وبعد تصاعد حدة الخلافات شكل أبو عمار لجنة مصغرفة لمراقبة بيانات القيادة الموحدة قبل صدورها. وكثيراً ما تدخلت اللجنة بناء على قرارات من أبو عمار في حذف أو تعديل بعض الفقرات، وكانت عمليات التعديل تسبب أرباكات داخلية. وكثيراً ما صدرت البيانات دون ان تتضمن التعديلات. حيث كان البيان يوزع على الصحف قبل وصول التعديلات الرسمية من تونس للداخل.

١٨) عام ١٩٧٤ ألقى أبو عمار خطاباً أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، قال فيه: "جئتم حاملاً البنديقة بيد وغضمن الزيتون باليد الأخرى فلا تسقطوا غصن الزيتون من يدي". في حينه، كلفت الجامعة العربية الرئيس اللبناني سليمان فرنجية بحضور تلك الجلسة. وبعد انفجار الصراع بين السلطة اللبنانية وم.ت.ف. ظلل الرئيس فرنجية يستشهد بهذا الدور كدليل على موقف لبنان الرسمي الإيجابي من القضية الفلسطينية.



الفصل السابع

مشكلة حول خطاب أبو عمار في الأمم المتحدة



مشكلة حول خطاب ابو عمار في الأمم المتحدة

لم تجر الرياح كما تستهي قيادة المنظمة

لم يجر العمل في الورش التي فتحتها القيادة الفلسطينية بعد الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني وفقا للأمنيات الفلسطينية. معالجة التصدع الذي أصاب الوحدة الوطنية قبل وخلال الدورة لم تأت بنتائج ايجابية ملموسة. وامتد الخلاف الى الاراضي المحتلة والى داخل اطر الانتفاضة. وبينت الاتصالات، بين الداخل والخارج، ان قضيائيا الخلاف هذه المرة، ليست من النوع الذي يسهل معالجته بالاساليب ذاتها التي سادت في المراحل السابقة، حيث يتداخل الذاتي بالموضوعي ويتشابك مع خيوط عربية. وظهر ان الخلاف مرشح للتصعيد والتعقيد، فتوتر العلاقات الفلسطينية الداخلية، وبخاصة بين قيادة فتح وفصيلين رئيسين في منظمة التحرير "الديمقراطية والشعبية"، توافقا واحدا منحى شخصنة الصراع وبخاصة تجاه ابو عمار. وساهمت التعبئة الداخلية في تصريحات حواتمة امين عام الجبهة الديمقراطية حول "مشروع شولتس - اندرسون" وكشفه نصوصه في شحن الأجواء الوطنية بين قيادة فتح وقيادة الجبهة الديمقراطية في دمشق. وزادت الاجواء احتقانا البيانات والتصريحات التي صدرت من دمشق عن الفصائل الأخرى المقيمة فيها، والتي عارضت او "تحفظت" على القرارات السياسية للمجلس، ووصلت الاتهامات حد "تخوين" رئيس اللجنة التنفيذية وقيادة فتح.

وانضمت بعض الاحزاب والشخصيات اللبنانية الموالية لسوريا للحملة، وراحت تهاجم قرارات المجلس الوطني و"استسلام" القيادة الفلسطينية و"تخاذلها" امام الامبرالية الامريكية، وخصت بالذكر ياسر عرفات. وكان قادة الحزب الشيوعي اللبناني والحزب

القومي السوري ومنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي من اشد المهاجمين.^(١) أما قيادة الحزب التقدمي بزعامة جنبلات والتنظيم الناصري بزعامة مصطفى سعد فقد رأت ان "الركض الفلسطيني" وراء الادارة الامريكية وتقديم التنازلات لا يوصل الى دولة، وسقف الحلول في ظل موازين القوى العربية الاسرائيلية هو حكم ذاتي في احسن الاحوال. ولم يتتردد البعض عن ربط "التنازلات" في قرارات المجلس الوطني بالحروب التي تعرضت لها المخيمات الفلسطينية في لبنان على مدى اربع سنوات. واتهمت عرفات "بتغيير تلك الحروب للابتعاد عن الخط القومي الذي تقوده سوريا"، وبخلق حالة من اليأس في نفوس الفلسطينيين.

وخلال الفترة ذاتها، رفعت القيادة السورية، تحت شعار قومية المعركة، وتيرة هجومها الاعلامي المباشر على "اليمين الفلسطيني المستسلم"، وتناولت ياسر عرفات بالاسم، واتهمته بالتفريط بالخصوصية القومية، وبالسعى للتساوق مع الحلول التي تطرحها إسرائيل والأمبريالية الأمريكية. وزادت اجهزتها الامنية ضغطها على قيادة الجبهة الديمقراطية، لكنها اشادت بـمواقف الجبهة الشعبية المعارضه لليمين الفلسطيني. ودفعت دمشق بعض القوى الفلسطينية الموالية لها الى التحرش الاعلامي والعملي بتنظيم الجبهة الديمقراطية في لبنان. وجرت مناورات في البقاع والمخيمات بين قواعد وكوادر الجبهة وفتح الانتفاضة بزعامة ابو موسى. واعتبرت سوريا ان بدء اتصال فلسطيني رسمي بالادارة الامريكية "يشق الطريق امام كامب ديفيد جديد على الجبهة الفلسطينية لمحاصرة سوريا، ويضعف دورها الاقليمي الذي بدأت تطمح له بعد غياب الدور المصري، ويفك الترابط الواهي بين الانسحاب من الجولان والمباحثات حول الانسحاب من الضفة الغربية". وراحـت بعض الفصائل الفلسطينية الموالية لسوريا، تتحدث من دمشق، عن "كامب ديفيد فلسطيني"، وعن سيناريوهات امريكية إسرائيلية هدفها إجهاض الانتفاضة، وإفراغ منظمة التحرير من مضمونها النضالي، وتمزيق الوحدة الوطنية الفلسطينية. وكان اعلاها صوتاً "جماعة ابو موسى" الذين اعتبروا قرارات المجلس الوطني شاهداً على صحة خطواتهم الانشقاقية وصحة استخدامهم السلاح ضد عرفات وجماعته في لبنان. ورفعوا من وتيرة هجومهم السياسي على الجبهتين الشعبية والديمقراطية لانهما لم تخرطا في القتال ضد عرفات. ورفعت قيادة الجبهة الشعبية وتيرة هجومها ضد ياسر عرفات، ووصفتـه بياناتها "بسادات فلسطين"، وان اعتذرـت لاحقاً عن هذا الوصف.

ولم يتورع بعض الفصائل عن نقل الصراع الى القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. هذه الفصائل أصدرت باسمها بيانات منفصلة هاجمت مبادرة السلام الفلسطينية وبعض قرارات المجلس الوطني، وبررت ذلك بعدم التزام قيادة فتح بنصوص بيانات القيادة الوطنية الموحدة. واندفعت القيادات الفلسطينية اليسارية نحو أدلة الموضوع وإعطائه

أبعادا فكرية وطبقية. وحاولت التنظير لمقوله غير منطقية خلاصتها أن اليمين الفلسطيني يخشى من الانتفاضة ويريد الخلاص منها، لأنها حركة شعبية ديمقراطية وتشكل قيادة على حركة السياسية المتخاذلة أمام الامريكان.^(٢) وانضمت الحركة الإسلامية في الداخل وفي الأردن ولبنان إلى الحملة ضد قرارات المجلس الوطني ضد القيادة الفلسطينية. واصدرت قيادة الاخوان المسلمين في الأردن وقيادة حزب الله وبعض المشايخ البارزين في لبنان، بيانات هاجمت القرارات والتوجهات الفلسطينية.

واستنادا لمياثقها ولدورها المتزايد الأهمية في الانتفاضة، رفضت قيادة حركة "حماس" قرارات المجلس الوطني والمبادرة الفلسطينية. وقالت: ان أرض فلسطين وقف اسلامي لا يصح التفريط بها او بجزء منها، ولا يجوز شرعا التنازل عنها او عن اجزاء منها للاعداء. وبررت "حماس" داخل الارض المحتلة باعتبارها المعبر الاقوى والابرز عن تيار الرفض الفلسطيني بكل تلاوينه، وسعت لان تكون مركزا لاستقطاب تعبيرات الرفض الاخرى. وبادرت الى طرح برنامج بديل لبرنامج منظمة التحرير، قام على اعتبار "المعركة مع الصهاينة ليست معركة على اقتسام الارض، ولا خلافا على حدود، بل هي معركة وجود ومصير". وتوصلا مع رسالتها التي وجهتها للمجلس الوطني اعتبرت وثيقة اعلان الاستقلال ومبادرة السلام الفلسطينية استراجا هدفه توجيه طعنة قوية لانجازات الانتفاضة.^(٣)

وفي سياق الحديث عن موقف التيار الإسلامي تجدر الاشارة الى ان حركة الجهاد الإسلامي المقرية من ايران اصدرت هي الاخرى بيانا رفضت فيه قرارات المجلس الوطني، ورفضت مبادرة السلام الفلسطينية. واعتبرت ان "القبول بالقرار ٢٤٢ تنازل عن جزء هام من فلسطين، ويجيء بعد سنوات من الترويض وخداع الشعب. والقبول بهذا القرار ينقل مستوى المعركة من معركة مع العدو الصهيوني الى معركة على الساحة الفلسطينية". وقال البيان: "ان الدولة الفلسطينية - ان قامت - لن تتخل، فقط، عن بقية فلسطين بل لن تكون دولة لكل الشعب الفلسطيني، خاصة من هم في الشتات او داخل حدود ١٩٤٨. ولن تكون قادرة على الصمود والبقاء على قيد الحياة، الا بالالتحاق والتبعة للدول الكبرى والصغرى. وستشكل جسرا للتوسيع المشروع الصهيوني نحو كل المنطقة". واعتبرت الحركة النهج الذي تسير فيه قيادة م.ت.ف. انتحارا سياسيا خطوة خطيرة، وان خطوتها الاولى هي "استغلال للانتفاضة ينتهي الى اجهائهم، من خلال تفكك عناصر قوتها ووحدتها وتلاحمها، واعادة استخدام بقاياها لتوقيع اتفاق لن يتتجاوز في احسن حالاته موضوع الحكم الذاتي، الذي تضمنه اتفاق كامب ديفيد". وفي بيان آخر صدر في ٢٠ اذار/مارس ١٩٨٩، قالت حركة الجهاد الإسلامي المقرية من ايران، انها تبرا الى الله من كل مساومة على حقنا في كامل وطننا، او الاستعداد للتفرط في اي

شبر من ارضنا المقدسة... "ونبرا الى الله من كل دعوة تطالب بما يسمى بالانتخابات في الضفة والقطاع او ما يسمى بالمؤتمر الدولي للسلام، او اية صيغة تجر على اصحاب الحق لعنة التنازل عن حقهم التاريخي في فلسطين".

الى ذلك، خلقت مواقف وبيانات قيادة "حماس" والجهاد الاسلامي ردة فعل عنيفة لدى قيادة فتح واعتبرها أبو عمار خطيرة جداً، وموحى بها من قوى اقليمية، وتجر الى اقتتال فلسطيني داخل الارض المحتلة والى تفجير الانفاضة. ونبه أبو عمار الى الاتصالات التي تجريها القيادة السورية مع ايران وحركة حماس. وقال: "ان موقف القيادة السورية مفهوم، فما نقوم به يجردتها من الورقة الفلسطينية، وينهي امكانية استخدامها في المساعمت الدولية التي تجريها حول الانسحاب من الجولان". وذكر بمجريات ثورة العام ١٩٣٦ والتصفيات الداخلية التي قامت بها بعض المجموعات تحت ستار الوطنية والدين. وقال: "ان موقف الاخوان المسلمين في الاردن مفهوم ولا يتوقع منهم خير، وتاريخهم القديم والحديث معروف، ومرجعيتهم موجودة في مراكز المخابرات والقصور الملكية، وهذا معروف للجميع وانا لا اتجنى على احد، وهم لا ينكرون تحالفهم القوي مع النظام في الاردن، ويحرضون على المشاركة في كل الحكومات الاردنية". واوضح انه يولي اهتماماً كبيراً لمعرفة موقف قيادة حركة الاخوان في مصر من سياسة قيادة حركة حماس، ويود، ايضاً، معرفة موقف الماركسيين اللبنانيين الفلسطينيين من الاخوان المسلمين. واضاف: "الاخوان في مصر كانوا دوماً مع منظمة التحرير ومع استقلالية قرارها الوطني بعكس الاخوان في الاردن".

وفي معرض رده على مواقف حماس والجهاد الاسلامي واستشهادهما بالدين الاسلامي، راح أبو عمار يذكر اعضاء القيادة الفلسطينية، ولجنة الانفاضة، والهيئات الوطنية الاخرى، "بصلاح الحديثة" وكيف وافق الرسول (صلعم) في ظرف محدد على شطب "محمد رسول الله" بناء على طلب المشركيين واستبدلها "بمحمد ابن عبد الله". وكان أبو عمار يقول: "حماس لا تستطيع المزاودة على قيادة فتح في موضوع الدين، ثالثاً قيادة فتح جاءت من حركة الاخوان المسلمين، وباقى القيادة ومعظم الكوادر مؤمنون متدينون".^(٤)

بعض المقربين من أبو عمار والمحيطين به راح يسترسل في الحديث عن تاريخ الاخوان المسلمين وصراعهم مع عبد الناصر لحساب الامريكان. بعض حديثهم كان عن قناعة، وبعضه الآخر مجاملة لابي عمار. وآخرون كانوا يتسللون بالموضوع واستدراج تعليقاته على بعض اخوانه في قيادة فتح وبخاصة ابو اياد. وعلى غرار "صحيح يا اخ أبو عمار ان قيادة فتح ذات اصول "اخونجية" ، لكن بعضهم، وانت تعرفهم، يمكن تصنيفهم تحت فئة المرتدين عن الاسلام لانهم يشربون الخمرة". وكان أبو عمار يسترسل في شرح الفرق في الاسلام بين المرتد ومن يعصي اوامر الله، والمؤمن، والمؤمن المتزمت. وكان

يصنف نفسه من المؤمنين، وكان ينهي الحديث مداعبا ويقول: "لا مانع لدى من فصل كل من تقصدون من مركزية الحركة، ومن على شاكلتهم من اعضاء اللجنة التنفيذية والمكاتب السياسية للفصائل، فذلك يرضي الله ورسوله ويريح ياسر عرفات من شرهם ونكدتهم في الدنيا وزرهم في الآخرة".^(١)

إلى ذلك، أشهرت قيادة فتح سلاح الدفاع عن "القرار الوطني الفلسطيني المستقل"، واتهمت الفصائل المعاشرة بالتفريط بستقلاليتها، وباستقلالية القرار الفلسطيني والتضحية بالمصالح الوطنية لصالح الانظمة العربية. وعبارات فتح قواعدها وكواذرها في الداخل والخارج بهذا الاتجاه. وقاد أبو أياد حملة اعلامية قوية ضد تدخل القيادة السورية في الشؤون الفلسطينية الداخلية، شاركه فيها محمود عباس أبو مازن، علماً إن الآخرين، كان دوماً، يرفض الدخول علينا في مواجهات هذه الخلافات الفلسطينية الداخلية. وكثيراً ما تم اللجوء له لترطيب الأجواء، خصوصاً عندما يكون أبو أياد متورطاً في الصراع، وكان أبو مازن يقوم بجمع الأطراف المتخاصمة عندما تنضج ظروف المصالحةات.^(٢)

وركز أبو أياد في ردوده على مواقف حركة حماس والجهاد الإسلامي من الكفاح المسلح قبل الانتفاضة. واستعرض دورهما في النضال الوطني الفلسطيني، وقال: "انا أعرف الناس بالاخوان المسلمين واساليب تحريضهم. وكلكم تعرفون موقف الاخوان المسلمين في الاردن من الكفاح المسلح والنضال ضد الاحتلال". وذكر كيف كانت قيادة حماس تبشر بالاسلام، وتحاول ان تنظم الناس على اساس ان فصائل م.ت.ف. كفار وانهم هم المسلمين، وكيف ظلت فترة شهرين بعد قيام الانتفاضة تركز على الدعوة والعمل الايديولوجي الاسلامي، دون التركيز على القضية الوطنية الفلسطينية. وحلّ أبو أياد دوافع وأبعاد حرص قيادة حماس على التمايز عن منظمة التحرير وعن القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، وقال: "تبقي مواقف حماس مقبولة، طالما تطلق من دوافع فلسطينية، ولا تتناغم مع القوى الاقليمية المعادية للمنظمة. وعندما تبدأ في الاستقواء بقوى خارجية فعندها يكون الموقف مختلفاً تماماً". إلى ذلك، اظهر أبو أياد حرصاً صادقاً على التواصل مع قيادة وقواعد حركة حماس. وأكد حق كل فصيل في تمييز موقفه عن الآخرين. ولكن، دون تجريح وتشويه. واعتبر حماس قوة معادية للاحتلال، ولها وجود فعال في الداخل، وهذا يكفي لادامة الاتصال مع قيادتها وقواعدها، ويجب الحرص على أن تتمثل في القيادة الوطنية الموحدة، فليس الآن وقت الصراع على القيادة، وسيصبح الصراع مباحاً بعد زوال الاحتلال وقيام الدولة المستقلة على الأرض.

وخلال تلك الفترة، تطورت الخلافات داخل م.ت.ف.، وراحت قيادة الجبهتين الديمقرطية والشعبية تتقرّيان من التيار الاسلامي، وتتجارّيان مواقف القيادة السورية المعادية للياسر

عرفات، اكثر فأكثر. وبالمقابل، راحت أجهزة اعلام فتح تتهم الفصائل الفلسطينية المعارضة دون تمييز بمحاولة ضرب الانتفاضة وشق القيادة الوطنية الموحدة، وبالتبعة لسوريا وبالسعى لتجير القرار الفلسطيني لحسابها. وشارك الحزب الشيوعي الفلسطيني، داخل الاراضي المحتلة وخارجها، في الدفاع عن قرارات المجلس الوطني ومبادرة السلام الفلسطينية، واعتبرهما انتفاضة ثورية حقيقة في ميدان الفكر السياسي الفلسطيني، وضفت سلاح قرارات الشرعية الدولية بيد الحركة الوطنية الفلسطينية في نضالها العادل من اجل تحرير الارض وبناء الدولة المستقلة. وكان الشيوعيون قد وجدوا في قرارات المجلس الوطني، موضوع الخلاف، موقفاً فلسطينياً واقعياً، يعيد الاعتبار لموقفهم منذ العام ١٩٤٧ وحتى العام ١٩٨٨، حين اتهموا بالتخاذل بسبب دعواتهم الطلبية للموافقة على قرار الامم المتحدة رقم ١٨١ الذي دعا الى تقسيم فلسطين، ودعوتهم بعد حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ الى القبول بقرار الشرعية الدولية وخصوصاً القرار ٢٤٢ كأساس لحل القضية الفلسطينية، وتلاؤهم في اعتماد الكفاح المسلح وسيلة للتحرير. ووجدوا في القرارات، ايضاً، مناسبة لتجديد دعوتهم الى اعتماد النضال السياسي والجماهيري كوسائل رئيسية للنضال الوطني الفلسطيني. وجددوا دفاعهم عن عدم انخراطهم في الكفاح المسلح على مدى سنوات طويلة، وتركيزهم على العمل الجماهيري. وركزوا على تقصير فصائل م.ت.ف. اتجاه قضايا الداخل، ودعوا الى تركيز الجهود والامكانيات الفلسطينية المادية والمعنوية والسياسية باتجاه الاراضي المحتلة ولدعم صمود الناس فيها. وطالبو بوضوح تعزيز تأثير دور الداخل في القرار الوطني الفلسطيني. وتفاخروا بأنهم الطرف الفلسطيني الوحيد الذي رأسه وجسمه الاساسي في داخل الوطن، بينما اوضاع الآخرين معكوسه. ولم يسلم الحزب الشيوعي من هجوم قوى المعارضة الفلسطينية المقيمة في دمشق، التي بادرت الى تطوير علاقتها بجماعة صغيرة انشقت سابقاً عن الحزب بقيادة عضو المكتب السياسي عربي عواد،^(٦) وشكلت الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري.

اما التيار الديمقراطي داخل الجبهة الديمقراطية فلم يستطع المشاركة الجدية في معركة الدفاع عن المبادرة الفلسطينية وعن قرارات المجلس الوطني، ولم ينخرط مباشرة في المعركة الوطنية الداخلية، واكتفى بموقف الدفاع عن النفس عندما كانت شرارات الخلاف تقترب منه، وبخاصة عندما كانت بعض قوى المعارضة الفلسطينية يحارب اغلبية المكتب السياسي للجبهة في التشهير به. وبقى اركان هذا التيار مشغولين في الصراعات السياسية والتنظيمية والفكرية داخل الجبهة، وارتباكوا فترة في ادارتها، وتآخرها في حسم موقفهم، وظل بعضهم يراهن على امكانية جره قيادة الجبهة كلها للخط الواقعي، وخلطت اطروحاتهمقضايا الشخصية والذاتية بالموضوعية والسياسية بالتنظيمية،

ودخل بعضهم في مساومات حزبية مع الامين العام وأغلبية المكتب السياسي الموالي له، عطلت، لفترة ليست بسيطة، قدرة التيار الديمقراطي عن شق طريق خاص بهم، الى ان حسمت "أغلبية" المكتب السياسي، بقيادة حواتمة، موقفها وقررت حسم المعركة التنظيمية الداخلية، تسخير كل امكاناتها المادية وعلاقاتها الوطنية لصالح كسبها. وشرعت باتخاذ الاجراءات الحزبية في كل الساحات ضد كل من يشتبه بعلاقته بالأقلية وبقيادة ياسر عبد ربه، قبل ان تعلن الطلاق معها.

موقف امريكي غير مفهوم

لم تجد التحركات المكثفة التي اجرتها قيادة م.ت.ف.، وكل الوساطات الجانبية العربية والدولية، بما في ذلك دور الأمين العام للأمم المتحدة، وال وسيط السويدي لارسن في حصول أبو عمار على فيزا تمكنه من المشاركة في اجتماعات الأمم المتحدة. ورفضت الادارة الأمريكية يوم ١٩٨٨/١١/٢٧ رسمياً منع عرفات فيزا تمكنه من دخول الأراضي الأمريكية. وبينت الاتصالات أن شولتس شخصياً رفض الموافقة على الطلب. واستهجن أبو عمار موقف شولتس، وكان رده الفوري، "ساطل نقل الدورة من واشنطن". ورغم الاعتراف الدولي الواسع بدولة فلسطين، إلا أن الادارة الأمريكية بقيت تعتبر م.ت.ف. منظمة إرهابية، وتذرعت بالقانون الأمريكي الذي يمنع العاملين في منظمات إرهابية من دخول الأراضي الأمريكية.

وفي سياق البحث عن سبل تجاوز العقبات التي وضعتها الادارة الأمريكية امام وصول ابو عمار الى مقر الامم المتحدة في نيويورك، تمت استشارة العديد من الخبراء الفلسطينيين والعرب في شأن القانون الدولي، وجميعهم قالوا؛ قانونياً ليس من حق الحكومة الأمريكية تعطيل وصول المدعى عليهم من المنظمة الدولية الى مقر الأمم المتحدة في نيويورك، لكن القوي في هذا العالم يستطيع أن يفعل ما يشاء، بما في ذلك تعطيل قرارات الأمم المتحدة. ونصحوا بالبحث عن حلول سياسية ودبلوماسية باعتبارها اقصر الطرق وانجعها، لأن المخارج القانونية بحاجة لوقت طويل ونتائج المساعي ليست مضمونة. واستغرب معظم اعضاء القيادة الفلسطينية موقف الادارة الأمريكية، لانه في العام ١٩٧٤ دخل أبو عمار الأرضي الأمريكية بموافقة امريريكية رسمية، والقى خطاباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة، علماً بأن العمل العسكري الفلسطيني كان في ذروته، بما في ذلك بعض العمليات العسكرية الخارجية المصنفة دولياً تحت بند "ارهاب". وعلماً بأن م.ت.ف. ترفض بشدة مجرد الإشارة الى القبول أو التعاطي مع قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨. وهذا هي الادارة الأمريكية تمنع في العام ١٩٨٨ رئيس اللجنة التنفيذية من الوصول الى الأمم المتحدة بالرغم من ان المنظمة قررت التعاطي ايجاباً مع قرارات الأمم

المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وبالرغم من ان قرارات المجلس الوطني اعترفت بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ من خلال دعوتها الى عقد مؤتمر دولي على اساس هذين القرارات. وخصت قرارات المجلس بالذكر القرار رقم ١٨١ الذي يقر بوجود دولة إسرائيل بجانب دولة فلسطين غير الموجودة على الارض. وبينت التطورات اللاحقة أن ايجابية قرارات المجلس الوطني في دورته التاسعة عشرة غير كافية من وجهة نظر الادارة الأمريكية. فقد راحت تطالب قيادة م.ت.ف. بـ"نبذ" الارهاب بنص واضح يخلو من كل التباس لغوي أو سياسي، والإقرار الصريح وال مباشر بحق إسرائيل في الوجود وبالاعتراف بالقرار ٢٤٢ بمعزل عن اية مواقف ومطالب فلسطينية. كل ذلك، مقابل بدء حوار رسمي بين قيادة منظمة التحرير والحكومة الأمريكية لم تكن نتائجه مضمونة.

في حينه، لم يطلب أبو عمار السفر الى نيويورك باعتباره رئيساً لدولة فلسطين، بل باعتباره رئيساً للجنة التنفيذية للمنظمة، فموضوع انتخاب رئيس دولة فلسطين استمر تأجيله الى إشعار آخر، ولم يكن مستعجلًا على الاطلاق لاستصدار قرار من الهيئات التشريعية بالموضوع. ولا شيء في الوسيط الفلسطيني كان يوحى بأن الظروف والأوضاع الفلسطينية نضجت لانتخاب رئيس لدولة فلسطين. والموضوع لم يطرح رسمياً على اي اجتماع فلسطيني بعد المجلس، ولا حتى في الكواليس. والمسألة التي بقيت مسيطرة على ذهن أبو عمار بعد رحلة ستكمولم، هي القاء الخطاب في الجمعية العامة للأمم المتحدة واختراق الجبهة الأوروبية، ومعالجة الأوضاع الداخلية، وبخاصة الحد من اندفاع الجبهتين الديمقراطية والشعبية في معارضة نتائج المجلس. وراح أبو عمار يقول، في مجالسه الخاصة وفي الاجتماعات وامام زواره يعلن ان "رفض الولايات المتحدة إعطائي فيزا يزيدني إصراراً وتصميماً على السفر وعلى إلقاء الخطاب". هذا ما كان يردد في كل لقاءاته الداخلية والخارجية، وهذا ما عملت بموجبه القيادة الفلسطينية. واعتقد أبو عمار وقسم من اركان القيادة ان الاجواء الدولية مهيأة لتحقيق انتصار صغير على الادارة الأمريكية. فقرارات الدورة التاسعة عشرة أظهرت م.ت.ف. حركة سياسية واقعية قادرة على التعاطي مع المتغيرات الدولية، وأعطتها موقعًا مرموقاً على الصعيد الدولي، والاتفاقية متواصلة بتعاطم رغم كل اجراءات القمع الاسرائيلية، والعالم شعورياً ودولياً يزداد إعجاباً بواقعية أبو عمار، وبكافحية الشعب الفلسطيني، ويزداد تعاطفاً مع نضاله المشروع.

لاحقاً، طرح البعض فكرة نقل اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة من نيويورك الى مقرها في جنيف. فهل المواقف الفلسطينية والمواقف العربية والدولية كافية للنجاح في نقلها؟ بعض خبراء القانون الدولي من القانونيين الفلسطينيين قالوا نعم، لكن الأمر يحتاج الى قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو من أمين عام الأمم المتحدة.

عندما قال أبو عمار: إذن، لا بد من العمل مع الأمين العام ومع دول عدم الانحياز وبلدان المنظمة الاشتراكية على نقل الإجتماع من مقر الأمم المتحدة في نيويورك إلى مقرها في جنيف. وبعد إقرار هذا التوجه، بدأت الماكينة الإعلامية والدبلوماسية الفلسطينية تعمل لإنجاز هذه "الخطبة السياسية". ولم تشارك فصائل المعارضة الممثلة في المنظمة في الشغل على الموضوع، وبعضها تمنى إقياد المنظمة الفشل. وكانت جهود الجبهتين الشعبية والديمقراطية تدفع باتجاه آخر معاكس تماماً مع توجهات قيادة منظمة التحرير الرسمية.

وأظهرت الاتصالات الأولية التي أجرتها قيادة م.ت.ف. إمكانية موافقة دول عدم الانحياز. "وهذا يكفي لإتخاذ القرار" كما كان يقول أبو عمار، بناءً على معلوماته واتصالاته التي لم تتوقف، لاسيما وإن الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية أظهرت مساندتها للتوجه، وإن العديد من الدول الأوروبية لم تكن تعارضه، بل إن بعضها كان يشجعه ويسانده. وبعد جهد ليس كثيراً اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بأغلبية ١٥٤ صوتاً بعقد جلسة خاصة للجمعية العامة في جنيف، وحدد يوم ١٣ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٨ موعداً لها، للاستماع إلى خطاب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. وبعد صدور القرار، بدأ أبو عمار يسعى إلى رفع مستوى الحضور، وكان يتمسّى على الدول الصديقة أن يكون حضورها بمستوى لا يقل عن وزير الخارجية. إلى ذلك، راح العديد من الكوادر وبعض القيادات الفلسطينية يتحدون بشيء من الزهو والافتخار عن المرات القليلة جداً التي انتقلت فيها اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى مقرها في جنيف. وعن مدلولات وأبعاد الاستجابة الدولية الواسعة لانتقال مذوبي دول العالم من نيويورك إلى جنيف بهدف الاستماع إلى خطاب أبو عمار فقط.

قوى المعارضة راحت تدعي أن اعتراض الإدارة الأمريكية على وصول عرفات إلى الأمم المتحدة مناوره مكشوفة، هدفها استدرج قيادة م.ت.ف. إلى مغطس، وتلميع استسلامها وقبولها بالحلول الأمريكية التصفوية. ومع تحديد الزمان والمكان بدأت تتوالى مواقف الدول العربية والإسلامية والأفريقية والآسيوية والإشتراكية على حضور الجلسة بمستوى وزراء خارجية. ورفعت وثيرة العمل الدبلوماسي، وتم التشديد مع ممثلي م.ت.ف. على عدم الاكتفاء بحضور الحضور بالممثلي الدائمين في الأمم المتحدة. وقال أبو عمار، "لا تترددوا في القول للاصدقاء إن أبو عمار لن يتلقى بممثلي الدول اذا كانوا أقل من وزراء". إلى ذلك، بدأت القيادة الفلسطينية بإعداد الخطاب الذي سياقبه أبو عمار في اجتماع الجمعية العامة، وشكلت له لجنة رسمية من أعضاء اللجنة التنفيذية ضمت: محمود درويش، وياسر عبد ربه، وعبد الله الحوراني. ويستطيع كل من يقرأ الخطاب الذي القاه أبو عمار في الجمعية العامة للأمم المتحدة أن يجد فيه لمسات محمود درويش الأدبية، رغم تعديلات ادخلها أبو عمار على النص.^(٤)

بعد تحديد تاريخ انعقاد الجمعية العامة في جنيف، بدأت القيادة الفلسطينية تتلقى استجابات الدول العربية والاسلامية والافريقية والآسيوية والاشتراكية لحضور الجلسة على مستوى وزراء الخارجية. الجميع كان يقر بأن تواصل الانتفاضة والقرارات السياسية الواقعية للمجلس ومبادرة السلام، هي التي مكنت م.ت.ف. من تحقيق هذا الانجاز. وببعث ذلك النجاح شيئاً من النشوة في نفوس بعض أعضاء القيادة الفلسطينية، بلغت درجة أن بعضهم أثار بجدية مسألة نقل مقر الأمم المتحدة بصورة نهائية من نيويورك إلى عاصمة أخرى من عواصم الدول الكبرى كعقاب للولايات المتحدة على رفضها منح أبو عمار تأشيرة دخول الأراضي الاميركية. آخرون جعلوا المسألة موضوع دعابة قائلين: أعاد الله دول العالم على الفلسطينيين بعد قيام دولة لهم، منذ الآن، يريدون نقل الأمم المتحدة من أمريكا، ربما يفكرون بعد قيامها طرد الولايات المتحدة منها..!

السويد، وبعض الدول الاوروبية دعمت القرار بنقل جلسة الجمعية العامة الى جنيف. واغتنمها اندرسون وزير خارجية السويد فرصة ليظهر تعاطفه مع القضية الفلسطينية ومع م.ت.ف. وكان الرجل صادقاً في موقفه ولم يكن انتهازياً، ودعمه لقرار عقد الدورة في جنيف، لا علاقة له بواسطته بين المنظمة والإدارة الاميركية، ولا بالجواب المنتظر من قيادة منظمة التحرير، وفقاً لما تم الاتفاق عليه مع أبو عمار في رحلته الى ستوكهولم. صحيح، ان اندرسون كان متلهفاً ليتخرج وساطته بالنجاح، خصوصاً وان أبو عمار وعده بجواب ايجابي خلال أيام، لكن تأييده لانتقال الجلسة الى جنيف لا علاقة له بهذه المسألة، كما قال. والوفد الفلسطيني لم يربط بين الأمرين، والربط بينهما تم بعد عودة أبو عمار والوفد من ستوكهولم الى تونس، حيث عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعاً موسعاً في منزل ابو مازن تدارست فيه ورقة اندرسون - شولتس ومضمون الرد الفلسطيني عليها.

في ذلك الاجتماع، طرح أحد الحاضرين فكرة تضمين خطاب أبو عمار كل ما طلبه شولتس عبر اندرسون باعتباره ينسجم مع قرارات دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة. واستحسن الحاضرون الفكرة باستثناء أبو عمار الذي قال: "يا إخوان، موعد الخطاب في جنيف ما زال بعيداً، ولا بد من إعطاء الرجل اندرسون شيئاً خاصاً قبل الخطاب، ونحن أعطيناه وعداً بإبلاغه الرد خلال أيام، وليس من عادتنا نكث وعودنا.. مصداقيتنا جزء أساسى من رأس مالنا، ولا بد من المحافظة عليها". وأشار أبو عمار الى ان وعد اندرسون بأن يرسل له الرد خلال أيام، وان "الراجل" صديق صادق للفلسطينيين ولا بد من الحفاظ على صدقته، وتمتين مصداقيته عند الأميركيان.^(٤)

بعد نقاش سريع، أقر العمل على الخطدين معاً حيث لا تعارض بينهما. واتفق على أن يتحرك ياسر عبد ربه ومحمود درويش بعد أيام الى السويد لإبلاغ السيد اندرسون

الموافقة الرسمية الفلسطينية، وأن خطاب أبو عمار في الجمعية العامة للأمم المتحدة سيتضمن "النقط المطلوبة"، كما وردت في ورقة شولتس، لكنها سوف تكون موزعة على أكثر من فقرة من فقراته.^(١٠) وبالفعل، توجه ياسر عبد ربه ومحمود درويش إلى السويد بعد بضعة أيام، وقابلوا أندرسون وأبلغا إليه القرار الفلسطيني. وحسب روایتهما سر أندرسون، لكنه تمنى لو أن المنظمة نفذت الاتفاق عبر القناة الدبلوماسية التي بدأها ويمعنل عن الخطاب الذي سيلقاه أبو عمار في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وأكد أندرسون أنه سينقل الجواب الفلسطيني للادارة الأمريكية، وسينتظر الخطاب مع المنتظررين الآخرين، وتمنى أن يكون واضحاً ويتضمن المطلوب.

اجتمع القيادة الفلسطينية الذي عقد في بيت أبو مازن لم يحضره، مع الأسف الشديد، أي من الأماناء العامين للفصائل الفلسطينية المقيمة في دمشق. ولم يكتف هؤلاء بعدم المشاركة في هذه الحركة الدبلوماسية الفلسطينية، بل قرروا مقاطعة اجتماعات القيادة الفلسطينية، وأصدروا بيانات جديدة حامية من دمشق، صعدوا فيها هجومهم على "اليمين الفلسطيني" وخرقه لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني، واتهموه بالتخاذل والاستسلام. وهاجم بعضهم قرارات المجلس الوطني بكل، وركز آخرون على مهاجمة الحركة السياسية والدبلوماسية الفلسطينية بما في ذلك موضوع إلقاء الخطاب في الأمم المتحدة باعتبارها خرقاً لقرارات المجلس وتساقفاً مع المشاريع والمخططات التصفوية الاستسلامية الأمريكية. ولم يكتف بعضهم بالمقاطعة، بل راحوا يشككون في حقيقة الموقف من اعتراف قرابة مائة دولة من دول العالم بدولة فلسطين. وزعموا أن اعتراف هذا العدد الكثير من الدول، ومن ضمنها أصدقاء وحلفاء ل أمريكا، بالدولة الفلسطينية، ما كان له أن يتم دون موافقة أمريكية مبطنة. ونسوا اطروحاتهم حول فعل الانتفاضة في الحقل الدولي، وإن شرف انتزاع الاعتراف يعود لها ولقرارات السياسية الواقعية التي أقرها المجلس الوطني.

وبالرغم من عدم مشاركتهم في معركة دخول المؤسسات الدولية ومن عدم علمهم بها، شنوا هجومهم ضد قيادة م.ت.ف. وحملوها مسؤولية الفشل. ورغم أنهم سمعوا عن اللقاء مع أندرسون عبر الفاكسات، وسمعوا بمعركة الخطاب في الأمم المتحدة عبر الازعات، إلا أنهم علقوا عليها عبر إطلاق تصريحات نارية لوكالات الانباء، ورفعوا وثيرة تعبيتهم الداخلية التي شملت كوادر الانتفاضة، ضد استسلام اليمين الفلسطيني. حقاً لقد غلبوا مصالحهم الحزبية على المصلحة الوطنية، ولم يستطعوا تقدير الموقف والتطورات بموضوعية، واعطوا للمحافظة على وحدة وتماسك تنظيماتهم أولوية في حركتهم ونشاطهم اليومي. هكذا كان واقع حال الحركة الوطنية الفلسطينية بعد الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني. وكان واضحاً أن ذاك الحال باق على ما هو عليه، ولسوف يزداد

سوءاً. فالمنطلقات الفكرية والسياسية والتنظيمية التي بنيت عليها م.ت.ف. والفصائل هرمت وشاخت، وباتت عائقاً امام تطوير المواقف والعلاقات الداخلية والخارجية. ولم يفكر احد في تعديلها او تغييرها. وكثيراً ما تم الاصطدام بنصوصها الجامدة وغير الديمقراطية، وفي كثير من المحطات السياسية الحاسمة تم تجاوزها. فالميثاق الوطني، مثلاً، وضع عام ١٩٦٤ ولا يتضمن نصاً حول الدولة الفلسطينية المستقلة، وكان بحاجة للتطوير منذ زمن طويل، وقد وصفه رئيس اللجنة التنفيذية في تصريح شهير بباريس "بالكافوس"، لكن احداً لم يبادر الى تطويره. وقرارات دورة المجلس الوطني العام ١٩٧٤، التي أقرت البرنامج المرحلي، تجاوزت الميثاق بموافقة الجميع. وقرارات الدورة التاسعة عشرة التي لم يجف حبرها اعترفت بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وأعلن فيها عن قيام دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل. لكن لا أحد تجرأ على طرح مبادرة متكاملة لاعادة صياغة هذا الميثاق بما يتلائم مع التطورات الكبيرة التي مرت بها القضية الفلسطينية والحركة الوطنية الفلسطينية ذاتها.

ولا تستطيع قوى اليسار تحمل "اليمين الفلسطيني" وحده المسئولية الكاملة عن زرع كل الامراض البنوية المزمنة في جسد المنظمة، وعن الأزمة البرنامجية التي عاشتها منذ زمن طويل. صحيح ان حجم المسؤولية يجب ان يتحدد وفقاً لثقل الاطراف في قيادة المنظمة وفي مؤسساتها ومدى تحكمها بمقدراتها، لكن لا أحد يستطيع التبرؤ من مسؤوليته عن تدهور اوضاع المنظمة وغياب الديمقراطية في علاقاتها الداخلية. فجميع القوى والفصائل والشخصيات المكونة للمنظمة والمهيمنة على قيادتها ساهمت في صنع الازمة وهي مسؤولة عن استفحالها. وكلها كانت راضية، بصورة او بأخرى، عن تلك الأوضاع ومتعايشة معها ومستفيدة منها. الى ذلك، لم يحاول اي من الفصائل رسم نموذج ديمقراطي في علاقته الداخلية مع الآخرين يتم الاقتداء به، والكل يدعى الكمال الفكري والسياسي والتنظيمي!!

معظم القياديين العاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي الفلسطيني يكترون عادة الحديث عن قضايا الجماهير ونبض الشارع، والمصالح الوطنية العليا للشعب والقضية... الخ، لكنهم كثيراً ما يحملون القضية والجماهير والشعب مواقف هي منها براء. ومقتناتهم ونقطة ضعفهم كامييرات التلفزيون وعدسات المصورين. وبعضهم يرى ان وظيفة الإعلام تكريس أقوال الرعاع قبل اي شيء آخر، ولا يتزدّد في الطلب من العاملين في الحقل الإعلامي الاكثر من وضع صوره في مجلة الحزب، ولا في اختيار الصور التي يجب ان تنشر، او في استدعاء وتأثيب مسؤول الإعلام حتى لو كان عضواً لجنة مركبة اذا ما نشرت له صورة غير مناسبة. في الحديث والنقاش مع العاملين في الحقلين الحزبي والسياسي على المرء أن لا يكون سانجاً وان لا ينخدع بالأقوال، بل عليه

أن يدقق في الأفعال وفي المصالح الحزبية الخاصة، والقضايا الخاصة الشخصية والحزبية الكامنة في حديثهم. فالذاتية والفردية والطموح إلى السيطرة وتحطيم الآخرين المعارضين سمات ملائمة للسياسيين في المشرق العربي أفرادا وأحزابا، هذا إن لم يكن في العالم أجمع.

بعد رحلة ياسر عبد ربه ومحمد درويش إلى السويد حاولنا جاهدين (ياسر وجميل هلال وأننا) إحضار الأمين العام للجبهة الديمقراطية إلى تونس للمشاركة في اجتماعات القيادة الفلسطينية. واستمعنا بأبو إياد وأبو الهول. وكنا، ومعنا أبو عمار وابو مازن وغالبية قيادة فتح على قناعة بأن انتقال الأماء العاميين من دمشق إلى تونس يحررهم من الضغط السوري، ويحرر مواقفهم السياسية ويحفظ لها نكها الفلسطينية حتى لو كانت معارضة، ويسهل على القيادة الفلسطينية توظيفها في صالح القضية الوطنية. وهذه القناعة لم تكن مبنية على الأمانيات الحزبية فقط، فهوافق وأحاديث الأماء العاميين في تونس تختلف عن التي كانت تصدر عنهم وهم في الشام. هذا ما كان يلمسه الجميع عند انعقاد اجتماعات القيادة الفلسطينية.

ولم يكتف الأمين العام للجبهة الديمقراطية برفض الانتقال إلى تونس، بل أرسل لنا (ياسر وجميل هلال وأننا) باسم المكتب السياسي العديد من "الفرامانات الحزبية" بعضها غير منطقى. منها على سبيل المثال: "توجيه إنذار حزبي لياسر عبد ربه بسبب مشاركته أبو عمار في وفد السويد، وإخفاء المعلومات عن المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية، وعدم التزامه بقرار المكتب السياسي"⁽¹⁾، وفرمان آخر يطلب فتح مسافة عن أبو عمار، وعدم مشاركة ياسر عبد ربه في رحلة ياسر عرفات إلى جنيف لقاء خطاب في الجمعية العامة للأمم المتحدة، واشترط حضور ياسر عبد ربه لخطاب أبو عمار في الأمم المتحدة، بإرسال النص الكامل للخطاب إلى دمشق مسبقاً، وانتظار الإضافات والملاحظات والتعديلات التي سيبدوها المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية عليه، وضمان وضعها كما هي في نص الخطاب...! وفي حال التأكيد من إنجاز كل ذلك بحرفيته يمكن السماح لياسر بالمشاركة في وفد جنيف. وبينون ذلك كله فالسفر منوع، وتجاوز الممنوع كان يعني التعرض للعقاب الحزبي الشديد. وأرسل لنا مع هذين الفرامانين فرمان ثالث يطالعنا فيه بوقف عملنا في تونس، مهما كانت أهميته الوطنية، والتوجه فورا إلى دمشق لحضور اجتماع المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية الذي كنا ننتهي له. فاجتمع المكتب السياسي أصبح أهم من كل اجتماعات منظمة التحرير الفلسطينية، ومن المشاركة في حركتها السياسية، وكأنه هو مركز التخطيط للحركة الفلسطينية.

إلى ذلك، كان واضحاً لياسر عبد ربهولي ولجميل هلال أن موقف أغلبية المكتب السياسي في دمشق تصدر على خلفية ماجرى في دورة المجلس الوطني الفلسطيني، ولا علاقة لها

بالمelonق الحزبي ولا بتعزيز مكانة الجبهة الديمocrاطية في اطر الهيئات القيادية الفلسطينية، وانها تتخذ على خلفية انتقامية ثأرية وتتصيد مواقف قيادة التيار الديمocrاطي بهدف تسجيل النقاط وتجميل الخروقات، ومحاولة تحمي لهم امام قواعد وكوادر التنظيم في سوريا ولبنان مسؤولية توريط الجبهة في السياسة الفلسطينية المتصادمة مع السياسة السورية. كما انها تقع ايضا في اطار توجيه رسالة واضحة للسوريين هدفها استرضاؤهم وامتصاص غضبهم من مواقف الجبهة في المجلس الوطني الفلسطيني، وتأمين المكان وضمان استقرار الاوضاع الحزبية والشخصية لعدد محدود من قيادة الجبهة. وهذا الموقف كان شبيها بموقف اغلبية المكتب السياسي للجبهة من الانقسام التي تعرضت له فتح، وخلال الحروب الظالمة التي تعرضت لها المخيمات الفلسطينية في لبنان على يد حركة امل خلال سنوات ١٩٨٥ و ١٩٨٦ و ١٩٨٧ وبخاصة قبل وبعد معركة مغدوشه التي ازعجت السوريين. في حينه، لم يتورع بعض اعضاء قيادة الجبهة عن طرح ملاحظات امام السوريين تمس امن رفاقهم.

التيار الفلسطيني الواقعي يتولى زمام المبادرة

مع اقتراب موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف أنجزت لجنة الصياغة كتابة الخطاب بصيغته الأولية، وضمنته ما جاء في ورقة شولتس. وتعتمدت، بناء على إصرار أبو عمار، بعثرة النصوص المطلوبة أمريكا. وبينما على تدخله المباشر، تم تعديل بعض النصوص المطلوبة. وكالعادة، بقي الخطاب حتى اللحظة الأخيرة عرضة للتدقيق والتعديل من قبل اللجنة ومن قبل أبو عمار شخصيا. فهو لا يمرر ورقة مهمة او غير مهمة دون اشارة ما عليها بقلمه الاحمر. ونجح في تكريس قاعدة عمل انك اذا اردت ابداء وجهة نظرك في قضية وطنية مركبة ابحثها همسا او بصوت مسموع مع أبو عمار، او اكتبهما مباشرة له. فلا فائدة في بحثها مع الآخرين حتى لو كانوا اعضاء لجنة مركبة في فتح، واعضاء في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وطبعا يفضل بحثها مع أبو عمار على انفراد. وإذا اردت تذكرة سفر لمهمة وطنية او شخصية او مساعدة مالية او حل مشكلة وظيفية او اجتماعية اطلبها من أبو عمار مباشرة. فمخاطبة أبو عمار اقصر الطرق لايصال رأيك وتحقيق طلبك. وتقليل تقديم الارواح الهامة وغير الهامة مباشرة الى أبو عمار انضبط له الجميع من أهم عضو في اللجنة التنفيذية وحتى اصغر كادر. وافسح هذا التقليد في المجال لنمو ظاهرة الانتفاع بالاقرب من أبو عمار، واستغل البعض حجله، وبعضهم قوى مصالحة المادية والمعنوية.

بتاريخ ١٢/٨/١٩٨٨، عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا حضره، بالإضافة الى أبو عمار،

كل من أبو اللطف، أبو مازن، أبو علي مصطفى، ياسر عبد ربه، محمود درويش، عبد الله الحوراني، جويد الغصين، عبد الرزاق اليحيى، ومحمد ملحم، وناقشو في مهمة الوفد الفلسطيني في السويد، ورحلة أبو عمار المقبلة إلى جنيف لقاء الخطاب، وبمبادرة شولتس التي نقلها وزير الخارجية السويدي أندرسون. في حينه، عرض أبو عمار الموضوع كما حصل، وقرأ الورقة التي استلمها من أندرسون، وقرأ التعديلات التي اقترحها الوفد الفلسطيني وكانت بخط ياسر عبد ربه.⁽¹¹⁾ وقال: "لم نعط جواباً نهائياً وقلنا له بأن المطلوب لا يختلف عما طلبه شولتس سابقاً، ونحن - وفقاً لقرارات مجلسنا الوطني - نمثل حكومة لدولة فلسطين. نحن اعترضنا على استخدام مصطلح الضفة الغربية وقطاع غزة وقلنا الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ حتى يكون فيها القدس والحملة وغيرها من الأراضي الفلسطينية".

واسترسل في الحديث عن تاريخ الحمة الفلسطينية وعن أراض فلسطينية أخرى تقع تحت السيطرة اللبنانية، بقيت بيد السوريين واللبنانيين بعد العام ١٩٤٨ - ١٩٤٧، وشدد على أنه سيطالب القيادة السورية في أول فرصة باعادتها لاصحابها. واضاف: "قلنا لأندرسون نحن نرفض وقف العنف لأن هذا يعني وقف الانتفاضة. والمهم أننا غيرنا في مقترحاته عدة مرات، وقبل تعديلاتنا بعد التشاور مع شولتس". ثم تابع أبو عمار عرض ما تم في رحلته. وأشار إلى أن الوزير السويدي قال لوفد م.ت.ف. أن هناك ورقة مع الوفد اليهودي الأميركي اعدت بمشاركة فلسطينية، فقال له أبو عمار هذا لا يعنيوني ولا يلزمني. وكشف أبو عمار أن الورقة من شغل "أخي وحبيبي أبو السعيد" خالد الحسن. وأكد أبو عمار أنه قال لأندرسون بوضوح "أنا لا أعمل ببيانات مع أفراد، وأنا عندى لجنة تنفيذية وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني وبموجبها أعمل، ومنها تنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١". بعدها جاء أندرسون، وأبلغ الوفد الفلسطيني قبل التعديلات التي ادخلت على ورقة شولتس. وتتابع أبو عمار رواية ما حصل، وقال: "بعدها اتصلنا مع تونس ومع السوفيت لنستطلع الرأي ونقرر ما العمل. وبلغت المصريين، ونصحوا أن لا نقدم الورقة هناك، وإذا كان لا بد من تقديمها فقدموها لللامم المتحدة في جنيف". واستقرب أبو عمار عدم تلقيه جواباً من السوفيت. وخلال نقاش ما عرضه أبو عمار تباينت الآراء، وكانت أغلبية اللجنة التنفيذية مع الموافقة على اقتراح شولتس، واستندوا في موافقتهم إلى قرارات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني.

وافق أبو مازن من حيث المبدأ على اقتراح شولتس وقال: "عندى تحفظان اساسيان: الأول يجب أن لا نخاطر بعلاقاتنا مع أصدقائنا ورأي السوفيت مهم ويجب أن نحصل عليه. والثاني يجب أن لا نقول هكذا كلام مهم إلا في اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة".

اما محمود درويش فتساءل: هل يستحق قبول الامريكان محاورتنا تقديم هذا الشيء أم لا؟ وأجاب على السؤال وقال: "أنا أقول نعم ولكن يجب الانتباه جيداً للمطالب الأمريكية اللاحقة".

اما أبواللط夫 رئيس الدائرة السياسية فقد قاطع المتحدثين المؤيدین أكثر من مرة، وقال لهم: "ماذا نقبل، ولماذا نقبل ایها الاخوة مثل هذا العرض؟ هل مطلبنا هو ان يحاورنا الامريكان أم ان مطالبتنا اکبر بكثير؟" وفي مداخلته الرئيسية تحفظ ابواللطاف على الموضوع، وقال: "الامريكان يخدعونا ولدينا تجربة عملية ملموسة"، وذكر بمشروع غروميكو - فانس حول الشرق الاوسط، وبالاتفاق الفلسطيني - الامريكي مع ادارة ريجان حول حماية اوضاع المخيمات قبل الانسحاب من بيروت في حرب العام ١٩٨٢، وتساءل ألم ينقضوها ودفعنا ثمنا غاليا؟ وقال: "إذا كان عندكم أوراق غير الاعتراف بإسرائيل دولوني عليها، وماذا سيبقى لديكم للمقاومة اللاحقة، وهدف المطلب الامريكي واضح هو تحريركم من الورقة الاساسية التي تملكون. إذا قدمناها فبماذا نذهب الى المؤتمر الدولي عندما ينعقد؟" وأشار الى ان نص قرار المجلس الوطني وضع بشكل عائم ليبقى بعض الأوراق بيد القيادة الفلسطينية. وتساءل هل التزام الادارة الأمريكية الحالية ملزم للادارة القادمة، أم أن تبدل الادارة يغير في الالتزامات؟ وشدد على ضرورة الحصول على ضمادات دولية وعربية، وان هناك اطرافاً عربية مهمة لابد منأخذ رأيها، وان مسألة الأرضيات العربية الأخرى المحتلة مهمة وليس من مصلحة فلسطينية في القفز في الحديث مع الامريكان عنها، وكذلك مسألة عودة اللاجئين. وختم حديثه بالقول: "إذا كنا نود ان نعمل هذا العمل، ونقدم على هكذا خطوة فليكن مع الادارة الأمريكية القادمة، وبالتشاور مع السوفيت، والثاني مطلوب حتى لا نضيع ما بيدنا".

وال موقف ذاته اتخذه الامين العام المساعد للجبهة الشعبية أبو علي مصطفى حيث قال: "لا أحد هنا ضد أن تعرف الولايات المتحدة بنا، أو تتعاون م.ت.ف. وإذا تم ذلك فهذا مكسب هام وتحول كبير في السياسة الأمريكية ازاء الصراع في المنطقة وحل القضية الفلسطينية". لكنه أكد على انه لا يرى الامور كما يراها بعض الاخوان، وشكك في موقف الادارة الامريكية وقال: "هذه الادارة تخادع وعلى وشك مغادرة البيت الابيض خلال فترة قصيرة، فلماذا نقدم لها هذا الثمن الباهظ؟ هل نقدمه هكذا؟ وهل ستكتفي بهذا، أم ان هناك اشياء اخرى مطلوبة منا.. وما هي؟" وأضاف: "عند صياغة قرارات المجلس الوطني قيل تريدها واقعية وواضحة ووافق المجلس الوطني على ذلك. والآن، نسمع أن الوضوح يحتاج الى توضيح وهلم جرا، ولا نعرف الى أين سنصل؟" وأشار الى ان قراءته للورقة الأمريكية والتفتيحات المقترحة عليها، بينت له انها تغفل قضياباً مهمة مثل حق العودة لللاجئين، وتقرير المصير، وقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية.

ويعتقد انه إذا كان الثمن المطلوب من الفلسطينيين هو الاعتراف مقدماً بحق إسرائيل في الوجود وبالقرار ٢٤٢ ووقف الانفلاحة مقابل حوار مفتوح مع الامريكان، فهذا مرفوض، ويحمل خطراً حقيقياً على القضية الوطنية. ودعا اعضاء التنفيذية الى اختبار الادارة الامريكية من خلال مجلس الأمن الدولي، فإذا وافقت واشنطن في مجلس الامن على حق تقرير المصير والاشراف الدولي المؤقت عندها يمكن دراسة المطلوب. واقتراح ابو علي أن يتم ذلك في اجتماع الجمعية العامة القادم في جنيف.

بعد هذه المدخلات احتدم النقاش بين الاتجاهين، وختم أبو عمار الاجتماع بالقول: "حتى لا نقدم ما نريد قوله بالفرق، لنقله كله دفعه واحدة. وعلى كل حال لا يجوز أن نقول شيئاً قبل التشاور مع الأصدقاء السوفيت. فكروا بالموضوع ويمكننا أن نتابع الاجتماع غداً". وكان مفهوماً للبعض أنه سيجري اتصالاته العربية والدولية قبل ان يحسم موقفه. وفي نهاية الجلسة، جرى نقاش حول النص الانجليزي بشأن القرار ٢٤٢ حول "عيش دول المنطقة أو وجودها بسلام"، وفي نهاية النقاش اقرت الصيغة الانجليزية التي تقول "الحق بالحياة والسلام لشعوب ودول المنطقة"، واستبعد النص في الخطاب على: "حق الوجود لاسرائيل". وانتهت الجلسة في الساعة الثالثة فجر يوم ١٢/٩/١٩٨٨، وانتزع أبو عمار الموافقة على هذا التوجه كما كان يريد، واعتبر ان تحفظ بعض الاعضاء مفيدة أيضاً.

مساء اليوم التالي، تابعت اللجنة التنفيذية اجتماعاتها وبدأت الحضور، ولم يطرأ أي تبدل على مواقف الاعضاء. بدأ أبو عمار الاجتماع وقال: "اليوم، التقى السفير السوفييتي وأبلغته بما تم في ستوكهولم. واتفقنا معه على أن يسافر أبو مازن الليلة الى موسكو ويلتقي غداً في الخارجية مع المعينين". واضاف: "اطلاق القيادة السوفيتية على ما يجري ضروري ومفيد لنا، ولا تنسوا انهم دولة عظمى يحسب الغرب حسابها". ونقل للمجتمعين ان الرئيس حسني مبارك اتصل واستفسر حول الذي جرى في ستوكهولم، وأشار بالنتائج. وقال أبو عمار: "سألته رايهم؟ فقال مبدئياً لا تستعجلوا ولا تقدموا الموضوع خارج جنيف". وابلغ الى الاجتماع انه سيلتقي يوم الأحد ١٢/١١/١٩٨٨ بالملك فهد، ويمكن ان يكون الاخوة السعوديين سمعوا شيئاً جديداً من الامريkan حول الموضوع. وأنه يفكر باطلاق القيادتين العراقيتين والجزائرية وغيرهما من القيادات العربية على ما حصل في السويد، حتى يتم الاستقواء بالموقف العربي ما امكن.

بعد أبو عمار، تحدث أبو اللطف فقال: "ارجو ان يكون واضحاً ان عبارة "الحقوق السياسية" لا تعني حق تقرير المصير، بينما حق تقرير المصير يعني دولة". وبين ان موافقته على القرار ٢٤٢ مربوطة بتقرير المصير، وأنه ضد ٢٤٢ انتلاقاً من هذه القاعدة، وسجل تحفظه وأكد عدم ثقته بالموقف الأمريكي ومراميه.

والشيء ذاته فعله أبو علي مصطفى وقال: "بقبو لكم القرار ٢٤٢ قدمتم صحن المقلبات والآن مطلوب منكم أن تقدموا الوجبة الدسمة، ولن تقبلكم الادارة الامريكية ولا إسرائيل بل سيعتبر تجريدكم مما في يدكم ورقة بعد أخرى". وسجل اعتراض الجبهة الشعبية على تقديم تفسيرات لقرارات المجلس الوطني، وأنها ضد تقديم أي تنازلات سياسية تشتم منها رائحة الاستجابة للشروط الأمريكية. وطالب الجميع احترام القرارات الوطنية كي لا تدخل الساحة الفلسطينية في جدل حول التفسيرات والتفسيرات المضادة.

وأنهى أبو عمار الاجتماع الثاني للجنة التنفيذية، بالقول: "أخشى من سيناريو حرب في المنطقة لشطب العامل الفلسطيني المستقل. نحن بدأنا هجوم السلام علينا أن نكله، وفي المعارك والحروب الكبيرة ليس هناك انصاف هجوم". وأكد احترامه لرأي أبو اللطف وأبو علي مصطفى، وتحفظاتهم على توجهات اللجنة التنفيذية، واعتبره حقهما الطبيعي. وقال: "عندى جولة قصيرة إلى عدد من الدول العربية، أرى أنها ضرورية في هذا الوقت بالذات، وبعدها سأنتقل إلى جنيف مباشرة".

قبل سفر أبو عمار إلى جنيف، ألح أغلبية أعضاء المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية المتواجدين في دمشق علينا (ياسر وجميل وانا) إرسال نسخة من الخطاب الذي سيلقيه أبو عمار في جنيف، إلا ان تجريتنا معهم في مشروع شولتس - أندرسون جعلتنا نصمم على عدم الرد على رسائلهم التي انهمرت علينا مثل زخات المطر. وقررنا عدم الإستجابة لطلفهم غير المنطقي وغير المعقول، لا في العرف الوطني ولا في العرف السياسي، ولم نرسل نص الخطاب لهم، بالرغم من توفره بين ايدينا. إلى ذلك، كنا مقتتنين تماماً بأن إرساله إلى دمشق عبر الفاكس ميل يعرضه للوقوع بيد السوريين، ولنشر في الصحف قبل تسليمه للدول الكبرى والصغرى، وقبل القائه أمام الجمعية العامة، وعندما يفقد اجتماع ممثلي دول العالم في جنيف بعضاً من وظيفته، وي فقد الموقف الفلسطيني معظم نكهته، ناهيك عن ان خطابات أبو عمار تبقى مفتوحة للتعديلات حتى اللحظات الأخيرة. رفضنا القرار الحزبي ولم نستجب لطلفهم من أجل المصلحة الوطنية العليا، وفضلنا وضعها فوق مصلحة الحزب وفوق رغبات أغلبية أعضاء المكتب السياسي، التي باتت خاصة لرغبات آخرين، يضعون المصالح الخاصة فوق المصلحة الوطنية وحتى فوق مصلحة تنظيم الجبهة.

اصر الأمين العام للجبهة الديمقراطية على موقفه برفض مشاركة ياسر عبد ربه في الوفد الفلسطيني الواسع المرافق لأبو عمار، بالرغم من معرفته انه سيضم ممثلاً عن الجبهة الشعبية، اضافة لمعظم اعضاء اللجنة التنفيذية. وفعلاً لم يشارك ياسر في الوفد الذي تقرر سفره مع أبو عمار، بالرغم من قرار اللجنة التنفيذية بأن يكون ياسر عبد ربه ضمنه، وأيضاً، بالرغم من محاولات أبو عمار وآخرين في القيادة الفلسطينية اقتناعه بضرورة

ان يكون ضمن الوفد ومع كل المحاولات والجهود الشخصية والحزبية التي بذلها صالح رأفت عضو المكتب السياسي الموجود في دمشق، وجهودي أنا من تونس، بقي الامين العام للجبهة على موقفه ومعه أغلبية في المكتب السياسي. وحاول التستر على موقفه بافعال اشكالية تنظيمية حول مصدر القرار داخل الجبهة. ولاحقاً، تبين لنا أن الحرص على تجنب التصادم مع السلطات السورية، وتأمين استقرار قيادة الجبهة في دمشق أهم عند الامين العام وأغلبية المكتب السياسي للجبهة من المشاركة في الحركة السياسية الفلسطينية، واهم من تحقيق انجازات وطنية سياسية اضافية، وان ارضاء الذات أهم من التوافق مع القيادة الفلسطينية.

حاولت، شخصياً، إقناع ياسر عبد ربه بالسفر الى جنيف، والتمرد على قرار المكتب السياسي إلا انه رفض ذلك. وقال: "حضورى خطاب أبو عمار في جنيف لا يؤخر ولا يقدم في الموقف الفلسطيني، ومن الخطأ ان يجعل منها قضية تفجيرية لأوضاع الجبهة. امامنا مشوار طويل من الصراع الداخلي، وبالرغم من سفر ممثلي كل التنظيمات بما في ذلك مندوب الشعيبة فلعل غيابي يكشف عن ذاتية وحدودية تفكير الامين العام وأغلبية المكتب السياسي، ويفضح مواقفهم امام كواذر وقواعد التنظيم وامام القوى الوطنية الفلسطينية". وبالفعل أظهر الامين العام وأغلبية أعضاء المكتب السياسي سعادتهم لعدم مشاركة ياسر في الوفد الفلسطيني الذي رافق أبو عمار في رحلته الى جنيف، علما بأنهم كانوا يعرفون ان الجبهة الشعبية الرافضة لكل الخط السياسي ستشارك في الوفد بشخص عضو مكتبها السياسي تيسير قبعة، واعتبروا انفسهم منتصرين. نعم، ابتهج الامين العام وارتاح أعضاء المكتب السياسي للجبهة لأنهم استطاعوا، كما تصوروا، فرض سلطتهم وقرارهم الحزبي على الامين العام المساعد ياسر عبد ربه عن بعد الاف الكيلومترات. وابتھجوا لأنهم أثبتوا، كما تصوروا، لرئيس اللجنة التنفيذية ان ياسر عبد ربھ عضو اللجنة التنفيذية لا يستطيع تقرير شيء حتى لو كان هذا الشيء يقع في نطاق عمله في اطار هيئات منظمة التحرير الفلسطينية، حتى لو كانت المسألة المشاركة في اطار وقد رسمي الى جنيف لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة.

بعد القاء، أبو عمار خطابه، بادرت قيادة الجبهة الديمقراطية الى اصدار بيان من دمشق ادانت فيه ما ورد في الخطاب واعتبرته خروجاً على قرارات المجلس الوطني، بينما تريثت قيادة الجبهة الشعبية ولم تر فيه تجاوزاً للقرارات. وتركـت جملة مواقف المكتب السياسي للديمقراطية هذه من الخطاب ومن رفض سفر عبد ربه ضمن الوفد، ومن زيارة استكهولم، ومن كل الحركة الدبلوماسية الفلسطينية، ومن التحفظ على قرارات المجلس الوطني، ومن رفض الإنفتاح في علاقات الجبهة عربياً، واستجابـتهم للضغط السوري... الخ آثاراً سلبية شديدة على أوضاع الجبهة الديمقراطية، وسـاهمـت في تصعيـدـ حـدةـ خـلافـتها

الداخلية، ورفعت من وتيرة تشنج العلاقات بين الأمين العام نايف حواتمة ومساعده ياسر عبد ربه. وتوترت العلاقات الحزبية والشخصية في إطار المكتب السياسي، ومست صدقية الجبهة فلسطينيا، واضعفت دورها الوطني، واريكت عمل قيادتها كهيئة جماعية وأفرادا. وظهرت الجبهة أمام قطاع واسع من المثقفين الفلسطينيين على أنها بذلت تلبس ثوب التطرف الذي لا يناسبها. ودفعت ياسر عبد ربه للتفرب من العلاقات الحزبية والى الاستنكاف عن الذهاب الى دمشق لحضور الاجتماعات اللاحقة للمكتب السياسي، ونشأت شبه قطيعة تنظيمية بين مركز الجبهة في تونس ومركزها في دمشق. ومنذ ذلك التاريخ، أوقفنا إطلاع المكتب السياسي على ما يدور في اجتماعات اللجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية، وفي اجتماعات المجلس العسكري الأعلى، واللجنة العليا لشؤون الوطن المحتل ولجنة الانفاضة، رغم الحاجهم علينا بضرورة وضعهم في صورة التطورات او لا بأول، وارسال محاضر ونتائج اجتماعات هذه الهيئات.

في ١٣ كانون الاول/ديسمبر ١٩٨٨، القى أبو عمار خطابه في الجمعية العامة للأمم المتحدة بحضور العديد من وزراء خارجية العالم، وبحضور معظم أعضاء اللجنة التنفيذية، وكان ياسر عبد ربه ممثل التنظيم الواقعي، الجبهة الديمقراطية، ابرز الغائبين. وحضر إلقاء خطاب أبو عمار، العديد من كوادر وممثلي فتح ومن الشخصيات الوطنية الفلسطينية كان من ضمنهم حبيب الصياغ وباسيل عقل^(١) اللذان لعبا دوراً أساسياً في بلوغ الموقف الأمريكي من الحوار مع م.ت.ف. فكلاهما، وبخاصة حبيب، كانوا على معرفة سياسية وشخصية بشولتس قبل أن يصبح وزيراً للخارجية الأمريكية.

بدأ أبو عمار خطابه بالحديث عن رفض الإدارة الأمريكية السماح له بالذهاب إلى مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وقال: "لم يدر بخلدي قط أن لقائي الثاني منذ العام ١٩٧٤ مع هذا المجلس الموقر سيكون في مدينة جنيفالمضيافة". فقد كنت أعتقد أن الموضع والمواقف السياسية الجديدة التي انتقل إليها شعبنا، وأعلنت كلها في الجزائر وسط استحسان وترحيب دولي كبير، سوف تفرض على الحضور إلى مقر المنظمة الدولية في نيويورك.. إن لقائي معكم،اليوم، في جنيف بعد أن حال قرار أمريكي جائز دون ذهابي إليكم هناك، هو مصدر إعتزاز وسعادة لي.. ومن هنا فإن قرار جمعيتك الموقرة الذي صدر بموافقة الدول الـ ١٥٤ على عقد الدورة الآن هنا، لم يكن انتصاراً على القرار الأمريكي، ولكنه كان إنتصاراً للإجماع الدولي للحق ولقضية السلام باستفتاء لم يسبق له مثيل من قبل".

وعن إعلان الدولة قال: "قبل أربعة عشر عاماً تلقيت دعوة مشكورة منكم لطرح قضية شعبنا الفلسطيني أمام هذه الجمعية الموقرة،وها أناذا أعود إليكم لأرى شعوباً جديدة قد احتلت أماكنها بينكم، أقدم التهاني لهذه الشعوب، وأعلن للجميع بأنني أعود إليكم بصوت

أعلى، وتصميماً أقوى، وثقة أعظم، لأؤكد أنه لابد لنضالنا أن يثمر، ولابد لدولة فلسطين التي أعلنا عن قيامها في مجلسنا الوطني أن تأخذ مكانها بينكم.. أعطيتمنا الأمل بانتصار الحرية والعدل، فأعطيتكم جيلاً من أبناء شعبنا كرس العمر لتحقيق هذا الأمل. إنه جيل الانتفاضة المباركة الذي يحمل اليوم حجارة الوطن ليدافع بها عن شرف هذا الوطن، ول يكن جديراً بالإنتقام إلى شعب يتعطش للحرية والاستقلال".

وعن الأساس الدولي لاعلان الاستقلال وحق اللاجئين في العودة، اشار ابو عمار في كلمته الى أن شهادة الميلاد الوحيدة لقيام دولة إسرائيل هي القرار ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧ والذي وافقت عليه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وهو ينص على قيام دولتين في فلسطين واحدة عربية فلسطينية والثانية يهودية. وتساءل كيف تفسر الحكومة الأمريكية موقفها الذي يقر ويعرف بنصف هذا القرار المتعلق بإسرائيل وترفض نصفه الآخر المتعلق بالدولة الفلسطينية؟ بل وكيف تفسر عدم التزامها بتنفيذ قرار سبق وأن تبنته أكثر من مرة الجمعية العامة للأمم المتحدة وهو القرار رقم ١٩٤ والقاضي بحق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها، أو التعويض على من لا يرغب في العودة. وأكد ان ليس من حق الولايات المتحدة أو من حق غيرها تجزئة الشرعية الدولية وتقييد أحكام القوانين الدولية.

وعرض أبو عمار القرارات السياسية للمجلس الوطني وخص بالذكر تأكيد المجلس الوطني على ضرورة انعقاد المؤتمر الدولي والخاص بقضية الشرق الأوسط، تحت إشراف الأمم المتحدة وبمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، وجميع أطراف الصراع في المنطقة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وعلى قدم المساواة. وأوضح ان المجلس وافق على اعتبار أن المؤتمر الدولي ينعقد على أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ وضمان الحقوق الوطنية والسياسية المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير المصير. وأكد أبو عمار ضرورة الوصول الى تسوية سياسية شاملة وتحقيق الأمن والسلام للجميع، شعوباً ودولـاً، في الشرق الأوسط بقبول ورضـا مـتـبـالـيـنـ. وبيـنـ انـ المـجـلـسـ الـوطـنـيـ اـكـدـ عـلـىـ الـعـلـاقـةـ الـمـتـمـيـزةـ وـالـخـاصـةـ بـيـنـ الشـعـبـيـنـ الشـقـيقـيـنـ الـأـرـدـنـيـ وـالـفـلـسـطـنـيـ،ـ وـأـنـ الـعـلـاقـةـ الـمـسـتـقـبـلـيـةـ بـيـنـ دـوـلـةـ فـلـسـطـنـ وـالـمـلـكـةـ الـأـرـدـنـيـةـ الـهـاشـمـيـةـ سـتـكـونـ عـلـىـ أـسـسـ كـوـنـفـرـالـيـةـ،ـ وـعـلـىـ أـسـاسـ الإـخـتـيـارـ الطـوـعـيـ وـالـحـرـ لـالـشـعـبـيـنـ الشـقـيقـيـنـ.

ويشأن إدانة الإرهاب قال: "لقد جدد مجلسنا الوطني التزامه بقرارات الأمم المتحدة التي تؤكد حق الشعوب في مقاومة الاحتلال الأجنبي والاستعمار والتمييز العنصري، وحقها في النضال من أجل استقلالها، وجدد رفضه للإرهاب بكل أنواعه.. وإنني كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية أعلن من هنا مرة أخرى أنني أدين الإرهاب بكل أشكاله"^(٤) وختم

خطابه بالقول: "فلترتفع الأصوات المؤيدة لغصن الزيتون وسياسة التعايش السلمي وأجواء الإنفراج الدولي، ولتشابك الأيدي دفاعاً عن فرصة تاريخية قد لا تعود".

الخطاب يمهّد الطريق للحوار مع الادارة الامريكية

إلى ذلك، رحب الشعب الفلسطيني، داخل وخارج الأرض المحتلة بالخطاب، واعتبر يوم الخطاب من أيامه التاريخية. ورأى في نقل اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة من نيويورك إلى جنيف بالرغم من اراده الولايات المتحدة الأمريكية إنجازاً مهماً. أما أعضاء الأغلبية في المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية فنددوا بالخطاب قبل أن يقرأوه، ولم يتظروا ردود الفعل الدولية والإسرائيلية عليه، وقالوا إنه يتعارض مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وكان موقف قيادة الجبهة الشعبية أقل تشنجاً ولم تر فيه ما رأته قيادة الجبهة الديمقراطية.

على كل حال، جميع الحاضرين من شتى أنحاء العالم صدقوا بالخطاب، السوفيت ودول أوروبا رحباً به، والشعب الفلسطيني ابتهج له ولم يكتثر أحد بموقف المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية، بل إن الجبهة خسرت جزءاً إضافياً من رصيدها السياسي والمعنوي على الصعيدين الشعبي والرسمي الفلسطيني وفي صفوف عدد من قوى حركة التحرر العربي. ولم تتعد آثار موقف أغلبية قيادة الجبهة الديمقراطية من الخطاب حدود تعبيئة كوادر التنظيم وتضليلها بما يسيء للوحدة الوطنية الفلسطينية والعلاقات الداخلية، وتشويه مواقف بعض أعضاء قيادة الجبهة، وخصوصاً الأمين العام المساعد ياسر عبد ربه وصالح رافت وممدوح نوبل وجميل هلال وعصام عبد اللطيف أعضاء قيادتها، وتحريض التنظيم ضدّهم.

من جنيف، وبعد إلقاء الخطاب مباشرةً، أجرت أكثر من جهة فلسطينية وعربية ودولية، منها الرئيس المصري، وال سعوديون، وحسيب الصباغ وباسل عقل وأندرسون وزير خارجية السويد، اتصالات مع أركان الادارة الأمريكية، وطالبوها تنفيذ الشق المتعلق بها من الإتفاق الذي تم مع وزير خارجية السويد، أي الإعلان عن بدء الحوار المباشر مع م.ت.ف. إلا أن ردّ البيت الأبيض ومسؤولي الادارة الأمريكية كان مخيلاً للأمال، وقالوا إن ما ورد في الخطاب خطوة إلى الأمام، إلا أنه ناقص وغير كافٍ، ولا بد من توسيع الموقف الفلسطيني من الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود ومن الإرهاب بصورة أوضح. وقالوا إن عرفات "ادان" الإرهاب لكنه لم يعلن بذلك له. إلى ذلك شجعت اطراف عربية وفلسطينية أبو عمار على أن يلتزم بما يطلبه الأمريكيان لا سيما وإن جوهر ما قاله لا يختلف نوعياً عن ما طلبوه. واقتصر بعض الفلسطينيين الحاضرين في جنيف أن يعقد أبو عمار مؤتمراً صحيفياً يوضح فيه الموقف الفلسطيني بشكل جلي و مباشر وسحب كل النزائع الأمريكية.

وبعد اتصالات مكثفة مع الادارة الامريكية عقد أبو عمار مؤتمره الصحفي، في يوم ١٤ كانون الأول/يناير ١٩٨٨، بحضور أندريسون وعدد من اركان الوفد الفلسطيني، وقرأ النص المطلوب أمريكا. وقال دون لبس او غموض: "اشرت في خطابي الى قبولنا للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع اسرائيل لحل المسألة الفلسطينية، وحل الصراع العربي الاسرائيلي في اطار المؤتمر الدولي. وبالنسبة لارهاب فلقد نبذته بصريح العبارة، ومع ذلك فإنني اكرر هنا للعلم به وتسجيله اننا نبذ كلية ويشكل مطلق كل اشكال الارهاب، بما في ذلك ارهاب الفرد والجماعة والدولة". واكد مجددا ان منظمة التحرير تعترف بحق جميع الاطراف المعنية في نزاع الشرق الاوسط في العيش في سلام وأمن، ضمن حدود آمنة ومعترف بها بما في ذلك دولة فلسطين واسرائيل".^(١٥)

وخلال المؤتمر الصحفي، أكد أبو عمار على الثوابت الوطنية الفلسطينية المعروفة. واجرى حبيب الصباغ وستين اندريسون، كل على انفراد، اتصالاتهم المطلوبة مع شولتس وحثوه على الوفاء بالتزاماته. وبعد ساعات قليلة، وافق شولتس على ان عرفات اوفى بالشروط الامريكية، وردت الادارة الامريكية على ذلك بالإعلان على لسان ناطق رسمي عن استعدادها لفتح حوار مباشره مع منظمة التحرير. وقبل المؤتمر الصحفي كان وزير الخارجية الامريكية جورج شولتس واركانه يشكرون في إقدام عرفات على هكذا خطوة، وبعد سماعهم خطابه، قال شولتس لأحدى الشخصيات العربية : "هذا رجل رئيسي، ومناورة، ولعوب".

بعد المؤتمر الصحفي ونبذ أبو عمار للعنف والارهاب، وتفاعلاته مع المطلب الامريكي دهش شولتس وقرر الاعلان عما التزم به مع اندريسون. وقبل الإعلان عن القرار ببدء الحوار مع م.ت.ف. اتصل شولتس بوزير خارجية إسرائيل وأبلغه بالقرار الامريكي. وبعدها بساعات: أعلن "أن الولايات المتحدة قررت فتح حوار رسمي مع منظمة التحرير الفلسطينية، بعدما وافقت على شروطنا، وأعلنت رسمياً نبذها للارهاب، وأقرت بحق إسرائيل في الوجود، وإعترفت بقرار مجلس الامن ٢٤٢". وأعلن شولتس، أن الادارة الأمريكية كلفت سفيرها في تونس روبرت بيللترو الابن ترؤس الجانب الأمريكي في الحوار.^(١٦)

وعبر الاتصالات الدبلوماسية، التي تمت سريعاً مع الحكومة التونسية، إقترح أشولتس، يوم ١٨/١٢/٨٨ موعداً لعقد الجلسة الأولى، اي بعد ٤٨ ساعة فقط، ولم تفكر الادارة الأمريكية في ردود الفعل السوفيتية على هذا التفرد. فقد صار واضحـاً لها أن ضعف أوضاع الاتحاد السوفييتي الاقتصادية وتآكل أوضاعه الداخلية لا يمكنـانـه من القيام بشـاغـبةـةـ جـديـةـ علىـ خطـوتـهاـ. ورـدـاـ عـلـىـ ماـ اـعـلـنـهـ شـولـتسـ أـعـلـنـتـ قـيـادـةـ مـ.ـتـ.ـفــ.ـ فيـ الـيـوـمـ ذاتـهـ عنـ تـرحـيبـهاـ رـسـمـيـاـ بـالـخـطـوـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ،ـ وـاعـتـرـتـهاـ خـطـوـةـ صـحـيـحةـ باـتجـاهـ صـنـعـ

السلام في المنطقة. وشكلت وفدها للحوار مع الادارة الامريكية برئاسة ياسر عبد ربه، وعضوية عبد الله الحوراني عضو اللجنة التنفيذية، وحكم بلعاوي عضو مركبة فتح سفير دولة فلسطين في تونس، وعبد اللطيف أبو حجلة أبو جعفر مدير عام الدائرة السياسية. في حينه، رحب ياسر عبد ربه بالمهمة بالرغم من معرفته موقف الرفاق السلفي، وقرر خوض الصراع الداخلي حول الموضوع. وعقدت الجلسة الأولى من الحوار قبل أعياد الميلاد يوم ١٨/١٢/١٩٨٨، تلتها جولة ثانية وثالثة ورابعة، وتدخلها تفاعل في الآراء وشابها انفعالات وتوترات كثيرة.

اثار الاعلان عن بدء الحوار الفلسطيني - الامريكي زوبعة فلسطينية داخلية قوية، غدت رياح الخلافات التي فجرتها دورة المجلس الوطني في الساحة الفلسطينية، وفجرت خلافات مع المعارضة، وشكلات داخل قيادة فتح، وفي اطار التيار الفلسطيني الواقعي. وبعد تشكيل الوفد الفلسطيني للحوار مع الامريكان شعر أبوالسعيد خالد الحسن وكذلك هاني الحسن بأن ترؤس ياسر عبد ربه للوفد إبعاد لها عن مهمتهم يرون انهم الاقدر عليها وتقع في نطاق اختصاصهما، واستهجنوا عدم إسناد مثل هذه المهمة الاساسية الى قيادي فتح. فأبو السعيد كان معروفا في الساحة بأنه من أنصار الإنفتاح على الامريكان وعدم رمي كل الوراق الفلسطينية في سلة الاتحاد السوفييتي، ومن دعاة الاحتفاظ بمسافة عن البلدان الاشتراكية لا تصل درجة القطيعة. وكان ينظر له في الساحة الفلسطينية على انه من أصحاب الخط الامريكي - الخليجي، حسب تعبير قوى اليسار الفلسطيني. ولم تقتصر الزوبعة على فتح، بل ظهرت بشكل أعنف داخل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. فاغلبية قيادة الجبهة المقيمة في دمشق عارضت الحوار وعارضت ترؤس ياسر عبد ربه له. واتهمت أبو عمار "باللعب في أوضاعها الداخلية ومحاولة توريطها في مهمة سياسية قذرة". ونظرت الى تعيين عبد ربه على رأس الوفد المفاوض دون التشاور معها، بوصفه دعما لطرف ضد الآخر، وخروجها على الاعراف والتقاليد الفلسطينية التي تعتمد قرار التنظيم وفقا لما يقوله امينه العام، واعتبروها محاولة خطيرة من ياسر عرفات لدفع خلافات الجبهة الداخلية نحو الإشراق.

اما دوافع وحسابات أبو عمار في تشكيل الوفد على النحو الذي تم فيه، فكانت مختلفة تماما عن تلك التي اعتمتها اغلبية قيادة الجبهة الديمقراطية. وتتجنب أبو عمار إسناد مهمة ترؤس الحوار لقادة فتح المرشحين لهذا مهما، على أمل تقليل امتعاض السوفيت وبعض الاطراف العربية من فتح الحوار مع واشنطن، وحتى يتتجنب اي اشكالات فتحاوية داخلية حول الموضوع، ولا يمكن الطامحين من استثمار الحوار لصالح تعزيز مواقعهم الشخصية داخل فتح، وتقوية مواقفهم وعلاقتهم العربية والدولية. وكان أبو عمار يعرف

أكثر من سواه أن أبو السعيد خالد الحسن لن يتماشى مع كل ما يريد هو من هذا الحوار، ولن ينضبط لتكتيكاته التي يريد انتهاجها. فالمعروف عن خالد الحسن في الأوساط الفلسطينية بأنه صاحب رأي وصاحب مبادرة وقرار. أما أبو اللطف وزير خارجية دولة فلسطين فلم يكن بالإمكان تكليفه بالمهمة لأنه كان من المعارضين للتوجهات السياسية الفلسطينية، خصوصاً مبادرة السلام وكل ما أعلنه أبو عمار في المؤتمر الصحفي بعد خطابه في جنيف، وكان من المشككين في جدوى الحوار مع الأمريكان. ويتعذر إسناد مهمته لأبي اللطف، أصبح، من غير الممكن، وفقاً لتركيبة قيادة فتح وأسس علاقاتها الداخلية إسنادها لأبو مازن أو أبو ماهر غنيم المتحفظ على التوجهات أو هاني الحسن، أعضاء اللجنة المركزية. فالعديد من العوامل والاعتبارات الفتحاوية الداخلية تحول دون ذلك. ولا أظن أن أبو عمار فكر في إسنادها لأبو ابراهيم، ويمكن الجزم بأن أبو ابراهيم لم يفكر إطلاقاً في قيادة الحوار الرسمي مع الأمريكان. فهو من النوع الذي كان يفضل أن يبقى في الخلف في مثل هذه الحالة، وإن يكون دوره محركاً وموجهاً للحوار من خارج غرف المفاوضات.^(١٧)

إلى ذلك، لم يكن ممكناً لياسر عرفات إسناد مهمة قيادة الحوار للفصائل الفلسطينية الأساسية الأخرى المشاركة في اللجنة التنفيذية المنظمة. فالجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش ضد كل التوجه ضد الحوار من حيث المبدأ مع الامبراليّة الأمريكية ضد اسسه كلها قبل موافقة الأمريكان عليه. وأبو عمار كان يدرك أن إسناد هذه المهمة للشعبية - إذا وافقت - ستتعامل معه الادارة الأمريكية بسلبية. وجبهة التحرير العربية لتحرير فلسطين، تنظيم تابع رسمياً لدولة عربية (العراق)، لا يمكن إسناد هكذا مهمة وطنية له. وكان من المستحيل -حسب تفكير أبو عمار- إسناد هذه المهمة الحساسة للحزب الشيوعي الفلسطيني، نظراً لموقع الحزب في إطار الحركة الرسمية الفلسطينية، وعلاقاته الرسمية مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى، وأيضاً لطبيعة موقف الأمريكان ونظرتهم للحزب الشيوعي الفلسطيني وكل الأحزاب الشيوعية العربية الأخرى. ولعل أبو عمار أراد من تعين ياسر عبد ربه على رئيس الحوار، أن يقول للسوفيت بصورة غير مباشرة: "لا تقلقوا"، فاليسار الفلسطيني هو الذي يدير الحوار مع الأمريكان. هذا إلى جانب ثقته الكاملة بقدرات عبد ربه السياسية في إدارة المفاوضات، وقناعته الشخصية بأنه لا يخرج عن الخط الذي يقرره هو للحوار مع الأمريكان. ويدرك بأن تثبيت ياسر على رأس الوفد الفلسطيني هو الأقل استفزازاً للفتحاويين من يعتبرون أنفسهم قد استبعدوا عن هذه المهمة الكبيرة، خصوصاً ان هناك داخل قيادة فتح قادة مثل أبو مازن وأبو ابراهيم مستعدون للدفاع عن قدرات عبد ربه، وصحة إسناد قيادة المفاوضات له.

وبعد الجلسة الاولى التي كانت بروتوكولية، انشغلت القيادة الفلسطينية بالعلاقات الفلسطينية الامريكية، وانتعش الامل الفلسطيني الرسمي والشعبي باقتراب امكانيات الوصول الى حل مقبولة للصراع. بينما احتمم الصراع الفلسطيني - الفلسطيني ودخلت العلاقات الفلسطينية الداخلية مرحلة جديدة من التوتر والتآزم الشديدين.

هوامش الفصل السابع

- (١) ببرت الاحزاب اللبنانيه تدخلها في رسم التوجهات الفلسطينية، و موقفها من قرارات المجلس الوطني، بالقول ان قضية فلسطين قضية قومية تهم جميع قوى حركة التحرر العربية.
- (٢) راجع مجلة الحرية، وتقرير اكثير المكتب السياسي المقدم للجنة المركزية، كراس قضایا التجديد والديمقراطیة، الصادر عن التيار الديمقراطي.
- (٣) راجع برنامج حركة حماس، ماهر الشريف، البحث عن كيان، (نيقوسيا: دفاتر النهج، ١٩٩٥)
- (٤) قبل تأسيس فتح كان ابو اياد وابو الاديب وابو يوسف النجار، وعدد آخر من قيادة فتح الاولى متبنين لحركة الاخوان المسلمين، وعند تأسيس حركة فتح غادروا حركة الاخوان، وفتح كطار تنظيمي ضم من البداية افراد يتبنون لاتجاهات فكرية متعددة ومتغيرة، وكان منهم بعضين وناصريين وقوميون، وقادتها بالاجمال مؤمنة وقلة منها متدينة بتزمت.
- (٥) من المعروف ان ابو عمار ليس متذمتا في الدين، ولا يتدخل من قريب او بعيد في مواقف الافراد وسلوكهم في المناسبات الدينية. ولم يكن يدعوا احدا للصلة معه اذا لم يكن من المتدينين، كما لا يعرض على المفترضين في شهر رمضان ان هم اشهرها اقطارهم، وكان يقول الدين بين الانسان وحالقه.
- (٦) في سياق العمل، كليرا ما شهدت العلاقات في اطار القيادة الفلسطينية، وبين قادة نتھن توترات داخلية بعضها كان لأسباب سياسية جوهريه. وكانت الخلافات تسوى بسرعة وبمصالحات شخصية، وكان لكل مصالحة مستواها ومداخلها. وكان ابو مازن يتحاشى الدخول في المصالحات قدر الامکان، الا انه كان من القلائل القادرين على التدخل لمصالحة ابو عمار مع ابو اياد ومع الاعضاء الآخرين في اللجنة المركزية. ولم يكن ابو عمار في كل خلافاته مع الآخرين يتعدد عن الاعتدار اذا شعر بأنه جرح الآخرين.
- (٧) كان عربي عواد عضوا بارزا في قيادة الحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية، وفي عام ١٩٧٤ ابعدته سلطات الاحتلال مع مجموعة من اقطاب الجبهة الوطنية في الداخل. واقام في لبنان وتاثر بآخوه، المقاومة في السبعينيات واوائل الثمانينيات، وتبني فكرة مشاركة الحزب في الكفاح المسلح، وفي كل الاطر القيادية لمنظمة التحرير. واستند الحزب له مهمة قيادة فرع الحزب الذي تم تشكيله في لبنان. ولاحقا قاد انشقاقا داخل الحزب اثر خلافات داخلية، وشكل تنظيم الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري. وخلال فترة الخلافات داخل المنظمة انحازت قيادة هذا الحزب الى المنشقين عن فتح بقيادة ابو موسى. واقام تحالفات مع المعارضة الفلسطينية المقيمة في دمشق. وفي نيسان/ابريل ١٩٨٧، انضم رسميا الى

جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطينية المعارضه لقيادة لمنظمة التحرير وانخرط في الحملة ضد قيادة فتح .

٨) راجع نص خطاب ابو عمار في الجمعية العامة للأمم المتحدة وثائق فلسطينية، مصدر تم ذكره سابقا.

٩) في العلاقة الرسمية الخارجية يحرص ابو عمار على الوفاء بالالتزامات التي يتعهد بها سواء كانت شفوية او خطية، حتى لو كانت غير مفيدة ولم تحظ بموافقة فلسطينية. الى ذلك، يتمسك ابو عمار بقراراته المتعلقة بالشؤون الداخلية ويصر على عدم التراجع عنها مهما كانت بسيطة وأيا كانت الضغوط.

١٠) اوعز ابو عمار الى لجنة الصياغة ببعثرة الجمل المطلوبة على فقرات الخطاب وشطب كلمة نبذ باعتبارها تتضمن ادانة ذاتية على امل تخفيف رد فعل الجبهتين والبقاء في الموقف ضمن دائرة قرارات المجلس الوطني، وكان يعتقد ان الادارة الامريكية سوف تقبل ذلك.

١١) اعتاد امين عام الجبهة الديمقراطية على طرح مواقفه الشخصية ما بين الاجتماعات باعتبارها قرارات من المكتب السياسي. وعند وقوع الخلاف، شرع الرفاق المتواجدون في عقد اجتماعات للمكتب السياسي دون توفر نصاب، ودون ابلاغ اعضائه المقيمين خارج دمشق.

١٢) راجع مشروع البيان بخط ياسر عبد ربه ملحق رقم (٧).

١٣) حبيب الصباغ وياسل عقل اعضاء في المجلس الوطني منذ بداية تأسيسه، يتمنى الى تيار الوطنيين المستقلين. الاول من كبار الرأسماليين الفلسطينيين ومن مؤسسي منظمة التحرير، والثاني من السياسيين القدامي المخضرمين. كانت مواقفهم دوماً مساندة لقيادة م.ت.ف. في دفاعها عن استقلالية القرار الفلسطيني. وكان ابو عمار يستشيرهما ويستعين بهما في نقل ارائه لجهات دولية مستفیداً من شبكة علاقتهما الواسعة وخصوصاً في اوساط السياسيين والرأسماليين الامريكان. وحرص ابو عمار على ان يكونا بجانبه عند القاء الخطاب في جنيف واستثمار علاقتهما بشولتس قبل ان يصبح وزيراً للخارجية.

١٤) راجع نص خطاب ابو عمار في جنيف في وثائق فلسطين الكتاب السنوي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

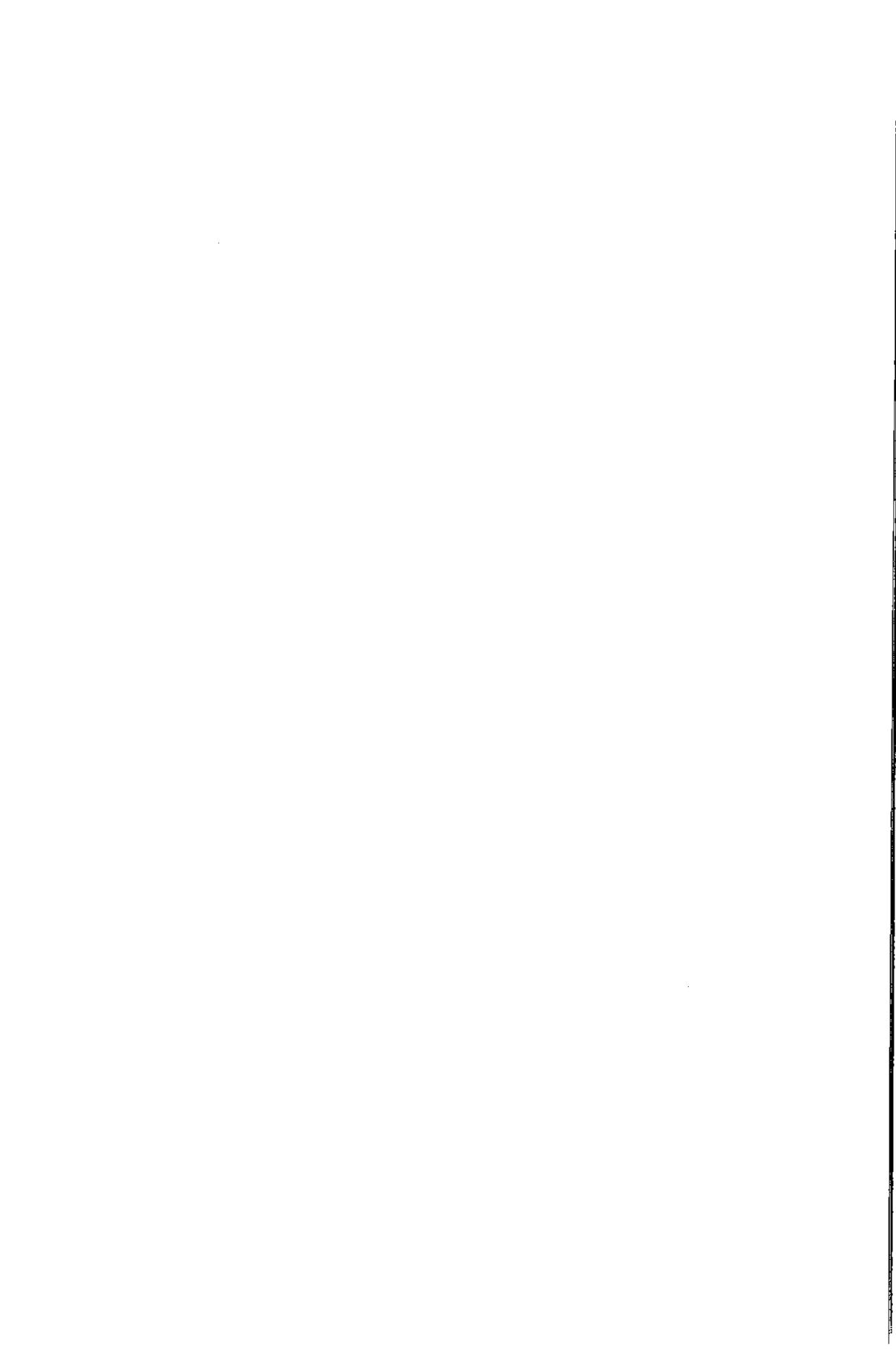
١٥) راجع البيان الذي تلاه عرفات في المؤتمر الصحفي ملحق رقم (٨).

١٦) راجع نص البيان الذي اذاعه شولتس من واشنطن ملحق رقم (٩).

١٧) على امتداد سنوات طويلة، ظل الفلسطينيون والعرب والعالم ينظرون الى ابو اياد بوصفه الرجل الثاني في فتح ومنظمة التحرير، قبل استشهاد ابو جهاد وبعدة، رغم ان ابو جهاد كان له صفة نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، ولم يكن لا يلي اي صفة رسمية تشير الى انه الرجل الثاني.

الفصل الثامن

الحوار الفلسطيني الأميركي يشير تفاعلات واسعة



الحوار الفلسطيني الأميركي يثير تفاعلات واسعة

تسارع الاحداث واحتدام الصراع الداخلي

تسارعت الاحداث بعد الإعلان الأميركي عن الحوار مع منظمة التحرير، وبدأت معركة سياسية دبلوماسية حامية بين المنظمة وحكومة اسرائيل، حول كسب الموقف الدولي. وتتجدد نيران الانتفاضة، وتعامل الناس داخل الاراضي المحتلة وخارجها، مع الخطوة الأمريكية باعتبارها انجازاً وشمرة انتفاضة. ورفع الجيش الإسرائيلي، ببناء على اوامر شامير، مستوى القمع والارهاب وحملات الاعتقالات، ومدد فترات منع التجول، ووسع مناطق الاغلاق والمحاصرة وسقط جرحى وشهداء كثيرون في كل المناطق المحتلة، وعلت اصوات دولية اوروبية وامريكية وازنة تطالب اسرائيل بالاستجابة لبعض مطالب الانتفاضة. ونصح هنري كيسنجر اسرائيل في ١١/٢٨/١٩٨٨ بالخروج بسرعة من قطاع غزة من جانب واحد.

وجاء رد الفعل الإسرائيلي على عقد الجلسة الأولى من الحوار الفلسطيني - الأميركي في ١٢/١٨/١٩٨٨ سريعاً ومنفعلاً. وأعلن شامير استغرابه واستنكاره لقرار الإدارة الأمريكية فتح الحوار مع منظمة إرهابية ما زالت تسعى لتدمر دولة اسرائيل. واعتبر ما جاء في خطاب أبو عماد أمام الجمعية العامة وفي مؤتمر الصحافي اللاحق في جنيف "مناورة مكشوفة". وقال: "الزمن كفيل بأن تكتشف الإدارة الأمريكية حقيقة نوايا عرفات وطبيعة موافقه التخليالية المخادعة". ولم يتوقف رد فعل القيادة الإسرائيلية عند هذا الحد، فقد استنفرت اللوبي الصهيوني الأميركي، وبخاصة في الكونغرس ومنظمة "إلياك"^(١)، باتجاه تخريب الحوار الفلسطيني - الأميركي. الى ذلك، أجبَر تصاعد الحركة الشعبية في

الضفة والقطاع القيادة الاسرائيلية السياسية والعسكرية على الاعتراف بأن ما يجري من "احداث شغب" هو انتفاضة شاملة، وان وقفها يتطلب تقديم "جزرة صغيرة" للمنتفضين بجانب العصا الغليظة.

ولاحقاً، طرح شامير رئيس وزراء اسرائيل في ١٤/٥/١٩٨٩ خطة اعترافية للمحوار الفلسطيني - الامريكي، ولمطالب الانتفاضة، ومبادرة السلام الفلسطينية التي أعلنها أبو عمار في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة. وتقدم شامير بمبادرة سياسية ابدى فيها استعداده، من حيث المبدأ، لاعطاء سكان الضفة الغربية وقطاع غزة حكماً ذاتياً محدوداً،^(٢) واجراء انتخابات محلية لسلطة الحكم الذاتي. وكان اقتراحه مجرد احياء مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين الذي طرحته بيغن على المصريين خلال مفاوضات كامب ديفيد، ورفضه الفلسطينيون في حينه. وقويلت مقترنات شامير برفض قاطع من قبل القيادة الفلسطينية والقيادة الموحدة للانتفاضة، وخارجياً لم تتبناها اطراف دولية وازنة.

إلى ذلك، حاول شامير التأثير على توجهات الادارة الأمريكية، فطالبتها بتوظيف حوارها باتجاه إنهاء الانتفاضة وكل اشكال العنف والعمل العسكري الفلسطيني، كما طالبتها بالضغط على المنظمة لإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني. وأعلن رفضه المطلق مشاركة منظمة التحرير بأية صورة في عملية السلام. وتبني حل المسألة الفلسطينية عبر "ال الخيار الأردني" الذي كان يرفضه سابقاً.^(٣) وأعلن عدم ممانعته إشراك شخصيات فلسطينية من داخل الأرض المحتلة في البحث عن حلول سياسية للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، شريطة أن لا يكون أي منهم من سكان القدس، وأن لا يكون لأي منهم صلة بمنظمة التحرير التخريبية، وإن لا يسعى لتدمیر دولة اسرائيل.

في المقابل انقسم الموقف الرسمي والشعبي العربي حول ما جاء في خطاب أبو عمار، وما أعلنه في مؤتمر الصحافي، وحول توجه الادارة الامريكية للبدء بالحوار مع منظمة التحرير. شعرياً تباينت مواقف قوى حركة التحرر الوطني العربية غير الحاكمة، وكانت غالبيتها مؤيدة أو متقدمة للتوجهات الفلسطينية الجديدة. أما الاقليّة، فبعضها عارضها من موقعه كملحق بهذا النظام او ذاك، وبالبعض الآخر عارضها من منطلقات قومية مبدئية. واعتبرت غالبية الانظمة الرسمية وضمنها مصر والاردن ما تحقق انتصاراً للانتفاضة، وواحداً من إنجازات القيادة الفلسطينية الهاامة. وعارض آخرون ما جرى من منطلقات متباعدة. وظهر ذلك جلياً على هامش اجتماعات جامعة الدول العربية الذي عقد في تونس يوم ١٢/١/١٩٨٩، للبحث في الوضع على الساحة اللبنانية.^(٤) حيث سارعت القيادة السورية واللبنانية لمعارضة الحوار الفلسطيني - الامريكي معارضة شديدة. واعتبرتا ما جاء في خطاب عرفات في الأمم المتحدة وفي مؤتمر الصحافي تفريطاً

بالقضية القومية، واستسلاماً للشروط الامريكية – الاسرائيلية. ولم يكن موقف النظام في العراق افضل حالا، وان كانت معارضته ظلت هادئة وغير تشهيرية وغير عدوانية.

انطلقت حملة القيادة السورية على م.ت.ف. من منطلقات الفكر القومي العربي، "وقضية العرب الاولى". إلا أن التستر بالفكر القومي لم يستطع اخفاء الدوافع الحقيقية القطرية. فقد خشيit يمشق من اتساع نطاق عزالتها، وفقدان القدرة على استثمار الورقة الفلسطينية في سعيها استرداد الجولان، وتعزيز مكانة سوريا في الساحة العربية والاقليمية. فمن غير المنطقي وضع الحوار الفلسطيني – الامريكي في موقع التعارض أو التصادم مع قومية الصراع ضد اسرائيل، واعتباره استسلاماً فلسطينياً للشروط الامريكية، خصوصاً وأن سوريا وكل الدول العربية دون استثناء، تعترف بالقرارين ٢٤٢ و٢٣٨ وتقيم علاقات دبلوماسية طيبة مع الولايات المتحدة الامريكية، وتتجنب التصادم معها. ناهيك عن ان التهم وجهت لمنظمة التحرير قبل بدء الحوار وقبل ان يطرح اي من الطرفين موافقه.

فلسطينياً، رفضت الفصائل والمنظمات، باستثناء فتح والحزب الشيوعي الفلسطيني ما جاء في المؤتمر الصحافي الذي عقده أبو عمار في جنيف، ورفضت أيضاً دخول المنظمة في حوار مع الامريكان. وعقدت أغلبية المكتب السياسي في الجبهة الديمقراطية اجتماعاً خاصاً بهم، ورفضوا اقتراح صالح رافت، عضو المكتب السياسي، بتأجيل الاجتماع لحين تأمين حضور جميع اعضاء المكتب السياسي، خصوصاً ياسر عبد ربه المكلف بقيادة الحوار. وقررت الاغلبية رفض المشاركة في الحوار، بغياب الامين العام المساعد ياسر عبد ربه، وعضو المكتب السياسي ممدوح نوبل، اضافة الى وجود ثالث في السجن (عصام عبد اللطيف). وأرسلوا الى تونس قراراً حزبياً يطلب من ياسر عبد ربه عدم المشاركة في الحوار او ترؤس الوفد الفلسطيني. وأرفقوا قرارهم بتهديد واضح وصريح خلاصته إصدار بيان رسمي ضد ياسر عبد ربه بصورة مباشرة وبالاسم في حالة عدم الالتزام بالقرار الحزبي.

لم يلتزم ياسر عبد ربه بقرار المكتب السياسي للجبهة، ولم يذهب الى دمشق، وترأس الجلسة الاولى من الحوار الفلسطيني – الامريكي، ولم ينفذ اعضاء المكتب السياسي تهدديهم خشية مخاطر قرار كهذا على اوضاع الجبهة وعلاقاتها الوطنية، خاصة وانهم لم يستكملا ترتيباتهم الانشقاقية، لكنهم بالتأكيد أضمرموا حقدتهم وغبائهم، وراحوا يخططون لجسم المعركة الداخلية، مهما كانت نتائجها على الجبهة والثورة وعلى الانتفاضة وعلى دور الجبهة فيها.

وقارب تطور الاحداث بين الجبهتين الشعبية والديمقراطية، وازال الضباب الذي اكتنف علاقتها خالد دورة المجلس الوطني وما تلاها بقليل. لكن الموقف الإسرائيلي الموروث

من الحوار الفلسطيني - الامريكي لم يكن كافيا لإقناع قيادة الجبهتين ولا المعارضة المقيمة في دمشق باتخاذ موقف إيجابي من الحوار. فالثقافة السياسية الفلسطينية السائدة كانت تعتبر الادارة الامريكية عدوة للشعب الفلسطيني. وهناك من كانت مصالحة الحزبية الضيقة وعلاقاته الإقليمية تفرض عليه اتخاذ موقف معاد للحوار. في حينه، تصدرت الجبهتان الشعبية والديمقراطية الهجوم ضد الحوار، وحكمتا سلفا على نتائجه، وقررتا بأنه سوف يلحق أذى كبيرا بالقضية الفلسطينية، والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وتناغمت مواقفهما مع المواقف السورية واللبنانية المعلنة، وكذلك السوفيتية المبطنة. فالسوفيت شجعوا قيادة م.ت.ف. على اطلاق مبادرة السلام، لكنهم عارضوا ان يقطف الامريكان ثمرة التوجهات الفلسطينية، وان ينفردوا بالبحث عن حل للصراع دون اشراكهم فيه.

وبغض النظر عن مدى تأثر مواقف المعارضة للفلسطينية بالموقف السوفيتي، أو السوري واللبي، فقد حمل بعضها ما اعلنه أبو عمار في المؤتمر الصحفي أكثر مما يتحمل. ولم تلتقت للموقف الهستيري الإسرائيلي من الحوار الفلسطيني - الامريكي، كما لم تلتتبه للموقف الشعبي الفلسطيني، وبخاصة داخل الوطن المحتل، الذي اعتبر فتح الحوار رسميا إنجازا ملماوسا من إنجازات الانتفاضة. ولم تأخذ الأمور بتاتجها، بل أخذتها بنصوص حروفها. ودار في الساحة الفلسطينية جدل واسع حول كلمتي ينبذ ويدين (renounce and denounce) . واختصاراً للاشكال تظاهر أبو عمار بعدم معرفته الفرق بين الكلمتين، وقال: "كلكم تعرفون ان انجليزيتي ضعيفة وعلى قد الحال". واحتدمت المعركة الداخلية حول مدلولاتها القانونية والسياسية. وفي اجتماعات القيادة الفلسطينية دافع أبو عمار عن موقفه في المؤتمر الصحفي، وذكر اعضاء القيادة الفلسطينية واللجنة التنفيذية، بقرارات المجلس الوطني وبإعلان القاهرة الذي تلاه في نوفمبر ١٩٨٥ امام قصر القبة، بعد لقائه بالرئيس مبارك، وكان بجانبه أبو اياد ورئيس المجلس الوطني الشيشي السائح. وكان قد قال فيه: "تؤكد م.ت.ف. قرارها الصادر عام ١٩٧٤ بإدانة جميع العمليات الخارجية وكل اشكال الإرهاب. وتؤكد مجددا التزام جميع فصائلها ومؤسساتها بهذا القرار، وبأن المنظمة سوف تتخذ ابتداء من اليوم كافة الاجراءات الرادعة بحق المخالفين.. ونظرا لأن الالتزام لا يتحقق من جانب واحد فعلى المجتمع الدولي ان يلزم اسرائيل بوقف جميع الاعمال الإرهابية في الداخل والخارج .." وأكد أبو عمار تمكّن المنظمة بحق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لراضيه بكل السبل المتاحة بهدف تحقيق الانسحاب من هذه الاراضي .. وان الاحداث تؤكد قناعة المنظمة بأن العمليات الإرهابية التي ترتكب في الخارج تسيء الى قضية الشعب الفلسطيني وتشوه كفاحه المشروع في سبيل الحرية. من جهة أخرى فإنها ترسخ اعتقادها بأن انهاء الاحتلال هو

السبيل الوحيد لقرار الامن والسلام في المنطقة. وناشد باسم م.ت.ف. كافة القوى المحبة للسلام في جميع انحاء العالم ان تقف الى جانبها وهي تتخذ هذه الخطوة للاسهام في تخلص العالم من مظاهر الارهاب وتحرير الافراد من الخوف. وفي تلك المجتمعات قال: "بالله عليكم دلعني على الفرق بين ما قلته في القاهرة وما قلته في جنيف".

إلى ذلك، نقلت بعض الفصائل الخلاف حول الحوار مع الامريكان الى إطار الانتفاضة وإلى داخل القيادة الوطنية الموحدة "قاوم". وأصدر بعضها بيانات خاصة باسم قيادة الانتفاضة هاجمت فيه الحوار وتوجه المنظمة نحو تقديم تنازلات، تمس الانتفاضة والقضية الوطنية برمتها". واحدثت مواقفها وبياناتها بداية شرخ حقيقي بين فصائل منظمة التحرير في إطار الانتفاضة وأطراها القيادية والقاعدية. وكأن القيادة الوطنية الموحدة لم يكن يكفيها مشاكلها اليومية مع قيادتي حركة "حماس" والجهاد الاسلامي والمنشقين عن المنظمة.

ولم يوفر قادة بعض الفصائل اللجوء للعمل العسكري بهدف تخريب الحوار، واوعزوا لقوتهم القيام بعمليات عسكرية في جنوب لبنان وداخل الاراضي المحتلة، واعلنوها باسمائهم الفلسطينية الصريحة. ولم يضعوا في حساباتهم نتائج العمليات العسكرية على الحركة الشعبية في إطار الانتفاضة، وعلى المخيمات الفلسطينية في لبنان. كان هدفهم ان يخرجوا قيادة منظمة التحرير، ويوقفوا الحوار الفلسطيني - الأمريكي. وبالفعل نجحوا في ارباك عمل القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، واضعفوا موقف الوفد الفلسطيني في الحوار مع الامريكان. وأثار بيللترو رئيس الوفد الامريكي المفاوض موضوع العمليات العسكرية، ووضعها نقطة على جدول الحوار. ونجحوا، ايضاً، في اظهار عجز قيادة م.ت.ف. عن فرض سيطرتها على القرى الفلسطينية المنضوية تحت لواء منظمة التحرير والممثلة في اطراها القيادية. في حينه، شن أبو عمار حملة قوية ضد التنظيمين تحت شعار ليس من حق الاقلية فرض رأيها على الغلبية، "ومن لديه ملاحظات على مفهوم حركة فتح لقرارات المجلس الوطني وترجمة ياسر عرفات لها، فليتفضل الى اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي، ويطرح ملاحظاته ويعاسب ياسر عرفات بطريقة ديمقراطية ودون استقواء بأحد".

موقف المعارضة، وبخاصة الجبهتين الشعبية والديمقراطية، لم يكن مفهوماً للفلسطينيين في الداخل، وبشكل خاص القيام بعمليات عسكرية داخل مناطق الانتفاضة، بعد ان أمن الجميع بشعاع "لا صوت يعلو صوت الانتفاضة". غالبية الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج رحبت بمحصلة نتائج المجلس الوطني واعتبرته انتصاراً لمنظمة التحرير والانتفاضة، بينما ادانته الجبهتان، واعتبرتا هزيمة وتساقطاً فلسطينياً مع الحلول الأمريكية.

واستسلاماً لها وتغريطاً بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. واستغرب الناس كيف ان قيادة الجبهة الديمقراطية، وافقت، بصيغة او بأخرى، على القرارات السياسية للمجلس الوطني، وأدانت لاحقاً الخطاب والمؤتمر الصناعي اللذين بنيا على تلك قرارات. كما استغربوا كيف وافقت قيادة الجبهة الشعبية على خطاب أبو عمار في جنيف وعلى ما جاء فيه، لكنها رفضت ما جاء في المؤتمر الصناعي، وهو لا يختلف في الجوهر عما ورد في الخطاب. ولم تتوقف قيادة التنظيمين عند ايجابيات بدء الحوار الفلسطيني - الأمريكي على الانتفاضة، والتضالل ضد الاحتلال، وعلاقة المنظمة العربية والدولية.

يوم ١٨/١٢/١٩٨٨، بدأت الجلسة الاولى من الحوار الفلسطيني - الأمريكي. وفي اليوم ذاته التقى عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية السورية، بناء على طلبه، وفدا من قيادة الجبهة الديمقراطية ضمن حواتمة وقيس السامرائي أبو ليلي فقط.^(٦) وفي ذلك اللقاء، كان خدام قاسياً في الحديث معهما، وكان اللقاء صعباً حسب حديثهما. وتساءل خدام كيف يترأس ياسر عبد ربه وفد م.ت.ف. إلى الحوار مع الامريكان في الوقت الذي تعلن فيه قيادة الجبهة الديمقراطية معارضتها له. وقال لهما بشكل قاطع: «عرفات مندفع في الاستسلام حتى النهاية». وقد دفع ثمناً كبيراً مقابل الحوار مع الامريكان، من أجل قناة اتصال على مستوى سفير أمريكي وليس أكثر. نحن لستنا ضد المرونة السياسية ولكن ليس بهذه الطريقة الرخيصة يتم الدخول في المقابلة. عرفات سوف يصل إلى طريق مسدود، ولدينا تجربة مع الامريكان عمرها ١٨ سنة ولم نصل معهم إلى شيء». الديمقراطية والشعبية غطوا على عرفات وتوجهاته، وروجوا له مواقفه مع السوفيت، وجزء من الموقف السوفيتي الخاطئ تم بفعل دور الديمقراطية. ولا شيء يوقف عرفات إلا موقف من طبيعة نوعية كاملة يصدر عن اليسار الفلسطيني».

ويحسب رواية نايف وأبو ليلي، في الاجتماعات الحزبية، ختم خدام حديثه بالقول: «نحن دولة ولدينا مصالح. بذكم مما شئتم، لازم تعطونا شيء مقابل، وأنتم لم تعطونا شيئاً حتى الآن». واستخلص وفد الجبهة من اللقاء، أن السوريين ليسوا بصدور سياسة نشطة على الصعيدين الفلسطيني أو العربي، وأنهم ضد دعوة الجبهة الديمقراطية لأنصار سوريا في الساحة الفلسطينية للمشاركة في اجتماع المجلس المركزي الفلسطيني المنعقد لمناقشة الموضوع. وبدأ ان يخشى خدام نشوء تحالف مصرى - عراقي - أردني - فلسطيني، مؤكداً انهم سيعملون على تفكك هذا التحالف. وأبدى خدام ارتياحه من موقف الرياض. وقال: «ال سعوديين متزعجون جداً من العراق، وهم مع عقد قمة عربية عادلة. ولا يعارضون عودة مصر إلى الجامعة العربية، ولكن تطبيع العلاقات مع مصر مسألة أخرى». وبخصوص الإفراج عن عضو المكتب السياسي للجبهة عصام عبد اللطيف المعتقل لدى السوريين، وعد خدام بحل الموضوع خلال وقت قصير، لكنه لم

يحله، ويقي ورقة ابزار لفترة طويلة بيد القيادة السورية، استخدمتها اكثر من مرة في الضغط على قيادة الجبهة الديمقراطية.

وبتاريخ ٢٠/١٢/١٩٨٨، عقدت قيادتا الجبهتين الشعبية والديمقراطية اجتماعا مشتركا لتقدير الموقف، ولاتخاذ الممكن من الخطوات ضد اليمين الفلسطيني، حضره من الجبهة الشعبية الامين العام، وابو علي مصطفى نائب الامين العام، وأبو ماهر اليماني الامين العام المساعد للجبهة الشعبية، وعبد الرحيم ملوح عضو المكتب السياسي. ومن الجبهة الديمقراطية: حضر نايف حواتمة الامين العام للجبهة، قيس السامرائي أبو ليلي، وهشام أبو غوش عضو المكتب السياسي، وتيسير خالد، وسعيد عبد الهادي عضوا اللجنة المركزية.

في ذلك الاجتماع قدم الامين العام للجبهة الديمقراطية عرضا لوجهة نظر الجبهة وقال: "مع بداية الحوار الفلسطيني الامريكي دخلنا مرحلة جديدة. في الجزائر خضنا معركة قرارات المجلس الوطني بطريقة لم تتمكن يمين منظمة التحرير من التصرف بها كما يحاول الان. ما فكر به خالد الحسن وهانى الحسن ومجموعة المستشارين بشأن القرارات اكتشفوا أنه غير ممكن". وأشار الى أن أبو عمار لم يتوقع أن تأخذ دولة فلسطين كل هذا الاعتراف على المستوى الشعبي والسياسي^(١) وتحدث عن عملية تحايل كبرى جرت في جنيف قبل إلقاء الخطاب، وعن ضغوط أمريكية كبيرة حصلت قبل يوم ١٢/١٢ لتضمين خطاب أبو عمار عناصر الاقتراح الامريكي. وفتر ان فتح باب الحوار الفلسطيني - الامريكي لم يتم بفعل تصريح أبو عمار وان الأصل هو الانتفاضة وقرار المجلس الوطني، وحركة التضامن التي جعلت أمريكا في عزلة خانقة، وان الامريكان سيبدأون ضغطا متواصلا على عرفات كي تتحول تعهداته الى سياسة رسمية المنظمة. وإذا لم ينجحوا فسيحاولون جر جناح من المنظمة وزجها في حالة من التفكك الداخلي. ورأى ان هذه التطورات تتضمن على عاتق الجبهتين أعباء اضافية جديدة. وتمني حواتمة أن ينضم الحزب الشيوعي الفلسطيني الى الجبهتين، لكنه رجع تأخره بسبب اتفاقه مع أبو عمار. وختم كلامه بالقول : "في الجانب العربي تجد القوى اليمينية الفلسطينية من يحتضنها، ولكن مع الأسف القوى الديمقراطية لا تجد من يدعمها، وموضوع العلاقة مع سوريا يحتل موقعها خاصا في تفكيرنا. مع السوفيت يجب بذل جهد استثنائي للتباين بين ما هو مرونة سياسية وما هو تكتيكات خطرة تقود الى التكيف مع الشروط الأمريكية".

بعد نايف تحدث أبو علي مصطفى فقرأ نص الرسالة التي سلمها اندرسون للوفد الفلسطيني. وتحدث عن المكالمة الهاتفية بين تونس وستكمولم، ونقل عن الوفد الفلسطيني ان اندرسون أكد ان المشروع المطروح هو مشروع ادارة شولتس وريغان الراحلة وادارة

بوش وبيكر الجديدة. وذكر ابو علي التعديلات التي ادخلها الوفد الفلسطيني على المشروع وقال: "تم شطب كلمة العنف. ووضعوا الارض الفلسطينية بدل الضفة والقطاع. وأدخلوا موضوع الدولة". وعرض ابو علي مجريات اجتماع اللجنة التنفيذية، وبين ان سبعة اعضاء فقط حضروا الاجتماع، وأن ابو عمار بدأ الاجتماع بالقول خربتوا علي، وطلب من ياسر عبد ربه عرض ما دار في السويف. وتحدث ياسر حول ورقة خالد الحسن، والتعديلات التي اضيفت على ورقة شولتس، ونقل عن ياسر قوله أسقط بيدهنا عندما جاء اندرسون وقال الأمريكان وافقوا علي التعديلات. واضاف ابو علي: "رفيقكم ياسر قال في الاجتماع معنا تعاطف دولي يجب أن لا نخسره. ودخل في لعبة تعديل الكلمات من السويف إلى تونس. وفي اليوم التالي لم يتدخل ياسر في النقاش لا جادا ولا مازحا. وأبو عمار قال المعارض أبو علي وأبو اللطف فقط، وتم تشكيل وفد جنيف من: القدوسي، جويد الغصين، القس ايلايا خوري، جمال الصوراني، عبد الرحيم أحمد، تيسير قبعة، وزهدي الطرزى. وكان اسم ياسر عبد ربه ضمن قائمة اعضاء التنفيذية وكان موافقا على السفر لكنه في اللحظة الاخيرة لم يسافر لاسباب انتهى ادرى بها".

بعد أبو علي مصطفى تحدث جورج حبش فقال: "أوفق على أننا نعيش لحظة مليئة بالغرس والمخاطر. نحن لستا متطرفين. ولدينا قناعة بأنه في المدى المرئي من الصعب أن يتخلى اليمين عن الدولة الفلسطينية. لكن الخلاف يدور حول كيفية الوصول إلى الدولة". ورأى ان اتفاق الجبهتين على أربع أو خمس نقاط يمكن أن يوقف تدهور موقف قيادة المنظمة، وطرح الموضوع للتفكير وعدم التسرع بالإجابة. اما نقاطه التي اعتبرها أساسا للتعاون بين التنظيمين، ومع أية قوة أخرى مثل جبهة التحرير أو جبهة النضال الشعبي أو من الشخصيات الوطنية فهي: اولاً: اعتبار اعلان الدولة في الجزائر بمثابة برنامج كفاхи يتطلب نضالا متعدد الأشكال لإحداث تغيير في ميزان القوى، معتبرا ان هذه النقطة هي التي تبلور الاتفاق أو الخلاف مع اليمين الفلسطيني. ثانياً: اعتبار ان التنازلات لا توصل الشعب لاهدافه، ويجب ان تقف عند حدود الشرعية الدولية. و أكد ان الجبهة الشعبية مستعدة لإقامة تعاون على قاعدة: كفى تنازلات. ثالثاً: يتم الاتفاق حول موضوع الاعتراف بإسرائيل، بعد قيام الدولة الفلسطينية، وان يكون الاعتراف حصيلة استفتاء شعبي. رابعاً: تحليل دقيق لمرحلة الانتفاضة وأن يبدأ اليسار بشق طريقه الخاص. خامساً: العمل على التوصل الى موقف مشترك مع الأحزاب والقوى العربية.

بعد انتهاء جورج حبش من تعداد نقاطه، أضاف أبو علي مصطفى نقطتين. الاولى، ضرورة الرد على لعبه اجراه انتخابات محلية لاختيار قيادات الحكم الذاتي من جانب واحد، والثانية الضغط لوضع قرارات المجلس الوطني حول الانتفاضة على الطاولة، فقرارات المجلس ليست فقط الموافقة على ٢٤٢ و ٣٣٨، هناك قرارات هامة بشأن الانتفاضة.

وتوقع ابو علي أن يبدأ الأوروبيون بلعب لعبة الكونفدرالية مع الاردن قبل قيام الدولة الفلسطينية.

أما أبو ماهر اليماني عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية فقال: "اطلع عبد الحليم خدام جبهة الإنقاذ الفلسطينية على ما جرى في السعودية، وقال لهم أن سوريا لن تغيب عن مؤتمر القمة العربية إذا حضرتها مصر". ونقل أبو ماهر عن "الإنقاذ" إن الملك فهد قال للسوريين أنه لا يوافق على اعتراف أبو عمار بدولة إسرائيل، وإن خدام قال لقيادة جبهة الإنقاذ ليس لديكم قوى فعالة تؤثر على الوضع في المناطق المحتلة، أما في الخارج فما لديكم ليس مفيداً الآن.

أما أبو ليلى عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية فقال: "لست مع التطير والقول أن أبو عمار سينتهي إلى التقرير. ولكن يوماً بعد يوم يتضح أن هناك استعداداً عند هذا الجناح اليميني للقبول بالحل الأمريكي، بمعنى الوصول إلى حل أدنى من الاستقلال، كونفدرالية مثلاً". واستبعد قبول أبو عمار بالحل الأمريكي، ولكن خالد الحسن ممكناً أن يقبل به وهو لا يخفي ذلك. وبين أبو ليلى حاجة الجبهتين إلى اتفاق ثانوي وإلى تكاتف الجهود لمواجهة التطورات. وفي نهاية الاجتماع غمز جورج حبش من قناة الخلاف داخل الجبهة، ولم يتردد في التحرير ضد مواقف الجناح الديمقراطي حيث قال: "نحن رفاق نثق بكم ولا نشك في نواياكم، ولكن نود أن ما تتفق عليه هنا يحترم من قبل رفاقكم في تونس".

إلى ذلك، تأجج الخلاف خلال الفترة ذاتها داخل الجبهة الديمقراطية، وظهر على السطح لكل القوى الفلسطينية والعربية. وأضاف الموقف من الحوار الفلسطيني - الأمريكي للخلافات السياسية والتنظيمية المحدثة داخلها نقاط خلاف جديدة. الجبهة الشعبية من جهتها اكتفت بتسجيل موقف يرفض حوار م.ت.ف. مع الأمريكان. أما قيادة الجبهة الديمقراطية فمشكلتها مع الحوار الفلسطيني - الأمريكي كانت أعمق وأعقد. فالالأمين العام المساعد للجبهة الديمقراطية ياسر عبد ربه يقود الوفد الفلسطيني للحوار، بينما مكتبه السياسي يرفضه ويدينه. معركة الشعبية ضد الحوار مع الأمريكان توقفت عند حدود الإدانة والرفض، و موقفها الرافض لفظياً، كان كافياً لتوجيه كواذرها وقواعدها. أما الجبهة الديمقراطية فيبدء الحوار الفلسطيني - الأمريكي كان بداية جولة جديدة من صراعها ومعاركها الداخلية. وجعل الطرفان خطواتهما التحضيرية تمهدًا للانقسام.

أبو عمار يحاول لملمة الوضع القيادي الفلسطيني

اواسط كانون الثاني/يناير ١٩٨٩، دعا أبو عمار القيادة الفلسطينية إلى جولة اجتماعات وتقييم للموقف العام بعد قرارات المجلس الوطني^(٧)، وبهذه الحوار مع الأمريكان. وبعد

اتصالات حثيثة، شارك فيها ابو اياد وابو الهول، نجحنا في اقناع الامين العام للجبهة الديمقراطية بالحضور الى تونس للمشاركة في الاجتماع. وفي الاتصالات استخدمنا فكرة تشكيل الحكومة المؤقتة التي يطالب بها، وقلنا ان موضوع تشكيلها مطروح كنقطة رئيسية على جدول الاعمال، ولا يجوز مناقشتها بغيركم، وأبو عمار يرهن حل مسألة المستحقات المالية للجبهة بوجودكم. وعلى مدى يومي ١٤-١٥/١٩٨٩ ناقشت القيادة الفلسطينية، بحضور أمين عام منظمة العمل الشيوعي في لبنان محسن ابراهيم،^(٤) التطورات العربية والدولية بعد قرارات وتوجهات المجلس الوطني، و مجريات الجولة الاولى من الحوار مع الامريكان، وتطورات الوضع على الساحة اللبنانية، واوضاع الانتفاضة.

في بداية الاجتماع، عاود أبو عمار وكرر توضيح الظروف التي احاطت بخطابه في جنيف، وخصوصا اضطراره لاراج فقرات من افكار شولتس - اندرسون، التي اثارت اشكاليات فلسطينية داخلية. واسترسل في ذكر الشخصيات العربية والدولية والمستويات التي استمعت للخطاب. وقال : "ان اسرائيل في زنقة وقد تلجأ الى الارهاب. اول امس اخذنا انتصارا جديدا مهما، فقد طلب مندوبينا في الامم المتحدة حق الكلام خلال مناقشة الموضوع الليبي، تعرفون انه لا يحق لنا الكلام خارج قضيتنا الا اذا صوت المجلس على استدعائنا. المجلس وافق على سماع كلمتنا باغلبية ١١ صوت وامتناع امريكا وبريطانيا وكندا عن التصويت، علما بأن امريكا كانت دائما تعارض". وأشار الى انه لم يذكر الحدود الآمنة في خطابه في جنيف وطلب ابقاء هذه المسألة مستورة. واعتبر بيانات حماس والتيار الديني ضد قرارات المجلس الوطني مفيدة، ورب ضارة نافعة. واستعرض موقف الشارع الفلسطيني في الداخل المؤيد للخطاب والدولة ومبادرة السلام، وكيف اضطر قادة التيار الديني ان يقولوا في المساجد انهم مع قرارات المجلس الوطني ضد القرار ٢٤٢ . وتحدث عن حملة التيار الاسلامي في السعودية ودول الخليج ضد المنظمة، ووصف موقف عبد الرحمن خليفة مرشد الاخوان في الاردن بالزفت.^(٥) ولم يمس من لقائه بقيادة حماس في السعودية التباس حول موضوع الاعتراف باسرائيل، وبعد التوضيح قالوا حسب رواية أبو عمار انهم سيلتزمون بكل شيء ما عدا القرار ٢٤٢ ، وانهم لن يهاجموا منظمة التحرير ولا قيادتها، وسيلتزمون ببيان القيادة الوطنية الموحدة "قاوم"، ونفوا اي علاقة مع احمد جبريل او سوريا، وقالوا: أنهم "مفكرين" للنظام السوري. كما تبرأوا من مواقف الجماعات الاسلامية في لبنان. وقالوا ان زعيم الجهاد الاسلامي فتحي الشقاقي يمشي مع حزب الله، وطرحوا التعاون لاقناع جماعة الجهاد الاسلامي بالابتعاد عن ايران. وقال ابو عمار: " واضح يا اخوان الحملة شاملة، وهي ليست موجهة ضد فتح وياسر عرفات بل ضدكم جميعاً ضد منظمة التحرير".

وعن جولات الخارجية ابلغ الى الاجتماع موافقة اليونان على فتح سفارة والاعتراف بالدولة، وطلب اليونانيين مهلة شهر واحد ليعملوا على جذب اخرين للاعتراف. واكد على ان الموقف البريطاني والالماني والهولندي عطلا تطور موقف دول المجموعة الاوروبية. ونقل للمجتمعين ان المخابرات المركزية الامريكية CIA وزعت كتابا يتضمن صور "ارهابيين" في القيادة الفلسطينية، منها صورة ياسر عبد ربه، وابو اياد، بهدف التشويش على الحوار مع الامريكان . وانهى حديثه بالقول: "حول الحوار مع الامريkan اترك الحديث لاخي ياسر عبد ربه".

تناول ياسر بالحديث رؤية الولايات المتحدة الامريكية للتسوية مع اسرائيل. وكيف يضع الامريكيون مصالحهم في اولويات اهتماماتهم، و"سياسة اسرائيل تحتاج الى تعديل"، وطريق الحل هو المفاوضات، ولا مانع لديهم من انعقاد مؤتمر دولي شريطة، "ان لا يكون بديلا للمفاوضات المباشرة مع اسرائيل". وذكر ياسر ان الوفد الامريكي أكد ان الحوار سيتواصل في ظل الادارة الامريكية الجديدة التي افرزتها الانتخابات، واستكماله سيت بعد تسلمهما مهامها. وقدم ملخصا وافيا عن مجريات جلسة الحوار مع بيللترو.

وبعد الانتهاء من العرض، علق أبو عمار؛ القصة طويلة مع الامريكان ويعودنا في اول الطريق. واقتراح على الاجتماع الانتقال الى مناقشة الوضع في لبنان، فالوضع هناك لا يتحمل التأخير، وقال: "دعونا نستمع لأخينا وحبيتنا الوفي ابو خالد (محسن ابراهيم)، الذي بدأ باستعراض تطور الوضع في الجنوب اللبناني واعتبر ان أبو عمار "حقق تماما" في تقديراته حول عمل عسكري محتمل في جنوب لبنان بهدف التغطية على دور الانتفاضة وارياك الدور الفلسطيني في الساحة الدولية. واقتراح محسن العمل على تهدئة الوضع مع حركة امل، فلا مصلحة فلسطينية في الفرق في مشاكل لبنان، والانتفاضة تغنى عن كل الساحات. وقال: "الاخوان جميعا سمعوا عن صيغة اتفاق بدأ بين حركة فتح وحركة امل وهذا الاتفاق تحول الى اتفاق بين حركة امل والمقاومة الفلسطينية". تدخل أبو عمار وشكر باسم القيادة الفلسطينية محسن ابراهيم لأن الاتفاق بدأ واستكممل بإشرافه المباشر، وبين حجم المتابع التي تعرض لها ابو خالد من قبل الآخرين.تابع محسن كلامه، وأشار الى ان الشغل على الاتفاق بدأ منذ ثلاثة شهور، وانه طلب من نبيه بري ان يتم الحوار دون شروط مسبقة، باستثناءأخذ الموافقة السورية عليه، نظرا لمعرفته ان هذا هو الشرط الوحيد لنبيه بري لاسباب يعرفها جميع الحاضرين. ولأنه لا افق لائي اتفاق مع امل اذا تم من خلف ظهر دمشق. وطلب محسن من من نبيه بري اختبار حدود الموقف السوري، وفي حال بروز معارضة سورية يتوقف الحوار، حتى لا يتم توريط بري في اي اشكال مع السوريين، وقال محسن: "ونحن ايضا لا نبحث عن هكذا ورطة معهم". وكانت حسابات بري السياسية تعطي ٥٪ لامكانية الاتفاق. وكان يعتقد ان السوريين يحبذون

التهئة لتفشيل قصة الانتخابات، ولأن وزن منظمة التحرير ارتفع دولياً وعربياً، وثقل الفعل الفلسطيني انتقل للداخل، وضرب المنظمة في لبنان تحول إلى ما يشبه فشة الخلق، واستمرار الاشتباكات والمصادمات يسبب أحراج عربي واوروبي للسوريين واللبنانيين.

واكد محسن على أن حركة أمل خرجت بعد ثلاثة سنوات من الحرب ضد المخيمات ضد م.ف. متحدة بالجراح العسكرية وجماهيراً، وأن الجو السائد في الطائفة الشيعية يزيد الخلاص من حرب صار يعتبرها توريطاً للشيعة في دم الفلسطينيين. وقال: "على مدى ثلاثة شهور كنا حريصين أن لا يكون نبيه بري وحده بل ومعه غطاء ودعم شيعي ووطني لبناني". وأوضح بأنه عمل بالتشاور مع أبو عمار اتصالات مع جميع الأطراف، وكان أبو عمار في صورة نتائجها أولاً بأول، واهم نتيجة لها هي قول حسين الحسيني لمحسن: "تستطيع استكمال خطواتك، ونحن سنستكمل القرار الشيعي، بضم الشيخ مهدي شمس الدين"^(١). وستنهي حرب المخيمات باسرع وقت ولو من جانب واحد.

واكد محسن حرصه على عدم الدخول في متأهله الصراعات الشيعية الداخلية، وأنه شخصياً أخذ مبادرة تجاه حزب الله وفضل الله، وقال لهم: "نحن بقصد حل المشكل مع المخيمات والاتفاق لن يكون ضد أي طرف شيعي". وعقب أبو عمار بالقول: أرسلوا لي من طهران رسالة قالوا فيها بأنني بعث حزب الله. تابع محسن وقال: "دخلنا أيضاً سليم الحصن وبمصففي سعد، وطبعاً وليد جنبلاط في الصورة من بدايتها وأولاً بأول"، وقام بمحاولة توفيق الحل بأوسع علاقات سياسية ممكنة. وجوهر البحث كان حول كيفية تنظيم مواجهة مشتركة ضد إسرائيل. وقال: "في السابق واجهنا مشكلة كيف ينسحب الفلسطينيون من شرق صيدا. المطروح الآن ليس الانسحاب بل كيف نواجه العدو المشترك، وما هي الحقوق والواجبات". واكد توصله إلى ورقة من ١١ بندًا تم اقرارها، منها بند يقول بإنشاء غرفة عمليات مشتركة بين المقاومة الفلسطينية وحركة أمل. والاتفاق وقع من قبل قيادة حركة أمل، مما قد يعني تضليل اتفاق فيليب حبيب. كما ان الاتفاق أذيع في مؤتمر صحافي مشترك، وأسرائيل علقت عليه ووجهت ضربة لموقع حركة أمل في الجنوب. وجرى الحديث حول دورية قتالية لحركة فتح اكتشفت، واضطربت لأخذ بعض عناصر القوات الدولية كرهائن، فأرسل نبيه بري مسؤولاً من الحركة إلى مخيم عين الحلوة لإطلاق سراح الدوليين وان تعود الدورية إلى مخيم عين الحلوة بسلام. ونقل بري لمحسن سؤال خدام عن محاولات الوفاق بين أمل والفلسطينيين، وإن خدام قال له "سوريا ليست ضد كل ما يتحقق الانفراج في لبنان الأن".

وفي نهاية حديثه قدر محسن أن بإمكان القيادة الفلسطينية الانطلاق من الاتفاق لاعادة تنظيم الوضع الفلسطيني في الجنوب اللبناني، لا سيما وأن هناك صراعاً سورياً - ايرانياً مبطنا على الورقة الشيعية في لبنان، وهي الورقة الرئيسية التي تملكها ايران

خارج حدودها، واداتها هو حزب الله. واقتراح محسن ان تبقى القيادة الفلسطينية خارج الصراعات اللبنانية الداخلية، وان تواصل تركيز جهودها باتجاه الانتفاضة، وان تعامل بواقعية مع مستجدات الوضع الوطني اللبناني، وشكر أبو عمار، منها بمتابعته التفصيلية للوضع في لبنان.

طلب أبو علي مصطفى نائب أمين عام الجبهة الشعبية تقديرات محسن ابراهيم حول مستقبل الوضع العام في لبنان، فاقترح محسن ان يتم ذلك بعد سماع ما دار في اجتماعات الجامعة العربية حول الموضوع. عندها طلب أبو عمار من ياسر عبد ربه تقديم صورة عن مجريات الاجتماع. قال ياسر عبد ربه: "اجتماع وزراء الخارجية كان مكرساً للبحث في الوضع اللبناني، وسبقه اجتماع للجنة السباعية العربية الموكلا لها مهمة دعم الانتفاضة". وبين ان أبو عمار حضر جلسة الافتتاح، والقى كلمة ركزت على ضرورة الابقاء بالتزامات القمة العربية التي عقدت في الجزائر، وقدم اقتراحاً بأن تقوم اللجنة السباعية بجولة على الدول دائمة العضوية في مجلس الامن، وان تكون فلسطين مشاركة في كل اللقاءات. ووافق الاجتماع على اقتراح أبو عمار بالاجماع، مع ادراك الجميع للصعوبات التي قد يواجهونها لأن بعض الدول الكبرى لا تحبذ مشاركة منظمة التحرير بصورة رسمية. وفي اجتماع الجامعة كانت سوريا متحمسة للمشاركة في كل في كل نشاطات اللجنة السباعية. وخلال الاجتماع سأله عبد ربه فاروق الشرع: لماذا لم تعرف سوريا بالدولة الفلسطينية؟ ورد خدام بأن التأييد أقوى من الاعتراف. وحول موضوع الدعم المالي للانتفاضة نقل عبد ربه عن سعود الفيصل التزام السعودية بما تقرر. أما حول الوضع في لبنان فقد تبأنت المواقف العربية. فالسعودية تحدثت بشكل عام، والمندوب الجزائري دعا إلى تشكيل لجنة لمساعدة الاطراف على حل المشكلات. وطارق عزيز دعا إلى قمة عربية خاصة بلبنان، وقال: "ليس مجدياً بحث الموضوع على مستوى الوزراء". ومرwan القاسم اعلن تأييد الاردن للاقتراح العراقي وساند الموقف الجزائري. ومندوب لبنان كان على مستوى الممثل في الجامعة العربية ولم يتحدث في الاجتماع. وفي نهاية الاجتماع اتفق الوزراء على تشكيل لجنة خاصة بلبنان تعمل تحت اشراف الجامعة العربية. وافق الشرع على اللجنة لكنه اعرض على المكان.

اضاف أبو عمار: "سوريا كانت تريد تغيب لبنان، ومندوب لبنان جاءته رسالة بعدم حضور الاجتماع. الا ان تدخل بعض الوزراء العرب دفع لبنان لحضور الاجتماع ولكن على مستوى ممثليهم في الجامعة". وحضر أبو عمار من سيناريو حرب، ومن ابعاد ابناء الاراضي المحتلة الى لبنان، وذكر ان عدد المبعدين بلغ ٦٥ مبعداً، وان اسرائيل ترقب ردود الفعل العربي والدولي.

قال أبو علي مصطفى: " علينا رفع مستوى اليقظة ورفع وتيرة الحركة لدعم الانتفاضة".

اما هاني الحسن فسائل عن الوضع الفعلي على الارض. فاسترسل أبو عمار في شرح الحاله، واكد صرف ١٠٠ الف دولار لدعم المبعدين الى جنوب لبنان لانهم اهلنا. وفي سياق النقاش قال ابو الهول: "في اجتماعات وزراء الداخلية العرب اخذ قرار بالموافقة على صدور جواز سفر فلسطيني، والاردن طلب من ابو انس (عبد الرزاق اليحيى) ممثلا المنظمة في عمان تصورا حول الجواز". واقتراح ابو الهول تشكيل لجنة لوضع التصور. وقال عبد الرزاق: "القرار مرتبط بموضوع تشكيل الحكومة المؤقتة"، واقتراح ابو علي مصطفى الجواز باللجنة الفلسطينية المشكلة للبحث في شأن الحكومة. واقتراح ابو علي مصطفى تأجيل موضوع الحكومة حتى انتهاء اللجنة من دراسته. وقال: "أرجو ان لا نضع العربية امام الحصان". وافق أبو عمار على تأجيل موضوع الحكومة حتى منتصف الشهر القائم. تدخل ياسر عرب ربه، وقال: "دعونا نجري نقاشا اوليا حول الموضوع، لاسيما واننا على ابواب جولة سياسية ولدينا اشكالات لا بد من بحثها، منها مثلا العلاقة بين الحكومة والمنظمة". وكان بعضا من حديثه ارضاء للامين العام المتمسك بفكرة الحكومة. نظر أبو عمار الى ساعته وقال: "اظن انكم تعبتم"، واقتراح رفع الجلسة واستكمال النقاش في اليوم التالي.

مساء يوم ١٥/١٩٨٩، عقدت القيادة الفلسطينية جلسة اخرى بذات الحضور، بدأها أبو عمار بالقول: "اتفقنا على تأجيل البحث في موضوع الحكومة. دعونا نناقش اليوم الامر من زاوية السياسية فقط لنحدد توجهات العمل". وعرض ما دار من حديث مع الوزير البريطاني ولدغريف عن موقف لندن من الحكومة، وان الوزير البريطاني قال، "ستكونون بحاجة لمن يعترف بها، ولماذا الاستعجال، فنحن الان نجري معكم حوارا". وقال أبو عمار: "قلت له افترض ان الاسرائيليين رفضوا المفاوضات مع المنظمة عندها نعمل لهم حكومة، فاستحسن الفكرة". وانتقل أبو عمار الى نقطة اخرى وتساءل: لماذا نحن نريد الحكومة؟ هل من اجل تنفيذ ما قرره المجلس الوطني؟ المجلس الوطني ترك للمركزى حرية التقييم؟ وقال: "انا قلت الحكومة ستتشكل من الداخل والخارج وبخاصة من فلسطيني لبنان، واسباب تخصيص فلسطيني لبنان واضحة للجميع. فرضا عينا فيها هنا سنيورة، وفائز ابو رحمة، وسمحة خليل، والياس فريج، هل نضمن عدم ترحيلهم؟ نحن لا نستطيع تشكيلها دون ضمان التوازن بين الداخل والخارج، وكذلك الالتزام بالتعديلية السياسية". وتساءل حول الوقت المناسب لتشكيلها، هل نشكلها الان أم نترى ثم نفجرها في وجه الادارة الامريكية؟

بعد انتهاء أبو عمار من مداخلته، اقترح عبد الرزاق اليحيى ان يعرض نبيل شعث ما توصلت له اللجنة الخاصة بالحكومة. قال نبيل: "بحثنا الموضوع مع خبراء فلسطينيين ومصريين". واستعرض نتائج الاستشارات، واقتراح الخيارات المطروحة، واسترسل في

الحديث عن تشكيلها ولم يبق الا ان يقترح الاسماء. وكان واضحا انه من انصار تشكيلها اليوم قبل الغد.

ابو علي مصطفى المعارض لتشكيلها وللدخول في بحثها قال: "لا اريد ان اكرر ما قلته امس، نحن امام موضوع كبير، وحتى نبدأ بشكل صحيح يجب ان نرتب اولوياتنا، والقضايا التي طرحها نبيل لا يجوز الارتجال فيها". رد أبو عمار: "ليس المطلوب اتخاذ قرار اليوم". اما عبد الله حوراني فقال: "اخي نبيل استعجل ودخل في التفاصيل، نحن كلجنة لم نناقش الامر لاننا لم نجتمع مجددا". بعد عبد الله، تحدث نايف حواتمة وأكد أهمية مواصلة مناقشة الموضوع لتنوير اللجنة. وقال: "من المفيد طرح افكار نسترشد بها". وكان معروفا للجميع أن الجبهة الديمقراطية، وبخاصة امينها العام، من اكثر الناس حماسا لتشكيلها. تدخل سليمان النجاشي وقال: "المجلس الوطني كلف اللجنة التنفيذية ممارسة مهام وصلاحيات الحكومة وليس هناك فراغ، وكلفت لجنة فنية بعمل الدراسات اللازمة ولا داعي للدخول في التفاصيل". ودعا النجاشي حصر الموضوع في نقطة واحدة: هل حان الوقت لتشكيل الحكومة الان؟ وأكّد ضرورة الشروع في تطوير بنية المؤسسات الفلسطينية سواء شكلت حكومة ام لم تشكل. وكان الحزب الشيوعي يعارض حماسة الجبهة الديمقراطية لتشكيل حكومة ويدعو للتريث.

ادرک ابو ایاد ان الخلاف حول الموضوع بدأ يطغى على النقاش، ويُشيَع في الاجتماع اجراء لا ضرورة لها فقال: "المسألة سياسية اولا وقبل كل شيء، ولا اعتقاد بأن الطرف الحالي يتطلب تشكيل الحكومة، ولست من يبسّط موضوع العلاقة بين المنظمة والحكومة. مثلا العالم مع من سيتعامل؟ مع وزارة الخارجية او مع الدائرة السياسية؟ أهم الابحاث التي يجب ان تقدم لنا هي حول مصدر م.ت.ف. بعد تشكيل الحكومة". وأشار الى ان التجربة الجزائرية مع الحكومة المؤقتة لم تكن سهلة. وأشار الى اعتراف العالم بالدولة بعد المجلس مباشرة، وقبوله استمرار التعامل مع ممثليات المنظمة، حيث تعامل البعض معها كسفارات. واقتراح البقاء على الصيغة القائمة، وان يتم تشكيلها عند الشعور انها مطلوبة دوليا. قال أبو عمار: "استلمت رسالة رسمية من المانيا الشرقية حول تقبل اوراق اعتماد سفيرهم في تونس كسفير لدى دولة فلسطين".

على مدى بضع ساعات، واصلت القيادة مناقشة الموضوع، وبيّنت مواقف الاطراف على حالها. وختم أبو عمار النقاش بالتأكيد على أهمية تشكيل الحكومة وعلى ان المسألة تحتاج الى ابحاث ودراسات فنية، واقتراح العودة لمناقشة الموضوع بعد انجاز الدراسات المطلوبة والتي "يجب انجازها سريعا"، واقتراح عقد اجتماع آخر للقيادة الفلسطينية منتصف شباط/فبراير. وكان هدفه تبريد الاجواء الداخلية. وبعد الانتهاء من مناقشة موضوع الحكومة تم بحث قضية الابعاد والمبعدين، واتخذت توجهات لاثارة الموضوع

قبل مغادرة قاعة الاجتماع، تحدثت مع أبو عمار حول ضرورة عقد اجتماع ثانٍ بين قيادة الجبهة وقيادة فتح. وكنت أخشى أن يفادر أبو عمار تونس قبل عقد مثل هذا اللقاء. فالامين العام للجبهة لم يكن يرغب في الحضور إلى تونس لولا التأكيدات التي تلقاها من قيادة فتح بأنهم يرغبون في بحث العلاقة الثانية، وإن أبو عمار جاهر لتلبية متطلبات الجبهة المتعلقة بالموضوع المالي، وتعيين عدد من كوادر الجبهة الديمقراطية في مكاتب ومؤسسات منظمة التحرير المنتشرة في شتى أنحاء العالم. قال أبو عمار: "لم أنس الموضوع، الوقت الآن متاخر وانا حريص على اللقاء بنایيف على انفراد، وموعدنا غدا مساء".

مساء يوم ١٦/١٩٨٩، عقد اجتماع بين التنظيمين حضر جزءا منه السيد محسن ابراهيم. وحضر عن فتح، بالإضافة لأبو عمار، كل من أبو مازن، حكم بلعاوي، صخر حبش، نبيل شعث وأبو المعتصم. وعن الجبهة الديمقراطية حضر نايف حواتمة وياسر عبد ربه وممدوح نوفل. في بداية الاجتماع قال أبو عمار: "لدي شكوك على اخواني في الديمقراطية. كلما اتفقنا معهم يخرقون الاتفاق، ويتفقون مع الآخرين". وكان مفهوماً للجميع انه يقصد حواتمة أمين عام الجبهة وبداية التحالف بين الجبهتين الديمقراطية والشعبية. رد نايف وقال: "صحيح ان المشكلة هي ان اتفاقاتنا كانت دوماً تتuelle، لكن السؤال من المسؤول؟ التاريخ يؤكد انه بالاتفاق بين الجبهة الديمقراطية وفتح تم حماية منظمة التحرير. ما بين ١٩٨٢ - ١٩٨٧ كان الهدف تدمير المنظمة، والتفاهم بيننا حماها. استعادة وحدة المنظمة عام ١٩٨٧ ما كان له ان يتم بدون اتفاقنا. ما يعكر علينا هو عدم معالجة القضايا العملية. نحن، كشركاء، اتفقنا على عمل كل ما يساهم في معالجة مشاكلنا التي تسبب لنا صداعا يوميا". قال أبو عمار: "نحن اتفقنا على ان تقدموا كشوفاً باسماء كوادر الجبهة لاصدار قرارات بتعيينهم في مكاتب المنظمة". تدخل أبو مازن واقتراح ان تقدم الديمقراطية كشوفاً باسماء ١٥ كارداً يلاحق تثبيتهم هو وعبد ربه. وافق أبو عمار، وشدد على ان يبقى القرار سريا حتى لا يطلب الآخرون المعاملة بالمثل. قال ياسر: "الموضوع الآخر هو الوضع في المنظمات الشعبية". تدخل أبو مازن، بناء على اتفاقنا المسبق معه، وقال: "التحالف من فوق يجب ان ينعكس على الارض وبخاصة في المنظمات الشعبية". واقتراح تشكيل لجنة من أبو الهول، وأبو مازن، وأبو ماهر غنيم، وصخر حبش، لوضع بروتوكول حول الموضوع. وتم تسمية عبد ربه وممدوح نوفل وجميل هلال عن الجبهة. وأكد نايف على تصحيح الوضع في فروع اتحاد الطلاب في بلغاريا والفلبين وإيطاليا.

ثم تحدث ياسر عبد ربه وقال: "بقي موضوع واحد نحن مضطرون للتدخل فيه، وهو العلاقات الاستراتيجية بين نايف وأبو عمار"، وكان يقصد موضوع الدفعات المالية من الصندوق القومي للجبهة. رد أبو عمار: "رجاء عدم التدخل في المسائل الاستراتيجية الثانية". واتفق على عقد "خلوة قصيرة" بينهما. وفيها وافق أبو عمار على تجديد صرف مستحقات الجبهة من مالية المنظمة وتقديم دفعة استثنائية فورية. وقبل فض الاجتماع: قال أبو مازن: "العمل يتکاثر والامور تزداد تعقدا، ونحن في تونس نفتقد الى نايف، والامور لا تحل بالفاکسات، ومقر القيادة الفلسطينية في تونس وليس في الشام". اضاف أبو عمار "الورشة كبرت ولا يجوز لنايف ان يقول لي اذهب انت وربك فقاتلا ثم يقعد في الشام". في حينه، اكد نايف انه سيقيم في تونس وقد يضطر للتردد على دمشق لبعضة ايام. وتم الاتفاق على ان يخصص لامين العام للجبهة مقر في تونس. ولاحقا تم استئجار المقر بالمواصفات المطلوبة، الا ان الامين العام لم يستعمله الا في ما ندر وأشار الاقامة في دمشق.⁽¹¹⁾

الى ذلك، رحب دول المجموعة الأوروبية، كجماعة وكتل مستقلة، ببدء الحوار الفلسطيني الامريكي واعتبرته حدثاً سياسياً مهماً، وخطوة باتجاه صنع السلام والاستقرار في الشرق الأوسط. وراح سفراوتها ينشطون في تونس للتفتيق في مدلولات وأبعاد تشكيل الوفد الفلسطيني للحوار مع الامريكان، ودوافع استناد قيادته الى ياسر عبد ربه، والمدى الذي يمكن أن تتدفق نحوه الخلافات الفلسطينية الداخلية، والعلاقات الفلسطينية - السورية. وقدم الكثير منهم عبر سفرائهم، أو من خلال ممثلي م.ت.ف. في بلدانهم، نصائح صادقة للقيادة الفلسطينية، خلاصتها: الاندفاع في الحوار دون تردد والتفاعل مع التوجهات الأمريكية. والاندفاع أكثر فأكثر في نهج صنع السلام، "فهذه فرصة ثمينة للفلسطينيين"، ونصحوا بأن يكون رد الفعل الاسرائيلي السلبي على الحوار بوصلة لقياس سلامة التحرك الفلسطيني.

السوفيت طالبوا بدورهم واحيوا فكرة المؤتمر الدولي

استقبل الاتحاد السوفييتي حوار بيللترو عبد ربه ببرود دبلوماسي. صحيح انه رحب بقرارات المجلس الوطني، الا انه خشي من تفرد الادارة الأمريكية مجدداً بمعالجة قضايا الشرق الأوسط وإحكام سيطرتها على المنطقة، وارعجه عدم تشاور قيادة م.ت.ف معه حول مقدمات الحوار وتربياته. وبعد عقد الجولة الاولى ازداد توتر موسكو، وتحرك نائب وزير الخارجية بولياكوف، على رأس وفد سوفييتي الى تونس وأجرى عدة لقاءات مع القيادة الفلسطينية. وفي لقاء عقد بتاريخ ١٥/١/١٩٨٩، وحضره أبو مازن وياسر عبد ربه الى جانب أبو عمار، قال بولياكوف: "المنظمة وأبو عمار والنهج الفلسطيني

اصبح في مركز اهتمام الرأي العام العالمي. ما فعله الفلسطينيون قلب الوضع في العالم. وفي المستقبل القريب سيطرق مندوبي العالم الغربي ابوابكم. الاوضاع تتبدل، علينا ان نفكر معا في تطبيق فكرة المؤتمر الدولي الذي اتفقنا عليه، ومن أجل التنسيق والعمل المشترك بيننا نهتم بما يجب ان نعمله معا". بعد هذه المقدمة عرض أبو عمار تطورات الموقف واكد ان الملك فهد والرئيس علي عبد الله صالح لمஸوا اهتماما بريطانيا مفاجئا بالشرق الاوسط. علق بولياكوف وقال: "يبدو انهم ادركوا ان القطار يمكن ان يفوتهم". تابع أبو عمار واكد ان الموقف العربي تحسن، وتم الاتفاق في اجتماع الجامعة العربية على تحريك وفود الى الدول الخمس دائمة العضوية، وان تكون لهجتهم واحدة في تأييد الموقف الفلسطيني. وأشار الى ان لديه معلومات تثبت ان سوريا تحضر، عبر احمد جبريل وابو نضال، للقيام باغتيالات، تستهدف ياسر عبد ربه ومحمود درويش وسليمان النحاج ونعيم الاشهب وابو مازن، وعددا من مدراء مكاتب المنظمة. وطلب من القيادة السوفيتية افهام القيادة السورية ان قيادة م.ت.ف. تعرف ما يدبرون، وانها لا تريده مشاكل مع سوريا وأنه يكفيها مشاكلها مع الامريكان. وقال أبو عمار: "صبرى البنا (ابو نضال) كان في ايران ومركزه الان في ليبا". وأكد على ان الرأي المصري والاردني مؤيد للموقف الفلسطيني، ويجب الضغط كي يقوم الرئيس بوش بخطوة عملية نحو المؤتمر الدولي. وأشار الى اهمية بقاء قوة الدفع متواصلة، وكذلك بقاء الحوار مفتوحا في مجلس الامن الدولي. وشدد على اهمية رفع مستوى التنسيق الفلسطيني - السوفيتي، وايجاد لجنة تنسيق ثنائية مشتركة.

التقط بولياكوف الفكرة التي سبق له وتداول فيها مع ابو مازن وياسر عبد ربه، ورحب بتشكيل لجنة التنسيق، وقدم بعض تقديرات وتحليلات القيادة السوفيتية للتطورات، وقال: "في الماضي، زعم الامريكان انه لا توجد جهة فلسطينية للتحدث معها، لكن الحديث جار الان مع منظمة التحرير. الولايات المتحدة بدون شك تبقى حليف اسرائيل، لكن، هناك الان ظروف مواتية للضغط عليها لتحقيق فكرة المؤتمر الدولي". وأشار الى وجود اتفاق فرنسي - سوفيتي مبدئي حول اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وان موضوع المؤتمر واللجنة التحضيرية سيبحث خلال زيارة وزير الخارجية السوفيتية شيفرنادزه الى بيكتن. وبين ان موسكو استلمت مؤخرا اقتراحات من بريطانيا حول كيفية تشغيل دور مجلس الامن بشأن السلام، وان الموضوع سيناقش على مستوى المندوبين في مجلس الامن، ثم على مستوى وزارات الخارجية. وتساءل حول كيفية جر سوريا والاردن ومصر الى هذه العملية؟ قال أبو عمار: "عرضت صيغة لقاء خماسي". أضاف بولياكوف: "لا جديد في اقوال الوزير الاسرائيلي موشى أريئيل، والاسرائيليون يفضلون المفاوضات المباشرة". وأشار الى انهم يرون ان المؤتمر الدولي يمس امن اسرائيل، ويعتقدون ان

امن اسرائيل لا يمكن ضمانه الا بالتسويات السياسية المباشرة مع الاطراف العربية كما تشكل لديه انطباع بأن اسرائيل ستأخذ بالاعتبار موقف المنظمة وسياساتها، وارينز اعترف بأن القضية الفلسطينية هي محور المصالح وبدون حلها لن يكون حل. واضاف روبيت عضو الوفد السوفييتي: "هناك ارتباك في الادارة الاسرائيلية الجديدة، وهي عندها تناقضات. الموضوع الرئيسي في نقاشنا مع اسرائيل لم يكن مناقشة تفاصيل المؤتمر الدولي، وإنما توازن المصالح بين جميع الاطراف، والاسرائيليون اقرعوا ان السلاح لا يحل المشكلة. وتعيين دينس روس كمساعد لوزير الخارجية أمر ايجابي." وأشار الى ان لدى امريكا نوايا للفصل بين م.ت.ف. وبين قيادة الانتفاضة، وستفعل واشنطن ما بوسعها للتقسيم بينكم، واسرائيل ستحاول الاتصال مباشرة مع سكان المناطق، والامريكان يؤيدون اسرائيل في ايجاد بدائل للمنظمة، وان تكون م.ت.ف. على هامش الحوار مع اسرائيل وليس طرفا رئيسيا. وأكد بولياكوف ان موسكو سترسل صحفيين سوفييتين الى المناطق المحتلة لتغطية فعاليات الانتفاضة ونقل صورة للمواطن السوفييتي عن القمع الاسرائيلي. وانه تم تكليف بعثة الفحصية السوفييتية في اسرائيل للاهتمام بالعلاقة مع المناطق المحتلة، وطلب ان تتصل القيادة الموحدة للانتفاضة بهم.

تدخل ابو مازن وقال: "درس فكرة تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة.. ما رأيكم؟ وبالنسبة للتسيق الخامي نحن مستعدون للقاء على اي مستوى". رد بولياكوف: "بالنسبة للحكومة، يجب ان تفك بكل الاحتمالات وباللحظة الافضل، وانتم تعرفون ان المشكلة ليست في الاعلان عنها ولكن في كيفية الربط بينها وبين حركة التسوية السياسية في المنطقة". اما ياسر عبد ربه فاستفسر حول الموقف السوري، وهل يمكن للحوار ان يبدأ مع السوريين على اي مستوى، وان يحصر البحث في موضوع المؤتمر الدولي، اذا كانوا في دمشق ما زالوا لا ي يريدون الربط بينه وبين معالجة المشاكل الثانية كما يحصل في المشاورات مع الاردن ومصر؟ واقتراح ياسر ان يستقبل الوفد العربي الذي سيزور موسكو على مستوى غورياتشوف لتشجيع الدول الاخرى ان يكون اللقاء على اعلى مستوى رسمي. رد بولياكوف فورا، وقال: "فكرة جيدة وننافق عليها من حيث المبدأ". وردا على استفسار ابو مازن حول موعد زيارة ابو عمار الى موسكو، قال بولياكوف: "لدينا التصور نفسه ولكن بعد ان تتسلم الادارة الامريكية الجديدة مهامها".

وخلال الرحلة ذاتها، حرص بولياكوف على عقد لقاء خاص يوم ١٦/١٩٨٩ مع قيادة الجبهة الديمقراطية، حضره امين عام الجبهة، وممدوح نوفل وجميل هلال، كرر فيه بولياكوف رؤية السوفييت للتطورات وما تم في اللقاء بين الوزيرين شيفرنادزة وأرينز. وقال: "نحن نرى خطرا في الخطوات الامريكية وخاصة الفصل بين القيادة الموحدة والقيادة الفلسطينية". لاحظ ان الاسرائيليين يرفضون المؤتمر الدولي ويصررون على

المفاوضات الثنائية المباشرة، ويرفضون الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد. والجديد الذي سمعه السوفيت من الاسرائيليين هو ان الوضع المتواتر داخل المناطق يهدد أمن اسرائيل. وقد بدأوا يفهمون ان حل القضية يتم عبر السلام، وان بإمكان السوفيت لعب دور ايجابي في التسوية دون ربط ذلك باعادة العلاقات الدبلوماسية، وان موافقة شامير على الحكومة الائتلافية مع العمل ينطلق من افق للحكومة في موضوع التسوية.

وتحدث امين عام الجبهة الديمقراطية واستعرض قرارات المجلس الوطني وتفاعلاتها الداخلية والخارجية. وعرض المواقف الفلسطينية بشأن الحكومة المؤقتة. وقال: "الناس اسبابنا للدعوة الى حكومة مؤقتة وهي توسيع الاعتراف العالمي بالدولة والمنظمة". وأشار الى بروز ثلاثة اتجاهات في القيادة الفلسطينية، الاول، يقول ان الظروف ناضج ويريد لها حكومة موسعة من شخصيات مستقلة، ويمثل هذا الاتجاه أبو عمار. والثاني يقول ان الظروف تنضج يوما بعد يوم ويرى بأن تكون مصغرة تمثل الفصائل وشخصيات من الداخل تسميمهم القيادة الوطنية الموحدة، وهذا هو رأي الديمقراطية مع آخرين. أما الثالث فيرى ان الحكومة ضرورية لكن الوقت لم ينضج حتى الآن. وطرح حواتمة رأي الجبهة في الحوار مع الامريكان. وفي نهاية اللقاء شكر بولياكوف نايف على شرح الاتجاهات داخل م.ت.ف.. وأكد أهمية وحدة الفصائل واعتبره مقياسا رئيسيا خصوصاً وإن وسائل الاعلام الغربية تحاول اعطاء صورة تفيد بأن المنظمة غير قادرة على تحمل المسؤولية، لكن التجربة اثبتت العكس. وختم حديثه بالقول الوقت يدهمنا لدينا موعد آخر، وأكد على ضرورةمواصلة الحديث في موسكو يوم ٢١ و ٢٢ من الشهر الجاري.

تابعت القيادة الفلسطينية تحركاتها الدولية. وفي يوم ١/٢٧ ، ١٩٨٩، قام وفد فلسطيني برئاسة أبو عمار ضم: أبو اللطف، ياسر عبد ربه، أكرم هنية، المطران كبوجي، احمد عبد الرحمن، وشوفي ارملي بزيارة مدريد، حيث التقى خلالها وفدا من الترويكا الاوروبية برئاسة وزير خارجية اسبانيا. وفي اللقاء أكد الوزير الاسباني على الصداقة الاسبانية الفلسطينية واهتمام اوروبا بالسلام في الشرق الاوسط، وان خط السلام الذي اقره الفلسطينيون في الجزائر واعلن في جنيف، أكسبهم معركة الرأي العالمي، وإن الجميع يضع منظمة التحرير تحت المجهر ويراقبون سلوكها بعد اعلان الدولة، ويدققون حول التفاوض مع من، ومن هي الاطراف، وما هو الاطار، ودور م.ت.ف. في المفاوضات. وقال: "تعرفون ان اسرائيل ترفض دور المنظمة، ونحن نسأل حول رؤية المنظمة لدور الولايات المتحدة الامريكية؟" وحول المؤتمر الدولي قال: "تعرفون انه كان هناك صيغة مظلة سوفيتية - امريكية وصيغة الدول الخمس". وحول الانتفاضة والوضع في الاراضي المحتلة أكد الوزير الاسباني عدم الحاجة لاعادة تكرار الموقف السياسي الاوروببي

وذلك من النواحي الانسانية. وأشار الى دراماتيكية الوضع خصوصاً وان اسرائيل ترفض مشاركة المنظمة في المفاوضات والمنظمة تؤكد على تواصل الانتفاضة، واسرائيل تتحدث عن مراحل ومتـ.ـفـ.ـ. تتحدث عن مؤتمر دولي. وأشار الى لقائهم بالناس في القدس وانهم يقولون نفس الكلام، "الانتفاضة هي اسلوب حياة وسوف نستمر". وتحدث عن مرحلة او مراحل انتقالية، وتساءل: مثلاً هل يمكن عمل هدنة في المناطق؟ وهل يمكن نزع السلاح؟ وماذا حول تقرير المصير وكيفية تطبيقه وبخاصة مع الاردن؟ واكـ.ـد ان الهدنة كلام طرـ.ـحـ.ـ البعض معهم، وموضوع الامن هو الاول عند اسرائيل، وتطرق الى اقتراح الياس فريج. اما مفهـ.ـوسـ.ـ السوق الاوروبية فقال: "موقفكم واقعي، وطبعـ.ـا يجب الحديث عن تنمية المنطقة، وسائل عن نوع برامج المنظمة وعـ.ـلاقـ.ـاتها الاقتصادية مع الدول الأخرى، وبخاصة مع الاردن واسرائيل، وتصورـ.ـها لمستقبل حركة العمالـ.ـةـ.ـ والجوانـ.ـبـ.ـ الاقتصادية الأخرى وعـ.ـلاقـ.ـةـ.ـ السوق..ـ.ـ الخـ.ـ.

رد أبو عمار، وقال: "اسرائيل يقول علينا موقفاً يختلف عما تقوله سراً مع قادتنا في الأرض المحتلة. قرار التقسيم خلق اسرائيل، والقرار نص على دولة فلسطينية، وانا من حقي ان اسئل الرأي العام العالمي حول موقفهم من التقسيم بشكل متكامل؟" وبين ان المجلس الوطني بدأ من صيغة "دولتين للشعبين"، على قاعدة عش ودع الآخرين يعيشون. وشدد على ان الفلسطينيين يريدون سلاماً عادلاً، وان يكون للأمم المتحدة دور، والاسرائيليون لا يريدون هذا الدور، لأنهم يريدون ان يهربوا من قراراتها. وقال أبو عمار: "صيغة مؤتمر جنيف القديمة انتهت ولا بد من مؤتمر دولي فعال تحت اشراف الأمم المتحدة. نقبل الانتخابات في حالة واحدة بعد انسحابهم وتحت اشراف الأمم المتحدة، وهذه فكرة فرنسيّة وردت في اقتراح ميتران وغيره باتسخوف". وتساءل أبو عمار حول موضوع اللاجئين في الخارج؟ أليسوا فلسطينيين؟ وأشار الى ان اعتبار القيادة الاسرائيلية كل من هو خارج الأرض المحتلة غير فلسطيني يضعف موقف القيادة الفلسطينية، وأكد ان الشعب الفلسطيني لن يستمع الى تعليمات قيادته الا اذا لمس ان هناك حلولاً تلبى مطالبه. ورفض عرفات فكرة الهدنة في الانتفاضة ووصفها بالكلام السخيف. وأشار الى ما سمعه الوزير الفرنسي رولان دوما في القدس من الناس مباشرة، وقال: "هذه ديمقراطيتنا، وحتى رئيس البلدية الياس فريح أنكر دعوته الى هدنة". وتساءل حول منع الاسرائيليين الياس فريح من حضور المجلس الوطني، وهو عضو فيه؟

و حول نزع السلاح سأله أبو عمار هل المقصود نزع سلاح الطرفين في الأرضي المحتملة؟ و دعا إلى أن تكون أرض السلام كلها بدون سلاح. و تساءل من يهدد الآخر؟ و وافق على كل الضمانات التي تضعها السوق الأوروبية المشتركة للتغلب على حجمهم الواهية. وبين أهمية توفر ضمانات من مجلس الأمن، وان الفلسطينيين هم الأحوج

للضمانات. وقال: "البحث سيكون مع اعدائي ولدينا الكثير لنبحثه معهم؛ الماء، الممرات، الاقتصاد، الأمن، السياحة، الاماكن المقدسة. هذه أرض قسمت وقبلنا مبدأ الدولتين". وأشار مسألة حل مشكلة اللاجئين والقرار ١٩٤، وحق العودة او التعويض، وان هناك تفاصيل كثيرة يجب بحثها في المؤتمر الدولي. وأشار الى ان ٥٤٪ من الاسرائيليين يؤيدون الحوار مع المنظمة. وحول تأثير تقرير المصير على العلاقة مع الاردن قال ابو عمار: "لدينا قرار في المجلس الوطني يؤكد على الكونفدرالية، وسنسائل اخواننا الشعب الاردني اذا كانوا يحبون ذلك". اما المطران كبوجي فتحدث حول وضع المسيحيين والاماكن المقدسة في الاراضي المحتلة وقال: "العيش ليس ان نأكل ونشرب فقط. جمعينا مسيحيون ومهد الديانة هي فلسطين، وكنيسة القيامة تحضر. عام ١٩٤٢ كان المسيحيون نصف مليون والآن يوجد ٩٠ ألف فقط، واية قيمة لهذه الاماكن المقدسة بدون المؤمنين. المؤمنون يغادرون لأنهم يتعرضون للتمييز، العرب المسيحيون والمسلمون يتعرضون للتمييز والقهر، علينا ان نبذل جهدا لكي نبقى مؤمنون في هذه الارض المقدسة". رد الوزير الاسپاني وقال: "نؤيدكم وسندعمكم".

وفي سياق الحديث عن المواقف الدولية يمكن القول ان الاتحاد السوفياتي، لم يرتح في حينه للخطوة الامريكية بفتح حوار ثانوي مع قيادة م.ت.ف.، لكن تفاقم التدهور في اوضاعه الداخلية جعله عاجزا عن القيام بخطوات سياسية او عملية مباشرة مضادة للأمريكان. فلم يحاول الاعتراض بصورة علنية على هذا التفرد الامريكي بأوضاع المنطقة. وجل ما قام به في تلك الفترة هو العمل، ضمن إمكاناته وبطريقه الدبلوماسية والاستخبارية، على التأثير على مسار الحوار الفلسطيني - الامريكي، ولجا للتحريض المستتر لبعض القوى اليسارية الفلسطينية ضد الحوار، وشجع، بشكل مبطن، القيادات السورية واللبنانية وبعض الاحزاب الشيوعية العربية على مناهضته، ودفعهم الى الاصرار على فكرة عقد المؤتمر الدولي لحل نزاعات الشرق الاوسط، التي كان الاتحاد السوفياتي ينادي بها منذ سنوات طويلة، وذلك بأمل أن يكون له دور ما في معالجة قضايا الشرق الاوسط، وتعطيل تفرد الادارة الامريكية بها.

في حينه، استجابت تلك القوى الفلسطينية وال العربية وشنّت حملات إعلامية ضد الحوار الفلسطيني - الأمريكي. ولعل اللقاء الذي عقد يوم ١٩٨٩/٢/١ بين قيادة الجبهة الديمقراطية وقيادة الحزب الشيوعي السوري برعاية يوسف فيصل المقرب آنذاك من النظام السوري يوضح ذلك. بدأ اللقاء بترحيب يوسف فيصل بوفد الجبهة وعرض مواقف الحزب ومعلوماته، وقال: "التطورات متلاحقة وهناك قضايا كثيرة بحاجة للبحث والنقاش. وسوريا يمكن ان تكون مرنة في لبنان، وانها قطعتها مع مصر، وماذا بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، حيث يحاول العراق لعب دور متميز. يهمنا بالدرجة

الاولى ان ترى كيف يتتطور الموقف السوري تجاه الوضع الفلسطيني". وعرض نتائج لقاءاتهم مع خدام عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي وأخرين في القيادة القطرية. وبين ان القيادة السورية ترى في قرارات المجلس الوطني، او خطاب أبو عمار في جنيف حركة تسير في الاتجاه الخاطئ، وتعتبر ان منظمة التحرير ذهبت نحو الموقف الامريكي وليس العكس، وان الاعتراف بقرار ٢٤٢ وباسرائيل تنازل فلسطيني دون مقابل. وهم يرون ان الفلسطينيين سينقلون على انفسهم خلال عام على الاكثر، وأن الانقلاب سيأتي من داخل المنظمة، وشامير لن يعطي شيئاً، والإدارة الامريكية سوف تضغط لتشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة، تعلن كونفدرالية مع الاردن. وأكد ان القيادة السورية لن تعارض دخول مصر للقمة العربية، وانها تميز بين مصر الرسمية ومصر الشعبية. وبين ان لدى سوريا في لبنان قضيتين، الاولى امن الدولة السورية، والثانية،بقاء الصوت اللبناني بجانبهم، وانهم يفضلون بقاء اصدقائهم الفلسطينيين الفاهم وابو مizar، خارج المنظمة. وشار الى أن احمد جبريل بات اقرب الى ليبيا منه الى سوريا، وأنه بدأ يتحول دينياً باتجاه ايران، وقاتل مع حزب الله في لبنان بتشجيع ليبي ايراني. وعن خلافات الجبهة الديمقراطية الداخلية، قال: "سمعنا عن خلافات في الجبهة وهذا يؤلمنا. لا نريد ان نتدخل ولكن نحرص على وحدة الجبهة". واضاف دانياel نعمة عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري: "عند السوريين تصورات بأن الاردن سوف يستعيد دوره في التسوية. ويررون ان الصهيونية هي التي تضغط على امريكا وليس العكس. ورأيهم ان الجبهة الشعبية لن تمشي مع عرفات. وان قسماً من الديمقراطية لن يمشي معه". ونقل عن خدام قوله في اجتماع الجبهة الوطنية (السورية) ان من يريد المشاركة في الحكومة الفلسطينية عليه ان يتخل عن تشكيله العسكري والامني، وان وثيقة باسم ابو شريف اعدت في معاهد امريكية.

وفي ذلك الاجتماع، كرر وفد الجبهة الديمقراطية مواقفها المعروفة، وأكد على ان الجبهة لن تتماشى مع سياسة ياسر عرفات، وان قيادتها تعمل على توحيد الموقف مع قيادة الجبهة الشعبية، وهؤن الوفد من طبيعة الخلافات داخل الجبهة الديمقراطية، واتهم ياسر عرفات بالتدخل في الشؤون الداخلية للجبهة. وقال امين عام الجبهة: "الاتجاه اليميني العرفاتي في الجبهة الديمقراطية محدود ومعزول وضعيف الوزن ولا تأثير له".

لاحقاً، لم يكتف الاتحاد السوفييتي بالموقف المتحفظ على المبادرة الامريكية، وعلى بدء الحوار مع منظمة التحرير. وقبل لقائه بوزير الخارجية الامريكي الجديد بيكر، يوم ٢٧/٣/١٩٨٩، تقدم وزير الخارجية السوفييتي ابوارد شيفارنادزه في ٢٣ شباط/فبراير ١٩٨٩ بمبادرة جديدة عرفت باسمه. هيأ لها ما يلزم من أجزاء سياسية وإعلامية أعطتها مظهراً ايجابياً، وبدت وكأنها ليست متعارضة مع التحركات الامريكية، وأن هناك قبولاً لها من

أهل المنطقة. وحرص الوزير شيفرنادزه على اللقاء مع وزير الخارجية الإسرائيلي موشي أريئز في القاهرة قبل الإعلان عن مبادرته. وكانت فكرة المؤتمر الدولي محورها. وحرص على إعلانها من هناك بعد محادثاته الرسمية مع الرئيس المصري. وقبل مغادرته القاهرة صدر تصريح مصرى ايجابي بشأنها. وأعربت سوريا وليبيا عن تبنيهما لها على أمل ان تشكل خطوة اعتراضية في مواجهة التحركات الأمريكية الجديدة، وتوجهات م.ت.ف.

وخلال وجوده في القاهرة التقى شيفرنادزه وفداً من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير يوم ٢٢/٢/١٩٨٨، برئاسة أبو عمار، وحصل على تأييد فلسطيني رسمي لمبادرته. وتأييد م.ت.ف. لها لم يتم كنوع من المناورة، أو المجاملة الفلسطينية للاتحاد السوفياتي الصديق، وإنما كان نتيجة قناعة راسخة بأن صيغة المؤتمر الدولي هي الأفضل بالنسبة للفلسطينيين، وإن الحوار مع الادارة الأمريكية لا يتعارض مع ذلك، بل قد يكون عاملا مساعدا وممحطة ضرورية لا بد من الوقوف فيها قبل التوجه للمؤتمر. ولم يكن أحد في قيادة المنظمة يجدد إستبعاد الاتحاد السوفياتي عن المشاركة في المساعي الدولية التي بدأتها الادارة الأمريكية، الهادفة إلى جذب حل عادل للقضية الفلسطينية والمصراع العربي الإسرائيلي. لقد حاول السوفيات من خلال مبادرة شيفارد نادزه إفهام الادارة الأمريكية أن الاتحاد السوفياتي ليس بصدده التخلص من مصالحه في المنطقة، وأنه ما زال يملك نفوذاً فيها، وأنه ما زال قادرًا، من خلال نفوذه وعلاقاته العربية والفلسطينية، على المشاغبة والتعطيل إذا لم تراع مصالحه، وإذا لم يشرك في البحث عن صنع السلام في هذه المنطقة القريبة من حدوده الجنوبية.

إلى ذلك، رحب شيفرنادزه باسم غورباتشوف بوفد م.ت.ف.، وهنأ قيادتها على الاعتراف الدولي الواسع التي حصلت عليه. وأكد على تغيير الوضع في الشرق الأوسط بصورة جدية بسبب الاجراءات والقرارات والمبادرات العظيمة للمنطقة. ولو لم تقدر دورة الجزائر، ولم تطرح المبادرة الفلسطينية ولم تعرف المنظمة بالقرارين ٢٤٢ و ٢٣٨، ولم يطرح عرفات مبادرته في جنيف، لكان من الصعب الحديث عن هذا التغيير. وأوضح ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على أقوال بعض "الاشقاء العرب" أن عرفات استعجل في مبادرته، ورأى انه صار للمنظمة رأس مال كبير، وتم تغيير الموقف اتجاه القضية الفلسطينية، وزاد التحول في الموقف الدولي، وتوسيع اهتمام الدول الكبرى الأساسية تجاه الشرق الأوسط.

وعن الانتفاضة قال: "طابع وحجم الانتفاضة أديا إلى تغيير في الموقف الأمريكي". وحول الموقف الأمريكي، قال: "من الصعب أن نقول الآن كيف ستكون تصرفات الادارة الأمريكية الجديدة، حيث لم تتم عملية صياغة الموقف الأمريكي الجديد". وأشار إلى أن

موسكو تعتقد ان الرئيس الامريكي ريفان مصمم على تطبيق فلسفته اتجاه الشيوعية، وانه سيلتقي لأول مرة مع بيكر في ٦ آذار القادم، وقال: "كتبت له أنني أتمنى زيارة الشرق الأوسط، وأنني طرح موضوع الشرق الأوسط كقضية ذات أولوية في لقائنا". ونقل للوفد الفلسطيني اقتراح شولتس بإقامة مظلة دولية، وان موسكو لا تستبعد أن يعترف الامريكان بدور الوسيط للاتحاد السوفييتي. وأكد شيفرنادزه أهمية القيام فورا بإجراءات واسعة النطاق في مجال التحضير للمؤتمر الدولي. مشيرا الى ان هدف اسرائيل من معارضته المؤتمر الدولي عزل م.ت.ف. عن المشاركة في الحل. وأكد على أهمية عقد اجتماع وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن، وعلى ان موسكو تبني أن نقترح على دول مجلس الامن والأمين العام البدء بالمشاورات. وقال: "أنا مقتنع بضرورة تعين شخصية عالمية كمندوب خاص للامين العام لشؤون الشرق الأوسط. ومطلوب أشياء عديدة، مثل اللقاء بين المنظمة وإسرائيل". واعتبر شيفرنادزه لقاءه مع الاسرائيليين في القاهرة جزءا من العمل التحضيري للمؤتمر.

اما ابو عمار فتحدث عن تأثير الانتفاضة على الجيش الاسرائيلي، وقال: "الانتفاضة مستمرة والوضع مطمئن". وأشار الى اعترف رابين أن الانتفاضة ثورة شعبية لا يمكن القضاء عليها، والى أن هناك شخصيات من حزبي العمل والليكود تحاول الإتصال مع القيادات الفلسطينية في الداخل". وحول حديث شيفرنادزه عن اللقاء الفلسطيني - الاسرائيلي، أكد ابو عمار على استعداد م.ت.ف. للقاء معهم سرا أو علنا في موسكو، وكذلك العمل مع التجمعات اليهودية الامريكية والاوروبية. تدخل شيفرنادزه وقال: "سنحاول عقد لقاء مع بروغمان رئيس المؤتمر اليهودي". ونبه الى تركيز الامريkan والاسرائيليين على أن الانتفاضة لن تستمر الى الأبد، وأنهم يسعون الى التقسيم بين الداخل والخارج برفع مسألة إجراء الانتخابات. وقال : "أريد التأكيد من أنكم غير قلقين بشأن مستقبل الانتفاضة". واستفسر حول فكرة م.ت.ف. عن عقد اجتماع الدول العربية الخمس المعنية بالمؤتمr الدولي، ووصفها بالجيدة. وأكد ان مباحثاته مع الجميع حول هذا الاقتراح أظهرت تأييدهم له. وحول معالجة موضوع الإرهاب اشار الى أهمية الدعوة مثلما الى إنعقاد مؤتمر دولي حول الإرهاب. ووافق شيفرنادزه على تشكيل فريق عمل فلسطيني - سوفييتي لتنسيق المواقف والتحركات، ورشح بولياكوف رئيسا للجانب السوفييتي.

قال أبو عمار: "اللقاء الخماسي العربي يساعد على التقارب بيننا وبين سوريا". وطلب من شيفرنادزه طرح مسألة القمع الاسرائيلي وخرق حقوق الانسان في لقائه مع الوزير بيكر، وكذلك في الاتصالات السوفييتية مع الاسرائيليين. وأكد حذر م.ت.ف. من اجراء اتصالات مع الاسرائيليين في الداخل. وبين ان كل الاتصالات تجري بقرارات من اللجنة

الفلسطينية العليا للانتفاضة، وان الأوروبيين تحدثوا مع قيادة المنظمة حول إجراء الانتخابات، واقتنعوا بوجهة النظر الفلسطينية. وبشأن الانتخابات أوضح أبو عمار ان قيادة المنظمة توافق على اجرائها بعد خروج الجيش الإسرائيلي من المدن والقرى الفلسطينية، مؤكدا انه يجب ان يتتوفر إشراف دولي على الانسحاب الإسرائيلي والانتخابات، وانه اجاب على سؤال "دوما" من هي هذه القوات؟ بالقول: فلشارك فيها الدول الأوروبية. وأشار أبو عمار الى وجود ١٨٦ عضو مجلس وطني منتخبين في المناطق المحتلة كرؤساء بلديات وغرف تجارية ونقابات، يمكن دعوتهم لحضور اجتماع المجلس الوطني. وعن عقد اللقاء الخماسي قال: إذا كانت الاطراف العربية موافقة على عقده يمكن الدعوة للاجتماع، تمهدا لتحضير الموقف العربي للمؤتمر الدولي.

رد شيفرنادزه، وقال: "الأسد والملك حسين أيدا هذه الفكرة، وهناك أهمية لتطبيع العلاقة مع سوريا، ويجب أن تشجع سوريا على تطبيع علاقاتها مع العراق ومع مصر. الرفيق القذافي ربما لا يحب ما نقوله". وأشار الى أهمية تخفيض المواجهة العسكرية فتخفيضها يؤثر على عقول الناس. واكد على أهمية الرأي العام العالمي وتفوقه على قيمة ٢٥ ألف دبابة، وخمسة ملايين جندي، وأربعة آلاف وخمسمائة طائرة موجودة في الشرق الأوسط. وقال: "أنتم كسبتم الان هذا السلاح". قال أبو عمار: "بعض الدول الاشتراكية بدأت تعيد علاقاتها مع إسرائيل بدون ثمن، وحيذاً لو تم الامر بمعرفتنا. اسرائيل في عزلة دولية وإعادة العلاقات يخفف من مأزقها؟" رد شيفرنادزه، "نحن لا نؤيد هذا العمل وأنتم تقصدون جمهورية المجر"، وأشار الى اوضاعها الاقتصادية السيئة و حاجتها الى مساعدات، والى ان المجريين يعتقدون ان اعادة العلاقة مع اسرائيل يساعدهم على تخفيف ازمتهم الاقتصادية. قال أبو عمار: "العلاقة مع إسرائيل لن تحل لهم مشاكل ديونهم". وختم شيفرنادزه حديثه بالتأكيد على ان حلف وارسو كله يؤيد منظمة التحرير. وانتهى الاجتماع باتفاق الطرفين على التواصل وتنسيق تحركاتهما اللاحقة.

اندفاع اوضاع الجبهة الديمقراطية نحو الانشقاق

في حينه، رحب المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية بالحركة السوفيتية، لكنه رفض عقد اللقاء الفلسطيني - السوفيتي في القاهرة، وطالب بعقدة في دمشق أو عمان، بدعوى أن اللقاء في القاهرة يعني تطبيع العلاقات مع مصر كامب ديفيد. ولم يطلب المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية هذا الأمر من الاتحاد السوفيتي، بل وجهه الى قيادة م.ت.ف. وكانها هي صاحبة القرار في الموضوع، او انها هي التي حدّدت المكان. وأرسل الأمين العام من دمشق قراراً بعدم مشاركة ياسر عبد ربه في الوفد الفلسطيني الذي شكل لمقابلة شيفرنادزه في القاهرة. وشن المكتب السياسي للجبهة حملة شعواء

ضد اليمين الفلسطيني وضد ياسر عرفات بالذات، واتهامه بالعمل على شق الجبهة الديمقراطية. وأرفق بحملة داخلية ضدنا (ياسر عبد ربه وجميل هلال وانا)، واتهمنا بأننا "عرفاتيون مستسلمون" ونعمل على شق الجبهة. ولم يتزدد في اختلاف بعض القصص والروايات حول علاقتنا مع ياسر عرفات وتأمننا على وحدة الجبهة.

عندما تردد ياسر عبد ربه، مرة أخرى، في الرد على الحملة، وكان ميالاً للرضاخ لقرار المكتب السياسي وعدم السفر إلى القاهرة لتجنب الدخول في صدام مباشر مع قيادة الجبهة المقيمة في دمشق. حاولت جاهداً إقناعه بالسفر، وكذلك فعل أبو عمار. وكنت واثقاً بأن دافع المكتب السياسي للجبهة لا يتعدى حدود "الحراتقات" الحزبية الصغيرة على حساب القضايا الوطنية الكبرى. وسافر ياسر مع أبو عمار بعد الحاح شديد، وأبلغته أنني اتفق مع أبو عمار على السفر إذا لم يسافر هو. وكنت مقتنعاً بأن تعسف منطلقات الموقف السياسي للرفاقي في دمشق لا علاقة لها بالقناعات الفكرية والسياسية ولا بالمصالح الوطنية العليا للشعب، بل هي ناتجة عن حسابات سياسية خاطئة جذرها تجنب التصادم مع الموقف السوري. وكنت مقتنعاً بأهمية اللقاء الفلسطيني - السوفيتي، لا سيما وإن ممثلي السفارة السوفيتية أبلغوالينا في تونس أن شيفرنادرة يحمل مبادرة جديدة، وأنهم لا يتصورون تغيب الجبهة الديمقراطية، بينما هي صديقة وحليفة الحزب الشيوعي السوفيتي.

خلال الرحلة من تونس إلى القاهرة اتفق ياسر عبد ربه مع أبو عمار على ضرورة حضوري للقاهرة للمشاركة في تحمل وزير التمرد على قرار المكتب السياسي الذي ننتمي له، ولإجراء بعض الاتصالات السياسية الضرورية. وبالفعل، وبعد وصول الوفد إلى القاهرة، اتصل بي أبو عمار من القاهرة وقال: "ممدوح، أخوك ياسر مصر على حضورك إلى القاهرة الليلة، لتحمل معه وزير هذا الموقف الوطني الفلسطيني، وأنا معه في ذلك نظراً لموقعك في الجبهة، وطبيعة علاقاتك مع قيادتها وكوادرها وخصوصاً العسكرية منها. هناك طائرة ستغادر الليلة تونس باتجاه القاهرة أمل أن تتحرك الآن إلى المطار، أعانك الله على هذه الرحلة، لقد أبلغت نظمي بترتيب سفرك وهو بانتظارك في المطار." أما ياسر عبد ربه فلقد ضرورة سفره للأسباب التي ذكرها الاخ أبو عمار، ولاسباب أخرى تتعلق بمستقبل علاقتنا الخاصة مع مصر، وبما يخدم عمل الرفاقي ودورهم في الانتفاضة. بعد المكالمة التلفونية تحركت إلى مطار تونس - قرطاج، ووجدت في انتظاري نظمي مهنا المعنى بترتيب سفر القيادات الفلسطينية من وإلى تونس.

كانت رحلتي من تونس للقاهرة طويلة ومتعرجة، ونظرًا لاصرار أبو عمار على وصولي القاهرة في نفس الليلة. اضطررت نظمي لتسفييري على طائرة مصرية كانت متوجهة من تونس للجزائر ومنها للقاهرة. لم انزعج من طول الرحلة، خاصة وأن فتح علاقة بين الجبهة الديمقراطية والسلطات المصرية تستحق التعب. فمثل هذه العلاقة تعزز مواقع

الاتجاه الواقعي داخل الجبهة، وتمنحه نوعاً من العمق العربي، وتساعدها، كتيار ديمقراطي، في توثيق علاقتنا مع كواذر وقواعد تنظيم الجبهة في قطاع غزة، تاهيك عن دور القاهرة في المسألة الوطنية الكبرى المطروحة. ووفرت لي الرحلة الطويلة وقتاً كافياً للتفكير بروية في اوضاع الجبهة ومستقبل الصراع السياسي والتنظيمي الذي بدأ يؤثر على مواقفها الوطنية. وخرجت بنتيجة خلاصتها دفع الصراع السياسي داخل الجبهة إلى مداه النهائي، وإن أي تراجع أمام ابتزاز أغليبية المكتب السياسي للجبهة سوف ينهي الدور الوطني للجبهة، وينهي مبرر وجودها كفصيل فلسطيني، خاصة إذا فقدت ارادتها وقرارها المستقل.

في القاهرة التحقت بالوفد الفلسطيني بعد أن أنهى اتصالاته ولقاءاته مع شيفرنادزه. وغادر ياسر عبد ربه القاهرة عائداً إلى تونس لمتابعة تطور الخلافات الداخلية، وبقيت في القاهرة، لإجراء الاتصالات الالزمة مع السلطات المصرية. وقبل مغادرته القاهرة طلب من أبو عمار بحضور عبد ربه أن يساعدنا لدى السلطات المصرية لافتتاح مكتب للجبهة الديمقراطية في القاهرة، يتولى مهام الاتصالات السياسية وتنظيم الصلة مع قيادة الانتفاضة ومع أعضاء وكوادر تنظيم الجبهة في قطاع غزة. في حينه، رحب أبو عمار بالفكرة، وطلب من ممثل منظمة التحرير وسفير دولة فلسطين سعيد كمال، وممثل فتح، زهدي القرنة، إجراء الاتصالات الالزمة مع المعنيين، واجرى هو الاساسي منها فوراً.

خلال وجودي في القاهرة، شاركت ضمن الوفد الفلسطيني في لقاء يوم ٢٦/١٩٨٩ مع الدكتور عصمت عبد المجيد، الذي اقام حفل غداء على شرف الاخ أبو عمار حضره الدكتور اسامه الباز. ومن الجانب الفلسطيني حضره جمال الصوراني، عبد الرزاق اليحيى، سعيد كمال، زهدي القدوة، وتخالله حديث عن زيارة موشي اريينز للقاهرة، وزيارة شيفرنادز لها، والوضع في السودان، وبعض القضايا العربية الأخرى. وطرح دكتور عبد المجيد أن مصر أفهمت اريينز ان كامب ديفيد بشقة الفلسطيني قد انتهى، وأنها مع دولة فلسطينية مستقلة، ومع مؤتمر دولي تحضره المنظمة، وان على اسرائيل التعامل الواقعي مع الاحداث والواقع، وان عليها ان تستجيب للرأي العام الدولي، وان لا تضيع الفرصة السانحة الآن لايجاد حل سلمي للصراع. وقد ابلغ المصريون الى اريينز انهم وجهوا له الدعوة للقاء بشيفرنادز وليس للبحث في اتفاقيات كامب ديفيد، وان مصر تدعم الافكار التي طرحها شيفرنادز. وقال الدكتور عصمت: "أثروا معه بقوة الممارسات القمعية الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني. ولمسنا ان اريينز فوجئ بالطرح المصري وكان موقفه دفاعياً وضعيفاً". وخلال الغداء اشاد د. عصمت بالموقف السوفييتي، وقال: "يجب اسناد مبادرة شيفرنادز عربياً عبر عقد قمة عربية ولقاء الاطراف العربية المعنية بالمؤتمر الدولي". وأشار الى قول شيفرنادز له ان سوريا موافقة على لقاء

الاطراف العربية الخمسة. وأشار د. عبد المجيد بشخصية شيفرنادزه المتميزة نوعاً وشكلاً عن شخصية غروميكوف وزير الخارجية السوفييتية السابق. واعتبر الملك الحسن الثاني أفضل من ينظم القمة العربية في الوقت الراهن. وكان واضحاً أن مصر ترغب في تأمين الغطاء الفلسطيني الكامل لفك العزلة العربية التي فرضت عليها بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، وتؤمن عودتها لمؤسسة القمة العربية، وتغطيه عودتها للجامعة العربية وعودة الجامعة إلى مقرها الأساسي في القاهرة.

القطط أبو عمار رغبة المصريين في قيامه بدور فعال في التحضير للقمة العربية. وفوراً دون انتظار رأي اللجنة التنفيذية أو المؤسسات الفلسطينية أو الفتحاوية، وافق على فكرة عقد لقاء للدول العربية الخمس، وقال بأنه "سوف يسافر للمغرب لاقناع الملك الحسن الثاني بالفكرة لاته اذا افتتح بفكرة ما يعلم لها بكل جدية ويعمل على نجاحها".

وخلال الحديث، كان واضحاً ان الحكومة المصرية غير مرتاحة لمواقف النظام في السودان، وأنها تؤيد مطالب الجيش السوداني وتراهن على وقوع تغيير في السودان على يد الجيش، تكون نتيجته تحسن العلاقات المصرية - السودانية. وحمل عبد المجيد السيد صادق المهدى مسؤولية تدهور العلاقة بين الطرفين. ورأى في اصرار بعض القوى السودانية على تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ما يلحق أضراراً كبيرة بالوحدة الوطنية السودانية، لا سيما وان بدهم يضم طوائف متعددة غير الطائفة الإسلامية. وأشار عبد المجيد الى ان انطباعه عن لقاءات الرئيس مبارك والملك حسين مع بوش وميرzan بأنها كانت ناجحة وهامة.

على هامش الغدا، تحدثت مع الدكتور اسامه الباز، مستشار الرئيس حسني مبارك، حول رغبتي بلقائه الاخوة المعينين للبحث في العلاقة بين الجبهة والحكومة المصرية. رحب اسامه بالفكرة ونصح بأن اعمل اولاً على تسوية القضايا العالقة مع الاجهزة الامنية المصرية. وقال: "تسويتها تفتح امامك كل الابواب السياسية والحكومية". ونصح ان اطلب من أبو عمار التدخل رسميًا في الموضوع. فأبلغت اليه اني سألتقي مع نائب مدير المخابرات^(١٢) بناءً على ترتيب مباشر من أبو عمار، فقال: "احسنت الاختيار وأبو عمار يعرف ابواب البيت المصري جيداً".

بعد مغادرة أبو عمار والوفد المرافق القاهرة، قمت بالتعاون مع سعيد كمال وزهدي القدرة، بالاتصالات واللقاءات اللازمة ومن ضمنها لقاء مع اللواء محمد عبد السلام نائب مدير المخابرات العامة، الخبر بالشؤون الفلسطينية والاسرائيلية، والمخطط، كما يقال، لعملية "الحفار"، الشهيرة التي نفذتها القوات المصرية في سيناء، والمعروف بعلاقاته الحميمة مع الفلسطينيين منذ العام ١٩٧٠، والتي لم تقطع في احلك الظروف واقساها.

في اللقاء عرضت وجهة نظرنا، قلت: "اختلفنا كجبهة ديمقراطية مع مصر عندما اختلفت مصر مع نفسها ومع العرب، انظمة واحزاب، وعندما اختلفت مع م.ت.ف. ومع الشعب الفلسطيني. اذا كانت مصر تعتبر التوصل الى حلول ثنائية لمشاكلها مع اسرائيل شأنها مصرية، فمن المنطق ذاته من حقنا ان نقول ليس من حق مصر التوصل الى اتفاقيات تمس قضيتنا الوطنية". واوضحت رفض الجبهة لكامب ديفيد، وموافقة مصر على حكم اداري ذاتي تقرير لمستقبل فلسطين نيابة عن الفلسطينيين بدون موافقتهم. والشيء ذاته ينطبق على تبني القيادة المصرية فكرة الوفد الاردني الفلسطيني المشترك. وأشارت الى ان هذه الخلافات اضاعت الارضية السياسية لبناء علاقات ثنائية سليمة، وافتقدت مصر الكبيرة دورها القيادي للوضع العربي، وان اعتراف مصر بدولة فلسطين، ودعمها لقرارات دورة المجلس الوطني الفلسطيني الاخيرة، وتبنيها لفكرة الدولة وللفكرة المؤتمر الدولي بحضور م.ت.ف.، اوجد ارضية جديدة لعلاقة قوية بين المنظمة ومن ضمنها الجبهة الديمقراطية، ومصر. ومن هذا المنطلق حضر الرفيق عبد ربه وحضرت انا لمصر لأول مرة منذ سنوات طويلة.

وحول رؤيتنا السياسية للتطورات، قلت: "قبل الانفاضة لم يكن ممكنا الاعتراف بقرار ٢٤٢ ويحق اسرائيل في الوجود. الانفاضة عززت الواقعية السياسية في صفوفنا كثورة وجبهة". واكدت ان لا عقد فلسطينية من اللقاءات المباشرة مع الاسرائيليين داخل الوطن وخارجها، وان المهمة المركزية المباشرة هي استكمال كسب معركة التمثيل، وضمان عقد المؤتمر الدولي بحضور المنظمة، وارقام اسرائيل على الاعتراف بالمنظمة. وتعتقد القيادة الفلسطينية ان هذا ممكن التحقيق بالتعامل بمسؤولية عالية مع المعطيات الجديدة. وقلت: "وفي هذا الاطار فإن الانفاضة مصدر قوتنا وكل حديث عن وقفها او تهدتها يعني تجريدنا من قوتنا وحرماننا من امكانية تحقيق اي شيء". واكدت على طلب القيادة الفلسطينية من مصر دعما مصريا وعربيا للانفاضة واهدافها، ومساعدتنا، كمنظمة تحرير وجبهة ديمقراطية في تنظيم الصلة مع قيادة الانفاضة وكواحدتها في قطاع غزة، وان من حقنا ان يكون لنا كجبهة مركز في القاهرة وأخر في رفح مثلا لتأمين الاتصال مع كواحد الجبهة في قطاع غزة. وتعهدت ان لا يستغل هذا المركز لاي نشاط عسكري. حيث بتنا نؤمن بأن اي نشاط عسكري فلسطيني الآن يلحق اضرارا واسعة بالانفاضة، ونعمل بشعاراتها: لا صوت يعلو صوت الانفاضة".

اما بشأن طلبات الجبهة فاكدت، الى جانب المكتب، على تطبيع العلاقة بين الجبهة ومصر، بحيث تصبح حركة اعضاء الجبهة طبيعية كالاخوة في فتح ويرفع الحظر على النشاط السياسي والتنظيمي لاعضاء الجبهة من ابناء الضفة والقطاع الذين يدرسون في الجامعات المصرية. وطلبت تسهيل دخول مجلة الحرية ومجلة الفكر الديمقراطي الارضي المصرية.

رحب اللواء بوجودنا في القاهرة، واستفسر حول عدد من القضايا ذات صبغة سياسية وأمنية. وقال: "لترك الماضي وننطلق نحو المستقبل من الأرضية الجديدة. سيكون لدينا كعرب الوقت الكافي للبحث في التاريخ. كامب ديفيد أنهى بشقه الفلسطيني. نحن اعترفنا بالدولة الفلسطينية عن قناعة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. م.ت.ف. هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، والبحث عن بدائل مضيعة للوقت." وأشار إلى أن الفرصة سانحة لحل القضية الفلسطينية وحذر من تضييع هذه الفرصة. وبما ان المنظمة قدمت كل ما هو مطلوب منها فمن غير المعقول عدم التجاوب دولياً مع مبادرتها. وأكد دعم مصر للمبادرة السوفيتية والمؤتمر الدولي، وأنها مع عقده قبل نهاية هذا العام لأن لا أحد يستطيع التنبؤ بتأثيرات التطورات الدولية والإقليمية اللاحقة على فكرة المؤتمر الدولي. وقال: "جاءنا أريزون وهو يعتقد بأننا سنبحث في تنشيط الشق الفلسطيني من كامب ديفيد. وقلنا له هذا الشق انتهى". وحول الطلبات الخاصة قال: "كما يعرف سعيد وزهدي أنا صريح ومرتاح للصراحة التي سمعتها، الطلبات من وجهة نظرى محددة ومعقولة ويمكن تنفيذها بالتابع. ستدرسها ونبلغكم بالجواب في اللقاء القادم"، وشدد على ضرورة اللقاء بأسرع وقت ممكن.

وقبل مغادرة مكان الاجتماع طرحت على اللواء ما توصلت له المفاوضات بين قيادة الجبهة الديمقراطية والحكومة الإسرائيلية عبر الصليب الأحمر الدولي بشأن جثة الجندي الإسرائيلي سمير اسعد التي كانت بحوزة الجبهة.^(١٣) وطلبت منه التدخل في الموضوع لتسريع المفاوضات حول مبادرتها باطلاق سراح عدد من الاسرى الفلسطينيين، وأشارت إلى تدهور الحالة الصحية لرفيق عمر قاسم عضو قيادة الجبهة الموجود في السجون الإسرائيلي منذ العام ١٩٦٨. رحب اللواء محمد بالفكرة، وطلب تكليف رسمياً من المنظمة أو الجبهة للجهات المصرية المعنية، واتفقنا على العودة السريعة لبحث الامر تفصيلاً.

و قبل عودتي من القاهرة إلى تونس، أبلغت أعضاء المكتب السياسي في دمشق في رسالة مفتوحة بما تم. في حينه، لم يعترضوا رسمياً، بل شككوا في إمكانية التنفيذ. وبعد أقل من شهر، صار للجبهة الديمقراطية مندوب رسمي في مصر.^(١٤) وتم تعيينه على ملاك مكتب منظمة التحرير في القاهرة بناء على رغبة المصريين وموافقة أبو عمار. وأبلغت إلى قيادة الجبهة تقدراتي أن المصريين يرغبون في لعب دور سياسي أكبر في الموضوع الفلسطيني وعلى صعيد العلاقة الفلسطينية الأمريكية أيضاً، وأن السوفيت يرغبون في التعاون مع مصر، وأن العلاقة السورية - المصرية في طريقها إلى التطبيع الكامل، وأن هناك تبادل معلومات بين الأجهزة الأمنية، وأن المصريين مستعدون لسماع نقد مرحلة السادات، وأنهم يحملونه مسؤولية تراجع دور مصر القيادي. ويرغبون في

الافتتاح على الجبهتين الديمقراطية والشعبية. وفي نهاية الرسالة، اقتربت على المكتب السياسي الموافقة على حل مسألة جثة الاسير الرقيق الاسرائيلي سمير أسعد عبر القناة المصرية، باعتبارها الافضل من حيث خصمانات تفيذها، وتساعد في تطوير العلاقة بين الجبهة والسلطات الامنية المصرية.

في حينه، فهمت، عبر الهاتف من دمشق ان الامين العام يرفض اجراء التبادل عبر القناة المصرية. فقلت في رسالتي اني ارى ان رفض وساطة مصر في قصة جثة الرقيق الاسرائيلي خطوة متسرعة وغير مدروسة وتتطرق من حسابات سياسية خاطئة، ولا تنظر بواقعية لمسار الاحداث وتتطور الحركة السياسية على الصعيد العربي والفلسطيني. وبعد تصاعد الخلاف الداخلي في الجبهة، وافقت قيادة الجبهة على مبادلة جثة الاسير بعوده على ابو هلال احد كوادرها لارض الوطن، وتمت المبادلة عن طريق الصليب الاحمر الدولي علما بان المفاوضات الاولية التي اجريت مع الصليب الاحمر الدولي ومع الاسرائيليين كانت تحمل موافقة الاسرائيليين على ما هو اكثرب من عودة قادر واحد بكثير واطلاق عدد من الاسرى. لكن الصراعات الداخلية في الجبهة لعبت دورا، ودفعت اغلبية المكتب السياسي للموافقة على الصفقة، وكانت حقا صفقة بائسة اثارت استهجان القوى الفلسطينية والاسرى الفلسطينيين، وافقدتنا فرصة اطلاق سراح رفاق مضى على وجودهم سنوات طويلة في سجون الاحتلال.

بعد اسابيع قليلة، بدأت ملامح انفراج في العلاقات السورية - المصرية، فطلب الامين العام باسم المكتب السياسي، من ياسر عبد ربه ومني تأمين زيارة رسمية لوفد رسمي من قيادة الجبهة برئاسة الامين العام للقاهرة، وشدد على لقاء مع الرئيس مبارك. وفي تموز توجهت مع ياسر عبد ربه الى القاهرة في زيارة رسمية، وعقدنا سلسلة لقاءات في الخارجية المصرية ومع قيادة المخابرات ومع الأحزاب الوطنية المصرية. ووافقت السلطات المصرية على استقبال وفد رسمي برئاسة الامين العام، وحدد اواخر آب او مطلع ايلول موعدا لذلك. لكن الامين العام تهرب لاحقا من هذا الالتزام، وراح يحرض قواعده وكوادر الجبهة الديمقراطية ضدنا تحت شعار انتا انصار كامب ديفيد، واتهمنا بأننا ننسق مع عرفات لجر الجبهة الديمقراطية الى جبهة حلف كامب ديفيد الاسلامي، وحتى بأننا من دعاة التراجع عن الدولة الفلسطينية المستقلة لصالح الكونفدرالية مع الاردن ؟! وصار واضحا لجميع القوى الفلسطينية ان امين عام الجبهة غير قادر على قراءة المتغيرات التي بدأت تهب على المنطقة، واخذت تطال القضية الفلسطينية، ويغلب حرصه على العلاقة مع سوريا على حساب الموقف الوطني والاستقلالية التي تميزت بها الجبهة، وانه لم يعد حريصا على وحدتها، ويدفع بالامور نحو تصفية رفقاء المعارضين، حتى لو ادى الامر لتهبيش دور الجبهة وتمزيق وحدتها.

هوامش الفصل الثامن

- ١) قيادة الولي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية مهمتها الرئيسية والمعلنة الدفاع عن إسرائيل كدولة يهودية ومساندتها في الولايات المتحدة الأمريكية. لها وزنها في الحياة السياسية والاقتصادية الأمريكية بحكم شبكة علاقاتها مع الحزبين الكبارين في أمريكا وتمثلها للجالية اليهودية ونفوذها في وسائل الإعلام، وقدرتها على توجيه موقف الجالية خلال الانتخابات. نجحت المنظمة في أكثر من محطة في التأثير على الموقف الرسمي الأمريكي في قضايا الصراع العربي الإسرائيلي.
- ٢) راجع مبادرة شامير في: وليم كوانس، **الدبلوماسية الأمريكية والصراع العربي الإسرائيلي**، (القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٤)
- ٣) الحكم الذاتي في إطار الخيار الأردني، فكرة طرحتها حزب العمل الإسرائيلي في سياق مشاريع تسوية الصراع. ويقضى بربط هذا الحكم بالأردن وبعلاقة اقتصادية مع إسرائيل. وعلى امتداد سنوات طويلة ظلت قيادة م.ت.ف. ترفض المشروع، وحاربت بوسائل متعددة. إلى ذلك، رفض اليمين الإسرائيلي المنشروع فترة طويلة، ولاحقاً تبنّاه ناقصاً، إبان مقاومات كامب ديفيد. ومنذ ذلك التاريخ، ظلت الأحزاب اليمينية تبنّاه دون أن تطوره. وخلال الانفلاحة، أطلق شامير مبادرته، واستندت لفكرة الحكم الذاتي الناقص.
- ٤) عقدت الجامعة العربية اجتماعاً على مستوى وزراء الخارجية، شارك فيه أبوالطف وبعد ربه، للبحث في الأوضاع في لبنان. وبالرغم من أن الموضوع الفلسطيني لم يكن مدرجًا على جدول الأعمال إلا أنه استحوذ على اهتمام واسع، والقى أبو عمار كلمة فيه. وعلى هامشه عقد اجتماع للجنة العربية السباعية. وتم جس ثبض الوفد السوري حول اللقاء بالوفد الفلسطيني بحضور أبو عمار، إلا أن الرد السوري كان سلبياً.
- ٥) بعد اللقاء قدم نايف وأبو ليلي تقريراً للمكتب السياسي عن اللقاء، تضمن عرضاً ناقصاً لما دار في الاجتماع، ولم يتحدثاً عن الضغط السوري لقطع العلاقة مع عرفات.
- ٦) الاعتراف بالدولة الفلسطينية فاق تقديرات القيادة الفلسطينية وخصوصاً الفصائل المعارضه. والحقيقة أن هذا التقدير كان يتباين أمين عام الجبهة الديمقراطية نايف حواتمة وليس أبو عمار، فأبو عمار كان واثقاً من اعتراف غالبية دول عدم الانحياز والدول الإسلامية.
- ٧) شارك في اجتماع القيادة الفلسطينية في ١٥/١/١٩٨٩: أبو عمار، أبو اياد، محسن ابراهيم، نايف حواتمة،

ابو الاديب، ابو مازن، القس ايليا خوري، نعيم الاشهب، ابو علي مصطفى، ابو الهرول، عبد الرحيم احمد، سليمان النجاشي، حسن عصفور، ابو المعتصم، عبد الرزاق البمحى، ابو احمد حلب، وابو ساجي (جبهة التحرير) محمد ملحم، هاني الحسن، عبد الله حرواني، ابو المامون، ياسر عبد ربه، ومدحود توفيق.

٨) منذ اواخر السبعينيات اقام محسن ابراهيم امين عام منظمة العمل الشيعي في لبنان علاقة خاصة مع مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية . وبعد تمركز قيادة وقوات الثورة في لبنان اوائل السبعينيات تطورت علاقة محسن ابراهيم مع قيادة م.ت.ف. وخصوصاً مع قادة فتح والجبهة الديمقراطية. الى ذلك، تطورت اكثر فأكثر بعد تشكيل الجبهة العربية المشاركة وبعد اختياره امين سر الحركة الوطنية في لبنان. وكان محسن يشارك في معظم اجتماعات القيادة الفلسطينية والمجلس الوطني والمركزي الفلسطينيين. وكثيراً ما بادر للتوفيق بين القيادات الفلسطينية عند وقوع خلافات تستدعي التدخل، حيث كان يحظى باحترام الجميع دون استثناء . وكثيراً ما استدعي من هذا الطرف او ذاك للتدخل . ولعب دوراً بارزاً في الدفاع عن الوجود الفلسطيني في لبنان بعد اعام ١٩٨٢ وخروج قيادة م.ت.ف. من بيروت . وكثيراً ما تعرض لمخاطر التصفية والاغتيال على يد كثيرين بسبب مواقفه المبدئية المساندة للثورة ومنظمة التحرير الفلسطينية.

٩) عبد الرحمن خليفة هو المرشد العام لحركة الاخوان المسلمين في الاردن في تلك الفترة.

١٠) حسين الحسيني رئيس المجلس النباني اللبناني سابقاً، كانت تربطه علاقات حميمة مع قيادة الطائفة المارونية . وكان من ابرز زعماء الطائفة الشيعية في لبنان قبل ظهور حركة امل وحزب الله . وبعد ظهورهما همش دوره في اطار الطائفة الشيعية وكل الحياة السياسية اللبنانية .

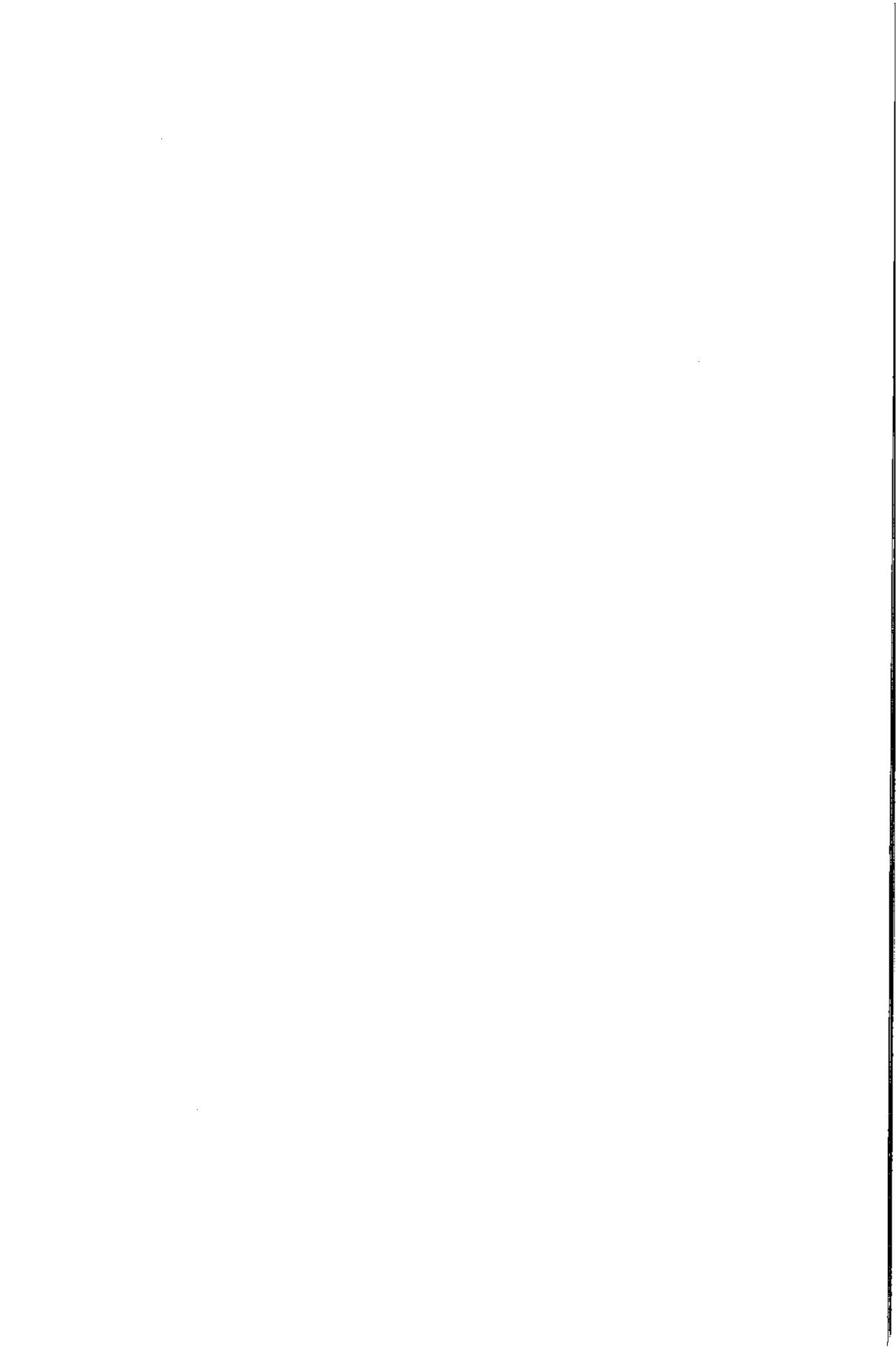
١١) ظل الامين العام متربداً حول الاقامة في تونس، وكان يتذرع بعدم وجود مقر خاص به . لاحقاً، تم استئجار مقر وتجهيزه جيداً ليكون مكتباً ومنزلًا . وقد استخدمه الامين العام لفترات محدودة ابان زياراته القليلة الى تونس . وبعد الانقسام، استخدم المقر للتأمر على اقطاب التيار الديمقراطي بما في ذلك اقامة عناصر مخلصه ارسلت للقيام باغتيالات شخصية . وكان من نتيجة ذلك وقوع خلافات داخل المكتب اسفرت عن اعدام احد العناصر، توقيع عبد الحليم سعدي الذي رفض تنفيذ مهمة الاغتيال . واغلق السلطات التونسية المقر بالتنسيق مع مكتب المنظمة . وتم اعتقال جميع العاملين فيه . في حينه اصدرت اغلبية المكتب السياسي بياناً اتهموا في التيار الديمقراطي باغتيال المغدور .

١٢) نائب مدير المخابرات العامة المصرية . ارتبط بعلاقة وثيقة مع فصائل م.ت.ف. وخصوصاً مع قيادة فتح . عمل في السبعينيات في الاردن، وابعد عن الخدمة ابان حكم السادات، معروف بتضامنه مع الشعب الفلسطيني وقضيته . وبعد كامب ديفيد، حافظ على علاقته مع قيادة فتح وظل قناة اتصال بين الطرفين، وابان مرحلة الانتفاضة قدم تسهيلات كثيرة لدعم صمود الفلسطينيين في المخيمات .

١٣) في العام ١٩٨٤، اسرت قوات الديمقراطية الرücki في الجيش الاسرائيلي سمير اسعد . ودخلت قيادة الجبهة في مفاوضات غير مباشرة مع الاسرائيليين عن طريق الصليب الاحمر الدولي لمبادلة جثته . واصر الجانب الاسرائيلي على فحص الجثة قبل الموافقة النهائية على مطلب الجبهة . وارسل الصليب من جنيف طيباً مختصاً استقبلته الجبهة ومكتنته من فحص الجثة، وتم ذلك في منطقة جنوب بيروت، خلدة . عرمون، في مركز للجبهة كان يستخدم كمدرسة حزبية . وفي المراحل الاولى من المفاوضات، وضعت قيادة الجبهة شروطاً صحيحة منها اطلاق سراح اعداد كبيرة من الاسرى الفلسطينيين من كل التنظيمات . وبعد تصاعد الخلافات الداخلية، تراجع اعضاء اغلبية المكتب السياسي عن كل المطالب باستثناء عودة احد كوادر الجبهة البعيدة (علي ابو ملال)، بأمل ان يتمكن من شق التنظيم في الداخل وبناء منظمة مرتبطة باغلبية المكتب السياسي . واثار موقف المكتب السياسي استهجان الفصائل الفلسطينية واستكثار الاسرى .

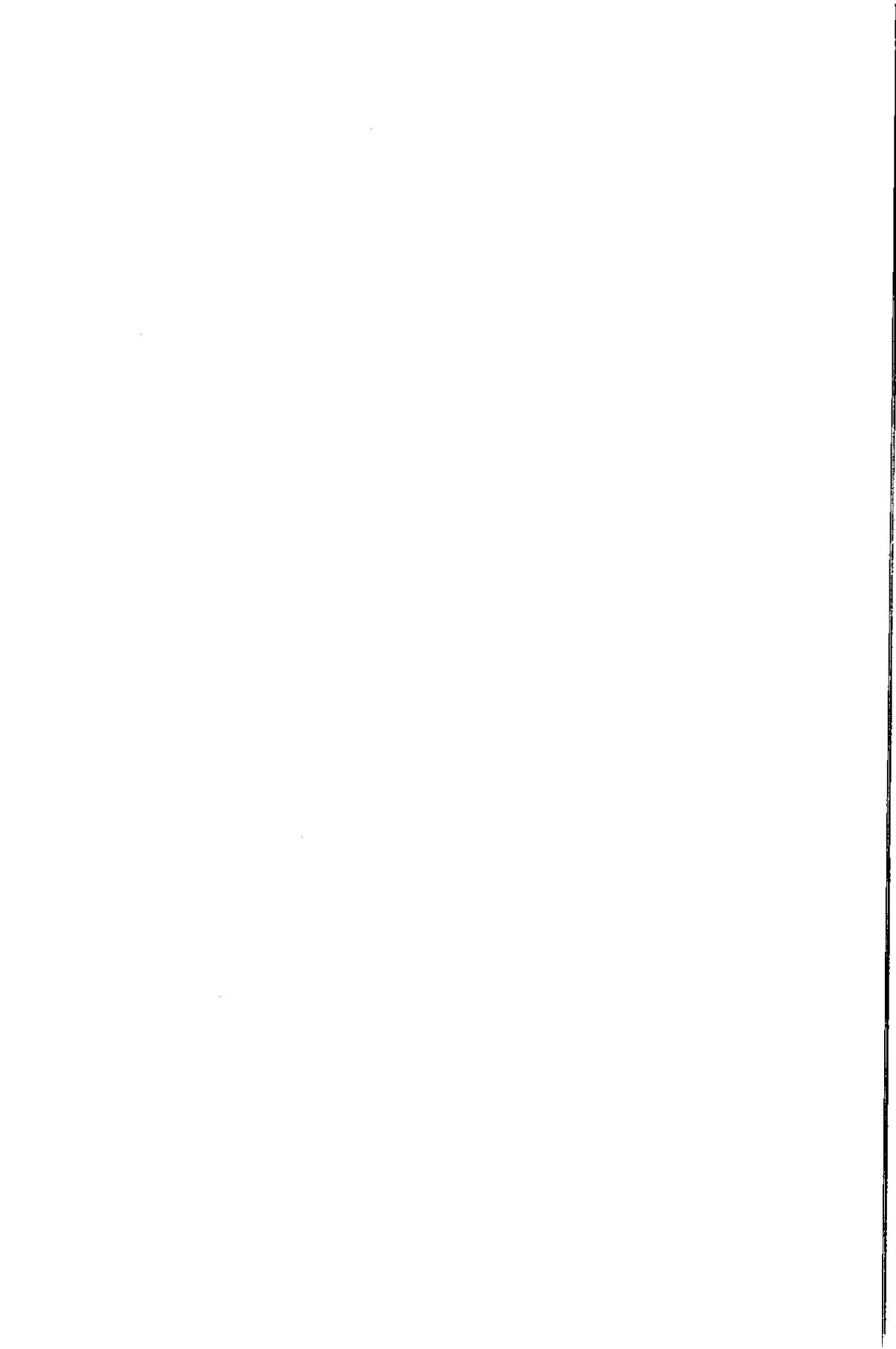
١٤) بعد التداول مع ياسر عبد ربه وصالح رافت، تم اقتراح اسم الرفيق المبعد جمال زقوت كممثل للجبهة في

القاهرة، باعتباره من كوادرها الأساسية في القطاع وفي الانتفاضة، ومن المصنفين ضمن الاتجاه الديمقراطي. وافقت السلطات المصرية على الاقتراح وبحذف تثبيته على ملاك سفارة فلسطين في القاهرة. وبعد التداول وافق نائب مدير المخابرات على أن يقوم بمهامه من بيت دون يافطة تشير إلى مكتب للجبهة. وما زل ممثل الجبهة مهامة كاملة على كل الصعد بما في ذلك الشروع في بناء تنظيم للجبهة في مصر. لاحقاً أوقف أغلبية المكتب السياسي موافقة المركز وشهروا بالتيار الديمقراطي.



الفصل التاسع

الحوار الفلسطيني - الامريكي لم يعمر طويلاً



الحوار الفلسطيني - الامريكي لم يعمر طويلا

فتح قنوات تفاوضية سرية موازية

تابعت القيادة الفلسطينية جولات الحوار الفلسطيني - الامريكي باهتمام شديد، وكثير الحديث في اوساطها عن أهمية النشاط في الساحة الامريكية للنضال الوطني الفلسطيني، وأهمية تطبيق الاجواء مع الادارة الامريكية وتحسين العلاقة معها. وشدد معظم الاعضاء على ضرورة تنظيم اوضاع الجالية الفلسطينية في الساحة الامريكية، وتفعيل دورها جنبا الى جانب مع الجاليات العربية الاخرى. واذا كان ليس بالمستطاع منافسة اللوبي الصهيوني في اطار الكونغرس، فبالامكان اثبات الوجود وفضح أطروحاته التي تشوّه الحقوق العربية والفلسطينية.

واكد أبو عمار استعداده لتمويل حملة اعلامية قوية في الصحف الامريكية وتمويل عمل مدروس لتشكيل لوبي عربي - فلسطيني في امريكا. وشكلت القيادة مكتباً خاصاً مساعداً للوقد المفاسد متخصصاً بالشؤون الامريكية^(١) هذا المكتب أسندت له مهمة متابعة القضايا المتعلقة بالعلاقات الفلسطينية - الامريكية، الرسمية وغير الرسمية. الى ذلك، رأت القيادة في فتح واشنطن الحوار مع المنظمة مؤشرأً على بدء تحول نوعي في السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي، ودليلأً على اعتمادها "الخيار الفلسطيني" كأساس لحل القضية الفلسطينية، وأشارت الى بداية تراجعها عن اعتماد الخيار الأردني، والحل العربي للصراع الفلسطيني - الاسرائيلي. ورأت القيادة في الانفاضلة ضمانة قوية للحفاظ على ما تحقق من انجازات عربية ودولية. واعتبرت

استمرار وتصاعد فعالياتها عاملا حاسما في تطوير العلاقة الفلسطينية - الامريكية وتكريس الدور الفلسطيني المستقل.

كان ناس القيادة الفلسطينية، خصوصا "المطبخ المصغر" ،⁽²⁾ يلتقيون الوفد الفلسطيني قبل وبعد كل جولة من جولات الحوار، لسماع تفاصيل التفاصيل، وتحديد التوجهات. وكان أبو عمار يحرص، ايضا، على عقد اجتماعات متواصلة للجنة الانفاضة والتدقيق في مسارها وتلية احتجاجاتها الاساسية. وكان يؤكد على انه يراهن على الانفاضة وليس على ما يقوله الامريكان في الاجتماعات، وأن توقف الانفاضة يعني توقف الحوار، وضعف الانفاضة يعني ضعف الموقف الفلسطيني التفاوضي. وكان الوفد الفلسطيني للحوار يكرر على مسامع القيادة طرح ما دار في كل جلسة من جلسات الحوار دون كل او ملل. أما محضر اللقاء الرسمي فكان يتم تسليميه لأبو عمار، وكان يقال له إنها النسخة الوحيدة، في وقت كان اعضاء الوفد المحاور يحتفظون بنسخهم الخاصة، ومنها كانت تستنسخ لهذا القائد او ذاك التنظيم. وكان يتم التأكيد على كل من يطلع على المحضر او يحصل على نسخة منه، على سرية الموضوع، وضرورة عدم تسليم نسخ للأخرين.

ولم يتوقف اهتمام القيادة الفلسطينية بالحوار الفلسطيني - الامريكي عند حدود المتابعة العامة في اطار الهيئات الموسعة واللقاءات الثنائية مع اعضاء الوفد الفلسطيني، فقد بادر بعض اعضائها، بعلم أبو عمار الى اجراء اتصالات جانبية مباشرة مع السفير الامريكي بيلترو، وتم الحفاظ على سريتها وفقا لرغبة السفير. لاحقا، بعد توقف الحوار، تم الكشف عن اللقاءات التي تمت مع أبو إياد في منزله، أما اللقاءان اللذان تما مع ابو مازن فقد بقيا طي الكتمان فترة طويلة، ولم يتحدث ابو مازن، كعادته، عنهم الا بعد مضي وقت على توقف الحوار. ولم يكن اندفاع القيادة، او بعض اعضائها، نحو فتح القنوات الموازية ناتجا عن عدم الثقة بالوفد المفاوض الفلسطيني المحاور، وبقدراته في التعبير عن الموقف الفلسطيني، او في إدارة المفاوضات، بل لوجود قناعة مسبقة عند أبو عمار وابو إياد وابو مازن وأخرون بأن المفاوضات الرسمية العلنية الخاضعة للرقابة الجماعية ولأوضاع الكاميرات، وتسجيل المحاضر الرسمية، ليست هي الإطار المناسب لمعالجة القضايا الكبيرة والمعقدة، ففي مثل هذه الحالات يكون الطرفان مقدين، وتسير المفاوضات ببطء شديد، ويصعب عليها التقدم بصورة مقبولة باتجاه اهدافها المحددة لها.

ومع تواصل الحوار الفلسطيني - الامريكي تهيات أجواء مناسبة امام القيادة الفلسطينية لتوسيع الاعتراف الدولي بدولة فلسطين. وفتحت امامها طرق كثيرة وواسعة للقيام بتحرك سياسي - دبلوماسي واسع تحت شعار استكمال هجوم السلام الفلسطيني وشرح موقف منظمة التحرير ورؤيتها لابعاد الحوار ومفهومها للتسوية السياسية والمؤتمر

الدولي، باعتباره الاطار الانسب لمعالجة الصراع العربي الفلسطيني - الاسرائيلي المتشابك والمعقد.

في تلك الفترة، تحركت وفود المنظمة في اكثر من اتجاه، وكان أبو عمار حريصا على ان يكون على رأس كل حركة اساسية او فرعية، وعلى مشاركة الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية (تيار الديمقراطي والتجميد) فيها كلها، ليظهر امام المرافقين وكل من يتبع تطورات الوضع الفلسطيني، ان مبادرة السلام الفلسطينية تحملها اكثر من قوة فلسطينية اساسية. وكان التيار الديمقراطي (الاقلية) في الجبهة يحرص على المشاركة في هذه الحملة السياسية لتكريس الخط الواقعي على الصعيد الوطني، وتكريس وجوده ودوره كممثل للجبهة، رغم معرفته، بمعارضة "اغلبية" المكتب السياسي لاي مشاركة. وكان أبو عمار، من جهة، يحرص على اشراك هذا التيار لتعزيز موقعه والضغط على الاغلبية المقيدة في دمشق، وكانت الاغلبية تتهمه بالانحراف السياسي، والضالو في مؤامرة لشق الجبهة، وتتهم "الاقلية" بالضلوع في المؤامرة العرفاتية.

ومع تزايد حركة الوفود الفلسطينية، ويزور مشاركة التيار الديمقراطي فيها، كان الخلاف داخل الجبهة الديمقراطية يتسع ويتطور سياسيا وتنظيميا. ولم تتأخر اغلبية المكتب السياسي عن اتهام الاقلية بأنها من دعاة التراجع عن الدولة الفلسطينية المستقلة لصالح الكونفدرالية مع الاردن، خصوصا بعد تحرك وفد فلسطيني الى الاردن يوم ١٩٨٩/٣/٧ برئاسة ابو مازن، شارك فيه ممدوح نوبل. هذا الوفد عقد اكثر من لقاء مع رئيس الوزراء زيد الرفاعي في مبني رئاسة الوزراء، حضره ابو شامخ، وكان آنذاك يمثل المنظمة وحركة فتح في الاردن.

وفي هذه اللقاءات، عرض ابو مازن موقف المنظمة من القضايا السياسية الساخنة وقال: "بعد لقاء شيفرنادزة رأى الاخ أبو عمار ان تلتقي بكم لنضعكم في اجواء اتصالاتنا ونشاطاتنا، ونناقش معكم عددا من الافكار. حاولنا ان يكون لقاؤنا بكم اكبر، لكن ظروفنا وظروفكم لم تسمح بذلك. وفي البداية نود ان نوضح موضوع اللقاء مع شيفرنادزة". واستعرض ما حصل وأشار الى ان القيادة السوفيتية ابلغت أبو عمار قبل زيارة شيفرنادزة للمنطقة بـ٧٢ ساعة، انها طلبت من الرئيس الاسد ان يتم لقاء شيفرنادزة بآبي عمار على ارض دمشق، وقال شيفرنادزة ان الرئيس الاسد وافق على ذلك. في حينه، طرح أبو عمار على السفير السوفياتي في القاهرة عدة استفسارات، منها: هل من دعوة سورية رسمية لرئيس اللجنة التنفيذية لزيارة سوريا؟ وهل هناك ترتيب لقاء عرفات مع الرئيس الاسد؟ هل هناك تفكير بلقاء ثلاثي سوفيتي - فلسطيني - سوري؟ وانتم تعرفون المشكلات القائمة في لبنان بيننا وبين القيادة السورية، وهم الدولة العربية الوحيدة التي لم تعترف حتى الآن بالدولة الفلسطينية المعطلة. ولم يكن لدى السفير السوفياتي اجابات

واضحة على الاستئلة. وفي اليوم التالي، تكرر الامر في تونس. وقال ابو مازن: "في مساء ذلك اليوم، جاءنا رد سوفيتي رسمي فيه شيء من الانفعال مع بعض التوضيحات، واهماها، لقاء رسمي مثبت لأبو عمار مع الرئيس الاسد، والوزير شيفرنادزه سسيحث في هذا الامر خلال وجوده هناك، ويأمل ان ينجح في ذلك." في حينه تمسكت القيادة الفلسطينية بأن تكون هناك دعوة رسمية، اذ ان المسألة ليست شكليا، فتأمين لقاء مع الرئيس الاسد، يعني نجاح الزيارة وبالحد الادنى عدم فشلها. وقال ابو مازن: "في حينه اقترحت القيادة ان تتوجه لجنة فلسطينية مسبقاً إلى دمشق للتحضير للقاء، وببحث القضايا التي سيتناولها اجتماع عرفات مع الرئيس الاسد، الا ان ذلك كله لم يتم، ولهذا لم يتم اللقاء في دمشق".

وبين ابو مازن لرئيس الوزراء ان قيادة م.ت.ف. فهمت من شيفرنادزه ان الرئيس الاسد وافق على عقد لقاء للدول العربية الخمس المعنية بالمؤتمر الدولي، وتحركت على هذا الاساس، خصوصاً وانها تعرف سلفاً ان الاردن لم يكن عقبة امام هذا لقاء عربي، وان المصريين ليسوا ضده ايضاً كما قال الدكتور عصمت عبد المجيد. وقال ابو مازن: "نعتقد ان بإمكان الاردن ان يلعب دوراً رئيسياً في جمع الاطراف العربية الخمسة، لنبحث معاً في قضايا المؤتمر الدولي، وفي دورنا كاطراف عربية في اطاره". ونقل صيغة الاقتراح التفصيلي الذي عرضه شيفرنادزه بشأن ترتيبات تسبق انعقاد المؤتمر الدولي، واكذ ان شيفرنادزه خرج مرتاحاً من لقائه مع جلالة الملك، خاصة وأنكم توقيدون مقتراحاته بشأن اللجنة التحضيرية وصيغة انعقاد المؤتمر الدولي، وأبلغتموه موافقتكم على اللقاء الخامي. وأضاف ابو مازن: "فهمنا من شيفرنادزه ان سوريا اعترضت على اللقاءات الثنائية التي ستسبق انعقاد المؤتمر، وانهم انتقدوا سياسة منظمة التحرير، وقالوا انها باعت اوراقها دون مقابل، وان شيفرنادزه ابلغ السوريين ان موسكو تؤيد سياسة المنظمة التي حققت وتحقق يومياً مكاسب سياسية هامة على اكثـر من صعيد". اما بشأن لقاء شيفرنادزه مع اريينز وزير خارجية اسرائيل، فقد نقل ابو مازن عن شيفرنادزه قوله انه لم يلمس اي تغير جوهري في الموقف الاسرائيلي المعارض لانعقاد المؤتمر الدولي، وان موقف اسرائيل من المنظمة ما زال على ما هو عليه، لكن اريينز وافق على رعاية ثنائية امريكية - سوفييتية للقاءات ثنائية، ووافق على ان الامن يتم بالسلام وليس بالسلاح، وأنه لا بد من حل شامل للصراع. واكذ شيفرنادزه ان موسكو ابلغت اسرائيل بأنها لن تعيد العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين الا بموافقة اسرائيل على المؤتمر الدولي بحضور المنظمة، او الاعتراف بمنظمة التحرير. وحول فكرة عقد لقاء بين المنظمة وممثلين عن حكومة اسرائيل في موسكو قال شيفرنادزه بأنه لم يتلق جواباً.

وأضاف ابو مازن: "الاخ أبو عمار كلفنا ايضاً بأن نبحث معكم موضوع القمة العربية

العادية او الطارئة التي يجري الحديث عنها. وفي هذا السياق نود ابلاغكم ان عصمت عبد المجيد التقى سعود الفيصل وتحدث معه حول الموضوع. وكان رأي وزير الخارجية السعودية ان شروط القمة العربية العادية غير متوفرة، وليس بالامكان عقدها في السعودية، اما اذا رأيتم ضرورة لقمة عربية طارئة فالسعودية جاهزة لحضورها في اي مكان تتعقد، وعلى اي مستوى يتყى عليه. وزیر الخارجیہ المصري قال انه بلغكم وبـلـعـ العـراـقـ. واقتـرـاحـ ابوـ مـازـنـ العملـ مـعـاـ عـلـىـ عـقـدـ قـمـةـ اـسـتـثـانـیـةـ. وـاضـافـ لـدىـ نـقـطـةـ تـفـصـیـلـیـةـ: شركة C B A الامريكية طرحت علينا مشروع حوار تلفزيوني رباعي فلسطيني - اسرائيلي - روسي - أمريكي، اي عمل حلقة جديدة من برنامج Night Line. نحن وافقنا، وطلبنا ان يكون المتحدث الفلسطيني في هذه المرة من الخارج ومن المنظمة. فهمنا ان المتحدث من الجانب الاسرائيلي سوف يكون رائين. شركة C B A اقترحت ان يتحدث الجانب الفلسطيني من الاردن وذلك لاسباب تقنية. نقترح عليكم تسهيل العملية فهي مفيدة لنا. وختـمـ حـدـيـثـهـ بـالـقـوـلـ انـ هـذـهـ هـيـ القـضـایـاـ التـيـ كـلـفـنـاـ اـلـاخـ اـبـوـ عـمـارـ اـطـلـاعـکـمـ عـلـیـهـ، وـتـبـادـلـ الآـرـاءـ حـولـهـاـ.

تحدث رئيس الوزراء وقال: "لدي استفسار، في البداية، حول لقاءاتكم الرسمية مع الامريكان. اين وصلت، وما تقييمكم لها؟" اجابه ابو مازن على استفسارته، وعرض ما تم في الحوار الفلسطيني - الامريكي. وعرض رئيس الوزراء الاردني وجهة نظر الاردن في القضايا التي اثارها ابو مازن وبرر ايجابية. وأكد استعداد الاردن لوضع خبراته وشبكة علاقته الواسعة في خدمة نجاح الحوار الفلسطيني - الامريكي، وشدد على ضرورة اطلاعهم، اولا باول، على مجرياته كي يستطيعوا القيام بالواجب. وانتهت زيارة الوفد بلقاء خاص عقده ابو مازن مع الملك حسين في قصر رغدان، وكانت حميلة اللقاءات الاجمالية ايجابية.

خلال وجودي في عمان، بادرت، دون تكليف حزبي رسمي، وباتفاق مسبق مع صالح رافت وياسر عبد ربه، الى طرح قضية عودة كوادر وقيادة الجبهة الديمقراطية من سوريا ودول عربية أخرى الى الاردن، وتسهيل حركتها، وتواجه بعض اعضاء قيادتها بصورة دائمة في الاردن، اسوة بكلوار وقيادة فتح. فقد كنا على قناعة بأن مصلحة الانتفاضة تقتضي توسيع العلاقات العربية الرسمية للجبهة الديمقراطية قدر المستطاع، وان تتصرف كحزب يشارك في السلطة. وعد رئيس الوزراء بدراسة الطلب، ونجح بعقد لقاء مع مدير المخابرات العامة لتسريع الموضوع وازالة ما يعترضه من عقبات أمنية.

التقيت مع مدير المخابرات العامة بحضور عبد الرحيم اليحيى ممثل المنظمة في عمان.^(۲) وعرضت وجهة نظري، متسلحا بالموقف الاردني من الانتفاضة، وضرورة دعمها واستنادها سياسيا وماديا من قبل الجميع، وأيضا بالموقف الفلسطيني الملزם بشعار الانتفاضة

"لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة". وتحدث عن ضرورة التفاعل اليومي وال المباشر مع الكوادر الفلسطينية الاساسية المنخرطة في الانتفاضة، وعن الموقع الاساسي للساحة الاردنية في تحقيق هذه المهمة الحيوية. وتعهدت ان لا تستغل الجبهة تجديد وجودها في الاردن للقيام بأى نشاط عسكري، واكملت له بأن قيادة الجبهة تعارض عسكرة الانتفاضة، وترى ان الحركة الشعبية المنظمة الجارية في الداخل يجب ان تأخذ مداها الكامل، وان الجبهة تعارض القيام بأى نشاط عسكري ضد اسرائيل من الاردن، وسيقتصر نشاطها على العمل السياسي والاعلامي، وتعبئة الكوادر، والاتصال بالقادمين من الارض المحتلة. واطلعته على نتائج اللقاءات التي عقدتها مع نائب مدير المخابرات المصرية وموافقته على فتح مكتب للجبهة الديمقراطية، تحت مظلة مكتب م.ت.ف. في القاهرة، ل القيام بالمهام المتعلقة بدعم الانتفاضة.

في نهاية اللقاء، وافق مدير المخابرات الاردنية على عودة عضو قيادي من الجبهة كخطوة اولى ليقوم بالترتيبات العملية المطلوبة. واشترط سلفا ان لا يتم افتتاح اي مكتب رسمي باسم الجبهة الديمقراطية، وان بالامكان ترخيصه تحت عنوان "مركز دراسات" او ما شابه ذلك. وتساءل حول الموقف الرسمي لقيادة الجبهة من الموضوع. ولم اتردد في القول بأن ما اطرحوه ليس موضع خلاف داخلي ويحظى بموافقة "الاتجاهين" في قيادة الجبهة "الاغلبية والاقلية". وأظن انه لم يصدق ما قلته، فهو يعرف حقيقة مواقف "الاغلبية" المكتب السياسي. ولاعبارات تتعلق بالصراع داخل الجبهة، وبناء على تداول مسبق مع قادة الاتجاه الديمقراطي، اقترحت اسم عضو المكتب السياسي صالح رافت. وبعد نقاش تخلله عتاب على تمزيق صالح رافت جواز سفره الاردني على الحدود عند ابعاده بعد ايلول ١٩٧٠، وافق مدير المخابرات على ذلك، وخلال اقل من اسبوعين، انتقل صالح وعائلته من دمشق الى عمان. ولم يتاخر الوقت حتى بدأت اعداد من كوادر الجبهة تعود الى عمان وتمارس نشاطاتها واتصالاتها السياسية والتنظيمية لدعم الانتفاضة. وحاولت اغلبية المكتب السياسي، في اطار الصراع الداخلي، تعطيل سفر صالح الى عمان وعارضت اقامته هناك، لكنه لم ينضبط لرغباتهم وقراراتهم. ولاحقا، تعرض منزل صالح للمداهمة، وتعرضت انا للمحاسبة الحزبية من اغلبية المكتب السياسي للجبهة، وأعتبروا ما قمت به تجاوزا لصلاحيات الهيئات الحزبية، وخرقا للموقف الحزبي الذي لم يقرر بعد الانفتاح على الاردن.^(٤)

وفي اطار الحركة الفلسطينية لاستثمار الانتفاضة في تكريس الاعتراف بدولة فلسطين وتوضيع مبادرة السلام الفلسطينية وبنيل الدعم الدولي لها، قام أبو عمار بجولات واسعة، ولم يكن يرفض دعوة من اية دولة صغيرة كانت ام كبيرة، بل كان يسعى لتأمين الدعوة. فالملهم تكريس اسم فلسطين وتوطيد علاقة م.ت.ف. مع الآخرين. وكان يقول: "العلاقة

المباشرة مع الرؤساء والزعماء لها مفعول كبير في تحديد المواقف." في الوقت ذاته كانت الفصائل الفلسطينية المقيمة في دمشق تصدر البيانات الرنانة تباعاً وتكثر من عقد المؤتمرات الصحفية، وكلها تهاجم قيادة "اليمين الفلسطيني"، وتهمه بصورة تصاعدية بتقديم التنازلات. في حينه قرر ابو مازن التصدي للحملة، علنا، علماً انه امتنع عن الدخول في "مهارات" سياسية ضارة كهذه، على حد تعبيره. ووجه يوم ١٤/٣/١٩٨٩
عبر الصحافة، رسالة مفتوحة الى الدكتور جورج حبش، فند فيها مواقف الجبهة الشعبية، ودافع عن التوجهات الفلسطينية.^(٤)

يوم ١٦/٣/١٩٨٩، وصل أبو عمار الى جمهورية المجر مصطحبًا معه أعضاء لجنة العمل اليومي للاتفاقية (سليمان النجاشي، اكرم هنية، ابو نضال مسلمي، ومدحود نوبل). كان هدفه تكريس اعتراف المجر بدولة فلسطين، وتخفيض اندفاع المجريين نحو اعادة علاقتهم بإسرائيل. وعلى مدى يومين، عقد الوفد سلسلة لقاءات مع القيادة المجرية حضرها حكمت زيد سفير فلسطين. وعرض ابو عمار الموقف الفلسطيني وركز على الاتفاقية ومبادرة السلام التي أقرها المجلس الوطني، وعلى الاعتراف العالمي بدولة فلسطين، وقال: "عملنا اخترافاً على الجبهة الاسرائيلية، ٥٤٪ من الاسرائيليين يقولون الان "نعم" للحوار مع م.ت.ف. ذهبنا لللام المتعدد في جنيف ومعي كل وزراء خارجية الدول العربية. لدينا الان اعتراف ٩٧ دولة. اوروبا تتقول الان مؤتمر دولي بمشاركة جميع الاطراف بما في ذلك م.ت.ف.، وبغضهم يقول بتقرير المصير ودولية الشعب الفلسطيني. لدينا مشاكل في المنطقة. سوريا تقول بتوان استراتيجي، هل يمكن في ظل الوفاق الدولي تحقيق توازن عسكري؟ تمت جلسة واحدة من الحوار مع الامريكان حتى الان، ولكن حكم بلغاري سفيرنا في تونس التقى بسفيرهم ٧ مرات، ويوم ٢٢ اذار/مارس الجاري لدينا لقاء جديد نتعلق عليه الآمال في إحراز تقدم في الحوار. نحن أعلنا استعدادنا للقاء الاسرائيليين وهذا سبب لهم الارياك". واكد ابو عمار ان قيادة م.ت.ف. تؤيد الافكار التي طرحتها الرفاق السوفيت بشأن انعقاد المؤتمر الدولي. وتسعي لعقد قمة عربية، والملك الحسن الثاني وافق على عقد قمة استثنائية في المغرب. وأشار الى ان شاميرو سيقدم مشروع لا يخرج عن اطار كامب ديفيد. وبشأن اعتراف المجر بدولة فلسطين قال أبو عمان: "الامر متترك لكم، من جهتنا نسعى لتطوير التعاون فيما بيننا، ويمكننا مساعدتكم اقتصادياً فنحن موجودون في كل دول الخليج، وفي أفريقيا لدينا علاقات تجارية واسعة".

اما اهم ما طرجه المجريون في تلك اللقاءات فكان ما طرجه رئيس الوزراء الذي قال: "نعرف بأن اطرافاً عديدة غير راضية عن هذه الزيارة لبلدنا، نحن نبذل جهودنا كي تعودوا مرتاحين. انت دائماً تبحث عن الحلول الوسط. انت تعرفون ان تغييرات كبيرة وقعت في

حزيناً". وأكد ان موقف المجر من الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة لم يتغير، وانهم مع حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. وأبلغ الى أبو عمار قرار المجر الاعتراف بالدولة الفلسطينية انطلاقاً من قرارات المجلس الفلسطيني. وقال: "يسرنا ان نرفع، خلال زيارتكم، مستوى مكتب المنظمة الى سفاره". وسجل تقديره لتعاون الطرفين في مجال الامن، ويمكن لهذا التعاون ان يمنع الكوارث. وقال : "نأمل ان لا تتفاجأوا بتطورات اوضاعنا وتحركاتنا اللاحقة، فنحن بدأنا نعيش عصر الوفاق الدولي، ونعمل على اعادة صياغة اوضاع المجر، البلقنة تتحرك الان في منطقتنا. ونتوقع ان يزداد دور الجبهة الوطنية في ظل تعددية الاحزاب".

وعن الصراع العربي - الاسرائيلي قال رئيس الوزراء المجري: "القيادة الاسرائيلية الحالية لا تعيش عصرها. نريد ان نقدم المساعدة بحسن نية لحل مشاكل الشرق الاوسط القديمة، ويمكن ان تقوم ببساطة بدور موزع بريدي". وأشار الى وجود تيار جديد في الحركة الصهيونية يريد التفاهم مع العرب. واضاف ان محادثاته مع رئيس المؤتمر اليهودي، ومع بيريز، بينت له انهما يوافقان على المؤتمر الدولي باشتراك جميع المعندين والدول الخمس دائمة العضوية، وباسراف الامم المتحدة، بشرط عدم اتخاذ المؤتمر قرارات الزامية. وعن لقائه مع شامير قال: "لمسنا التعتن وأخبرناه ان موقف وزير خارجيته يختلف عن موقفه". واضاف، "القيادة الاسرائيلية تفك بالخروج من المأذق الذي سببته الانتفاضة ومبادرتكم السلمية اما بالاغتيالات مثل ما حدث مع ابو جهاد وإما بحرب محدودة في جنوب لبنان، واعمال كهذه لا تحتاج الى موافقة امريكية". وأشار الى ان القيادة المجرية تفك في اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وانها أجلت القرار الى ما بعد الزيارة، وتعتقد ان قرار قطع العلاقات مع اسرائيل لم يكن صائباً، وإن موسكو تفهم الموقف المجري وكذلك يوغوسلافيا، والحزب الشيوعي الاسرائيلي. واضاف: "وزير الشؤون الدينية في اسرائيل كان هنا قبل فترة، وطلب مني ان أطرح عليك فكرة تبادل اسرى معكم. وقالوا، في المعارك الاخيرة وحرب ١٩٨٢ احتفى ٦-٨ من جنودهم في لبنان، وطرحوا فكرة مبادلتهم بنفس الرقم او اكثر قليلاً من الاسرى الفلسطينيين".

رد أبو عمار على هذه النقطة فوراً وقال: "الاسرائيليون طرحوا الموضوع علينا عدة مرات وهم لم يكونوا صادقين معنا. وهذا الموضوع يمكن بحثه تفصيلاً مع العميد ممدوح نوفل، فهو المكلف بهذا الملف". استفسر رئيس الوزراء المجري عما اذا كان بالامكان ارسال قائمة بالاسماء عبر السفير. رد أبو عمار، يمكنكم الاتفاق مع الجنرال نوفل على كل التفاصيل.^(١)

خلال الزيارة تم الاحتفال برفع العلم الفلسطيني على سفارة دولة فلسطين، وتم تعليق يافطة تحمل اسم سفارة دولة فلسطين. وقبل مغادرة الوفد، تم عقد لقاء خاص بحث فيه المسائل المتعلقة بشؤون تبادل الاسرى. وعرضت على الجانب المجري، بعد التشاور مع أبو عمار، مطالب وشروط الجبهة الديمقراطية بشأن مبادلة جثة الرقيب الإسرائيلي الدرزي سمير أسعد. وكان اللقاء فرصة مناسبة للتأكد على رسمية المعلومات التي قدمناها للصلب الأحمر الدولي سابقاً بشأن الجهة وشروط التبادل. والمحت إلى أن النجاح في إجراء عملية التبادل والاستجابة لمطالب الجبهة تفتح الطريق إلى عمليات أخرى تتعلق بالجنود الإسرائيليين الذين فقدوا في العام ١٩٨٢ في معركة السلطان يعقوب (بيادر العدس) قرب الحدود السورية - اللبنانيّة.

من بوابست، انتقل أبو عمار والوفد المرافق إلى براغ، حيث أجرى هناك لقاءات قصيرة متعددة كان أحدها مع وفد من قيادة حزب الشعب الفلسطيني برئاسة بشير البرغوثي القائم من الداخل. ثم توجه أبو عمار مع قسم من الوفد إلى يوغوسلافيا لاستكمال ترسيم فتح سفارة دولة فلسطين هناك. في براغ، التحقت مع سليمان النجاب بوفد يرأسه أبو مازن كان قد وصل إلى براغ لإجراء لقاءات مع قيادة حزب راكاح،^(٧) وقيادة حزب الشعب الفلسطيني. وبتاريخ ١٨/٣/١٩٨٩، عقد لقاء طرح فيه توفيق طوبى موقف الحزب وقال: "إيدنا البرنامج والتوجهات الفلسطينية الواردة في مبادرة السلام. نشعر بأن هناك ضغوطات طفولية وصبيانية تتعرضون لها. وما طرحة أبو ابراهيم في الفيديو مهم جدا".^(٨) هناك مشكلة عند حزب العمل الإسرائيلي ولهذا لم يتجاوز مع مبادرة السلام. راكاح قدم مشروع إطار للتحرك المشترك من أجل السلام يتضمن راتس، مابام، ودراؤشة. تم عقد اجتماع، وراتس تحفظت على إقامة هيئة ثابتة. سريداً طرح مبادرة هدفها السمسرة وليس أكثر". وأكد أبو الياس ان الحوار الفلسطيني - الأميركي اخرج القيادة الإسرائيلية وحضرها امام جمهورها وكذلك دولياً، وان العمليات العسكرية الفلسطينية من جنوب لبنان ضارة جداً الآن. وقال، "تأسف، ونتألم لأن قيادة الجبهة الديمقراطية تمارس اعمال بهذه الآن. وأشار إلى خطورة تصريح الدكتور جورج حبش حول مشاركة عرب ١٩٤٨ في الانفلاحة، وان الحزب سيدعى، في ذكرى يوم الأرض، إلى اضراب عام في الوسط العربي في إسرائيل تضامناً مع الانفلاحة. واعتبر اللقاء الفلسطيني - الإسرائيلي في موسكو جيداً، وان متابعة موضوع اللقاء باليهود الشرقيين في إسبانيا مفيدة".

اما أبو مازن فعرض الموقف الفلسطيني بعد مبادرة السلام الفلسطينية، واستعرض مجريات الحوار مع أمريكا، وتطور مواقف القوى الوطنية الفلسطينية. وبين ان قيام بعض الفصائل بعمليات عسكرية يدخل في إطار الحرائق الصغيرة والصراعات الداخلية، ومحاولات الانظمة العربية التأثير في الموقف الفلسطيني والتشويش على حركة منظمة

التحرير. وأكد على أهمية توحيد موقف العرب في إسرائيل وكل قوى السلام الاسرائيلية. وقال: "نحاول جاهدين اقناع أخوتنا في الجبهتين الديمقراطية والشعبية بعدم الانسياق وراء مواقف وأعمال تلحق أضراراً فادحة بالمنظمة وتأمل التوفيق". وفي نهاية اللقاء، اتفق على استمرار التواصل عبر القنوات المعروفة. وبعد اللقاء، أكد أبو مازن وأعضاء الوفد على ضرورةأخذ ما طرحة الرفاق في رأيهم بعين الاعتبار خصوصاً الأثر السلبي للعمل العسكري على الانتفاضة.

وخلال وجود الوفد في براغ، حرصت على عقد لقاء خاص مع قيادة حزب الشعب وأمين عام الحزب بشير البرغوثي، الذي وصل براغ قبل أيام في طريقه إلى موسكو. وكنت وائقاً بأنه على اطلاع على الخلافات داخل الجبهة. وبتاريخ ١٩٨٩/٣/١٩، عقد اللقاء، وطرح على قيادة الحزب رغبة قيادة الجبهة في عقد لقاء ثانٍ في موسكو أو أي مكان آخر.^(٤) وأبديت رغبة شديدة في سماع تحليل أمين عام الحزب لأوضاع الانتفاضة والتطورات العامة باعتباره قدماً من الأرضي المحتلة. وقال بشير البرغوثي: "لا بد من تجميد كل التناقضات والتباينات في هذه المرحلة لحساب التركيز على الصراع مع الاحتلال وتنمية الانتفاضة. ولا بد من تقديم المساعدات لكل فئات الشعب المتضررة، مثل التجار الصغار. بالنسبة للخط السياسي وتحركات المنظمة، بصرامة، الشعب بأكمله مع قرارات المجلس الوطني وثقته بعرفات عالية، وعرفات أصبح حالة خاصة لدى الشعب الفلسطيني لأنها أعطى للشعب شيئاً ملمساً. كما أن كثيراً من القضايا مثار الجدل في الخارج، لا يسمع بها الناس في الداخل ولا يهتمون بها. وقضايا التشكيك والتخوين بـمواقف المنظمة ترتد على أصحابها. وأكد أن إذاعة أحمد جبريل مسؤولة جداً في الداخل لكن الناس تتوقف أمام ما يقال من زاوية الدفاع عن المنظمة فقط. ورداً على استفسار حول قوة التيار الديني في القطاع أشار بشير البرغوثي إلى ضرورة عدم المبالغة بقدرات هذا التيار، وإن التيار الوطني العلماني، تيار م.ت.ف. قوي وجارف، والتيار الديني في تراجع، ويجب عدم تقديم التنازلات لراضائه. وبشأن العصيان المدني، شدد البرغوثي على عدم تحmيل الناس ما يفوق طاقتها، وبين أن هناك ضيقاً جماهيرياً من كثرة أيام الاضراب، وإن الاتصالات السرية مع الإسرائيليين غير مفيدة وقد تشجعهم على الاستمرار في رفض الحوار مع المنظمة. وبعد عام شارك بشير نفسه في لقاء سري مع Israelis وافق على طلبهم بأن يبقى اللقاء سرياً ولم يؤيد اعتراض فيصل حوراني عضو المجلس الوطني على هذا الشرط.^(٥) إلى ذلك، استفسر نعيم الاشهب حول ارقام الدعم للانتفاضة التي طرحها أبو عمار، وقال: "أبو عمار قال انه يضخ يومياً ما معدله مليون دولار تقريباً، وهذا معدل الإنفاق في السنة الأولى فهل هذا دقيق؟" قلت: "بغض النظر عن الارقام المذكورة فإن ما قدم عملياً هو ٦ دفعات من م.ت.ف. لاطر الانتفاضة والجرحى واللجان الشعبية، بمعدل ٣ مليون دولار لكل دفعه. طبعاً أبو عمار يدخل في

حساباته ما تقدمه الاونروا وهي تقارب ٦٠ مليون دولار، ايطاليا دفعت منها ١٧ مليون. وكذلك ما انفق على التعليم والصحة والموظفين من قبل ليبيا، وهي ٥،٣٧ مليون دولار." وفي نهاية اللقاء، تم الاتفاق على متابعة الاتصالات لتبني مكان وزمان لقاء قياديتي التنظيميين بصورة نهائية. واستفسر الرفاق حول الخلافات داخل الجبهة، ونصحوا بحله بصورة ديمقراطية، واذا كان لا بد من الطلاق فليتم ديمقرطيًا، وتحدث بعضهم عن تجربة انقسامهم عن الحزب الشيوعي الاردني، والآثار النفسية الشديدة التي يتركها الانقسام على الطرفين.

وبتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٠، تم عقد لقاء ثانٍ مع وفد ركاف بناء على طلبي لاني حرصت على توضيح موقف الجبهة من موضوع العمليات العسكرية الذي اثاره توفيق طوبى (ابو الياس)^(١١). وتحدث عن الخلافات داخل الجبهة ومن ضمنها مسألة العمل العسكري في هذه المرحلة. وطلبت منه، اذا امكنه، ان ينقل خبرا لاهالي الجندي الاسرائيلي القتيل سمير اسعد وللشيخ طريف زعيم الطائفة الدرزية، وكل من يهمه الامر، ان قيادة الجبهة ليست العقبة امام تسليم جثة سمير ومباداتها بعدد من المعتقلين الفلسطينيين. وقلت ان من المفيد ان يمارسوا الضغوط الممكنة من جانبهم على القيادة الاسرائيلية للتسريع في المفاوضات حول موضوع التبادل، والضغط من اجل مساعدتنا في الحصول على استجابة اسرائيلية لمطالبنا المتواضعة، وخصوصا وقف عمليات الاعداد لکوادر الانتفاضة، والافراج عن الرفيق الاسير عمر قاسم عضو قيادة الجبهة، وهو مريض وحالته خطيرة، ومضى على وجوده سنوات طويلة في السجون الاسرائيلية، واطلاق سراح دفعه معقولة من اخوتنا ورفاقنا الاسرى، وتسليمنا رفات عدد من الشهداء الذين دفنتهم اسرائيل دون شواهد على قبورهم تدل على أسمائهم. ولم يستوعب ابو الياس موقف أمين عام الجبهة بشأن تنفيذ قوات الجبهة لعمليات عسكرية في مرحلة الانتفاضة، واستفسر حول قضايا الخلاف، وتحدثت بصراحة ورجحت وقوع الاشتقاق، وتمنيت عليه التحدث مباشرة مع الامين العام حول العمل العسكري. الى ذلك، رحب ابو الياس بفكرة الاتصال مع اسرة سمير اسعد.

القيادة لم تتكيف مع المطالب الامريكية

في جولات الحوار الأربع، أظهر الجانب الأمريكي انجذابه الكامل للموقف الاسرائيلي، وكرر بيللترو في اللقاء الثالث ١٩٨٩/٣/٢٢، بشكل واضح وصريح قوله: "لا تتوقعوا من الولايات المتحدة أن تضغط على إسرائيل. ولا تنتظروا منا أن نفرض حلاً على الأطراف المعنية بالنزاع. اسرائيل مارست ضغطا علينا لوقف هذا الحوار لكننا رفضنا الضغوط. وهذه نقطة ايجابية من جانبنا، ارجو ان نجد تقديرنا من جانبكم". وفي اللقاء ذاته اشار

بيلترو الى تعرض الولايات المتحدة لانتقادات بسبب بطيء تحركها واعتبر هذه الانتقادات غير عادلة. وقال انه بالرغم من ان الادارة الامريكية جديدة، الا انها قامت بالعديد من التحركات. واقتصر بيльтرو أن تقوم الولايات المتحدة برعاية حوار فلسطيني - اسرائيلي مباشر. واكد ان الاتصالات الرسمية وغير الرسمية الفلسطينية الامريكية هدفها الوصول الى تفاوض مباشر بين الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي. واعرب عن انشغال ادارته بموضوع تواصل الهجمات الفلسطينية ضد اهداف اسرائيلية سواء اكانت عسكرية او مدنية، واعتبر انها لا تساعد على التقدم نحو انجاز الحوار المباشر، ولا تخدم السلام او تخدم اهداف الفلسطينيين. وأشار الى ان هناك بعض الفلسطينيين، في اطار المنظمة خارجها، ما زالوا يعتقدون بأن الحل يكون بالعمل العسكري. وقال: "نحن واثقون من ان قيادة م.ت.ف. في تونس لا تؤيد الهجمات التي تحدث في جنوب لبنان، ونعرف ان السيد عرفات تكلم في جنيف ضد الارهاب، وكان يتكلم باسم م.ت.ف. وليس باسم حركة فتح فقط". وتساءل لماذا لا يتم ادانة الهجمات؟ اذ لا يمكن لمنظمة التحرير ان تتحاشى مسؤولية تصرفات اعضاء فيها وضرورة ضبطهم. وقال: انه اذا كانت المنظمة لا تستطيع منع هذه الاعمال، او ادانة مرتكيها فإن ذلك يضر بمصداقية مشاركتها في الحوار، ويثير تساؤلات حول جدية نيتها للعنف. وقال: ان الكونغرس يثير الكثير من التساؤلات حول الحوار منها مثلا؛ هل تخلت م.ت.ف. فعلا عن الارهاب وعن الميثاق الوطني الذي يدعو الى تدمير اسرائيل وغير ذلك؟ وحدد بيльтرو، مجددا، ثوابت السياسية الامريكية وأكد ثبات مبادئها الاساسية، وان الهدف منها هو الوصول الى تسوية شاملة تفاوضية تقوم على اساس القرارات ٢٤٢ و ٢٣٨، وهذا يعني مبادلة الارض بالسلام، وضمان أمن اسرائيل، وتحقيق الحقوق السياسية للفلسطينيين، وان السلام الشامل لا يمكن ان يتحقق الا بالتفاوضات المباشرة بين الطرفين. وقال: "قد يكون المؤتمر الدولي ضروريا لتسهيل المفاوضات، ولكن، يجب ان لا يكون المؤتمر الدولي بديلا للمفاوضات المباشرة بين الطرفين، وان لا يتدخل فيها".

وتحدد بيльтرو مطولا عن ضرورة تغيير الاجواء بين الطرفين، وتساءل عن امكانية تخفيف حدة التوتر في الضفة والقطاع عن طريق الانتخابات مثلا، مع خطوات اخرى منسقة. وحول تشكيل الوفد الفلسطيني للمفاوضات مع الاسرائيليين قال: "إن الادارة الامريكية لا تمانع أن يضم الوفد شخصيات من الخارج من حملة الجنسية الأمريكية". ولم يتعارض بيльтرو على قيام قيادة م.ت.ف. بتسمية اعضاء الوفد، شرط أن يبقى دورها سوريا وغير معلن للناس. واستفسر حول فكرة انتخاب اعضاء المجلس الوطني من الداخل، التي كانت تتحدث عنها القيادة الفلسطينية. وتحدد عن إمكانية السماح لشخصيات من الداخل بحرية الحركة للخارج واللقاء مع قيادة م.ت.ف. إلا أنه في لقاء لاحق سرعان ما

عاد وتراجع عن هذا الموقف، وتبني وجهة نظر شامير بالكامل. وتمسك بتشكيل الوفد الفلسطيني من الداخل فقط ، وأن لا يضم الوفد أشخاصاً من الخارج أو القدس، وأن يوافق أعضاء الوفد المفاوض، مسبقاً، على الحكم الذاتي كأساس لحل القضية الفلسطينية. وطلب تشجيع شخصيات الداخل على توسيع اللقاءات في الداخل مع الاسرائيليين وتكليفها.

رفض أبو عمار والغالبية الساحقة من القيادة الفلسطينية هاتين الفكرتين الامريكيتين رفضاً قاطعاً. وعن فكرة الانتخابات قال الوفد الفلسطيني لبيللترو "انها اكذوبة اسرائيلية كبيرة، وأخر اربب في جعبة الساحر". وتساءل: انتخابات من أجل ماذا؟ خصوصاً وان شامير يتحدث عن انتخابات من أجل حكم ذاتي للسكان، وربما عن انتخابات لوفد تفاوضي، وأخرون عن انتخابات بلدية..! و أكد الوفد صراحة انه لا يمكن بحث اي صيغة تقود الى تقسيم الشعب الفلسطيني، ومن يريد حلأ جاداً فليبحث الامر مع من يستطيعون صنع الحل. لقد حاول الاسرائيليون ذلك طوال عشرين عاماً ولم يجدوا احداً، وحتى شولتس حاول ولكن دون جدوى. و حول تكثيف اللقاءات مع الاسرائيليين من قبل شخصيات من الداخل، قال الوفد: "نحن نفكر في وقف هذه الاتصالات. وهذا ليس رأي الخارج فقط بل ان الذين في الداخل طلبوا ذلك ايضاً، لانه لا يمكن للحوار ان يستمر بهذه الطريقة. وإذا كان الاسرائيليون يريدون حواراً من أجل الحل فالعنوان معروف للجميع، وعليها التعامل مباشرة مع هذا العنوان".

وفي نهاية اللقاء الثالث، تقدم رئيس الوفد الفلسطيني بمذكرة ولخص الموقف الفلسطيني. وقرأ ورقة تتضمن القضايا السياسية واهماها: ١) تأكيد الرغبة الفلسطينية في رؤية تطور في موقف الولايات المتحدة تجاه حقوق شعب الفلسطيني، وتحديداً تفسير معنى حقوقه السياسية. وأكد ان التفسير الفلسطيني معروف ويعني حق تقرير المصير بحرية. ٢) في ما يتعلق بالتحضير للمؤتمر الدولي والإجراءات التحضيرية الخاصة به، لدى المنظمة افكار محددة تتضمنها المذكرة. ٣) وفي ما يتعلق بما يسمى تحسين المناخ او بناء الثقة فإن بحث كل هذه المسائل التفصيلية يجب أن يتم في إطار حوار فلسطيني - اسرائيلي طرفاه م.ت.ف. والحكومة الاسرائيلية، وهذا قد يساعد ليس فقط على تحسين المناخ بينهما بل وعلى معالجة موضوع المؤتمر الدولي أيضاً. ٤) تساعل الوفد الفلسطيني حول موقف الولايات المتحدة تجاه اعمال الارهاب الاسرائيلي، ومن ضمنها التصويت الامريكي في مجلس الامن ضد الشكوى الفلسطينية. وذكر الوفد بيللترو ان القضية الفلسطينية حصلت على "فيتوات" من الادارة الامريكية أكثر من اي قضية أخرى في العالم. ٥) وفي ما يتعلق بالقضايا العملية الخاصة بالعلاقة مع الادارة الامريكية طالب الوفد الغاء او تعديل التشريعات الامريكية، وأكد ان هناك دائماً وسائل لمعالجة مثل هذه

القضايا. وأشار الى موضوع وضع البعثة الفلسطينية في هيئة الامم وتساءل: لماذا تفرض عليها قيود في التحرك؟

علق الطرف الامريكي، وقال: "سندرس هذه الافكار التي طرحت في وثيقة رسمية او في المناقشات. واذا كانت هناك افكار اضافية او جديدة بخلاف ما تحدثنا به يمكن ان نحصل بكم لاجراء اللقاء اللازم لطرحها، سواء تم ذلك في لقاء رسمي كهذا او في لقاء ثانوي غير رسمي فليست هناك مشكلة، ونأمل ان يكون اللقاء القادم بعد بضعة اسابيع كما ذكرت".

في اليوم التالي على اللقاء عقد أبو عمار اجتماعاً للجنة العمل اليومي لمتابعة المفاوضات أكد فيه على ان الحوار مع الامريكان يدور في حلقة مفرغة، وان الامريكان منحرفين للمواقف الاسرائيلية، وهمهم الرئيسي اجهاص الانفاضة. وقال: "الانفاضة، يا اخوان، هي رأسمنا الاساسي، والامريكان لا زالوا يفكرون بشطب دور المنظمة، اي شطبكم وان احداث تغيير في الموقف الامريكي والاسرائيلي يتم فقط من خلال تواصل الانفاضة وتطويرها، علينا التحضير للانتقال بالانفاضة الى مرحلة جديدة، علينا تجميع اكبر قدر من السلاح".

وفي الاجتماع اخذت عدة قرارات اهمها: 1) ابلاغ الحكومة الاردنية بقرار م.ت.ف. الخاص بتحملها المسؤلية الكاملة عن الاوقاف اعتباراً من بداية رمضان، وارسال وفد الى عمان اذا استدعت الضرورة ذلك. وقد شكك أبو عمار في امكانية النجاح لأن الاردن عاد يدفع للبلديات المعينة من قبل الاحتلال. 2) صرف مبلغ ٢ مليون دولار لاتفاقها على الاسر المعدمة في شهر رمضان. ويعمل على دفعها للمحتاجين من خلال الانروا، ويكلف جويد الغصين رئيس الصندوق القومي بمتابعة الموضوع. 3) صرف نصف مليون دولار سلفة تدفع لدائرة الوطن المحتل لصرفها كتعويضات لاصحاب البيوت المنسوفة على ان تقدم الدائرة الدراسات والكشف للازمة وان يتم اعتمادها نهائياً من رئيس اللجنة التنفيذية. 4) دفع مبلغ ٤٠ ألف دينار اردني للمعهد الديني في غزة لتسديد رواتب الموظفين المتراكمة وفق كشف الرواتب الاصلي. وصرف مبلغ ١٠ الاف دينار لمجلس بلدية اليامون لتسديد رواتب متأخرة للموظفين، ويتم معالجة قضايا المجالس البلدية كل على انفراد. 5) أكد رئيس مجلس الصندوق القومي جويد الغصين على ان كافة المبالغ التي تتحذ بها قرارات قد حولت الى عمان، بما في ذلك مبلغ ٢ مليون دولار الخاصة باللجان الشعبية، وان المبالغ الخاصة بالفضائل والقوى السياسية هي التي لم تحول بانتظار قرار خاص من أبو عمار.

وطرح جويد الغصين رئيس الصندوق القومي، عضو اللجنة التنفيذية، نتائج لقائه مع السيد جيكوميلي المفوض العام للأونروا، بناء على قرار اللجنة التنفيذية، وقال: بأنه تم

دفع مبلغ ٨٠٠ الف دولار دفعة جديدة من الصندوق القومي اواخر شهر شباط/فبراير لمتابعة اعادة اعمار مخيم شاتيلا، على ان تقوم الوكالة بصرفها، وان الحكومة الارطالية قدّمت مبلغ ٧٥٠ ألف دولار لتفصية تكاليف ترميم الابواب والشبابيك. وتبين ان الكلفة الاجمالية لاعادة اعمار المخيمات مع المدارس والعيادات تبلغ ١٧ مليون دولار. وتم الاتفاق على ان تواصل م.ت.ف. المساهمة في اعادة الاعمار وان تسعى الانروا لتأمين بعض المساعدات الاخرى. واشتكي جيكوميلي من ان اهالي المخيم استلموا دفعات مالية من الاونروا لم توظف في ترميم بيوتهم وطالب بحث المواطنين على اتفاق ما استلم في مجال الاعمار الاخرى. علق ابو عمار وقال: "جيكوميلي صديق واحترم رأيه ولكن علينا يا اخوان ان نقدر ظروف شعبنا، من لا ينفق المساعدة على شراء ابواب وشبابيك، ينفقها على شراء الخبز والحداء".

الى ذلك، نوقشت قضيّاً المجموعات المطاردة كـ"الفهد الاسود" التابعة لفتح، وـ"النسر الاحمر" التابعة للجبهة الشعبية، وقضية وحدة الاتحاد العام لنقابات العمال، والخلاف بعد انتخاب لجنة المحامين العرب، واتفق على متابعة مناقشة الموضوع، وتم تشكيل لجنة من: سليمان النجاشي، ممدوح نوبل، واكرم هنية للعمل من أجل وحدة هذين الاطارين. وفي اجتماع لاحق اقرت اللجنة ميزانية اطر الانتفاضة وكانت ٦٦٥ ألف دولار قسمت على النحو التالي: القيادة الوطنية الموحدة ١٥٠ ألف دولار منها ٥٠ ألف لغزة و ١٠٠ ألف للضفة، المطاردون ٥٠ ألف دولار، لجنة الاتصالات ١٥ ألف دولار، المجلس النسائي ٣٠ ألف دولار، المجلس العمالي ٧٠ ألف دولار، الشبيبة ٥٠ ألف دولار، المجلس الطلابي ٣٠ ألف دولار، الاطر الصحية ٣٥ ألف دولار، الاطر الزراعية ٣٥ ألف دولار، اللجان الشعبية ٢٠ ألف دولار. وفي نهاية الاجتماع، شدد ابو عمار على رفع البيقظة على محاولات امريكا واسرائيل شق وحدة م.ت.ف. تحت شعارات متنوعة بعضها برّاق مثل الحديث عن انتخابات. وقال: "سامح الله اخوانى الذين يتهمونى بالتساونج مع الامريكان، نحن لسنا ضد الانتخابات ولكن كيف نجريها تحت الاحتلال، هدفهم انهاء الانتفاضة واغفال قيادتها وقادتها عن النضال ضد الاحتلال".

ومع تواصل الحوار الفلسطيني - الامريكي، تطورت العلاقات الفلسطينية - المصرية، وكثُرت زيارات أبو عمار للقاهرة للتشاور حول ما يطرح في جلسات الحوار وخارجها. وسعت القيادة المصرية الى تحسين العلاقات الفلسطينية الاردنية، وترتبط الاجواء بين أبو عمار والملك حسين. الى ذلك، أولى أبو عمار اهتماما خاصا لتطوير علاقته مع القيادة المصرية. وأبدى تجاوبا في الافتتاح على الاردن وفق اسس سياسية جديدة. وكان توجهه هذا سببا آخر في رفع وتيرة توثر العلاقات الفلسطينية الداخلية، وخصوصا مع قياديي الجبهتين الشعبية والديمقراطية، وبعض أركان قيادة فتح الذين لم يكونوا

مرتاحين لهذه العلاقة وكانتا يتظرون لها بعين الشك والريبة.^(١٢) وكان للموقف السوري المتخوف من تشكل محور مصرى - عراقي - أردني - فلسطيني دور في تأجيج الخلاف الفلسطيني الداخلي حول هذه المسألة، وزادت المعارضة الفلسطينية بياناتها ومؤتمراتها الصحفية.

يوم ٢٤/٣/١٩٨٩، عقدت القيادة الفلسطينية اجتماعاً خصصه أبو عمار للبحث في نتائج جلسة الحوار مع الأمريكان وردود الفعل الفلسطينية عليها،^(١٣) وخاصة بعد البيانات العنيفة التي صدرت عن بعض الفصائل الفلسطينية من دمشق. بدأ أبو عمار الاجتماع بالقول: "جولة الحوار، يا إخوان، كانت كويسة، قدمنا مذكرة خطية، وهم اعطونا عدة نقاط هامة. سنقرأ المذكرة حتى يعرف بعض الإخوان في دمشق موقفنا". وبعد الانتهاء من تلاوة المذكرة، قال أبو عمار: "الوقد الأمريكي تحدث عن الطلب الإسرائيلي بإجراء انتخابات في الداخل والغرض من الموضوع معروف. وفدينا رد عليه، وكان رده وافياً وحازماً. نحن، يا إخوان، لستنا ضد الانتخابات ولكن بعد انسحاب قوات الاحتلال. الانتخابات في ظل وجود قوات الاحتلال شيء وبعد مغادرته مدننا وقراناً شيء آخر. الأمريكان لا يعتبرون العمل العسكري في الجنوب ارهاباً طالما أنه لا يمس بالمدنيين، وهو لم يطلبوا منا اطلاقاً وقف العمليات. وعندما طرحا الموضوع رد وفدينا بأن التهدئة يجب أن تكون من الطرفين". ثم وجه أبو عمار كلامه لمندوب الجبهة الشعبية في الاجتماع^(١٤) وقال: "ارجو ان تبلغ إلى إخوانك في الشام أنا لست ببابا عندهم لا يفقه الأمور السياسية والوطنية. عندما كشفت الاتصالات الجارية بشأن وقف إطلاق النار في جنوب لبنان، فهذا لا يعني أنني قد وافقت عليه وقبلته". ثم تابع حديثه عن الحوار وقال: "الأمريكان تحدثوا عن المؤتمر الدولي، وفدينا رد عليهم بشكل رائع حول التمثيل الفلسطيني".

وبعد انتهاء الحديث عن جلسة الحوار، انتقل أبو عمار للحديث عن بعض المسائل السياسية الأخرى ذات الطابع العملي وأكد أن زيارات زعماء المنطقة لأمريكا ستبدأ، والرئيس مبارك سيزور واشنطن خلال أيام، وقال: "سأقوم بزيارته واطلب منه أن يسعني مع أمريكا على أن تضغط على إسرائيل وتوقف ارهابها وقمعها لشعبنا وتكسير عظام الأطفال". وأشار إلى أن م.ت.ف. طلبت رسمياً من السوفييت والصين تكثيف الضغط على أمريكا خلال زيارة شامير لواشنطن، وان البعض طرح فكرة أن يرسل رؤساء الدول المعترفة بالدولة الفلسطينية رسائل إلى الرئيس بوش لدعم الموقف الفلسطيني. وبين أن عقد القمة العربية موضع حوار بين الملكين، وإن الملك فهد يقول لا بد من حل الموضوع اللبناني، والعلاقة العراقية - السورية، والعلاقة الفلسطينية - السورية والمصرية - السورية، وإن العربية السعودية دفعت كل المبالغ المطلوبة منها الجامعة العربية. ولا

بد من قمة والملكان الحسن والحسين مستعدان لقمة استثنائية في اطار الجامعة، وكذلك تونس.

و حول البيانات التي صدرت عن الشعبية في الوطن، قال: "ارجو من الاخوان في الشعبية ان يقدروا حساسية الوضع هناك. ليقولوا ما يشاؤون في الخارج، ولكن عندما ينزلوا بيانات في الداخل فهذا يعني حصول شرخ في "قاوم". ونحن مضطرون لأن نعاملهم كما نعامل حماس، وفتح ليست "حبة" في الأرض المحتلة. أما التهديد من جانب الشعبية بقتل الناس فهذا اسلوب مرفوض، وافهم ان تبادر له "حركة فتح الرجعية" وليس "فصيل ماركسي ليبني". الاخوان هددوا سعيد كتعان وحاتم ابو غزاله. انتم تعرفون ان لا أحد يستطيع رفض اوامر الاستدعاء. لا يجوز تخوين ياسر عرفات، انا لم اصل الى رئاسة المنظمة على ظهور الدبابات، وصلت بواسطة النصال ومشيا على الاقدام. نصف لجتنا المركزية استشهد، وعندنا ٢٠ الف معتقل. امس اخذنا قرارا بعقد المجلس المركزي في ٣١/٣/١٩٨٨ في تونس برغم الكلفة المالية العالية، علما بأن عقده في بغداد لا يكلف شيئا، والاخوان العراقيون يرحبون بعقده عندهم ومستعدون لتفطية التكاليف. الاخوان في الشعبية يعملون على جمع عرائض لعقد المجلس المركزي، وعقد المجلس يا اخوان لا يستدعي عرائض ويمكن عقده بناء على طلب اي فصيل". ووجه أبو عمار كلماته الأخيرة لممثل الشعبية في الاجتماع وقال: "ارجو ابلاغ الاخوان في الشام بالموعد،ولي رجاء ان يكون حضورهم على مستوى قيادي اول".

خلال اجتماع القيادة الفلسطينية، علمت ان أبو عمار سيقوم بزيارة خاطفة للقاهرة قبل سفر الرئيس مبارك الى واشنطن لقاء الرئيس بوش. وقبل انتهاء الاجتماع، استفسرت من أبو عمار اذا كانت المعلومة صحيحة، وقلت له ان لدى موعدا مسبقا مع اللواء محمد عبد السلام ما بين ٢٣-٢٧ آذار/مارس لاستكمال بحث بعض القضايا المتعلقة بفتح مكتب الجبهة في القاهرة وقضايا عملية أخرى. قال: "اذن بتقطع معاي. انا ذاهب وحدى صد ورد لقاء بالرئيس مبارك". وفي الساعة الثالثة من فجر يوم ٢٥/٣/١٩٨٩، غادرنا مطار تونس قرطاج على متن طائرة أبو عمار الخاصة: أكرم هنية، احمد عبد الرحمن، وانا. فور صعودنا الطائرة باشر المرافقون في ترتيب سرير أبو عمار. وهو عبارة عن مقعد يتسع لثلاثة ركاب، اعتاد أبو عمار النوم فيه خلال كل رحلاته التي تتم عادة بعد منتصف الليل او قبله بقليل. وبعد دقائق معدودة كان أبو عمار يغط في نوم عميق بعد ان استبدل ملابسه ببدلة رياضية يستعملها عادة خلال الطيران كثياب للنوم. وبقينا ثلاثة نتبادل اطراف الحديث، ونحاول استرافق دقائق من النوم، لكن ذلك كان شبه مستحيل. فالطائرة صغيرة وضجيج محركاتها مرتفع، ومقاعدها ضيقة بالكاد توفر لنا جلوسا مريحا. وعبر تبادل الحديث، فهمت من اكرم ان لقاء ثلاثة مصرية - اردنية - فلسطينية

سوف يعقد. أدركت أن مشاركتي في الرحلة لم تكن موقفة. فالرفاقي أغلبية المكتب السياسي كانوا يعارضون مشاركتنا "الإقليمية" في الحركة السياسية الفلسطينية، ويعارضون تنشيط العلاقة الفلسطينية - الاردنية خشية تجديد اتفاق عمان. ولم يكن لدى الجبهة توجها رسميا لاستعادة العلاقة مع مصر. صارت أكرم بما سأواجهه من متابعة تنظيمية، وطلبت منه ومن احمد عبد الرحمن مساعدتي مع أبو عمار على استصدار قرارا بتعيين جمال رزقت أحد كوادر الجبهة والمبعد من قبل الاسرائيليين على ملاك مكتب المنظمة في القاهرة، فصدر مثل هذا القرار يساعد في مواجهة مواقف الرفاق والدفاع عن زيارة القاهرة. لم أفك في التراجع، بل قررت المضي قدما في المهمة وإن أقوم بدوري كعضو في الوفد على أكمل وجه، رغم معرفتي بأنني أشارك دون قرار حزبي، وإن مشاركتي سوف تجلب لي متابعة حزبية جديدة، وإن أغلبية المكتب السياسي سوف يعتبرون مشاركتي تحديا لهم وللعارف والقوانين الحزبية وخرقا صارخا للمركزية الديمقراطية. لم أفك في الاعتدار عن المشاركة في اللقاءات والانفصال عن الوفد باعتباري مرافق طريق ذاهب للقاهرة في مهمة خاصة غير التي سيقوم بها أبو عمار. تعمدت التصرف بشكل طبيعي كأي عضو آخر في الوفد. من جانبه لم يسألني أبو عمار اذا كنت ارغب المشاركة في اللقاءات بالرغم من معرفته بخلافات الجبهة، وإن لا قرار لدى الجبهة بالانفتاح على النظام المصري.

خلال الاجتماعات الرسمية وفي اللقاءات مع الصحفيين، تعمدت أكثر من مرة أن أكون في الصورة ليعرف كل الرفاق، وخصوصا الرفاق داخل الأرض المحتلة، ان الجبهة تشارك بفعالية في الحركة السياسية الفلسطينية. لم أكن اسعى إلى استدرج عقوبة حزبية جديدة كالتي صدرت بحقى وهي اذار بتحفيض عضويتى في المكتب السياسي بسبب مشاركتي في الوفد الفلسطيني الذي زار موسكو على ابواب المجلس الوطني يوم ١٠/١٩٨٨ وحمل معه ورقة سياسية تحت عنوان افكار فلسطينية كأساس لقرارات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني. تعمدت المشاركة في رحلة القاهرة وفي اللقاءات الرسمية لأنني كنت مقتنعا بجدوى مشاركتنا في الحركة السياسية، وإن معارضة الرفاق ناتجة عن سوء تقدير للتطورات وإن لا مبرر لموقفهم سوى تجنب التصادم مع الموقف السوري، وتأمين مكان مريح لاستقرار قيادة الجبهة. وهذا المبرر لم يكن مقنعا لي ولكن اعتبره ضارا وطنيا وضارا بدور الجبهة.

مع اقترابنا من مدينة القاهرة ايقظ الحرس، كالعادة، أبو عمار من نومه، واستبدل هو ملابسه وجلس في مقعده. وقبل الهبوط في مطار القاهرة استفسر أكرم هنية من أبو عمار حول طبيعة اللقاء، وعن صحته وقال: هناك معلومات نقلتها وكالات الانباء بأن اللقاء سيكون ثالثيا بحضور الملك حسين..؟ رد أبو عمار: "لست متاكدا، والليلة فقط وقبل

صعودنا للطائرة فهمت من سفيرنا سعيد كمال ان المصريين وجهوا الدعوة ايضا للملك حسين." وصلنا القاهرة في السابعة والنصف صباحا، وتوجهنا مباشرة الى قصر الضيافة، وهناك بادر أبو عمار الى الحديث مع سعيد بانفعال وقال: "غلط يا سعيد وضعى امام الامر الواقع، اذا لا استدعى استدعاء. ثم لماذا اللقاء مع الملك حسين الان؟ ولماذا التقى هنا في القاهرة، اذا كان لا بد من اللقاء به فانا افضل ان التقى ثنائيا وفي عمان.انا قلت للرئيس صدام بعد قطيعة شهرين اذا كنتم عاززين تقوية الملك حسين عليّ فانا سأقاوم.انا كنت بحاجة لعلاقة قوية مع الاردن، قبل الحوار بين المنظمة والادارة الامريكية، الان لا حاجة بنا لعلاقة خاصة. الرئيس صدام قال لي لك في اللقاء الرباعي المصري - العراقي - الاردني - اليمني ثلاثة من أربعة، أنت القوى الان ولا تخافوا، ونحن مجمعون مع مبارك وعلى عبد الله صالح على ان م.ت.ف. هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وان الحل بدولة فلسطينية وعبر الحوار في مؤتمر دولي." ثم تساءل أبو عمار، "لماذا اللقاء الان والملك بدأ يعيد اتصالاته مع بعض المجالس البلدية المعينة من قبل الاسرائيليين، وبدأ يدفع لها من جديد؟ الملك يرفض صيغة اللقاء العربي الخماسي لانه لا يريد تكريس التمثيل الفلسطيني المستقل ويراهن على رفض بوش وشامير للتمثيل الفلسطيني المستقل عبر المنظمة. مروان القاسم وزير الخارجية الاردني قام بالرد علي بطريقة سيئة حول فكرة اللقاء الخماسي. والاردن سحب جواز الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني. هذا الشيخ الطاغي في السن خدم الاردن ٤ سنة، وزيد الرفاعي متلق مع السوريين ضدي. لازم يفهم المصريون اتنى لا استدعى استدعاء، وانا مش عازز تنسيق ثنائي او ثلاثي مع الملك حسين، انا مستعد للتنسيق في الاطار الخماسي".

أكّد سعيد كمال انه لم يعرف باللقاء الثلاثي الا أمس، وانه افهم ممثل م.ت.ف. في تونس حكم بلاعوي ان الاردن سيكون حاضرا اللقاء. وأكّد سعيد استعداده ابلاغ المصريين فوراً بأننا ضد اللقاء الثلاثي. في حينه، تدخلت وقلت: "أخ أبو عمار يبدو اننا أصبحنا امام امر واقع ومن الصعب التهرب من اللقاء الثلاثي، واعتقد بأن اللقاء بحد ذاته ليس مشكلة، المهم ان لا يسفر اللقاء عن نتائج تنس بتوجهاتنا وبحوارنا الثنائي مع الامريكان." خلال هذا الحوار وصل الدكتور عصمت عبد المجيد وزير الخارجية المصرية ومعه اسامه الباز، وتركناهم وحدهم مع عرفات تجنبوا لللاحراج، حيث توقعنا ان يكون اللقاء الاول ساخنا. بعد دقائق قليلة، ابلغنا المرافقون بأن نحضر انفسنا للسفر برا الى فايد حيث ينتظرنا الرئيس مبارك، وحيث سيعقد اللقاء الثلاثي الفلسطيني-المصري-الاردني. وهناك، كان الرئيس مبارك بالانتظار، وعقد فوراً لقاء موسع تحدث فيه الرئيس مبارك حول اهداف اللقاء، موضحاً اسباب السرعة في الدعوة. تحدث أبو عمار بصراحة حول

العلاقة مع الاردن، وأظهر عدم رضاه عن الطريقة التي نظم بها اللقاء. عندها نهض الرئيس مبارك وأمسك بيده أبو عمار وقال: "قم يا راجل دعنا نتمشى وسأشرح لك ما جرى في هذا المكان خلال حرب أكتوبر". وكانت كلمات الرئيس مبارك كافية ليدرك الجميع انتهاء اللقاء الموسّع ورغبة الرئيس مبارك في عقد خلوة مع أبو عمار. بعد وصول الملك حسين إلى مطار فايد عقد لقاء ثلثي موسّع تبعه لقاء على مستوى الرؤساء، ثم توجهت الوفود إلى قنال السويس، وركبت يختاً أعد مسبقاً للقيام برحلة بحرية من فايد إلى الاسماعيلية. خلال الرحلة البحرية، حرص الرؤساء على عزل أنفسهم عن الوفود وعقدوا لقاءاتهم دون مساعدين. أما نحن اعضاء الوفود الثلاثة فقد جلسنا نتبادل اطراف الحديث حول كافة مواضيع الساعة، وكان ابرزها موضوع الحوار الفلسطيني - الأمريكي وما يدور فيه، وتطورات الوضع على الساحة اللبنانية.

في الاسماعيلية، عقدت الوفود الثلاثة اجتماعاً موسعاً، وفي سياق الحديث: قال المشير أبو غزالة نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع المصري: "يمكن القول بأن المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية سوف تكون صعبة حول منطقتين جغرافيتين الأولى القدس والثانية منطقة قلقيلية". لم انتظر تطبيق الآخرين ولم استأنذن الكلام من أبو عمار، وسألته فوراً لماذا تتمسك إسرائيل بها. قلقيلية تبعد عن البحر أقل من ١٤ كلم، وهي عبارة عن جيب داخل إسرائيل". تدخل أبو عمار وقال: "يا سعادة النائب أنت لا تعرف ممدوح، هو من أبناء قلقيلية ويمكّنه تخريب عملية السلام اذا لم تعد بلدته".^(١٥) وبعد الغداء، عقد اجتماع عمل على مستوى الرؤساء، واختتمت الرحلة بعد مؤتمر صحافي ثلاثي.

طرحت، على هامش اللقاءات الرسمية مع رئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي موضوع علاقة الجبهة بالاردن، وكان مدخل الحديث معلومات عامة نقلها اكرم هنية عضو الوفد، ملخصها ان المخابرات الاردنية داهمت ليلاً بيوت عدد من الرفاق في قيادة الجبهة في الاردن وصادرت منها وثائق وآلة طابعة وفاكس.^(١٦) وقلت له: "علمت ان المخابرات الاردنية داهمت بيوت عدد من الرفاق في عمان. لست متأكداً من الخبر، ولكن اذا صح فنحن في الجبهة نستغرب هذا الموقف، لا سيما واننا نحرص على تعزيز علاقتنا معكم، ولا خلافات اساسية بيننا بعد "فك الارتباط" وتبنيكم سياسة داعمة للانتفاضة والمنظمة. ولابد انكم لاحظتم رغبتنا هذه من خلال زيارة الرفيق ياسر زيارتي لعمان اكثر من مرة، وأخرها اللقاء بكم ضمن وفد مع ابو مازن. واعتقد انكم على علم بلقاء ياسر عبد ربه مع الاخ طارق علاء الدين مدير المخابرات. ولا اخفيكما بانني كنت افكر في ان اطرح عليكم زيارة وفد من قيادة الجبهة الى عمان للقاء بكم وهذا بناء على تكليف من الرفيق الامين العام نايف حواتمة والرفاق في المكتب السياسي. انا مفاجأ وأأمل تدخلكم". رد رئيس

الوزراء الاردني وقال: "ليس لدي اية معلومات حول الموضوع، والخبر مفاجئ لي، وسأدقق. ولكن بصراحة نحن نرى ان العمليات من جنوب لبنان لا تخدم مصلحتكم الآن بل تضركم، ونحن بكل وضوح ضد اي عمل عسكري من الاردن، ولن نسمح لاي نشاط عسكري من الاردن ولا ادري اذا كان الاجراء له علاقة بهذا الموضوع". قلت: "نحن ليس لدينا اي خطط للعمل العسكري من الاردن، وهذا الموقف ليس جديدا بل هو موقف قديم جداً منذ أكثر من ١٠ سنوات، ونشاطنا من الاردن يتركز على دعم الانتفاضة فقط، وحل ما امكن من مشاكل الناس في الضفة الغربية". رد وقال: "جيد واهلا وسهلا بكم في اي وقت. ابلغ الاخوان وخصوصا الاخ نايف تحياتي الشخصية، وابواب الاردن مفتوحة لكل الاخوان، ولكن بدمash حد يجي الاردن ويقعد فترة هادي بعدين نكتشف انه ينشط في مسائل عسكرية". قلت: "شكراً وكن على ثقة بأن هذا الموضوع محظوظ عندنا منذ فترة طويلة. والعمل العسكري من لبنان له ظروفه ويمكن الحديث مطولاً حول الموضوع عندما نلتقي في عمان. وأيضاً، يمكن بحث كل القضايا السياسية والعلاقات الثنائية بكل صرامة وانفتاح اخوي". طلبت من جديد التدقيق بالمعلومات والتريث بالاجراءات حتى اللقاء في عمان. قال: "كونوا على ثقة لا شيء استثنائياً ضد كواحد الجبهة في الاردن، واهلا وسهلا بكم بأي وقت"، وختمت الحديث بالقول: "شكراً وسنعمل على تحديد موعد زيارة وقد الجبهة الى عمان عبر الاخ عبد الرزاق اليحيى ممثل منظمة التحرير". قال: "اهلا وسهلا ونحن بالانتظار ولا تتأخروا".

قبل عودتي الى تونس ارسلت من القاهرة للمكتب السياسي في دمشق تقريراً حول ما جرى في الاجتماعات الرسمية وغير الرسمية، لخصت مواقف الاطراف من القضايا الأساسية المطروحة. قلت: المصريون مع اية قمة عادية او استثنائية تحضرها مصر وليسهما المكان، ولوحظ عدم حماسة الاردن لعقد قمة عربية استثنائية لبحث نقطة رئيسية واحدة هي دعم الموقف الفلسطيني. أما قيادة المنظمة فمع قمة استثنائية تعقد في المغرب تبحث في الموضوع الفلسطيني، لا سيما وان الملك الحسن الثاني وافق عليها، ولا تحبذ انتظار القمة العادية لأن الانتظار سوف يطول. أما بشأن اللقاء العربي الخامس فقد كان واضحاً ان الاردن ضد هذا اللقاء. مصر لم تصر على الموضوع تجنيباً لظهور خلاف مع الاردن، وحقيقة موقفهم انهم مع عقد هذا اللقاء لانه يعيد لهم دورهم على المستوى العربي. وحول الحوار الفلسطيني الامريكي لوحظ ازعاج الاردن من عدم التنسيق الفلسطيني معهم وعدم اطلاعهم على ما يدور فيه. ولوحظ ارتياح مصرى لاستئناف الحوار الفلسطيني الامريكي وتناوله قضايا جوهيرية. أما أبو عمارة فقد كان واضحاً في عدم رغبته في التنسيق مع الاردن حول الحوار، وعدم رغبته في اطلاعه على ما يدور فيه. وحول التنسيق الثلاثي المصري - الاردني - الفلسطيني،

لوجحت رغبة مصرية في مستوى معين من التفاهم المصري-الاردني-الفلسطيني قبل ان يلتقي الرئيس مبارك بالرئيس الامريكي جورج بوش، وان يلتقي كممثلا للاطراف الثلاث. وتقبل مصر بتنسيق ثلاثي اذا وافقت م.ت.ف. على ذلك، لكنها ليست متحمسة لعودة التنسيق الثنائي الاردني-الفلسطيني، وهي في الوقت ذاته ضد اي توفر من جديد في العلاقة الاردنية-الفلسطينية. اما موقف الاردن فقد كان واضحا انه لا يريد اعطاء تفويض للرئيس مبارك لأن ذلك يفقد زيارة الملك حسين اللاحقة لواشنطن قيمتها. وكان واضحا ان التفاهم المصري-الفلسطيني اسهل من المصري-الاردني. وللقاء كان امتحانا لطبيعة ومستوى العلاقة الاردنية-المصرية في اطار الحلف الرباعي المصري-الاردني-اليمني-العربي، واظهرت المواقف هشاشة العلاقة بين طرفين في حلف واحد، وكان التباين واضحا في مواقفهما من الموضوع الفلسطيني. وختم رسالتى باقتراح خلاصته، "اقرار التوجه، وتشكيل الوفد، وبلاغ الاسماء لاخ عبد الرزاق اليحيى، وقدوم الامين العام الى تونس لعقد لقاء مع قيادة أبو عمار وقيادة فتح قبل التوجه الى عمان".

لا... فلسطينية كبيرة في وجه بيلتزو

خلال الفترة ذاتها، وفي اطار تشحيط الحركة السياسية الفلسطينية، وتم اطلاق السوفيت على مجريات الحوار الفلسطيني - الامريكي وطمأنتهم، واستطلاع موقفهم، وسافر وقد فلسطيني برئاسة ابو مازن وعضوية ابو جعفر الى موسكو، التقى في ٢٨/٣/١٩٨٩ بحضور ممثل منظمة التحرير، بوفد سوفيتي ضم بولياكوف، تراسوف، ماتزوف، وأخرين. وعرض ابو مازن، بإيجاز شديد، الخطوط العريضة للسياسة الفلسطينية، وحدد تحوم الموقف الفلسطيني في الحوار مع الامريكان. وطرح عناوين القضية التي ترغب القيادة الفلسطينية في بحثها والتشاور مع الرفاق سوفيت حولها. وقدم عبد اللطيف ابو حجلة (ابو جعفر) عضو الوفد الفلسطيني للحوار مع الامريكان عرضا مركزا للموقف كما طرح داخل جلسات الحوار.

وبعد بحث مجريات الحوار، طرح ابو مازن مسألة العلاقات الفلسطينية - السورية وركز على جولة الرئيس الاسد الاخيرة الى دول شمال افريقيا العربية، وقال: "ان الرئيس الاسد بحث خلال جولته في شمال افريقيا ثلاثة قضايا أساسية، هي: الوضع المتفجر في جنوب لبنان. واحتمال توجيه اسرائيل ضربة عسكرية لسوريا، و"التنازلات" الكثيرة التي قدمها ياسر عرفات دون شمل على حساب القضية الفلسطينية". وقال ابو مازن: "في النقطة الاخيرة "التنازلات" لم يجد الرئيس الاسد تجاوبا من أحد. الجزائر كان لها موقف واضح، قالوا له التوجهات الفلسطينية اخذت في الجزائر ونحن موافقون عليها كلها، ونرى انها خدمت القضية الفلسطينية. اما بخصوص لبنان فقط طرحو عليه تساؤلات

لفهم ما يجري، ولم يجد تجاوباً حقيقياً حتى من الرئيس معمر القذافي المقرب منه. وفي الجزائر وتونس طرح الرئيس الاسد الامر بصيغة "اسرائيل ستعتدي علينا"، وفي ليبيا طرحته بصيغة "سنحارب اسرائيل"، وطرح على الجزائريين فكرة احياء جبهة التصدي والصمود، والجزائريون تساءلوا: من سيمثل الفلسطينيين في هذه الجبهة؟ فقال الاسد "حملة البنادق" وكان يقصد منظمات المعارضة في دمشق، فقالوا له "نحن لا نوافق". والعقيد القذافي قال له "انا مختلف مع ياسر عرفات لكنني اعترف بالمنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، ولبيبا اعترفت بدولة فلسطين".

وتحدث ابو مازن، ايضاً، حول قيام بعض التنظيمات الفلسطينية بعمليات عسكرية من جنوب لبنان، وأشار الى ان العمليات الاخيرة جاءت في وقت خاطئ تماماً وسقطت ضحايا بدون ثمن، واصحابها قالوا علينا انهم نفذوها من أجل افشال مساعي عرفات السلمية، وافشال تعهداته للامريكان. وحصلة هذه العمليات ٤٧ شهيداً فلسطينياً دون ان تتحقق اية اصابات جدية باسرائيليين. واكده "عدم تعهد م.ت.ف. بوقف الكفاح المسلح الذي هو جزء من نضال شعبنا، ولكننا بقرار ذاتي اوقفنا العمليات خلال هذه المرحلة، واكتفينا بالانتفاضة لأنها قادرة على ان تقدم للقضية الفلسطينية مكاسب دولية لدى الرأي العام وحتى داخل اسرائيل". وقال: "تعرفون اننا نرفض ان يستخدم السلاح في الانتفاضة، او ان تمتد الانتفاضة الى اهلنا عرب ١٩٤٨ الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية، برغم ان هناك في القيادة الفلسطينية من يصرعلى ذلك". واعتبر العمليات العسكرية التي يمارسها البعض من جنوب لبنان تسهيلاً في الظرف الى الموقف السياسي الفلسطيني، وان بعض قادة الفصائل لم يكتف بذلك بل نقلوا موقفهم للاراضي المحتلة، الامر الذي ربما يؤثر سلباً على مسيرة الانتفاضة ونضالاتها. وأشار الى ان بعض شباب الجبهة الشعبية يهاجمون بيوت بعض الشخصيات الوطنية في الداخل ويهددونهم، وهذا يذكر بما حدث ابان ثورة العام ١٩٣٦. ومثل هذه الاعمال تثير قلق القيادة الفلسطينية، وقال: "دعونا لعقد دورة اجتماعات للمجلس المركزي في بداية الشهر القادم، لبحث كل هذه القضايا، ونأمل ان يتفهم الرفاق ظروف نضالنا".

في الجلسة المسائية، طرح بولياكوف وجهة النظر السوفيتية، ويصدق المقترنات الامريكية قال: "عودة للحوار الامريكي - الفلسطيني، وبخصوص اجراء انتخابات لاعضاء المجلس الوطني، والحدود المفتوحة، انتم تعرفون لماذا يطرح الامريكان ذلك؟ وانتم ترفضون اجراء الانتخابات في ظل الاحتلال. عملياً الحديث الامريكي يعني مبادلة الانتخابات بالانتفاضة". وتساءل: ما المقصود بالحدود المفتوحة؟ وأشار الى ان هناك اقتراح من سيمجامن، المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي، بإجراء افقاء بمشاركة احدى المؤسسات السوفيتية، والمحافل الحكومية والاكاديمية السوفيتية، وامريكا، والدول الغربية، واسرائيل والفلسطينيين لبحث تقرير أصدره مركز الابحاث الاستراتيجية لجامعة تل ابيب.

رد ابو مازن، وقال: "حول هذا اللقاء لا مانع لدينا، ومن وجهة نظر أخرى، طرحنا سابقاً ان حدودنا ستكون مفتوحة مع اسرائيل من اجل طمائتهم، ولكن عندما سألوننا ماذا يعني ذلك بالتحديد؟ قلنا سنجيب لاحقاً، ونحن نتشارو معكم حول الموضوع". قال بولياكوف: " واضح انهم يريدون البحث معكم في قضيائنا مفروض ان تبحث في المؤتمر الدولي. فعقب ابو جعفر: وقال: "السفير الامريكي يرى ان الحوار المباشر مع اسرائيل قبل المؤتمر الدولي، ربما يحل قضيائنا كثيرة قبل المؤتمر". رد بولياكوف: "صراحة لا نريد ان يقول لنا الامريكان انهم بحثوا كافة القضيائنا مع الفلسطينيين مسبقاً، وقد يخبروننا انهم حلوا كل القضيائنا مع الفلسطينيين فلا داعي للمؤتمر الدولي. يريدون تمرير فكرة قديمة، وهي حل القضيائنا قبل المؤتمر ثم نذهب نحن ونضع ختم المؤتمر عليها، نحن نرفض ذلك. وهم يحاولون تصوير موقف منظمة التحرير بشكل سيء أمامنا، ويشرون الخلافات الداخلية بينكم، وربما يحاولون القول لكم ان السوفيت وراء ذلك. قد تبحث مع الامريكان المرحلة التمهيدية لعقد المؤتمر، وبخصوص جوانب حل القضية الفلسطينية تقول لهم: ذلك يتم في المؤتمر الدولي". اما تراسوف عضو الوفد السوفيتي، فقال: "خلال اتصالاتنا مع الادارة الامريكية السابقة لم نحل ايها من القضيائنا الاساسية، والامريكان لم يجيبوا على استئنافنا، المهم اتنا وصلنا لاعتراف امريكي بأنه من المستحيل حل القضياء من خلال صفة ثانية. الامريكان خلال حوارهم معكم يحاولون تضييق باب النقاش الى شكل ثانوي. من المفيد ان يطرح الجانب الفلسطيني معهم المسائل العامة التي تخص المنطقة كي يفهموا ان الجانب الفلسطيني لا يبحث عن حل ثانوي". اما روبرت القائم بأعمال السفير في تونس، فأضاف: "الحديث مع الامريكان عن الحدود المفتوحة قد يؤدي الى نسيان الحل الشامل. ولدي سؤال حول التصريرات التي وردت في فيديو ابو اياد، هل ما ذكره ابو اياد حول تصور المؤتمر الدولي تم بالتنسيق مع اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير؟" قال ابو مازن: "ما جاء في حديث الاخ ابو اياد يتنقق مع سياسة منظمة التحرير ولكن خرجت كلمة مفاوضات بدلاً من حوار، وصحح ابو اياد ذلك في اليوم التالي. اما بشأن الحوار الجارى معهم الان فنحن نرفض ان يغرقونا في التفاصيل قبل الوصول للمؤتمر الدولي".

الى ذلك، زار، في النصف الثاني من تموز ١٩٨٩، وفد من الجبهة الديمقراطية برئاسة الامين العام موسکو والتقي بنائب وزير الخارجية السوفيتية بولياكوف، وتم تبادل الآراء حول الوضع في المنطقة والتحركات الامريكية ومحاولة بيكر تسويق مبادرة شامير. وعرض بولياكوف انتطاعاتهم حول التوجهات الامريكية كما طرحتها بيكر في زيارته الاخيرة لموسكو.^(١٦) وعاد امين عام الجبهة وتحدى مطولاً حول التطورات المتتسارعة داخل الاتحاد السوفيتي، وانتطاعاته بشأن توجهات السياسة الخارجية السوفيتية.

وعرض ملامح الارهاق الاقتصادي التي بدأت تظهر على حياة المجتمع السوفييتي من الحرب الباردة ومن سباق التسلح مع الامريكان، وعن ملامح التغير في المواقف السوفييتية الداخلية والخارجية في عهد غورباتشوف، حيث بدأت أصوات قوية ترتفع من داخل قيادة الحزب الشيوعي السوفييتي تطالب بتجديد أوضاع الحزب وتطوير علاقاته مع الشعب، وتدعى الى اعادة النظر في السياسة الخارجية السوفييتية القائمة على توازن القوى، واستبداله بتوزن المصالح، والتخلص من كل المواقف الأيديولوجية المسبقة والمسببة للتنافس والتوتر بين المعسكرين. وكانت المفاوضات الثانية السوفييتية - الأمريكية التي تمت في تلك الفترة حول الأسلحة الاستراتيجية والقضايا الأخرى المختلفة عليها، بينت عمق الأزمة التي يعيشها الاتحاد السوفييتي والنظام الاشتراكي، حيث تراجع خاللها السوفييت في العديد من القضايا الدولية والمواقف التي كانوا يتمسكون بها، وقدموا للامريكان تنازلات غير متوقعة، وأعطوا إشارات واضحة حول استعدادهم للتراجع أكثر فأكثر بشأن النزاعات الإقليمية التي كانت موضع تجاذب وصراع مع الولايات المتحدة وخاصة في أفغانستان وكمبوديا وأنغولا ونيكاراغوا وناميبيا، والقرن الافريقي وهجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل، ونزاع الشرق الأوسط.

على أبواب اللقاء الرابع للحوار دعا أبو عمار يوم ١٤ آب/اغسطس ١٩٨٩ اللجنة التنفيذية للمنظمة لاجتماع خاص للنظر في ما توصل له الحوار الفلسطيني-الأمريكي، وما يمكن ان يطرح في الجولة الجديدة. وكان واضحًا أن أبو عمار بقصد تصعيد الموقف، حيث لم يعبر اتصالاته إصراراً أمريكياً على تجاوز م.ت.ف.. وتشكيل الوفد من الداخل فقط.

في حينه، أراد أبو عمار أن يرسم موقفه بقرار رسمي، ويحمل اللجنة التنفيذية مسؤولية الموقف التصعيدي، ويوجهي للأمريكان بأن القيادة الفلسطينية والمعارضة الفلسطينية أكثر تصلباً من ياسر عرفات، وأكثر تشددًا في مواجهة المطالب الأمريكية. هذا مع العلم بأن غالبية أعضاء التنفيذية لم يكونوا على اطلاع على حقيقة ما دار في الحوار، ولم تشترك في تسمية الوفد المفاوض ولا في توجيهه. فهذه الامور حصرت في إطار مطبخ فلسطيني مصغر اركانه الاساسيون في تلك الفترة؛ أبو ایاد، أبو مازن، عبد الله الحوراني، وياسر عبد ربه.

في حينه، كان أبو عمار يراهن على تواصل الانتفاضة وقدرتها على التأثير في الموقف الأمريكي، خصوصاً ان مسألة علاقة المنظمة بالانتفاضة والتزام قيادتها وأطرها بقرار م.ت.ف. حسمت عند جميع القوى العربية والدولية، ولم يعد هناك من يطعن أو يشكك في ذلك. وكان أبو عمار يشعر بقوة منظمة التحرير فالانتفاضة مستمرة وتقاعلات مبادرة السلام الفلسطينية متواصلة. وكان مقتتناً بأن التصلب في الحوار يحسن الموقف التفاوضي باتجاه دور مباشر للمنظمة في المفاوضات. وراهن على استمرار العلاقات

والاتصالات عبر الفناة المصرية، واستمرار دور مصر قناة رئيسية للاتصالات غير المباشرة، اذا حدث اي توقف. وللتغطية موقفه التصعيدي، ركز أبو عمار على التناقض بين ما ورد في ورقة وزير الخارجية السابق شولتس التي طرحها أندرسون، وبين ما طرحة السفير بيللترو في جلسات حوار تونس.

يوم اجتماع اللجنة التنفيذية، كان واضحأً للقريين من أبو عمار منحى الموقف الذي ستؤول إليه الأمور، ومنحى التوجه أو القرار الذي سيصدر عن الاجتماع. في حينه، لم تنسن لي مناقشة الموقف مع ياسر عبد ربه، وأرسلت له رسالة اقتربت عليه أن يتبنى موقفاً مرتنا في الاجتماع، وأن لا يتم القطع مع الامريكان، وإن يدفع باتجاه عدم رفض ما طرحة بيللترو بصورة جازمة. قلت في الرسالة: "استمتعت أمس لنتائج اللقاء مع الامريكان، وفكرة في بعض الاستفسارات التي طرحتها بيللترو، مثل انتخاب أعضاء المجلس الوطني من الداخل، والسماح لشخصيات من الداخل بالحركة للخارج للقاء معقيادة م.ت.ف... الخ. وعليه، وفي ضوء ما جرى في اللقاء مع بيللترو، أعتقد ان من الخطأ أن تقول م.ت.ف. لا للمقترحات الامريكية بصورة جازمة، خصوصاً على ابواب زيارة شامير لأمريكا، ومن الخطأ أن تجيب م.ت.ف. على الأسئلة المطروحة بنعم أو لا". وأقترحت أن يتم تشكيل لجنة لدراسة الأمر ووضع التصور الفلسطيني يقدم للأمريكان قبل زيارة شامير إلى واشنطن، ويمكن تقديمها ايضاً عن طريق الرئيس مبارك، أو مباشرة، وبعد استشارة السوفيت.

كان تصوري الاولى ينطلق من أن م.ت.ف لا تعني فقط القيادة والقوى الفلسطينية الموجودة في الخارج، بل والعناصر القيادية والقوى الملتزمة الموجودة في الداخل ايضاً، ولا أرى فرقاً بين أي عضو قيادي من فتح في الداخل وعضو آخر من الخارج إذا تولى أحدهم المفاوضات. والشيء ذاته ينطبق علينا في الجبهة الديمقراطية وعلى الآخرين الموافقين على التوجهات السياسية. فلا فرق جوهري بين أن تفاوض زهيره كمال عضو قيادة الجبهة الديمقراطية المقيمة في الداخل مثلاً، أو أي رفيق آخر من القيادة يقيم في الخارج، شريطة أن يعلن العنصر المسمى من الداخل عن هويته والتزامه ببعضويته في الهيئات القيادية في م.ت.ف والالتزام بتنفيذ قراراتها، وأن يتم الإعلان في الوقت المناسب عن التكليف بتمثيل المنظمة في المفاوضات التمهيدية وفي إطار المؤتمر الدولي. وشريطة أن يعلنوا أنهم جاهزون للتفاوض على أساس البحث عن حل شامل للقضية في إطار المؤتمر الدولي. وختمت رسالتي بالقول: "اعتقد أن مثل هذه الخطوة تؤدي إلى حشر شامير والأمريكان، وتعفينا من قول كلمة لا بصورة فجة، وتعطي دفعه جديدة لمبادرة السلام الفلسطينية. وهذا الموقف يتطلب عقد اجتماع للقيادة الفلسطينية سريعاً، ولاحقاً عقد اجتماع للمجلس المركزي، لقرار بعض الخطوات التنظيمية ومنها

تسمية الوفد". واقتصرت الدفع باتجاه عدم اتخاذ اللجنة التنفيذية قرار نهائي من الاستله الأمريكية، وترك الباب مفتوحا للحوار والنقاش اللاحق.

بعد الاجتماع، التقى ياسر عبد ربه وسالته، كالعادة، عن نتائج الاجتماع وعن رأيه فيما ورد في رسالته. قال: "أبو عمار مصر على رفض التعاطي مع ما طرحة بيللترو، لأنه يتجاوز م.ت.ف. والتوجه العام في اللجنة التنفيذية يميل إلى إعطاء جواب لاً واضحة وكبيرة، ورفض الأطروحات الأمريكية بصورة صريحة لأنها تحمل بين ثنياتها خطورة تشكيل قيادة بديلة من الداخل". أما بشأن رسالته وما ورد فيها من ثنايا قال: "الوارد فيها يرفضه أبو عمار، لأنه يعني ذهاب المنظمة إلى نهايتها الحتمية وتنصيب قيادة جديدة من الداخل".

في جلسة الحوار الرابعة، يوم ١٦ آب ١٩٨٩، كرر بيللترو موقف بلاده، وطالب بجواب فلسطيني واضح ومحدد. وحاول الوفد الفلسطيني زحزحة الموقف الأمريكي بخصوص نقطة التمثيل إلا أنه لم يفلح. عندها باشر ياسر عبد ربه وطلب رفع الاجتماع، واتصل من مكان الاجتماع مع أبو عمار، ونقل له خلاصة الموقف الأمريكي، وتلقى موقفاً واضحاً يقول، "أبلغ بيللترو لاً فلسطينية كبيرة لأطروحاته". وبعد دقائق، نفذ ياسر عبد ربه التعليمات التي تلقاها، وكانت تلك اللا الفلسطينية سبباً في تعليق الحوار الفلسطيني - الأمريكي المباشر بصورة غير رسمية. وتحول الحوار بعدها إلى نوع من الاتصالات غير المباشرة عبر المصريين.

اواسط ايلول ١٩٨٩ ، طرح الرئيس حسني مبارك ما اصطلح على تسميته بـ"النقطاط العشر" المصرية^(١٤) حول كيفية اجراء الانتخابات، وكان اهمها: "تعهد اسرائيل بقبول نتائج الانتخابات، وان تجري الانتخابات في وجود مراقبين دوليين، وتوفير نوع من الحصانة لحماية المنتخبين. تنسحب اسرائيل من القطاعات التي ستثور فيها عمليات الاقتراع. انهاء نشاطات الاستيطان. اشراك فلسطيني القدس الشرقية في الانتخابات. قبول مبدأ مبادلة الارض بالسلام كجزء لا يتجزأ من التسوية نهائية". ومع ان المبادرة المصرية لم تشر الى م.ت.ف. بالاسم، ولم تتطرق الى موضوع حق تقرير المصير بوضوح، فقد اوحى عدد من قادة فتح وضمنهم ابو اياد وبعض اعضاء اللجنة التنفيذية ومنهم محمد ملحم بيعاز من أبو عمار عن استعداد قيادة المنظمة لقبول "النقطاط العشر" اذا قبلتها الحكومة الاسرائيلية، التي رفضتها.

خلال ذات الفترة، تسارعت التطورات داخل الاتحاد السوفييتي والاحاديث داخل حلف وارسو، ولم يعد لدى السوفييت قدرة للاعتراض على الحركة الأمريكية. وشجع جيمس بيكر الذي اصبح وزيراً للخارجية في الادارة الأمريكية الجديدة التي شكلها الرئيس

جورج بوش، القيادة المصرية على التحرك من جديد، ودعا الى عقد لقاء بين وزير خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة، للتمهيد لاجراء حوار فلسطيني-اسرائيلي في القاهرة. عندها، لم يتردد أبو عمار في ابلاغ المصريين مباشرة موافقته المبدئية على المبادرة المصرية، بالرغم من المعارضة الفلسطينية الواسعة لها. ودعا أبو عمار الى عقد اجتماع للمجلس المركزي يوم ١٥/١٠/١٩٨٩، وفي الاجتماع دافع عن موقفه. ودعا اعضاء المجلس الى رؤية المتغيرات الدولية، حيث صار واضحا ان الولايات المتحدة الأمريكية وخلفاءها في حلف الأطلسي لم تعد تعي اي اهتمام للموقف السوفييتي في الشرق الأوسط، وان تسليم السوفييت بفقد الادارة الأمريكية في معالجة قضاياه يتبع من حالة الضعف التي يعيشها الاتحاد السوفييتي.

وفي نهاية المناقشات طرح على المجلس المركزي عددا من الاسس الكفيلة بجعل المباحثات الفلسطينية - الاسرائيلية المقترحة "خطوة نحو تحقيق الحل العادل"، وحددها المجلس على النحو التالي: ١) م.ت.ف. وحدها صاحبة الحق في تشكيل واعلان الوفد الفلسطيني من الداخل والخارج في المباحثات مع اسرائيل. ٢) يكون الموقف الفلسطيني في هذه المباحثات مستندا الى مبادرة السلام الفلسطينية التي تعتمد على الشرعية الدولية وتنمسك بها. ٣) يكون جدول اعمال اللقاء مفتوحا ويدون شروط مسبقة. ٤) يعتبر هذا اللقاء مباحثات تمهدية بين الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي كخطوة نحو المؤتمر الدولي الفعال، الذي يشكل الاطار الوحيد المناسب للمفاوضات، التي توصل الى تسوية شاملة وعادلة للصراع، وفقا لقرارات الامم المتحدة والشرعية الدولية. ٥) يحضر هذا اللقاء التمهيدي وفود من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي والامين العام للأمم المتحدة، وممثلون عن الاطراف المعنية الأخرى.

بعد المجلس اندفع أبو عمار في حوار غير مباشر مع الادارة الأمريكية من خلال القناة المصرية، ووجه عبرها جملة من الاستئلة تتصل بدور م.ت.ف. في حركة البحث عن تسوية الصراع، وطبيعة المشاركة الفلسطينية في مؤتمر السلام، وصيغة تشكيل الوفد الفلسطيني. وفي ١٦/١١/١٩٨٩ تلقى أبو عمار، عبر القيادة المصرية، رد وزير الخارجية الأمريكية بيكر على الاستئلة الفلسطينية. وعقد سلسلة اجتماعات للجنة التنفيذية والقيادة الفلسطينية لمناقشة ما جاء في رسالة بيكر، وتقرر أن يتم الرد عليها، وان يكون الرد الفلسطيني واضحا وشاملا، وحازما بشأن دور منظمة التحرير في تشكيل الوفد المفاوض.^(١)

وفي ٣ كانون اول/ديسمبر ١٩٨٩، سلمت الحكومة المصرية الى الادارة الأمريكية موافقة منظمة التحرير على اجراء المباحثات الاسرائيلية-الفلسطينية على قاعدة الاسس التي حددها المجلس المركزي الفلسطيني. ولتقريب وجهات النظر، اقترح الوزير بيكر ان تقبل اسرائيل بمشاركة مبعدين من المناطق الفلسطينية المحتلة وممثلين عن القدس

العربية في الوفد الفلسطيني للمباحثات. فعلا، وافق وزراء حزب العمل في الحكومة الانقلافية على اقتراح الوزير بيكر وعارضه وزراء الليكود، الامر الذي ادى الى انفراط عقد الحكومة الانقلافية بين العمل والليكود في آذار/مارس ١٩٩٠. وشكل شامير حكومة انقلافية جديدة مع الاحزاب الدينية واليمينية المتطرفة. وفي رسالة وجهها الى الرئيس الامريكي جورج بوش في ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٩٠، اعلن شامير ان حكومته الجديدة ستواصل الاستيطان في المناطق الفلسطينية المحتلة، ولن تعترف بأي دور لمنظمة التحرير في مباحثات السلام، اذا عقدت، ولن تقبل بمشاركة مبعدين فلسطينيين وممثلين عن القدس في الوفد الفلسطيني.

في ٣٠ أيار/مايو ١٩٩٠، وبمساعدة لوجستية واستخبارية ليبية وعراقية، نفذت جبهة التحرير الفلسطينية، جماعة أبو العباس، عملية عسكرية فاشلة على شواطئ تل أبيب.^(٢٠) فور وقوع العملية، بادرت الحكومة الاسرائيلية الى تحويل ياسر عرفات شخصياً المسؤولة، واتهمته بأنه يقف بقوة خلفها. وراحت تتحدث عن العلاقات الحميمة بين أبو العباس وتنظيمه، وبين فتح و Yasir Arafat's faction. وضخت الدعاية الاسرائيلية موقع أبو العباس في إطار المؤسسة الفلسطينية، وركزت على عضويته في المجلس العسكري الذي يرأسه أبو عمار. أما الادارة الامريكية فبادرت الى ادانة العملية فور وقوعها، وطالبت قيادة م.ت.ف. بإدانتها، وطرد تنظيم أبو العباس من المنظمة، وفصل أبو العباس شخصياً من عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. ولاحقاً أضافت شروطاً أخرى، منها اتخاذ إجراءات بحق أبو الطيب قائد جهاز أمن ١٧ وحل جهازه، وكذلك بالنسبة لهواري قائد فرع الامن الخارجي في منظمة التحرير، حيث اشتُبهت بعلاقاتهما ببعض العمليات "الارهابية" السابقة.^(٢١)

ادان أبو عمار العملية بصورة غير مباشرة ورفض قبول الطلب الامريكي، ودعا الى عقد اجتماع للجنة التنفيذية في بغداد، وراح في اطار التصعيد، يذكر من الحديث عن املاءات وشروط امريكية تنسف استقلالية الحركة الفلسطينية واستقلالية قرارها. وبعد شهر، أعلنت الادارة الامريكية عن تعليق الحوار الفلسطيني-الامريكي عبر مؤتمر صحافي عقده الرئيس بوش شخصيا يوم ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٩٠. وبالرغم من توقف الحوار بصورة رسمية واصل وزير الخارجية الامريكية بيكر مساعيه مع مصر عبر القنوات الدبلوماسية، حيث كان يرى في انهيار المنظمة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة وغياب التجاذب الدولي حول النزاع العربي-الاسرائيلي وحول القضية الفلسطينية، فرصة ثمينة لا تغدو ي يجب استثمارها في السعي من أجل صنع السلام في الشرق الأوسط، وتأمين الاستقرار فيه، وضمان المصالح الأمريكية لسنوات طويلة.

صيف ١٩٩٠، بدأت تظهر في سماء المنطقة العربية ملامح أزمة الخليج، وبدأت تلقي

بطلالها على الانتفاضة، وعلى العلاقة الفلسطينية - الأمريكية، وعلى عملية البحث عن صنع السلام في المنطقة.^(٢٢) وفي نيسان/أبريل ١٩٩٠، اتهم الرئيس العراقي صدام حسين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا علنا بأنهما تشجعن إسرائيل على توجيه ضربة عسكرية للعراق كما فعلت عندما دمرت طائراتها المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١. وأعلن الرئيس صدام امتلاك العراق أسلحة كيماوية قادرة على تدمير نصف إسرائيل. وفي أواخر أيار/مايو ١٩٩٠، عقد الزعماء العرب قمة في بغداد شاركت فيها السعودية وجميع دول الخليج وأعربت عن دعمها الكامل للعراق في مواجهة التهديدات الإسرائيلية. وبعد بضعة أسابيع من القمة اتهم الرئيس صدام حسين في ١٦/٧/١٩٩٠، الكويت ودولة الإمارات العربية بالتواطؤ مع الأمريكية والمساهمة في محاصرة العراق من خلال زيادة انتاجها النفطي على حساب حصة العراق، وطالبتها بالغاء ديونه الكبيرة التي اضطر لاستدانتها أيام حربه مع إيران. وارسل العراق مذكرة رسمية إلى جامعة الدول العربية اتهم فيها دولة الكويت بسرقة النفط العراقي. إلى ذلك، عقد في جدة اجتماع عراقي-كويتي برعاية سعودية لحل الخلافات، إلا أنه فشل، كما فشلت الوساطات العربية الأخرى. وفي النصف الثاني من تموز/يوليو ١٩٩٠ بدأ العراق بحشد قواته على حدوده مع الكويت. وبعد أقل من أسبوعين، أى في فجر يوم ٢ آب/أغسطس اجتاحت قواته الإراضي الكويتية.

ومع بدء الهجوم العراقي على الكويت، استنفرت إسرائيل قواتها، وفرضت حظر تجول على الإراضي الفلسطينية، وتراجع وضع الانتفاضة، وانشغلت الجماهير والقيادات العربية والفلسطينية بمجريات الحرب. وانتهى الحديث عن حوار فلسطيني-أمريكي، كما انتهى كل حديث عن مفاوضات فلسطينية-إسرائيلية برعاية أمريكية. ومع سيطرة القوات العراقية على الإراضي الكويتية، وأعلن العراق بعد أسبوع من بدء الهجوم عن ضم الكويت للعراق، دخل النظام الرسمي العربي مرحلة جديدة من التشرذم والانقسام. وأخطأت قيادة م.ت.ف. في تقدير الموقف حين راهنت على حل المشكلة الكبرى التي خلقها اجتياح الجيش العراقي الكويت بالطرق السلمية. وبالرغم من ضخامة الحشد العسكري الأمريكي والمتعدد الجنسيات الذي تجمع في السعودية وتركيا وفي عدد من دول الخليج، إلا أن أبو عمار ظل يراهن على عدم وقوع الحرب وسعى لحل المشكلة بالطرق السلمية. وبتاريخ ١٢/١/١٩٩٠، عقد لقاء مع طارق عزيز حضره ياسر عبد ربه وعبد الله حوراني، لاستطلاع الموقف، ولم تتخذ م.ت.ف. بعده موقفاً واضحاً وصريحاً ضد الغزو العراقي للكويت. وصنفت م.ت.ف. ضمن المجموعة العربية التي ايدت الغزو. وتواترت علاقاتها مع مصر وسوريا ومع كل دول الخليج. وأصبحت في وضع متصادم مع الولايات المتحدة الأمريكية ودول السوق الأوروبية.

وفي فترة شباط/فبراير - آذار/مارس ١٩٩١، أصبحت قيادة م.ت.ف. محاصرة عربياً ودولياً ومكشوفة سياسياً، وباتت في أضعف حالاتها، وصار وضع المنظمة في مهب الريح. وكان للحملة الإعلامية الأمريكية وال العربية والأوروبية المركزة التي شنت، في ذلك الوقت، ضد قيادة م.ت.ف، وضد أبو عمار شخصياً، اثرها في تعميق حالة الفلق التي عاشتها القيادة الفلسطينية. وبعد نجاح الموساد الإسرائيلي، بطريقة مرعبة، في اغتيال ابو اياد، وابو الهول وابو محمد العمري في العاصمة التونسية، يوم ١٤/١/١٩٩١، عاشت قيادة المنظمة حالة من الاضطراب والقلق على المصير، بما في ذلك المصير الشخصي لقيادة.^(٢٢)

ومع بدء هجوم القوات متعددة الجنسيات ضد العراق، وبده تساقط الصواريخ العراقية بعيدة المدى على إسرائيل،^(٢٣) دخل النزاع العربي- الإسرائيلي مرحلة نوعية جديدة اختلفت عن كل المراحل التي سبقتها. إلى ذلك، أكدت حرب الخليج بالملموس، تسلیم الاتحاد السوفييتي بانتهاء القطبية الثانية، التي ظلت أبرز معالم النظام الدولي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وتكرّس الدور القيادي المنفرد للولايات المتحدة في قيادة الوضع الدولي الجديد. وأبْرَزَت الحرب استعداد السوفييت للتكييف مع هذا الوضع الجديد والانخساف في إطاره، والانسجام مع السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وبما في مناطق النزاع في العالم، وكشفت قرارهم عدم التصادم معها لا في المؤسسات الدولية ولا على الأرض.

وسط تلك الظروف، وبعد هزيمة العراق وطرد قواته من الاراضي الكويتية، بادر الرئيس الأمريكي جورج بوش يوم ٦ آذار/مارس ١٩٩١ إلى الإعلان عن مبادرة لصنع السلام في المنطقة، حدد فيها أمام الكونغرس رؤية إدارته لأسس السلام في الشرق الأوسط على النحو التالي: (١) الأرض مقابل السلام. (٢) تطبيق قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ من خلال المفاوضات. (٣) تحقيق الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني. (٤) ضمان الأمن والسلام لدولة إسرائيل. ودعا الرئيس بوش أطراف الصراع إلى وضع السلاح جانباً واستبداله بالحوار، والتوجه إلى مدريد والجلوس وجهاً لوجه، والدخول في مفاوضات مباشرة. رحبـت قيادة م.ت.ف يوم ٨ آذار/مارس بالمبادرة، مبدية استعدادها للتكييف والتجاوب مع النظام الدولي الجديد ومع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الشرق أوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة. كما رحبـت جميع الدول العربية بالمبادرة، ونجحـ بيـكـ في انتزاع موافقة شامـيرـ والـسوـفيـتـ وـدولـ السـوقـ الـأـورـوـبـيـةـ المشـترـكـةـ علىـ حـضـورـ المؤـتمـرـ. وـبـانـعـقـادـ مؤـتمـرـ مدـرـيدـ يـوـمـ ٣١ـ تـشـرـيـنـ الـأـوـلـ/ـأـكـتوـبـرـ ١٩٩١ـ، دـخـلـتـ القـضـيـةـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ طـوـرـاـ نـوـعـيـاـ جـدـيـداـ، وـدـخـلـ الـبـحـثـ عـنـ دـوـلـةـ فـلـسـطـيـنـيـةـ مـسـتـقـلـةـ مـرـحـلـةـ جـدـيـدـةـ، لـاـ تـزالـ مـسـتـمـرـةـ حـتـىـ الـآنـ.

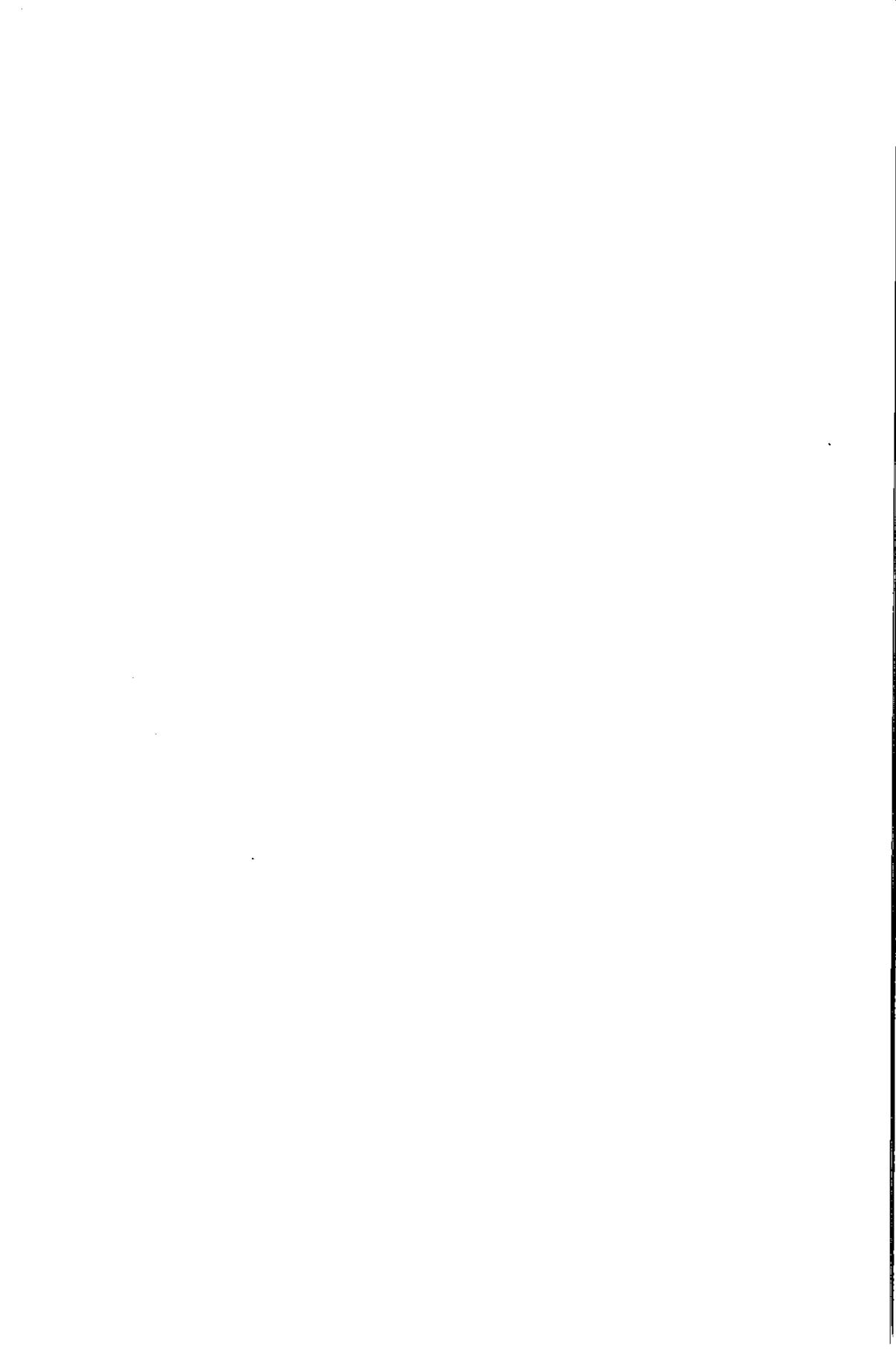
وأصاب وزير الخارجية الامريكي الاسبق جيمس بيكر، مهندس مؤتمر مدريد للسلام وأظهر الحقيقة حين قال: "إن التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ "اتفاق اوسلو"، بين اسرائيل ومنظمة التحرير تم بفضل إنتهاء الحرب الباردة". فانتهاء تلك الحرب التي يحلو للبعض تسميتها بالحرب العالمية الثالثة أنسجمت الوضع الدولي باتجاه ايجاد حلول للعديد من النزاعات الاقليمية، ومهدت الطريق امام عملية السلام التي انطلقت من مدريد ودفعت الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي نحو التوصل الى الاتفاقيات الاولية التي توصلوا لها حتى الان. والمصالح المباشرة والبعيدة لشعوب المنطقة تفرض على المفكرين الفلسطينيين والعرب والاسرائيليين اجراء البحوث والدراسات الازمة للاجابة على الاستئلة التالية: هل كان الطرفان الفلسطيني والاسرائيلي بحاجة لكل هذا الوقت من الصراع للوصول إلى الاتفاقيات التي توصلوا لها؟ وهل كان بإمكان اهل المنطقة في فترات ما من عمر الصراع الطويل الافلات من تأثيرات الحرب الباردة والوصول إلى اتفاقيات أقل أو أكثر مما توصلوا له؟ أم أن ما جرى كان قدرًا كتبه اقطاب الحرب الباردة على شعوب المنطقة ولم يكن ممكناً الفرار منه؟ وإذا كانت الاجابة على هذه الاستئلة ليست سهلة، فالملحق هو ان الحرب الباردة لعبت دوراً حاسماً في تحرير المسار الذي سارت فيه اوضاع المنطقة على مدى ما يزيد عن أربعين عاماً، حيث ظلت المنطقة ميدان صراع بين العملاء افشل كل المبادرات الدولية السابقة الكثيرة والمتنوعة، امم متحدة، امريكية، سوفييتية، اوروبية، التي سبقت مبادرة بوش - بيكر عام ١٩٩١.

هوامش الفصل التاسع

- ١) تشكل مكتب الشؤون الامريكية بقرار رسمي، واستندت مهمة قيادة اعماله للاخ سامي مسلم مدير مكتب أبو عمار. وطلب من الفضائل فرز كوادر ذات خبرة وقدرة. واستندت للمكتب مهمة متابعة المواقف الامريكية او لا باول، وتقديم مقترنات بشأن الموقف الفلسطيني المطلوب. وكذلك مهمة تنظيم الصلة مع الشخصيات والتجمعات الفلسطينية في أمريكا، والعمل على معالجة خلافاتها على قاعدة لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة، وتنسيق العمل الاعلامي والسياسي والجماهيري معها. في حينه، قام المكتب باعمال هامة وقدم ادراة عمل مفيدة، وانتهى عمله دون قرار.
- ٢) "المطبع المصغر": هيئه فلسطينية غير رسمية وغير ثابتة يتبدل اعضاؤها حسب رغبة أبو عمار، وحسب الموضوع المطروح، وفقاً لتقديره لمواقفهم. تشكل وتنتهي دون قرار، وتلتقي بناءً على رغبة أبو عمار للتداول في المسائل الحساسة، وكثيراً ما تكون مداولاتها أساسية في بلورة الموقف الرسمي.
- ٣) كان اللقاء مع طارق علاء الدين مدير المخابرات العامة الاردنية اول لقاء رسمى تعقدت قيادة الجبهة مع قيادة المخابرات، اما لقاءات ياسر عبد ربه التي سبقت هذا اللقاء فكانت تتم باسم م.ت.ف. بناء على طلبه وحرصاً منه على عدم التعرض لانتقادات من قيادة الجبهة التي كانت تتخذ موقفاً سلبياً من هكذا لقاءات. ويمكن القول ان معرفة المخابرات الاردنية بدور الجبهة في اطار المنظمة والانتفاضة، وبتفاصيل خلافات الجبهة كان عاملاً رئيسياً في موافقتها على اقامة صالح رافت في عمان وعدده عدد من كوادره.
- ٤) بالرغم من تصاعد الخلاف، تواصلت اجتماعات المكتب السياسي وأمانة سر اللجنة المركزية. وكانت نحرص على حضور بعضها، وكان الطرفان يحضران اوضاعهما للانشقاق. وفي ذلك الاجتماع تمت ادانة لقائي بالمخابرات الاردنية، واتهمت بتعزيز خلافات الجبهة على كوادر التنظيم في الاردن في محاولة للتأثير على مواقفهم. واتخذ المكتب قراراً بوقف الاتصالات الفردية مع كوادر التنظيم، ووجه لي انذاراً بالفصل عم على اعضاء اللجنة المركزية.
- ٥) راجع نص رسالة ابو مازن الى جورج جيش ملحق رقم (١٠) ص ٢٩٦.
- ٦) فوجئت بحديث أبو عمار واعتباري مسؤول ملف تبادل الاسرى. ووفقاً لخبرتي، تعاملت مع الموضوع بمنتهى الجدية، وبعد عودة الوقد الى تونس، ارسلت الى المجريين معلومات رسمية تفصيلية. وارسلت رسالة الى الامين العام في دمشق ابلغته بما تم، في حينه، وتلقيت ردّاً فورياً يقول ان المفاوضات حول

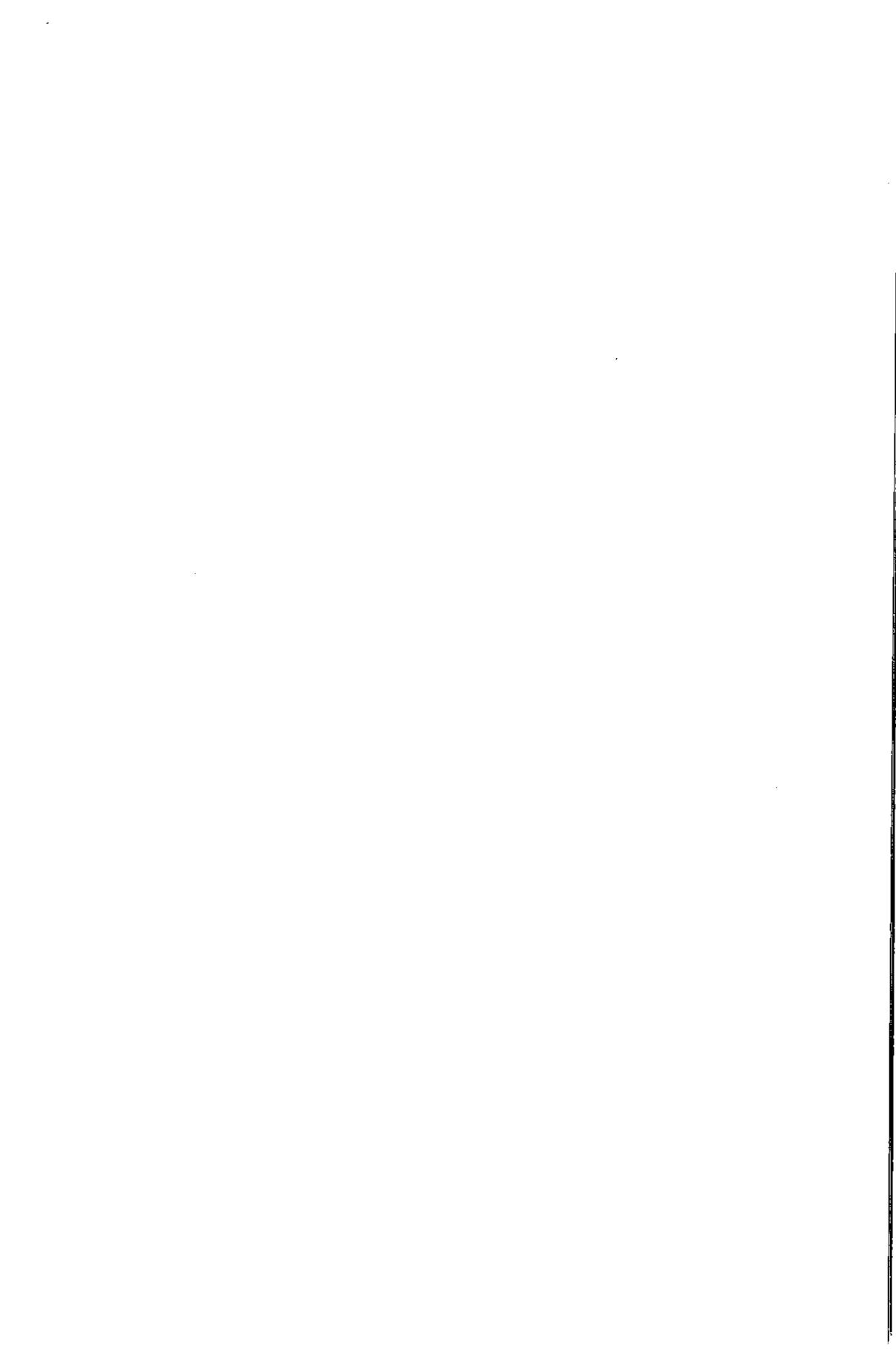
- التبادل يجب ان تتم باسم الجبهة وليس المنظمة، وـ"القناة المجرية" لم تكن بقرار المكتب السياسي.
- ٧) شارك في اللقاء من الجانب الفلسطيني ابو مازن، سليمان النجاب، ومدحود نوبل، ونبيل عمر، وحسن عصفور، ومن الحزب الشيوعي الاسرائيلي توفيق طوبي (ابو الياس)، وعلى عاشور.
- ٨) سجل ابو ایاد كلمة على كاسيت فيديو عرضت في القدس قال فيها: "كنا نعتقد ان فلسطين بكمالها لنا" وعاد واکد على قرارات المجلس الوطني التي اقرت مبادرة السلام ودولتين للشعبين على ارض فلسطين، في حينه، اثار كلام ابو ایاد عن المفاوضات الثانية زوبعة فلسطينية، وشنت منظمات الرفض الفلسطينية حملة قوية ضده وضدتها واعتبرتها تغريطا بالقضية الوطنية. الى ذلك، رحبت قوى السلام الاسرائيلية والقوى العربية في اسرائيل بالتصريح.
- ٩) شارك في اللقاء بالإضافة الى بشير البرغوثي كل من: سليمان النجاب، نعيم الاشهب، وابو نضال، الحسيني، وحسن عصفور، وممثل الجبهة مددوح نوبل وغازى الخليلي ممثل الجبهة في براغ.
- ١٠) هذا ما رواه فيصل حوراني عضو المجلس الوطني الفلسطيني والكاتب السياسي الفلسطيني المعروف.
- ١١) شارك في اللقاء الثاني من راكح توفيق طوبا ابو الياس وعلى عاشور، ومن الجبهة مددوح نوبل وغازى الخليلي عضو اللجنة المركزية للجبهة ممثلاً في مكتب المنظمة في براغ.
- ١٢) في حينه، كان ابو اللطف من ابرز المعارضين في قيادة فتح للانتفاضة على الاردن، وكان عدد من كوادر فتح العاملين في الدائرة السياسية والمنظمات الشعبية يؤدون موقنه. وكان رأيه ان الافتتاح على الاردن الان يفتح شهية النظام الاردني على مقاسمة الفلسطينيين نتائج الحوار، ويحيي الخيار الاردني من جديد، ويشجع الادارة الامريكية على التنسك بموقفها الداعي الى اعطاء دور رئيسي للاردن. وكان موقفه ينطاطع مع الجبهتين الديمقراطية والشعبية وبباقي المنظمات الفلسطينية المقيبة في دمشق.
- ١٣) حضر اجتماع القيادة الفلسطينية يوم ٢٤/٣/١٩٨٩ كل من: ابو عمار، ابو ایاد، ابو مازن، محمود درويش، جوید الخصين، ابو الهول، القس ايليا، سليمان النجاب، ابو اللطف، ياسر عبد ربه، مددوح نوبل، ابو عذاب، عبد الله الحوراني، جمال الصوراتي، مصطفى ممثل عن جبهة النضال، ابو احمد حلب ممثل عن جبهة التحرير الفلسطينية، ابو خالد (العربية)، حسن عصفور، ابو المعتصم.
- ١٤) ابو عذاب ممثل الجبهة الشعبية في المجلس العسكري الاعلى، كان يقيم في تونس وشارك في اجتماعات القيادة الفلسطينية ولجنة الانتفاضة بناء على قرار حزني، بعد تعدد قيادة الجبهة الشعبية تعييب ابو علي وابو نضال مسلمي عن المشاركة في اجتماعات هذه الهيئة.
- ١٥) بعد تسلم السلطة المدن الفلسطينية، قام ابو عمار بزيارة مدينة قلقيلية وبقية المدن "المحررة". وزار بعدها عمان بناء على دعوة رسمية، وهناك التقى به حيث كنت اقيم بعد ابعادي من قبل رابين. في بداية اللقاء استذكر ابو عمار حديث المشير ابو غزاله، وقال هل تصدق؟ زرت قلقيلية التي اعتبرها ابو غزاله مشكلة عويصة مثل القدس، واکد تفاؤله بقيام الدولة على كل الاراضي وانه سيزور القدس كما زار قلقيلية.
- ١٦) في حينه، داهمت المخابرات الاردنية منزل ساجي سلامة ابرز شخصيات الجبهة في الاردن، مستول لجنة الداخل في عمان، وعضو اللجنة الوطنية العليا للوطن المحتل وعضو اللجنة الفرعية للانتفاضة وصادرت منه بعض الوثائق وجهاز فاكس وآلة طباعة.
- ١٧) راجع نص محضر وفد الجبهة بالخارجية السوفيتية، ملحق رقم (١١).

- (١٨) راجع نص النقاط كاملاً ملحق في كتاب ممدوح نرفل، الانقلاب، (عمان: دار الشروق، ١٩٩٦)
- (١٩) راجع نص رد بيكر على الاستئلة الفلسطينية والرد الفلسطيني على الرد ملحق رقم (١٢)، وملحق رقم (١٣).
- (٢٠) بعد قيادته حركة انشقاق عن القيادة العامة بزعامة احمد جبريل، شكل محمد عباس (ابو العباس)، جبهة التحرير الفلسطينية، ولاحقا تم تمثيلها في اطار اللجنة التنفيذية المنظمة. وبالرغم من اتخاذها مواقف معارضة للتوجهات السياسية الفلسطينية المركزية الا انها ظلت تعارض من داخل الاطر الرسمية. الى ذلك نسج ابو العباس علاقة قوية مع ليبيا والعراق، وخصوصاً اجهزة الامن والاستخبارات العراقية، وتلقى مساعدات مالية وعسكرية مهمة من الطرفين، ونفذ عملية اكلي لازرو بمساعدة هؤلاء. ولاحقا تمت تسمية علي اسحق ممثلاً لجبهة التحرير في اللجنة التنفيذية بدلاً من ابو العباس.
- (٢١) هواري وابو الطيب من مسؤولي اجهزة الامن الفلسطينية التي كانت مرتبطة بابو عمار. الاول كان يعمل مسؤولاً عن الفرع الخارجي في الامن المركزي، واستشهد في حادث سير على طريق عمان- بغداد. والثاني كان يشغل مهمة رئيس جهاز امن ابو عمار الخاص قوات الـ ١٧.
- (٢٢) فاجأ هجوم القوات العراقية الدول العربية، ولم يكن ايها منها يتوقع ان تكون الخلافات بين الطرفين سبباً لعمل كبير. وخلال اقل من ٤٨ ساعة، احتل العراق الكويت، ورفض النظام العراقي كل القرارات الدولية وكل الوساطات العربية والأوروبية، التي حثته على سحب قواته. ونجحت ادارة بوش في حشد ما يزيد على ٤٠٠ ألف جندي في منطقة الخليج، وشنست يوم ١٦ كانون ثاني/يناير ١٩٩١ هجوماً شاملًا على العراق وتم طرد قوات من الكويت.
- (٢٣) تمكنت الاستخبارات الاسرائيلية من زرع احد عملائها ضمن مجموعة الحراس الشخصية لأبي الهول. وفي يوم ١٤/١/١٩٩١ ، بادر العميل (لقبه حمزة) بإطلاق النار، دون مقدمات، على ابو ایاد وابو الهول وأبو محمد العمري في منزل المرحوم ابو الهول واستشهد ثلاثة على الفور. والعميل حسب اعترافاته لاحقاً، كان على علاقة تنظيمية مع المجلس الثوري (جماعة صبري البنا - ابونضال)، وانتقل الى صفوف حركة فتح واكتسب ثقة ابو الهول.
- (٢٤) بعد غزو الكويت، اعلن العراق عن امتلاكه اسلحة كيماوية وجرثومية كافية لتدمر اسرائيل، وهدد بأنه في حال تعرضه لهجوم اسرائيلي او امريكي فإنه سيقصد المدن والمنشآت الحيوية الاسرائيلية. ونفذ تهدياته وقصف التجمعات المدنية والاقتصادية والعسكرية الاسرائيلية بصواريخ عادية بعيدة المدى لا تحمل اسلحة محرمة.



الملاحق

- (١) اعلان الاستقلال، وقيام الدولة الفلسطينية، ١٩٨٨/١١/١٥
- (٢) بيان البندقية الصادر عن مجموعة الدول الاوروبية، ١٩٨٠/٦/٩
- (٣) اعلان القاهرة الذي تلاه رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، ١٩٨٥/١١/٧
- (٤) رسالة بولياكوف حول اللقاء مع مورفي، ١٩٨٧/٧/١٧
- (٥) رسالة مبارك للملوك والرؤساء العرب حول قمة العقبة، ١٩٨٨/١٠/٢٤
- (٦) رسالة شولتس الى وزير الخارجية السويدى اندرسون، ١٩٨٨/١٢/٣
- (٧) مشروع بيان م.ت.ف. وتعديلاته م.ت.ف. بخط ياسر عبد ربه، ١٩٨٨/١٢/٦
- (٨) بيان ياسر عرفات في المؤتمر الصحفي في جنيف تمهيداً للحوار مع الامريكان، ١٩٨٨/١٢/١٤
- (٩) بيان جورج شولتس حول الحوار مع م.ت.ف، ١٩٨٨/١٢/١٤
- (١٠) رسالة ابو مازن المفتوحة، الى "الحكيم" جورج حبش، ١٩٨٩/٣/١٤
- (١١) لقاء وقد الجبهة الديمقراطية في الخارجية السوفيتية، ١٩٨٩/٧/١٩
- (١٢) رد وزير الخارجية الامريكية بيكر على الاستلة الفلسطينية، ١٩٨٩/١١/١٦
- (١٣) رد اللجنة التنفيذية على رد الوزير بيكر، ١٩٨٩/١١/٢٧
- (١٤) رسالة القيادة المركزية للجبهة الديمقراطية في المناطق المحتلة حول مبادرة السلام الفلسطينية، ١٩٨٩/١١/١٤



وثيقة رقم (١)

اعلان الاستقلال

١٩٨٨/١١/١٥

على ارض الرسالات السماوية الى البشر، على ارض فلسطين ولد الشعب العربي الفلسطيني، نما وتطور، وابدع وجوده الانساني والوطني عبر علاقته عضوية، لا انفصال فيها ولا انقطاع، بين الشعب والارض والتاريخ.

بالثبات الملحمي في المكان والزمان، صاغ شعب فلسطين هويته الوطنية، وارتقي بضموده في الدفاع عنها الى مستوى المعجزة، فعلى الرغم مما اثاره سحر هذه الارض القديمة وموقعها الحيوي على حدود التشابك بين القوى والحضارات من مطامع ومطامع وغزوارات كانت ستؤدي الى حرمان شعبها من امكانية تحقيق استقلاله السياسي، الا ان ديمومة التصادق الشعوب بالارض هي التي منحت الارض هويتها، ونفخت في الشعب روح الوطن. مطعماً بسلالات الحضارة، وتعدد الثقافات، مستلهماً نصوص تراثه الروحي والزمني، واصل الشعب العربي الفلسطيني، عبر التاريخ، تطوير ذاته في التوحد الكلي بين الارض والانسان وعلى خطى الانبياء المتواصلة على هذه الارض المباركة، اعلى على كل مئذنة صلاة الحمد للخالق ويدق مع جرس كل كنيسة ومعبد ترنيمة الرحمة والسلام .

ومن جيل الى جيل، لم يتوقف الشعب العربي الفلسطيني عن الدفاع الباسل عن وطنه ولقد كانت ثورات شعبنا المتلاحقة تجسداً بطولياً لارادة الاستقلال الوطني. ففي الوقت الذي كان فيه العالم المعاصر يصوغ نظام قيمه الجديدة كانت موازين القوى المحلية والعالمية تستثنى الفلسطيني من المصير العام فاتضح مرة اخرى ان العدل وحده لا يسير عجلات التاريخ. وهكذا انفتح الجرح الفلسطيني الكبير على مفارقة جارحة: فالشعب الذي حرم من الاستقلال وتعرض وطنه لاحتلال من نوع جديد، قد تعرض لمحاولة تعليم الاكذوبة القائلة "ان فلسطين هي ارض بلا شعب". وبالرغم من تزييف هذا التاريخ، فإن المجتمع الدولي، في المادة ٢٢ من ميثاق الامم المتحدة لعام ١٩١٩، وفي معاهدة لوزان لعام ١٩٢٢، قد اعترف بأن الشعب العربي الفلسطيني شأنه شأن الشعوب العربية الأخرى، التي انسلخت عن الدولة العثمانية هو شعب حر مستقل.

ومع الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني بتشريده وحرمانه من حق تقرير المصير اثر قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ عام ١٩٤٧م، الذي قسم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية، فإن هذا القرار ما زال يوفر شروطاً للشرعية الدولية تضمن حق الشعب الفلسطيني في السيادة والاستقلال الوطني.

ان احتلال القوات الاسرائيلية الارض الفلسطينية واجزاء من الارض العربية، واقتلاع غالبية الفلسطينيين وتشریدهم عن ديارهم، بقوة الارهاب المنظم، واخضاع الباقيين منهم للاحتلال والاضهاد ولعمليات تدمير معالم حياتهم الوطنية، هو انتهاك صارخ لمبادئ الشرعية، ولم يتحقق الامم المتحدة ولقراراتها التي تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية بما فيها حق العودة وحق تقرير المصير، والاستقلال والسيادة على ارض وطنه.

وفي قلب الوطن وعلى سياجه، في المنافي القريبة والبعيدة، لم يفقد الشعب العربي الفلسطيني ايمانه الراسخ بحقه في العودة، ولا ايمانه الصلب بحقه في الاستقلال. ولم يتمكن الاحتلال والمجازر والتشريد من طرد الفلسطيني من وعيه وذاته. ولقد واصل نضاله الملحمي، وتابع بلورة شخصيته الوطنية من خلال التراكم النضالي المتمايز وصاغت الارادة الوطنية اطارها السياسي، منظمة التحرير الفلسطينية، ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني، باعتراف المجتمع الدولي، ممثلا بهيئة الامم المتحدة، ومؤسساتها والمنظماتاقليمية والدولية الاخرى.

وعلى قاعدة الایمان بالحقوق الثابتة، وعلى قاعدة الاجماع القومي العربي، وعلى قاعدة الشرعية الدولية، قادت منظمة التحرير الفلسطينية معارك شعبها العظيم، المنصره في وحده الوطنية المثلث، وصموده الاسطوري امام المجازر والحسnar في الوطن وخارج الوطن. وتجلت ملحمة المقاومة الفلسطينية في الوعي العربي وفي الوعي العالمي، بصفتها واحدة من ابرز حركات التحرر الوطني في هذا العصر.

ان الانتفاضة الشعبية الكبرى، المتصاعدة في الارض المحتلة مع الصمود الاسطوري في المخيمات داخل وخارج الوطن، قد رفعا الارباك الانساني بالحقيقة الفلسطينية وبالحقوق الوطنية الفلسطينية الى مستوى اعلى من الاستيعاب والتضجع. واسدللت ستار الختام على مرحلة كاملة من التزييف ومن خمول الضمير، وحاصرت العقلية الاسرائيلية الرسمية التي ادمنت الاحتكام الى الخرافية والارهاب في نفيها الوجود الفلسطيني.

مع الانتفاضة وبالتراكم الثوري النضالي لكل موقع الثورة يبلغ الزمن الفلسطيني احدى لحظات الانعطاف التاريخي الحادة ليؤكد الشعب العربي الفلسطيني، مرة اخرى حقوقه الثابتة وممارستها فوق ارضه الفلسطينية.

واستنادا الى الحق الطبيعي والتاريخي والقانوني للشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين وتضحيات اجياله المتعاقبه دفاعا عن حرية وطنهم واستقلاله وانطلاقا من قرارات القمم العربية. ومن قوة الشرعية الدولية التي تجسدتها قرارات الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٧، وممارسة الشعب العربي الفلسطيني لحقه في تقرير المصير والاستقلال السياسي والسيادة فوق ارضه.

فإن المجلس الوطني الفلسطيني يعلن؛ باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

ان دولة فلسطين هي للفلسطينيين اينما كانوا، فيها يطربون هويتهم الوطنية والثقافية، ويتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق، وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية، في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على اساس حرية الرأي وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأقلية حقوق الأقلية واحترام الأقلية قرارات الأغلبية، وعلى العدل الاجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق او الدين او اللون او بين المرأة والرجل، في ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل وعلى اساس الوفاء الكامل لتراث فلسطيني الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمح بين الاديان عبر القرى.

ان دولة فلسطين دولة عربية. هي جزء لا يتجزأ من الامة العربية، من تراثها وحضارتها، ومن طموحها الحاضر الى تحقيق اهدافها في التحرر والتطور والديمقراطية والوحدة. وهي اذ تؤكد التزامها بميثاق الجامعة العربية، واصرارها على تعزيز العمل العربي المشترك، تناشد ابناء امتها مساعدتها على اكمال ولادتها العملية، بحشد الطاقات وتكتيف الجهود لانهاء الاحتلال الاسرائيلي. وتعلن دولة فلسطين التزامها بمبادئ الامم المتحدة واهدافها وبالاعلان العالمي لحقوق الانسان، والتزامها الكامل كذلك بمبادئ عدم الانحياز وسياسته.

واذ تعلن دولة فلسطين انها دولة محبة وسلام ملتزمة بمبادئ التعايش السلمي، فإنها ستعمل مع جميع الدول والشعوب من اجل تحقيق سلام دائم قائم على العدل واحترام الحقوق، تفتح في ظله طاقات البشر على البناء، ويجري فيه التنافس على ابداع الحياة وعدم الخوف من الغد، فالغد لا يحمل غير الامان لمن عدلوا او ثابوا الى العدل.

وفي سياق نضالها من اجل السلام على ارض المحبة والسلام، تهيب دولة فلسطين بالامم المتحدة التي تتحمل مسؤولية خاصة تجاه الشعب العربي الفلسطيني ووطنه، وتهيب بشعوب العالم ودوله المحبة للسلام والحرية ان تعينها على تحقيق اهدافها ووضع حد لمأساة شعبها، بتوفير الامن له وبالعمل على انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية. كما تعلن، في هذا المجال، انها تؤمن بتسوية المشاكل الدولية والاقليمية بالطرق السلمية وفقا لميثاق الامم المتحدة وقراراتها. وإنها ترفض التهديد بالقوة او العنف او الارهاب، او باستعمالها ضد سلامة اراضيها واستقلالها السياسي او سلامها اراضي اي دولة اخرى، وذلك دون المساس بحقها الطبيعي في الدفاع عن اراضيها واستقلالها.

وفي هذا اليوم الخالد، في الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٨ ونحن نقف على اعتاب
عهد جديد، ننحني اجلالاً وخشوعاً امام ارواح شهدائنا وشهداء الامة العربية الذين
أضاعوا بدمائهم الطاهرة شعلة هذا الفجر العتيق، واستشهادوا من اجل ان يحيا الوطن.
ونرفع قلوبنا على ايدينا لتملأها بالنور القادر من وهج الانتفاضة المباركة، ومن ملحمة
الصادمين في المخيمات وفي الشتات وفي المهاجر، ومن حملة لواء الحرية: اطفالنا
وشيوخنا وشبابنا، اسرانا ومعتقلينا وجرحانا المرابطين على التراب المقدس وفي كل
مخيم وفي كل قرية ومدينة. والمرأة الشجاعة حارسة بقائنا وحياتنا، وحارسة نارنا
الدائمة. ونعاهد ارواح شهدائنا الابرار، وجماهير شعبنا العربي الفلسطيني وامتنا
العربية وكل الاحرار والشرفاء في العالم على مواصلة النضال من اجل جلاء الاحتلال،
وترسيخ السيادة والاستقلال ، اتنا نندعو شعبنا العظيم الى الالتفاف حول علمه الفلسطيني
والاعتزاز به والدفاع عنه ليظل ابداً رمزاً لحريتنا وكرامتنا في وطن سبقى دائمًا وطناً
حرًا لشعب من الاحرار.

وثيقة رقم (٢)

بيان البندقية الصادر عن مجموعة الدول الاوروبية

٩ حزيران ١٩٨٠

أولاً: اجرى رؤساء دول وحكومات وزراء خارجية البلدان التسعة تبادلاً مهما لوجهات النظر حول الوضع السائد حالياً في الشرق الاوسط بكل عناصره بما في ذلك ما وصلت اليه المفاوضات المنبثقة عن الاتفاques المبرمة بين مصر واسرائيل في مارس ١٩٧٩. وقد اتفقوا على ان حالات التآزم المتزايدة في المنطقة تشكل خطراً جدياً وتجعل من الضروري والماجي ايجاد حل شامل للنزاع العربي- الإسرائيلي.

ثانياً: تعير البلدان التسعة الاعضاء في المجموعة الاوروبية عن اعتقادها ان الروابط التقليدية والمصالح المشتركة التي تربط اوروبا بالشرق الاوسط تحتم عليها القيام بدور خاص وتفرض عليها اليوم العمل بصورة ملموسة لصالح السلام.

ثالثاً: في هذا الصدد تستند بلدان المجموعة على قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٢٣٨ وعلى المواقف التي عبرت عنها في عدة مناسبات وخاصة البيانات التي صدرت في ٢٠ يونيو ١٩٧٧ و ١٩ سبتمبر ١٩٧٨ و ٢٦ مارس و ١٨ يونيو ١٩٧٩، وكذلك الموقف التي تضمنها الخطاب الذي القاه باسمها يوم ٢٥ سبتمبر الماضي وزير الخارجية الايرلندي في الدورة ٣٤ للجمعية العامة للامم المتحدة.

رابعاً: على الاسس الموضحة اعلاه حان الوقت لتسهيل تطبيق مبدأين مقبولين عالمياً والاعتراف بهما من طرف المجموعة الدولية وهما الحق في الوجود والامن لكل دول المنطقة بما في ذلك اسرائيل، والعدل لكل الشعوب بما يفرض الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

خامساً: لكل بلدان المنطقة الحق في العيش بسلام داخل حدود أمنة ومعترف بها ومضمونة، ويجب ان تقدم ضمانات الحل السلمي من طرف الامم المتحدة بقرار من مجلس الامن، وان يكون ذلك على قاعدة اجراءات أخرى تحظى بالموافقة المشتركة، وتعلن البلدان التسعة استعدادها للمشاركة في اطار حل شامل في نظام ضمانات دولية ملموسة وملزمة بما في ذلك في الميدان.

سادساً: ان المشكلة الفلسطينية التي ليست مجرد مشكلة لاجئين يجب ان تجد

اخيرا حلا عادلا وان الشعب الفلسطيني الذي يؤمن بوجوده كشعب يجب تمكينه من ممارسة حقه في تقرير المصير بصورة كاملة عن طريق عمل ملائم يرد في إطار حل سلام شامل.

سابعا: ان ادخال هذه الاهداف حيز التنفيذ يستوجب موافقة ومساهمة كل الاطراف المعنية في حل سلمي، وان البلدان التسعة ستعمل على بلوغه على اسس المبادئ التي تضمنها البيانات المشار اليها سلفا، وان هذه المبادئ تلزم كل الاطراف المعنية بما في ذلك الشعب الفلسطيني وم.ت.ف. التي يجب اشراكتها في المفاوضات.

ثامنا: ان البلدان التسعة تعترف بالدور الهام جدا الذي تكتسبه مسألة القدس بالنسبة لكل الاطراف المعنية، وفي هذا الصدد فإن بلدان المجموعة تؤكد انها لا تقبل اية مبادرة تتخذ من جانب واحد تهدف الى تغيير وضع القدس، وان كل اتفاق حول وضع المدينة يجب ان يضمن حق حرية الدخول الى كل الاماكن المقدسة.

تاسعا: تؤكد المجموعة الاقتصادية الاوروبية ضرورة وضع اسرائيل حدا لاحتلالها الاراضي منذ نزاع ١٩٦٧ مثلا فعلى جزء من سينا، وهي تعبر عن يقينها الراسخ ان مستعمرات الاستيطان الاسرائيلية تمثل عقبة خطيرة امام مسيرة السلام في الشرق الاوسط. وتعتبر البلدان التسعة ان المستوطنات والتغييرات الديمغرافية والعقارية في الاراضي العربية المحتلة غير شرعية في نظر القانون الدولي.

عاشر: تعتقد البلدان التسعة الحريصة على وضع حد للعنف، ان التخلى عن القوة والتهديد باستعمال القوة من قبل الاطراف يمكن ان يخلق جو ثقة في المنطقة ويمثل عنصرا اساسيا لايجاد حل شامل لنزاع الشرق الاوسط.

حادي عشر: قررت البلدان التسعة القيام بالاتصالات الضرورية مع كل الاطراف المعنية. وتهدف هذه الاتصالات الى الاطلاع على مواقف الاطراف من المبادئ التي جاءت في هذا البيان، وعلى ضوء نتائج هذه الاستشارات ستحدد الشكل الذي قد تتخذه مبادرة تقوم بها بلدان المجموعة الاوروبية.

وثيقة رقم (٣)

اعلان القاهرة الذي تلاه رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

١٩٨٥/١١/١٧

كان الشعب الفلسطيني، وما يزال، يناضل في سبيل تحرير ارضه المحتلة وممارسة حقه في تقرير مصيره واقامة دولته، كشرط لازم لتحقيق سلام عادل ودائم في المنطقة تتعالى في ظله جميع شعوبها متحركة من اعمال الارهاب والقهر. ورغم التغيرات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة، خاصة في السنوات الاخيرة بدءاً بالعدوان الاسرائيلي على المنطقة في بيروت - لبنان العام ١٩٨٢، والغارة الاسرائيلية على تونس لضرب مقارن منظمة التحرير العام ١٩٨٥، فقد ظل الشعب الفلسطيني المناضل متمسكاً بالسلام، ساعياً لتهيئة المناخ في المنطقة وعلى الصعيد الدولي للتسوية السلمية العادلة، وقد قطعت المنظمة شوطاً متقدماً على هذا الطريق على مراحل بالغة الاهمية.

● قمة فاس العربية التي عقدت العام ١٩٨٢ وحسمت اختيار جميع الاطراف العربية، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، للسلام بضم مجلس الامن وفي ظل الشرعية الدولية، تلك القرارات التي اكدها قمة الدار البيضاء العام ١٩٨٥.

● اعلان جنيف الخاص بالمؤتمر الدولي لفلسطين عام ١٩٨٢، الذي اكده كل الدول في المنطقة في الوجود ضمن حدود آمنة ومعترف بها دولياً، بما في ذلك حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره فوق ارضه واقامة دولته المستقلة.

● الاتفاق الاردني الفلسطيني الموقع في ١١ شباط/فبراير ١٩٨٥ الذي ترجم خصوصية العلاقة المتميزة بين الشعبين الاردني والفلسطيني والتزامهما بمسيرة واحدة وتصور مشترك للهدف والوسيلة.

● التمسك المستمر بصيغة المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط الذي يحضره الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية والدول دائمة العضوية في مجلس الامن، وكذلك باقي الاطراف الاخرى المعنية في المنطقة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي اطار السعي لتحقيق تسوية سلمية عادلة، وانطلاقاً من نضال المنظمة، بجميع الوسائل المشروعة لاستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وحرياته الاساسية،

فإن منظمة التحرير تدين كل انتهاك لحقوق الانسان، وخاصة حقه في الحياة والامن، دون تفرقة على اساس العقيدة او الجنس او اللون.

ووفقا للجهود المبذولة لعقد المؤتمر الدولي للسلام، تعلن المنظمة شجبها وادانتها لجميع عمليات الارهاب، سواء تلك التي تتوارد فيها الدول او التي يرتكبها افراد او جماعات ضد الابرياء والعزل في اي مكان. وتؤكد منظمة التحرير قرارها الصادر في العام ١٩٧٤ بإدانة جميع العمليات الخارجية وكل اشكال الارهاب، وتحذر مجددا، التزام جميع فصائلها ومؤسساتها بهذا القرار، وان المنظمة سوف تتخذ ابتداء من اليوم كافة الاجراءات الرادعة بحق المخالفين. وننظرا لان الالتزام لا يتحقق من جانب واحد على المجتمع الدولي ان يلزم اسرائيل بوقف جميع الاعمال الارهابية في الداخل والخارج.

وتؤكد المنظمة، في هذا السياق، تمسكها بحق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي لارضيه بكل السبل المتاحة بهدف تحقيق الانسحاب من هذه الاراضي، لان حق مقاومة الاحتلال الاجنبي حق مشروع لا يمكن انكاره في ظل ميثاق الامم المتحدة، الذي دعا الى نبذ استخدام القوة او التهديد بها لتسوية المنازعات واعتبر اللجوء للقوة خرقا لمبادئه واهدافه. ويتأكد حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال في الارض المحتلة بالقرارات العديدة التي صدرت عن منظمة الامم المتحدة والاحكام الواردة في اتفاقيات جنيف.

ان الاحداث تؤكد قناعة المنظمة بأن العمليات الارهابية التي ترتكب في الخارج تسعي الى قضية الشعب الفلسطيني وتشوه كفاحه المشروع في سبيل الحرية، ومن جهة اخرى فإنها ترسخ اعتقادها بأن انتهاء الاحتلال ووضع حد لسياسته هو السبيل الوحيد لاقرار الامن والسلام في المنطقة.

وتناشد م.ت.ف. كافة القوى المحبة للسلام في جميع انحاء العالم ان تقف الى جانبها وهي تتخذ هذه الخطوة للاسهام في تخلیص العالم من ظاهرة الارهاب، وتحرير الافراد من الخوف ووقايتهم من الخطر، لأن هدفنا في النهاية تحقيق السلام العادل والشامل وال دائم بما يضمن اقرار الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني من اجل اقامة المجتمع الامن في كل مكان.

وثيقة رقم (٤)

رسالة بولياكوف حول اللقاء مع مورفي

١٩٨٧/٧/١٧

تبادل الآراء هذه المرة كان أكثر موضوعية ويتعلق بالعوامل العملية لحل النزاع. مورفي أكد ان موقفهم يتتطور نحو المؤتمر الدولي باعتباره اطارا لتحقيق السلام بين اسرائيل والعرب. حاول الامريكان اظهار الامر وكأنهم ي يريدون اقامة جسر معنا. كما تبين لنا ان موقف امريكا لم يتغير جوهريا. نقطة انطلاق الموقف الامريكي تتمثل في السعي لجعل المؤتمر الدولي في صالحهم. وقال مورفي؛ عبر تحقيق اتفاقات جزئية ومرحلية رسمية او غير رسمية، وهذا ما يستجيب للوضع في المنطقة. ارضية المؤتمر الدولي كما قالوا؛ خمس نقاط، ويزعمون ان الاردن ومصر واسرائيل توافق عليها. وتبيّن لنا ان الحديث حولها كان أساساً مع بيرين، وهي:

١) المؤتمر يهدف لسلام شامل، ومفاضات مباشرة، باعتبارها الطريق الوحيد لتحقيق السلام.

٢) يمكن ان يشكل المؤتمر اطارا للمفاوضات المباشرة، ويتحول المؤتمر فورا بعد عقده الى المفاوضات الثانية المباشرة.

٣) لا يفرض المؤتمر قرارات على المشاركين ولا يرفض الاتفاques التي تتوصل اليها اطراف النزاع على اساس ثانوي.

٤) يعترف المشاركون بالقرارين ٢٤٢ و ٣٨ ويرفضون الارهاب.

٥) تبحث الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في سياق المباحثات. ويتمثل الفلسطينيون ضمن الوفد الاردني - الفلسطيني.

وعند التطرق لتركيب المؤتمر ذكر الامريكان دول المواجهة وفلسطين والدول الخمس. ويعتقدون انه من الممكن انشاء لجان ثنائية على اساس جغرافي فقط. وعند الاختلاف يمكن ان تلعب احدى الدول دائمة العضوية في مجلس الامن دورا وسيطا شريطة وجود طلب مناسب من قبل طرفي اللجنة الثنائية. وتجنب الطرف الامريكي بحث القضايا الأساسية. وأكد مورفي ان هذا الامر يهم الاطراف المعنية بالذات. وحسب فهمهم فإن

القرار ٢٤٢ يحدد مسائل تختص بالمفاوضات الثانية ولا يتعلق بطرق انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة.

تمت المناقشات في جو من التوتر حول التمثيل الفلسطيني و حول تقرير المصير، وركز الطرف الامريكي ليس على معارضه الامر بان م.ت.ف. هي الممثل بل على التأكيد بان اسرائيل لا تقبل التعامل معها باعتبارها طرفا مستقلة. وحسب رأيهما فإن المخرج يمكن في ان تتمكن م.ت.ف. من تعين ممثليها في عداد الوفد الاردني، والذين تقبل بهم تل ابيب.

ورفضوا الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين لانه سيعني اقامة دولة مستقلة، وهذا ما لا تقبله امريكا واسرائيل. وشكط الطرف الامريكي بإمكان انشاء اللجنة التحضيرية. ومع ذلك لم يرفض مورفي الاعداد المسبقة للمؤتمر. وحسب رأيه يمكن ان يجري بالاتصالات الثانية ومن ضمنها الطرف السوفييتي.

الطرف السوفييتي عبر عن موقفه: مؤتمر دولي ذو صلاحيات وبمشاركة الجميع بما فيها م.ت.ف. وعلى اساس الاخذ بالمصالح المشروعة لجميع اطراف النزاع. و أكدنا على ضرورة حل القضية الفلسطينية بصورة عادلة باعتبارها القضية المركزية. والسلام في الشرق الاوسط لا يتحقق الا عندما يتمكن الشعب الفلسطيني من تحقيق حقه غير القابل للتصرف في تقرير مصيره وفي الاختيار المستقل المستقبلي.

نقدنا التصور الامريكي للمؤتمر وانه منحرف ومنحاز لاسرائيل ويتجاهل المصالح العربية وحقوق الشعب الفلسطيني. لذلك لا معنى لاشراك الطرف العربي في مؤتمر دولي يحاول الامريكان عقده، ولا يمكن لهذا الطريق ان يحقق سلاما عادلا وثابتا في المنطقة.

و حول الحرب العراقية الإيرانية، فهم من اقوال الامريكان انهم قلقون من انتشار الافكار الاسلامية، وأنهم مستعدون للتعاون مع الاتحاد السوفييتي لوقف الحرب، وارتكابهم للقرار الاول الصادر عن مجلس الامن والتعاون بضد القرار الثاني الذي يتخذ اجراءات عقابية. ستواصل امريكا تعزيز وجودها في الخليج، ولا يستبعد ان يتم استفزاز ايران، بما فيها القيام باعمال ارهابية، وكل ذلك لزيادة التوتر في الخليج، وهم يريدون ازالة الآثار السلبية لایران غيت، وتقوية موقع امريكا في هذه المنطقة الحيوية.

وثيقة رقم (٥)

رسالة الرئيس مبارك للرؤساء العرب حول قمة العقبة

١٩٨٨/١٠/٢٤

تحية طيبة وبعد

ابعث اليكم والى شعوبكم الشقيق بأصدق التهنئة القلبية في ذكرى المولد النبوى الشريف، واعاده الله على امتنا باليمين والبركات.

وقد رأيت من المناسب ان اضعكم في الصورة بالنسبة لنتائج المحادثات التي اجريتها مع أخي جلاله الملك حسين بن طلال والاخ ياسر عرفات في العقبة يوم ٢٢ اكتوبر الجارى، وكذلك اللقاء الذى عقد في اليوم التالي بيني وبين الاخ الرئيس صدام حسين في بغداد.

وتعلمون انتا كنا نسعى طوال الفترة الماضية الى اعادة بناء جسور الثقة بين المملكة الاردنية الهاشمية الشقيقة ومنظمة التحرير الفلسطينية باعتبار ان العلاقة الطيبة بينهما اساس لازم لبلورة موقف عربي موحد، قادر عن التعبير بقوه عن امانى شعوبنا وأمالها المشروعة، وتطلعاتها الى مستقبل افضل يتميز بالاستقرار والشعور بالامان والقدرة على ممارسة حقوقها وحماية مقدساتها. ولم ندخر جهدا في سبيل تهيئه الظروف المواتية لتحقيق التقارب بين هؤلاء الاخوة الذين يقفون في خندق واحد ويواجهون نفس التحديات.

وتم بحمد الله ترتيب لقاء في العقبة صباح السبت ٢٢ اكتوبر، واتفق على عدم الاعلان عن هذا الموعد لاسباب تقدرونها. وتوجهت ومعي السيد ياسر عرفات في الموعد المحدد لاجراء اللقاء فور وصولنا. وجدنا مناخا وديا يعكس عمق الروابط المصيرية بين الطرفين، واستعدادا متباينا للتحدث بالاسلوب الذي يحقق المصلحة المشتركة.

وقد عقدنا لقاءات ثلاثة مغلقة استمرت طوال اليوم. كما اقام العاهل الاربىي غداء عمل ضم اعضاء الوفود المرافقة، ودارت في هذه اللقاءات مناقشات صافية، طرحت فيها كافة القضايا المعلقة بروح تتسم بالود والمصارحة والحرص المشترك على تغليب المصلحة

القومية الواحدة وازالة الحساسيات والرواسب التي تم خضت عن بعض الممارسات التي شهدتها السنوات الاخيرة.

وكان هناك تسلیم من الطرفین بأهمية الحفاظ على خصوصية العلاقة بينهما وعدم التفريط بها او المساس بها، وفي هذا الاطار فقد تفهم الجانب الفلسطيني الاجراءات التي اتخذتها المملكة الاردنية الهاشمية مؤخراً بشأن الرابطة القانونية مع الضفة الغربية. واعتبر ان هذه السياسية متى وضعت في سياقها الصحيح كفيلة بأن تصبح عنصراً ايجابياً يمكن استثماره لتعزيز مسيرة الشعب الفلسطيني على طريق تحرير الارض واستخلاص الحقوق الوطنية المشروعة.

وأتصالاً بهذا، فقد اعرب السيد ياسر عرفات عن حرصه هذا الشعب الشقيق على اقامة اتحاد كونفدرالي بين دولته - عندما تنشأ - وبين الاردن، طبقاً للصيغة التي يرتضيها الطرفان، وهو امر لا يلقى اعتراضاً من جانب الاردن حتى بعد قرار فك الارتباط.

كذلك فقد قمنا باستعراض الموقف في الارض المحتلة وضرورة توظيف اتفاقية الجماهير الفلسطينية الواعية لخدمة قضيتها العادلة، واقناع اسرائيل باستمرار التطرف الاسرائيلي. واتفق على الاستمرار في تهيئة المناخ لعقد المؤتمر الدولي للسلام والحصول على موافقة جميع الاطراف على مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في اعماله بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب صاحب القضية.

وتجاوينا مع اقتراح قدمناه في هذه المباحثات، قبل الاشقاء الاردنيون والفلسطينيون ارجاء الحديث حول كيفية تشكيل الوفود العربية التي تقوم بالتفاوض في المؤتمر. على اساس ان من السابق لوانه ان يسلط الجانب العربي الاشواء على هذه النقطة في الوقت الذي لم تتخذ فيه اسرائيل الخطوة الاولى المطلوبة منها، وهي الموافقة رسمياً على عقد هذا المؤتمر نزولاً على الاجماع الدولي الشامل، ولن يكون من الصعب الاتفاق على هذه النقطة بعد ان يصبح المؤتمر حقيقة لا ريب فيها.

وطرح رئيس اللجنة التنفيذية تصور القيادة الفلسطينية لما يمكن انجازه في الدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني التي تقرر عقدها في الثاني عشر من شهر نوفمبر القادم في العاصمة الجزائرية. ويقوم هذا التصور على اعلان دولة فلسطينية تطبيقاً لقرار رقم ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وانشاء دولتين على ارضها للعرب واليهود، وبذلك يكون هذا القرار هو اساس الشرعية القانونية والأخلاقية لقيام الدولة الفلسطينية اليوم، بعد ان قامت الدولة اليهودية، ويبعد ان الاخوة الفلسطينيون يدركون اهمية التمييز بين الدولتان القانونية للقرار ١٨١ وتطبيقاته

على الحدود الجغرافية، مما يستلزم تحقيق التزام بين القرار المذكور وقرار ٢٤٢ المرجع القانوني لمقاصد السلام في إطار المؤتمر الدولي.

اما فيما يتعلق بتشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة فالرأي الفلسطيني ميال الى تأجيل هذه الخطوة الى مرحلة تالية على اساس انها ليست ضرورية في الوقت الراهن.

والى جانب هذا، تحذر القيادة الفلسطينية ان يطلب المجلس الوطني من منظمة الامم المتحدة ان تقوم بحماية الفلسطينيين في الارض المحتلة الى ان يزول الاحتلال ويصبح الشعب الفلسطيني قادرا على ممارسة سيادته. وكان واضحا ان الفلسطينيين ينظرون بايجابية الى اشارة الولايات المتحدة للحقوق السياسية للشعب الفلسطيني على اسان الرئيس زيفان وزير خارجيته شولتس بعد ان كانت الولايات المتحدة تقتصر على الحديث عن الحقوق الفلسطينية من منظورها الانساني وعن وجوب العمل على تحسين ظروفه المعيشية.

كذلك فقد كان هناك تقييم ايجابي لبعض الظواهر الاخرى التي شهدتها الساحة الامريكية، ومنها تفجر الخلاف بين الجماعات اليهودية المتشددة في تأييد الموقف الاسرائيلي مهما بلغ من التعنت والتطرف، والجماعات اليهودية الاخرى التي أصبحت تنادي علانية بقصر تأييدها على الجوانب المعتدلة في السياسة الاسرائيلية، وتدعوا الى الدخول في حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، بهدف خدمة قضية السلام .

ومن الظواهر الايجابية كذلك، الحديث الذي ادلّى به وزير الدفاع الامريكي كارلوتشي مؤخرا، وضمنه نقدا صريحا لجماعات الضغط التي تعمل لصالح اسرائيل في الولايات المتحدة، وتدفع الحكومة الامريكية لاتخاذ مواقف غير ودية تجاه دول عربية صديقة. وكانت هذه اول مرة يشير فيها مسؤول امريكي بهذا المستوى الى تلك الحقيقة بصراحة دون مواربة. ورغم ان الادارة الحالية تعتبر في ايامها الاخيرة، الا ان اتخاذها لهذا الموقف لا يخلو من دلالة، ولابد ان يكون له تأثيره على السياسة التي تنتهجها الادارة الجديدة، خاصة اذا نجح المرشح الجمهوري بوش في الانتخابات القادمة.

وباختصار، فقد ظهرت من خلال المباحثات التي دارت في العقبة ارضية مشتركة يستطيع الجانب العربي ان يقف عليها وهو يواجه اسرائيل في معركة السلام التي لا تقل ضراوة عن المعارك الحربية الطاحنة، ومن ثم اصبح الموقف العربي قويا في مواجهة اسرائيل وايجابيا في نظر القوى الدولية المؤثرة. مطمئنا لجماهير الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة وخارجها. وبات واضحا ان العرب قد استردوا المبادرة، وتمكنوا من وضع اسرائيل امام مسؤولياتها في هذه الايام السابقة على اجراء الانتخابات.

وكان طبيعياً أن ت تعرض مباحثات العقبة للموقف في لبنان الشقيق فتم استعراض هذا الموقف المأساوي من شتى جوانبه، وكان هناك اتفاق على خطورة استمرار تردي الأوضاع في هذا القطر الشقيق، وضرورة وضع حد للتدخلات الخارجية في شؤونه. تلك التدخلات التي حالت دون انتخاب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب، وادت إلى الدوليات الطائفية التي أصبحت حقيقة واقعة، رغم ما يحمله هذا الوضع من مخاطر للبنان.

وتحدث السيد ياسر عرفات عن العدوان الذي يتعرض له الفلسطينيون في جنوب لبنان فقال انه في الوقت الذي كانت الطائرات الاسرائيلية تقصف قريتي مشغرة وعين التينة اللتين يتواجد فيها الفلسطينيون، قامت قوات أمل الموالية لسوريا بتصفير هذين الموقعين بالمدفعية قصباً مركزاً بصورة لا تدع مجالاً للشك في ان هناك تنسيقاً بين الطرفين في شن العدوان على الفلسطينيين وارهابهم.

وازاء هذه التحديات التي تواجهها الامة العربية، ذكر جلالة الملك حسين انه ربما كان الوقت مناسباً لكي تجتمع قمة عربية طارئة لمعالجة الموقف، وإذا لقيت هذه الفكرة استحساناً لدى الملوك والرؤساء العرب، فقد يرون عقد هذا المؤتمر الطارئ في بغداد لابراز تضامن البلدان العربية مع العراق الشقيق في سعيه لتحقيق السلام العادل في الخليج ووقفها معه ضد الحملة الظالمة التي يتعرض لها من بعض الدوائر التي لا تريد خيراً للامة العربية.

وفي نهاية المباحثات، اتفق العاهل الاردني ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية على متابعة هذا اللقاء والاستمرار في بحث القضايا التي اثيرت فيه، سواء تلك المتعلقة بالعلاقات الاردنية الفلسطينية، او تلك التي تتعلق بمسيرة السلام. وتم تكليف السادة ابو مازن ومحمد ملحم وهاني الحسن بالتوجه الى عمان لمواصلة بحث الامور العالقة مع المسؤولين الاردنيين.

وقد توجهت عقب انتهاء هذه المباحثات الى بغداد ومعي السيد ياسر عرفات حيث جرى استعراض للموقف، كشف عن تطابق وجهات النظر، واعرب الرئيس العراقي عن تقديره لقاء العقبة والنتائج الطيبة التي انبثقت عنه، وعن تأييده لتحرك منظمة التحرير الفلسطينية بهدف انتهاء الاحتلال وتمكن الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المشروعة.

وتعليقاً على الاقتراح الخاص بعقد قمة عربية طارئة في بغداد عبر الرئيس العراقي عن ترحيبه التام بعقد هذا المؤتمر في بلاده، من اجل دفع المسيرة القومية خطوات الى الامام، في وقت تتعرض فيه امتنا لامتحان عسيرة، وتواجه تحديات جسمية لا يملك احد منا ان يتجاهلها او يقلل من خطورتها .

وقد وجدت من المناسب ان ابلغكم بما تقدم لعله يشري رؤيتنا المشتركة للاوپساع في
وطننا العربي الكبير ويسمهم في تمكينا من تحقيق ما يعود على امتنا بالخير ويدفع عنها
الضرر والخطر.

وختاما ارجو ان تقبلوا فائق تحياتي الاخوية الصادقة
مع اطيب تمنياتي لكم بالتوفيق والسعادة

القاهرة في ١٢ ربيع الاول
١٩٠٤
الموافق ٢٤ من اكتوبر
١٩٨٨

وثيقة رقم (٦)

رسالة شولتس الى وزير الخارجية السويدي اندرسون

١٩٨٨/١٢/٣

سرى

وزارة الخارجية
واشنطن

١٩٨٨ ديسمبر ٣

عزيزي شتن :

تلقيت عن طريق السفير واتشمايسنر رسالتك بشأن الاجتماع الذي سيعقد في ستوكهولم الثلاثاء القادم . وإنني أقدر عظيم التقدير النهج البناء الذي تتبعه إزاء هذه المسألة . وتشكل الأوراق المرفقة رد على السؤال الذي أثرته في رسالتك . وأود أن أقدم ثلاث نقاط في هذا الشأن :

- أولاً ، إننا لن نشارك في أي جهد يجعل من تبادل الرسائل بداية لمفاضلات حول الصياغة . وبعبارة أخرى ، فإننا لن تقبل صياغات مقابلة .

- ثانياً ، إنني أدرك أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ترغب في أن تصضيف ، بعد البيان الذي اقترحناه ، بعض المواقف التي تشعر أنها ملتزمة بها والتي ترى أنها استمدت بيانها الأساسي منها . وليس لدينا اعتراض على قيامها بذلك ، على ألا تمثل هذه المواقف شرطاً لقبولها لشروطنا ، أو تتناقض معها .

- ثالثاً ، إن شيئاً مما ورد هنا لن يؤخذ على أنه يعني قبول الولايات المتحدة أو اعتراضها بدولة فلسطينية ممتدة .

ويمكنكم إطلاع زائركم على هذه الرسالة إذا اعتقدتم أن ذلك سيكون مفيداً .

المخلص

جورج ب . شولتز

مرفقات :
كما سبق ذكره

إلى صاحب السعادة
شتن اندرسون
وزير خارجية السويد
ستوكهولم

سرى

وثيقة رقم (٧)

مشروع بيان م.ت.ف. مع تعديلات م.ت.ف. بخط ياسر عبد ربه

مشروع بيان منظمة التحرير الفلسطينية

بعضها القائمة بدور

الحكومة المؤقتة
لدولة فلسطين

مساعية منها في السعي إلى حمل عادل ودائم في الشرق الأوسط ، تزداد للجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أن تصدر البيان التالي :

- ١ - إنها على استعداد للتفاوض مع إسرائيل حول قضايا شاملة للنزع العنصري
الإسرائيلي ~~على أساس قراري الأمم المتحدة ٢١٦ و ٢٣٨~~ .
~~XX~~
- ٢ - إنها تتندد بالعيش في سلام مع إسرائيل و غيرها الآخرين ، وأن تنتقم منهم في الرجود
في سلام داخل حدود أمنة و معارفها دولتها ، منها مثل دولة فلسطين البسيطة التي
ليس لها في ~~الكتلة العربية~~ ~~و خلاصها~~ . **الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧** .
~~X~~
- ٣ - إنها تدين الإجراءات التعسفية والجاسوسية والذهبية بقيادة أشكنازي ، وإنها لن تطأ إليه .
~~X~~
- ٤ - إنها ~~تحذر~~ ~~تحذر~~ ~~تحذر~~ على أهلنا هناك بمحاربتهم .

سرى / شديد الحساسية

(ترجمة المشروع الأمريكي لبيان منظمة التحرير الفلسطينية المقترن ، الذي
قدمه وزير الخارجية جورج شولتز إلى وزير خارجية العورد شان أندروسن ،
والتعديلات بخط اليد من الجانب الفلسطيني . ٦ ديسمبر ١٩٨٨)

وثيقة رقم (٨)

بيان ياسر عرفات في المؤتمر الصحفي في جنيف تمهيداً للحوار مع الامريكان

١٤ ديسمبر ١٩٨٨

دعوني أوضح آرائي أمامكم: إن رغبتنا في السلام هي استراتيجية وليس تكتيكاً مؤقتاً، إننا مصممون على السلام مهما يحدث.

ان حصلنا على دولة يقدم الخلاص الى الفلسطينيين والسلام الى الفلسطينيين والاسرائيليين. ان تقرير المصير يعني "البقاء" للفلسطينيين، وان بقائنا لا يدمر بقاء الاسرائيليين كما يدعى حكامهم. أشرت امس في كلمتي الى قرار الامم المتحدة رقم ١٨١ (الخاص بتقسيم فلسطين) كأساس للاستقلال الفلسطيني؛ وكذلك اشرت الى قبولنا بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع اسرائيل ضمن اطار المؤتمر الدولي. ولقد تبني مجلسنا الوطني الفلسطيني، في دورته في الجزائر هذه القرارات.

وكان من الواضح في خطابي امس اننا نعني حق شعبنا في الحرية والاستقلال الوطني وفقاً للقرار ١٨١، وحق جميع الاطراف في نزاع الشرق الاوسط في الوجود في سلام؛ بما فيها دولة فلسطين واسرائيل والدول المجاورة الاخرى وفقاً للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨.

وفيما يتعلق بالإرهاب، فأنا رفضته امس بعبارات واضحة؛ ولكن اعده مرة أخرى واسجل اننا نرفض تماماً وبالطلاق جميع أشكال الإرهاب، بما فيها ارهاب الأفراد والجماعات والدولة.

بين الجزائر وجنيف اعلننا موقفنا بوضوح تام.

اي حديث آخر مثل، "ان على الفلسطينيين ان يقدموا اكثر"، او "هذا ليس كافياً"، او "الفلسطينيون يقومون بلعبة دعائية وتمارين في العلاقات العامة"، سيكون ضاراً وغير مفيد.

كفى، كل الامور المتبقية يجب ان تتم حول المائدة وضمن المؤتمر الدولي. ليكن واضحاً ان لا عرفات، ولا غيره، يمكن ان يوقف الانتفاضة. سوف تتوقف الانتفاضة فقط عندما تتخذ خطوات عملية وملموسة تجاه حصلنا على اهدافنا الوطنية واقامة دولة فلسطين. وفي هذا المجال اتوقع من السوق الاوروبية المشتركة ان تلعب دوراً اكثر

فعالية في تعزيز السلام في المنطقة. إنها تتحمّل مسؤولية سياسية ومسؤولية ادبية، وهي قاردة على النهوض بها.

أخيراً أعلن أمامكم، وأرجو أن تنقلوا عنّي ذلك: إننا نريد السلام؛ وإننا ملتزمون بالسلام؛ وإننا نريد أن نعيش في دولتنا الفلسطينية وندع الآخرين يعيشون.

وثيقة رقم (٩)

بيان جورج شولتس، حول الحوار مع م.ت.ف.

١٤ ديسمبر ١٩٨٨

اصدرت منظمة التحرير الفلسطينية اليوم بياناً وافقت فيه على قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، واعترفت بحق اسرائيل في الوجود في سلم وامن ونبذت الارهاب. ونتيجة لذلك فإن الولايات المتحدة مستعدة لاجراء حوار مضمونى مع ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية.

وأنتي اعين سفيرنا في تونس باعتباره القناة الوحيدة المخولة بإجراء هذا الحوار. وسيبقى هدف الولايات المتحدة كما كان دائماً هو السلام الشامل في الشرق الأوسط.

وفي ضوء ذلك، فإنني أرى في هذا التطور خطوة اخرى نحو بدء المفاوضات المباشرة بين الاطراف، فهي وحدها التي يمكن ان تقود الى هذا السلام. وإن شيئاً مما ورد هنا لن يؤخذ على انه يعني قبول الولايات المتحدة او اعترافها بدولة فلسطينية مستقلة.

وان موقف الولايات المتحدة هو ان وضع الضفة الغربية وغزة لا يمكن ان يتقرر باعمال منفردة لاي من الجانبيين، وإنما فقط من خلال عملية مفاوضات. وإن الولايات المتحدة لا تعترف باعلان دولة فلسطينية مستقلة.

ومن الاممية بمكان ايضا التأكيد على ان التزام الولايات المتحدة بامن اسرائيل سيبقى ثابتاً.

وثيقة رقم (١٠)

رسالة ابو مازن المفتوحة الى "الحكيم" جورج حبش

١٩٨٩/٣/١٤

لا زلت، رغم ما اسمع من وسائل الاعلام على لسانك وياسنك، وبالرغم من البيانات الرسمية، ومؤتمراتك الصحفية (الكثيرة هذه الايام) لا زلت ارى انك تمثل جزءا من تاريخ حركتنا الوطنية الراهنة، ويائلك كرست لها جهودك وعملك وصحتك، ومن اجلها بذلت العرق والنشاط بلا حدود. وأشعر وانا استمع اليك، بعيدا عن الزمان والمكان أحيانا، بالصدق فيما تقول وما ترى وما تقترح، بعض النظر عن الاختلاف في وجهات النظر بيننا والنابع عن اختلاف الرؤايا التي ترى من خلالها معطيات القضية.

ولكن ما يثير الدهشة والقلق، هذه الايام خاصة، ان اقوالك وبياناتك الرسمية جميعها، تطبع بطبع المكان الذي تتنطلق منه، بحيث اصبح خاتم المكان او ضح من خاتم المضمون واعمق أثرا، مما يجعل ردة الفعل الاولى للقارئ او السامع تتصل مباشرة على فقدان المصداقية فيما يقرأ وفيما يسمع. ومن المؤسف انك عدت الى المنهج السابق، الى ايام القطيعة التي فرضتها على نفسك او فرضت عليك لا ادرى، بحيث اصبح مصدرك الاساسي لكل مواقفك السياسية هو وسائل الاعلام، حيث تصدق كل ما ينسجم او يصادف هو في النفس، وكل ما يلتقي مع المحيط من اهواء ورغبات ومواصف سياسية، نعرف ونعرف انها لا تنطلق من مصلحة القضية الفلسطينية، وعلى الاقل هذا ما نسمعه منك مباشرة في مناسبات تكون فيها خارج محيط المكان، وفي جو لا يتسم بالتسنم والرعب بعيدا عن حاسبة الانفاس وضابطة التحركات.

لا اريد محاورتك فيما طرحته بياناتك ومؤتمراتك الصحفية، لانتي لا اعتقد انك تريد ان تفهم هذه القضايا بالشكل والمضمون الذي تريده، ولو كان الامر غير ذلك فما اسهل ان تستفسر وان تسأله، ولك في الاطر الرسمية ممثلون قادرون على الاستيضاح، ولديك من وسائل الاتصال ما يجعل الحقيقة امامك في دقائق، ولكن يبدو انك لا تريدين. فلماذا يا ترى؟

نحن يا سيدى الحكيم، في مرحلة تتسم بالخطورة الكاملة، فنحن على مفترق طرق وكلنا بحاجة الى تحمل المسؤولية كاملة امام شعبنا وامام اهلنا، امام كل طفل يقتل فوق تراب ارضنا، وكل رجل يعقل او يبعد، وكل بيت يهدم وكل شجرة تقتل.

وبالتالي فإن ظروف المجاملة التي تفرضها ظروف المكان، إن كانت تصلح في العام الماضي لتمرير الأيام، فإنها قاتلة ... هذه الأيام.

ان طرح شعار "تقديم التنازلات" ما هو الا في ذهن من يريدون ان يقدموا تنازلات على حساب شعبنا ليقبضوا الثمن من حساب شعبنا، وهؤلاء لسنا بحاجة الى ان نبحث عنهم طويلا، وحيثما لو وضعت يدك مرة واحدة على الجرح، فعندئذ ستري الامور على حقيقتها.

فما دمت عينا هنا وعيينا هناك، فلن تستقيم الامور، ولن يصلح الحال، ولن يكون لدينا القرار الحكيم، وستنعقد خطانا، ان لم تكن قد فقدت، مسالك الطريق السليم. وهذا يستدعي ان يكون حكمنا على القضايا حكما موضوعيا ورائدا جميما في هذا مصلحة الشعب، والذي نقول بأننا نقوده، واننا نبحث عن مصلحته، ونهيء له مستقبلا افضل ولا شيء غير ذلك.

لقد طلبت ايها الحكيم لقاء عاجلا للقيادة الفلسطينية، ولماذا الطلب بعد ان أصدرت حكمك سلفا على القضايا التي تريد طرحها او مناقشتها، وحددت موقفا واضحا وصريحا، وأجبت على كل ما سمعت من وسائل الاعلام، ولكنك نسيت عنصرا بسيطا جدا، هو ذلك الطرف الذي أصدرت بحقه حكمك.. فلأن الحكم في هذا ياسيدى الحكيم؟

كثيرا ما سمعت تصريحاتك وردود فعلك ومؤتمراتك الصحفية، ولم أكن ارغب في الاجابة عليها، لأنني كنت اجيب من يسألني بأنني اعرف السبب الذي يقف وراءها، وما دام عرف السبب فلا عجب، ولماذا العجب؟ ولماذا الجواب؟ وقد يكون في الجواب تلك القشة التي تقصم ظهر البعير.

لكن استمرار السكوت من طرفنا، بالتعرف المسبقة، بأننا نمثل ام الطفل الحريصة عليه، وبالتالي فإننا سنعرض على الجرح. فهذا يبدو أنه سهل لكم الاتغال فيما انتم عليه، الامر الذي استدعي التوضيح لا الرد، لأن الرد يتطلب ان تأخذ الامور الجارية بشيء من الجدية.

كنت اتمنى ان تتعمق ايها الاخ الحكيم، اكثر فأكثر في طبيعة الصراع الذي نعيش وان تغوص فيه لتستخلص النتائج وال عبر منه، لأن الاطلاع السطحي، يؤدي دائما، الى الحكم السطحي، ومن هنا اريا بك، ان يتصف حكمك بالسطحية، ولا اريد ولا اتمنى لك ذلك. اننا لا نريد حلا بآي ثمن، وفي هذا المجال نحن نتفق معك تماما بأن الحل الذي لا يحفظ الحقوق، ولا يصون الكرامة، ولا يضمن الامن والعيش الكريم لشعبنا لن نقبله، ولن نرضى به، ويا ليتك يا سيدى الحكيم، تتفق معنا أيضا بأن تطبع علاقاتنا مع بعضنا لن تقبله بآي ثمن.

ان قرارات مجلسنا الوطني، من صنعتنا نحن جميعا، وضعناها تلبية لمصلحة شعبنا، وعلى الرغم من الوقت الطويل الذي استغرقناه لاقناعك بها، الا انك رأيت ان تحفظ على بعضها، وهذا حقك، فهذه هي ديمقراطية الشعب الفلسطيني. نحن نحترم كل الاحترام موقفك ورأيك. اما وانك الآن تدافع عنها وتتبناها فهذا تقدم عظيم، نكاد نجد أنفسنا عليه، ولكل ملء الحرية ان تغير رأيك. ولكن ارجوان تسمح لي ايها الحكيم، بأن الذي ليس من حقك هو احتكار تفسير قرارات المجلس الوطني هذه، ومحاولة فرض فهمك لها على الآخرين، كما ان المكان المناسب، بل المكان الأنسب لذلك، ليس وسائل الاعلام، وليس الاتهام مباشرًا كان او غير مباشر. بل المؤسسات التي تحدثت طويلا عن احترامك لها والتي تشارك بها، والا ما فائدة هذه المؤسسات بنظرك يا ترى؟!

وإذا كان استعمالك لتعبير "اليمين الفلسطيني" هو في نظرك نوع من الاهانة والتحقيق (وارجو ان تعرف الفرق بين النقد والاهانة) فاسمح لي ان أسألك اين موقعك في الساحة الفلسطينية؟ ومن على اي ساحة تمارس النضال؟ اما نحن فلن تضيرنا هذه التعبير، وتعرف يا سيدي الحكيم اية مسؤوليات تتحمل ونمارس، وسنبقى رغم ذلك اوفياء لشعارك، فهل انت ما زلت مع ذلك؟ واخيرا فانت الذي اوحىت لي بهذه الرسالة التي كتتها وقتا طويلا حرصا مني على الروابط.. ولكن الحرص يجب ان يكون متبادلا وان احترامنا لتاريخك لن يمنعنا ان نكيل بنفس المكيال، لأن لنا تاريخنا وحاضرنا الذي يشهد به العالم ويفتخر به شعبنا.

وان عدلتكم عدانا

ابو مازن

١٩٨٩/٣/١٤

وثيقة رقم (١١)

لقاء وفد الجبهة الديمقراطية في الخارجية السوفيتية

١٩٨٩/٧/١٩

الحضور من الجانب السوفييتي: بولياكوف، ماتزروف
من الجبهة الديمقراطية: نايف حواتمة، منذر مبارك
بولياكوف: رحب بالوفد وتابع:

سأتحدث عن الاتصالات التي جرت مع الامريكيين في منتصف حزيران. تأتي هذه الاتصالات بناء على الاتفاق المسبق مع الولايات المتحدة الامريكية على اثر الزيارة التي قام بها الى موسكو، ومن الممكن انكم على اطلاع على ما جرى حيث اعطينا تعليمات لسفارتنا في الخارج لاطلاعكم على ما يجري من حديث وحوارات وليس فقط اطلاعكم من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، فنحن نبلغكم معلومات وقضايا اوسع مما نطرحه مع عرفات ومنظمة التحرير.

لقد حاول الامريكان اقناعنا بالانتخابات وفضليتها "ما يقترحه شامير" وحاولوا ان يصوروها بأنها الخطوة الاولى في عملية السلام لتحديد وضع الاراضي المحتلة. ومن الملاحظ ان الامريكيين اضحوا في وضع الاسرى وليس لديهم امكانية تقديم شيء آخر.

نحن قلنا ان هذه الفكرة هي فكرتكم. والفكرة ممكنا ان تكون ولها الحق في الوجود ولكن يجب ان تتماً بمعانٍ وجوهر وموضوع وضع اسس وشروط الانتخابات للوصول الى حل شامل ومن ضمنها حل القضية الفلسطينية. لكن قال لنا الامريكان انهم لا يستطيعون الموافقة على ما طرحناه لأن الفلسطينيين لا يوافقون على اجراء مباحثات فلسطينية اسرائيلية مباشرة كمرحلة اولى للحوار (بين ممثلين للمناطق المحتلة واسرائيل). وبعد بداية الحوار المباشر ستتوفر الظروف المناسبة لتعويضه وللوصول الى حل.

نحن قلنا هذا الموقف لا نقبله نحن ولا المنظمة. والمنظمة تريد ان تكون هناك ضمانات لحل القضية الفلسطينية. ولاحظنا من الطرح ان خط الولايات المتحدة في المسائل العامة يأخذ طابع الحل الوسط، وفي الخطوات العملية المحددة موقفها منحاز لاسرائيل.

لقد حاولنا الاستفادة من هذا الموقف ومن ضرورة التسوية الشاملة والاعتراف بالحقوق الوطنية السياسية للشعب الفلسطيني وتوفير الامن لاسرائيل والدول الاخرى، وعلى هذا

الاساس ممكن العمل وممكن ان تبدأ عملية السلام، ونأخذ بعين الاعتبار مصالح العرب واسرائيل.

فانجمع مبادئنا ومبادركم ونخرج بيان مشترك يشكل نقطة انطلاق للعمل، لكن الامريكيين رفضوا ذلك. سألاهم هل هذه المبادئ مقبولة لدى اسرائيل؟ اجابوا: لا. قلنا لهم ومن الممكن ان نقوم بالضغط على اسرائيل.

لقد لاحظنا ان السياسة الامريكية الان ذات وجهين. هذا ما جرى في الحوار في حزيران الماضي، وتولدت لدى حقيقة طريفة وذلك راجع الى انطباعاتي الشخصية حيث شاركت بصفتي رئيساً للوفد السوفييتي في ندوة حول القضية الفلسطينية بإشراف الامم المتحدة عقدت في شمال امريكا ضمن ندوة دورية تعقد سنوياً وشارك فيها ممثلون عن المنظمات الاجتماعية الامريكية، كما شارك ممثلون عن المنظمات الاجتماعية الاسرائيلية، وشخصيات رسمية، وكان الطرف الامريكي ممثلاً بأربع شخصيات، شخصياتان منها القت كلمات عبرت فيها عن التضامن مع الفلسطينيين وادانت سياسة اسرائيل المتعنتة.

ولفت نظرى الممثل الامريكي ماكلوفسكي وهو بولوني الاصل حيث قال "ان الانتفاضة مكنت الامريكيين من توجيه النقد لاسرائيل واللобى اليهودي في امريكا".

ومن ذلك اصبح واضحاً لماذا يريد الامريكيون وقف الانتفاضة. ومن الجدير بالذكر ان التلفزيون الامريكي والغربي يغطي احداث الانتفاضة.

ان الاصفات التي تقدمت بها اللجنة المركزية للبيكود قد أظهرت انه ليس لدى شامير الرغبة في اجراء الحوار مع الفلسطينيين ولا في حل القضية الفلسطينية. لقد اخرجت هذه الاصفات الادارة الامريكية. هذا الوضع عقد امكانية المناورة امام الادارة الامريكية. واصبح من الصعب عليها الدفاع عن خطة شامير. ويلاحظ ان الامريكيين حريصون على عدم انهيار الاتفاق الاستراتيجي مع اسرائيل. وتخيل لنا ان امريكا غير قادرة على تحديد وتوزيع القوى داخل اسرائيل، وان بيريز حزب العمل غير مستعد للخروج من الائتلاف الحكومي والانتقال الى صفوف المعارضة. ويفسر قادة حزب العمل هذا الموقف الانتهاري بأنه في حال الخروج من الائتلاف الحكومي سيقدم التأييد الكامل للبيكود.

لكن من الصعب علينا تقييم الرأي العام الاسرائيلي. تصورنا ان حزب العمل غير مستعد لأن يترأس ويأخذ زمام المبادرة في السياسي للحل. وهذه هي احدى المسائل التي تدرسها الان، توزيع القوى داخل اسرائيل والاستفادة منها لصالح القضية الفلسطينية.

اتصالاتنا مع دول الاشتراكية الاوروبية:

من المعروف ان حزب العمل عضو في هذه المجموعة وبيربز زعيم حزب العمل ليس لديه الحرص الكافي لتقديم شيء جديد للعرب. رأينا يقف موقف اكثر ثباتا من بيربز وهذا ما يلفت نظرنا اليوم.

لتحدث ونتبادل الآراء للوصول الى تكتيك للحل: لم نجر مباحثات مع السوريين واللبنانيين لأنهم مشغولون بلبنان.

كان لنا اتصالات مع الانجليز، نشعر ان هناك تغير او تقدم في موقف انجلترا. يقيمون موقف المنظمة تقريباً بناء. هذا الموقف يضع اسرائيل وامريكا في مأزق او في وضع حرج وهذا بدوره سيشكل ضغطاً على اسرائيل. لا سيما وان الموقف الاردني جيد مع المنظمة فهو مع مشاركة م.ت.ف. في المؤتمر الدولي. ولأن الانجليز لا يقفون موقفاً سلبياً فيما يتعلق بعقد المؤتمر الدولي.

اما البحث في اطار الدول الخمس الدائمة العضوية فالانجليز يميلون للموقف السوفييتي أكثر من الامريكي. علينا ان نواصل العمل مع اوروبا لجلبها لجانبنا وحتى تتخذ مواقف اكثر عملية.

شيفرنادرة ناقش مع نظيره الفرنسي مشكلة الشرق الاوسط. وهذا الموقف متطابق. جرى التشديد على القضية اللبنانية.

نایف حواتمة: الوضع يزداد سخونة. تصعيد حملات القمع والابعاد وهدم البيوت، اطلاق النيران وازدياد عدد القتلى والجرحى والمعتقلين من جانب سلطات الاحتلال بهدف قمع الانتفاضة والقضاء عليها.

يوجد موقف موحد بين الليكود وجناح رابين - بيربز في العمل على السياسة الراهنة لاسرائيل. جناح رابين بيربز يخدم الليكود في سياسته من اجل تصفية الانتفاضة.

تنقق مع الرفيق بولياكوف حول ما قاله بالنسبة لموقف الليكود. وحزب العمل منقسم على نفسه.

بولياكوف: حزب العمل غير مستعد للخروج من الائتلاف الحكومي.

نایف: ذلك بسبب تحصل رابين وانتهازية بيربز، ولذلك لا يطرح مبادرة سياسية، ولو طرح حزب العمل مبادرة سياسية - حوار مع م.ت.ف.، مؤتمر دولي - لنجاح في الانتخابات من خلال ائتلاف انتخابي واسع.

امريكا تقدم النصائح لبيربز ورابين بأن يبقيا على موقفهما. الامريكيون يحاولون كسب

الوقت لانهم يسعون نحو الحل الثنائي المنفرد - تنفيذ خطة شولتس، خطة شامير، ويرفضون اية اعمال للتحضير للمؤتمر الدولي هذا برغم التحول في الموقف الاوروبي في مدريد. ويصررون على فرض الحل الثنائي المنفرد. نحن متفقون بأن هناك تطورا في الموقف الانجليزي وهذا بسبب الضغط الذي جرى على انكلترا في قمة مدريد. تاتشر كانت في البداية ضد النص على مشاركة م.ت.ف. تطور الاشتراكية الدولية ، لكن الموقف الامريكي متصلب وتعنت.

قدم نايف عرض عن اللقاءات مع فتح، وقدم للرفاق السوفييت التصريح الصادر عن الطرفين.

تصريح جون كيلي سنوقف الحوار، تهديد لـ م.ت.ف. هدف امريكا المناورة واعطاء اسرائيل امكانية تصفية الانتفاضة.

الانتفاضة ستتواصل، نرفض الرجوع لحالة الجمود، والانتفاضة اداة ضغط على امريكا واسرائيل. ولابد من تنسيق فلسطيني - سوفييتي والاستفادة من مقررات المجلس الوطني، والمبادرة السياسية الفلسطينية ومقررات الدار البيضاء. والعمل على تطوير الموقف الاوروبي بهدف الضغط على امريكا.

العمل على تطوير الموقف الصيني، والاستفادة من الخلاف بين الصين من جهة واوروبا وامريكا من الجهة الاخرى. تم مناقشة هذه المواقف مع الاخوة في فتح.

الحديث عن اوهام البرجوازية الفلسطينية والمراهنة على الموقف الامريكي. نحن مع فكرة الانتخابات في اطار الحل الشامل، كما يجري الآن في ناميبيا.

ضرورة دعم الانتفاضة وتطويرها ورفض مشروع شامير. وكذلك تطوير الموقف العربي وعدم تأجيج الصراع بين العراق وسوريا على الاراضي اللبنانية. وتشغيل لجنة دعم الانتفاضة المبنية عن مؤتمر القمة العربي. وعقد اللقاء الخامس يتطلب تصحيح العلاقة الفلسطينية - السورية. وفي هذا المضمار لا بد من تنشيط الجهود الجزائرية. نقترح ونطلب من الرفاق السوفييت بذل الجهود مع قيادة م.ت.ف. ومع الدول العربية من اجل تشكيل اللجنة العربية العليا لدعم الانتفاضة للعمل باتجاه الدول الخمس دائمة العضوية. البحث مع الدول الخمس حول عقد اللقاء الخامس. وبذل الجهود معالجزائر وعراقيات والسوريين من اجل تطبيع العلاقة الفلسطينية السورية.

ملاحظة: شرح نايف سياسة الجبهة في لبنان، وتم توضيح سياسة الاطراف الفلسطينية الأخرى.

واضاف نقطة للتشاور معكم: هل الوقت مناسب لطرح مبادرة سياسية جديدة نوضح

فيها موضوع الانتخابات في سياق التسوية الشاملة والمتوازنة وتطرح حيئيات وتوضح خطوط الحل الشامل المتوازن من الالف الى الباء؟

بولياكوف: نحن ضد ان تطرح م.ت.ف. من جانب واحد خطوط وتفاصيل الحل الشامل. الامريكيون لا يعترفون بـ م.ت.ف.. اكثروا من طرح الاستلة واتركوهم يبحثون عن أجوبة.

نايف: الفرق في التفاصيل سيكون الآن لصالح امريكا. على المنظمة ان تطرح عملية التسوية بشكل عام ولكن حتى نستطيع طرح الاستلة على الولايات المتحدة وعدم الفرق في التفاصيل.

بولياكوف: تقديرنا للوضع والتقييم الذي قدمه الرفيق حواتمة متطابق وهذا شيء مهم. وهذا ينطلق من ضرورة زيادة الضغط على الاطراف المعنية وبالتحديد فيما يتعلق بتطبيق مقررات الدار البيضاء واللقاء الخماسي وتطوير الموقف الاوروبي. ونحن حالياً نفكر بماذا نفعل بخصوص موقف شامير وبيريز؟ وكيف لا نلحق اضراراً. ونفكر بموضوع استقبال فايتسمان في موسكو وعوزي برعام، وممثلوا حزب المابام، يطلدون بالونات للاتصال معنا. نحن نفكر كيف يمكن ان نستثمر ذلك ونزرع بذور الاشتقاق في القوى الاسرائيلية.

بالنسبة لمبادرة المنظمة لا تتعجلوا. لا بد من التفكير بكيف يمكن ان تتقبل في الظروف الحالية المعقدة في البلدان العربية واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية. يجب على المنظمة ان تحافظ على زمام المبادرة في يدها وتظهر الموقف البناء على اساس الاتفاق بين المنظمات الفلسطينية والظروف الحالية تتطلب وحدة المنظمة.

ان الامريكان يبحثون عن شيء ما لدق اسفين بين الفلسطينيين وقادرة المنظمة. الامريكيون في وضع صعب علينا الاستمرار في ممارسة الضغط على امريكا. يجب القول اننا فكرنا كثيراً في فكرة الانتخابات التي طرحتها امريكا، خطة شامير غير مقبولة لاي طرف ولكن اخذنا اللهم بها. وعلى ما اعتقد اننا هنا كسبنا ولم نخسر شيئاً. لا بد من توجيهه التساؤلات للامريكان و موقفهم لا يتحمل النقد. علمنا ان بيكر ليس لديه خبرة في المناورة السياسية، وهو دائماً يشعر بضعف موقفه. الادارة تدرس بعمق الحوار الفلسطيني - الامريكي. و موقف المنظمة هنا هام جداً. بعد فترة معينة وليس في الظروف الحالية يمكن ان تكون خطوة قادمة. ولكن هذا يتطلب دراسة ردات الفعل في اسرائيل واوروبا والدول العربية وامريكا. من الواضح ان اعصاب شارون قد نفذت وتصريحاته تدل على ضعف مستغليه.

الجبهة الديمقراطية والشعبية تنتهجان سياسة موضوعية في لبنان. الفلسطينيون قادرؤن

على زرع بذور السلام او اشعال النيران في لبنان. وموافق الفلسطينيين لها اهمية خاصة والحياد هو افضل شيء للفلسطينيين في لبنان، وقد قلنا هذا مراراً العرفات. اذا لم تحل المشكلة اللبنانية بأيدي العرب ستتصبح مشكلة دولية وهذا ليس في صالح اللبنانيين والعرب والفلسطينيين. موقفنا مع الجبهة الديمقراطية متطابق هنا وكما في السابق. المهم تكثيف الجهود لعقد المؤتمر الدولي.

سترتب لكم لقاء مع بريماكوف وزاسوخوف ونيشانوف.

سؤال: وزير خارجية اسرائيل، ارينز، التقى مع مجموعة من الفلسطينيين هل هذا صحيح؟
نايف: جرى لقاء مع شخصيات استدعيت من قبل الحاكم العسكري الاسرائيلي. الجميع اجابوا ان لا احد يستطيع خوض الانتخابات الا بعد موافقة م.ت.ف. نطلب تحديد موعد مع الرفاق.

بولياكوف: سنحدد اللقاءات لاحقاً الان صعب لانشغالهم بمؤتمر السوفيت الاعلى وبالاجتماع الموسع للجنة المركزية.

نايف: نقطة حول وسائل الاعلام الجماهيري، انتقادات محددة لمقالات وردت في راديو موسكو، الازفيستيا، المجلة الادبية، انباء موسكو..

بولياكوف: هذه التصريحات والمقالات لا تعبّر عن ولا تعكس الموقف الرسمي. ليس لدينا امكانية ان نؤثر عليها. لا بد وأن تأخذوا بعين الاعتبار انه يعمل يهود بها، بل واسرائيليون. يجب ان نطلع مراسلينا وصحفيينا على ما يجري علماً ان عدد المراسلين المستعربين قليل. هنا بعض المراسلين والصحفيين في ظل البريستوريكا يحاولون ان يظهروا انفسهم بأنهم يسيرون في ركب العلمانية والديمقراطية. ارى هنا لا بد من تكثيف عمل ممثليّة م.ت.ف. في موسكو في المجال الاعلامي. تكثيف العمل مع المراسلين السوفيت والعمل مع اليهود، والمركز الثقافي اليهودي يعمل بشكل نشط ويأتي بشخصيات ومحاضرين صهاينة من اسرائيل. تلقى هنا محاضرات ومن المعروف انهم لا يعملون لصالح خطنا المشترك، ولذلك نفكر كيف يمكن ان نستخدم الامكانيات المتوفرة للعمل في الاتجاه المعاكس للمركز الثقافي اليهودي.

الآن بعد الانضمام لاتفاقية هلسنكي لا نستطيع ان نحد دخول وسفر اليهود من والى الاتحاد السوفييتي.

نشكركم على اللقاء، ومن الضروري تكثيف اتصالاتنا المباشرة ومن اللقاءات في موسكو.

انتهى اللقاء

وثيقة رقم (١٢)

رد وزير الخارجية الأمريكية بيكر على الأسئلة الفلسطينية

١٩٨٩/١١/١٦

- ١) أقبل قرار مصر بأنها لا تحل محل الفلسطينيين، بل تتشاور معهم، تصور أمريكا أن الذي سيسمى الوفد هو القوى السياسية الرئيسية أو المؤثرة داخل الحركة الفلسطينية. لا يجوز الإعلان عن ذلك قبل بدء الحوار لأنَّه سيُفجر العملية قبل بدئها. وسيتم حل قضية الوفد بالتأكيد بعد قبول منظمة التحرير الفلسطينية النقاط الخمس المقرونة بالأسس الفلسطينية لهذا الحوار.
- ٢) ليس لإسرائيل حق فيتو لكن لا نستطيع ان نفرض عليها الجلوس مع اشخاص لا تقبلهم.
- ٣) سؤال صعب لكن من الداخل والخارج والغالبية من الداخل، مثلاً ثمانية من الداخل واثنان من المبعدين.
- ٤) الموضوع المركزي هو الانتخابات والعملية التفاوضية بترتيباتها، النقاط العشر يمكن ان يذكرها الفلسطينيون في البيان الافتتاحي دون استفزاز، وأمريكا تقبل ببيان شولتس.
- ٥) لا اعتراض أمريكي على القرار ٢٤٢ و٣٣٨ والمؤتمر الدولي شرط التوقيت المناسب، والتكون المناسب، المبادئ الأربع التي أعلنها بوش ذكرت ذلك.

وثيقة رقم (١٣)

رد المجنحة التنفيذية على رد الوزير بيكر

١٩٨٩/١١/٢٧

درست قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الردود التي تلقتها بتاريخ ١٦/١١/١٩٨٩ /٢٧ عبر وزارة الخارجية المصرية من السيد جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية جواباً على الاستفسارات الفلسطينية حول خطته التي قدمها بتاريخ ٦/١٠/١٩٨٩.

- ١) من المؤسف ان يتجاهل الرد منذ البداية دور منظمة التحرير الفلسطينية في تشكيل وفدها للحوار. بل ينفي وجود المنظمة كلياً حين يتحدث عن قوى سياسية رئيسية ومؤثرة داخل الحركة الفلسطينية ستقوم هي بتسمية الوفد الفلسطيني، فلأن هذه القوى؟ وعلى اي اساس كانت الادارة الامريكية تتحاور مع منظمة التحرير الفلسطينية منذ ديسمبر ١٩٨٨.
- ٢) تنفي الادارة الامريكية ان لاسرائيل حق الفيتو في تشكيل الوفد ولكنها تستدرك فنذكر انها لن تفرض على اسرائيل القبول بالحوار مع من لا تريده. وانطلاقاً من مبدأ التكافؤ فإن منظمة التحرير الفلسطينية تؤكد انه ليس من حق اي طرف ان يتدخل بشكل مباشر او غير مباشر في كيفية تشكيل المنظمة لوفدها.
- ٣) ان الرد الامريكي بخصوص جدول اعمال الحوار لا ينسجم مع ما تم الاتفاق عليه مصريا - امريكيا - سويديا حول جدول الاعمال المقترن، وهذا يشكل استجابة امريكية للشروط الاسرائيلية بحصر جدول الاعمال في الانتخابات والتفاوض على اجراءاتها ، ونود هنا ان نذكر بإعلان الرئيس الامريكي جورج بوش، بضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلي، وما اعلنه الوزير بيكر عن ضرورة تحلي اسرائيل عن احلامها الكبرى بالتوسيع والضم.
- ٤) لقد اخذت منظمة التحرير علماً بالالتزام الادارة الامريكية ببيان وزير الخارجية السابق جورج شولتس في ٦/٩/١٩٨٨.
- ٥) تحدث الرد الامريكي عن المؤتمر الدولي على اساس القرارات ٢٤٢ و ٢٢٨ وانطلاقاً من كون الحوار الفلسطيني - الاسرائيلي جزءاً من العملية التحضيرية للمؤتمر الدولي فإن منظمة التحرير تفترض ان تشمل الرعاية الدولية هذا الحوار.

(٦) لقد تجاهل الرد الامريكي الثاني بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٧ وقائع الاجتماع الثلاثي المصري - الفلسطيني - السويدي، المنعقد بمقر وزارة الخارجية المصرية في القاهرة بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٦ . وما تم ابلاغنا به رسميا في هذا الاجتماع حول الاشراف الدولي وحق المنظمة في تسمية الوفد الفلسطيني وجدول الاعمال المفتتح.

(٧) ان اصرار الادارة على حصر جدول الاعمال بموضوع الانتخابات والتفاوض على ترتيباتها، استجابة لخطة الحكومة الاسرائيلية، يتناقض مع ما ابلغتنا اياه عن التزامها ببيان وزير الخارجية السابق جورج شولتس الذي تضمن الحديث عن جدول اعمال مفتوح للحوار وحق الطرف الفلسطيني او اي طرف آخر في طرح ما يريد بما في ذلك طلب الجانب الفلسطيني اقامة دولة فلسطينية مستقلة.

(٨) نحن نتسائل: هل تدرك الادارة الامريكية انه لا يمكن لاي وفد فلسطيني ان يحضر الى طاولة المفاوضات دون ان تسميه وتعلنه منظمة التحرير الفلسطينية؟ وما هي الوسائل القسرية التي ستتبع لاحضار اي فلسطيني خارج هذا الاطار؟

ان منظمة التحرير الفلسطينية، مذكرة بمبادرة السلام الفلسطينية وبقرارات القمم العربية في الدار البيضاء، تود ان تؤكد تصديها على المساهمة بكل جدية في الجهود الدولية المبذولة لدفع عملية السلام في الشرق الاوسط الى الامام.

وانطلاقا من ذلك فان منظمة التحرير الفلسطينية تستطيع ان تقبل التعامل مع خطة الوزير بيكر المقدمة في ١٠/٦/١٩٨٩ . فقط وفقا لقرار مجلسها المركزي بإجراء حوار فلسطيني اسرائيلي على النحو التالي:

١) استعدادها لاجراء حوار بين وفد من منظمة التحرير، يمثل الشعب الفلسطيني داخل وخارج الارض الفلسطينية المحتلة ووفد من الحكومة الاسرائيلية.

٢) ان يكون جدول اعمال هذا الحوار مفتوحا وبدون شروط مسبقة يطرح فيه كل وفد ما يشاء من موضوعات، ويدخل في ذلك موضوع الانتخابات في الاراضي الفلسطينية المحتلة والنقاط المصرية العشرة، وذلك طبقا لبيان الوزير جورج شولتس في ١٦/٩/١٩٨٨ .

٣) ان يجري الحوار تحت اشراف الامم المتحدة والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي والسويد.

٤) ان يكون هذا الحوار خطوة تمهيدية نحو عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط الذي ينعقد تحت اشراف الامم المتحدة وعلى اساس قرارات الشرعية

الدولية، وتشارك فيه كافة اطراف الصراع في المنطقة، وتحضره الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن للوصول الى الحل العادل والشامل في المنطقة.

وثيقة رقم (١٤)

رسالة القيادة المركزية للجبهة الديمقراطية في المناطق المحتلة حول مبادرة السلام الفلسطينية

١٩٨٩/١١/١٤

الرفيق الأمين العام / الرفيق الأمين العام المساعد
تحياتنا الرفاقية الحارة

منذ ثلاثة اسابيع استلمنا رسالة الرفيق (ي) وقمنا بالرد عليها عبر ق.م، ومنذ ايام استلمنا رسالة الرفيق الأمين العام مرفرفة برسالتين الاولى من (ي) والثانية من (أ.ع.)، وقد كانت الرسالة مرفرفة بمحلاحة للاطلاع الفردي والرد الفردي. وعند تحرير الرسالة وجد الرفاق ضرورة عقد اجتماع طارئ لاعضاء (ل.م.) والرد الجماعي عليها واذا رغب احد الاعضاء ان يرد فرديا فلا مانع من ذلك، وعليه قمنا بعقد اجتماع للرفاق اعضاء ل.م. في الوسط. وناقشت الجميع رسالة الرفيق الأمين العام ومرافقاتها في حين ننتظر فك منع التجول عن منطقة الشمال لرسالها للرفاقي هناك وكذلك بالنسبة لغزة وسيتأخر رد الرفاق المعقلين (حتى تتسنى زيارة أحد المحامين لرسالها معه). وسنعمل على ارسال الردود بأقصى سرعة ممكنة.

الرفاق الاعزاء: انتا اعضاء (ل.م.) في المناطق المحتلة ومن موقعنا القيادي والمسؤول في قيادة حزبنا في (م.م.) ودورنا القيادي على صعيد الانتفاضة وقاوم والذي من خلال موقفنا هذا كنا نضطلع بمسؤولية عالية في تحديد مواقفنا السياسية وبرامجنا التضالية في مواجهة الاحتلال نقول اليوم، ونحن نعود لمناقشة موضوع الخلاف الداخلي في جبهتنا ومنذ أشهرها الاولى، نقول لكم لن نقف حياديين تجاه الازمة التي يمر بها حزبنا وهذه الازمة تمسه وتتمس نضالاته العظيمة.

ان حزبنا في الداخل وهو يخوض حرب الاستقلال ومن موقعه الريادي فيها باعتراف القاصي والداني ليؤكد انه تحمل المسؤولية وان من حق اعضائه في ل.م. بأن يساهموا في تحديد سياسة حزبنا.

لقد طالبنا ومن خلال رسالتنا في ١٥ آيار ١٩٨٨ بتحديد موقف واضح من عدد من القضايا السياسية القائمة: الدولتين، الاعتراف.. الخ، وطالبنا ببرنامج سياسي يتلائم

والتحفظ النوعي الذي احدثه الانتفاضة، وقد تكرر ذلك المطلب في العديد من رسائلنا التي تلت ذلك. وقد تم ذكر هذا المطلب في نداءات قاوم ولكن لأول مرة نلاحظ ان حزبنا لا يتفق هذا الاستصراخ ولا يبادر الى طرح برنامج يتلائم وطبيعة المرحلة، فكانت فيما بعد رسالة الرفيق (صالح) التي تضمنت برنامج السلام الفلسطيني والتي تعاملنا معها باعتبارها تمثل موقف الجبهة وتستجيب للتطورات النوعية الحادثة بفعل الانتفاضة وتطابقة مع رؤيتنا. وفعلاً كان ذلك. وكانت مذكرات الداخل الى م.ت.ف. تتضمن النقاط الواردة فيها ولكن للأسف كان ذلك سبب خلافاً واسعاً داخل حزبنا والذي اطلق عليه فيما بعد موقف الأقلية والاغلبية بدلاً من ان يسمى ذلك في امساكنا بزمام المبادرة السياسية. اتنا ومن خلال كل رسائلنا السابقة منذ ذلك الحين وحتى الان نتبني موقفاً سياسياً واضحاً وهو ذلك الموقف القائم على برنامج السلام الفلسطيني الذي اقره (م. و. ف.) في دورته ١٩ وهو نفس الخط الذي اقره (م. س.) في قرارات أيار ١٩٨٩.

لقد عبرنا عن موقفنا في كل رسائلنا السابقة سواء من خلال زبد اعضاء (ل. م.) في الـ (م. م.) اذاك او الرسائل التالية او من خلال موقفنا الذي يبدو واضحاً في نداءات قاوم، اتنا اذ كنا نطرح هذا الموقف في رسائلنا كلها وباستمرار نولي اهمية كبيرة لوحدة الجبهة، كما وان ذكرنا من فكرة الانقسامات التي يمكن ان تحدث لا سمح الله، قد وضعنا في موقف يضع اولوية وحدة الجبهة على اي شيء آخر، وربما كان ذلك على حساب الموضوع التام في موقفنا السياسي ايmana منا بأن عجلة التاريخ ستكون كفيلة بتصحيح المواقف السياسية الخاطئة، وان جبهتنا التي عودتنا باستمرار ان تكون في الطليعة ستقوم بمراجعة نقدية لمواقفها وستتخذ المواقف الصائبة المنبثقة من برنامجهما الطبيعي الواقعى الثوري. وما دفعنا الى التأكيد من ذلك هو تلك الصلاحية التي منحت لحزبنا في الداخل في اتخاذ المواقف السياسية سواء بما يتعلق بالعلاقة مع الاسرائيليين او بطرح الموقف السياسي "الدولتين، الاعتراف" بما لا يشترط التطابق مع موقف الخارج. وقد اكدنا في حينها على ضرورة وحدة موقف الجبهة ولكن في نفس الوقت بدأنا بالتفاعل مع الحركة السياسية الدائرة على صعيد الوطن المحتل، والتي أكدت الاحداث صحة الموقف الذي اخذناه.

اننا نجد ان الموقف الذي عبر عنه في برنامج السلام الفلسطيني، والذي اقره المجلس الوطني الفلسطيني، والذي اصبح فيما بعد برنامج الشعب الفلسطيني ونال التأييد العالمي، وهذا البرنامج تم التأكيد عليه في قرارات ايار وقرارات المجلس المركزي. ان تثبيت هذه القرارات والتاكيد عليها ووضع الية لترجمتها وتنفيذها على الارض لهوامر ضروري ويجب ان يكون الشغل الشاغل لحزبنا كوننا واثقين بأن الانتفاضة هي حرب استقلال وطني ستقودنا الى الحرية والاستقلال.

لقد أكدنا واكد حزينا عبر العديد من اديبياته بأن مركز ثقل النضال الوطني والحركة الوطنية قد انتقل الى الداخل، وإننا نجد ان تصريحات كهذه هي غير كافية ما لم تترجم الى قرارات سياسية وتنظيمية ومالية. وقد اعتبرنا ان القرار الذي تم اتخاذه على صعيد توسيع عضوية (ل. م.) وبحيث تضم ١٥ عضوا متواجدين في الداخل وقرارات ايار هي خطوات على طريق ترجمة فعلية لما يعبر عنه بأن مركز ثقل النضال الوطني والحركة الوطنية قد انتقل الى الداخل. انطلاقا مما تقدم ومن حقنا الاكيد في التعبير عن صوتنا وموقفنا فاننا نؤكد على ما يلي:

- ١) نؤكد ان جوهر الخلاف السياسي والتنظيمي يتمثل في الموقف من الانتفاضة وبرنامجهما السياسي وهي بالتأكيد ليست مفعضة وإنما هي ازمة جدية عميقه لها ارضيتها السياسية والفكريه.
- ٢) نؤكد على فحوى ومضمون ونص رسالتنا الموجهة الى الامين العام والامين العام المساعد المؤرخة في ٢٨/١٠ والتي سلمت في القاهرة للرفاق (ي) و(أ. ل.) عبر (X).
- ٣) على ضوء انتخاب (م.س.) الاخيرة في نوفمبر ١٩٨٨ والذي كرس داخله اقلية واغلبية، وعلى اثر تغيير اجتماع (م. س.) المنعقد في ١٧/٩ فإننا نجد ان (م.س.) الحالي غير قادر على توحيد موقف الجبهة وعليه فإننا نرى ضروري عقد اجتماع عاجل لـ (ل. م.) من اجل تحديد الموقف السياسي لجبهةنا تجاه الانتفاضة والموقف منها والقائم على اساس ما فرضته على الصعيد الفلسطيني بما يخدم تحقيق اهداف وطموحات شعبنا ويؤكد تميز موقتنا السياسي وواقعيته الثورية.
- ٤) انطلاقا من النقطة السابقة فإننا ننظر الى اقتراح الرفيق ياسر كحل انقاذي يمكننا من عملية انهاء الازمة القائمة والتحضير لاعمال (ل. م.) القادم.
- ٥) ضرورة ان يتم في اجتماع (ل. م.) تقديم مراجعة نقدية لمجمل مواقف الجبهة منذ ما قبل اجتماع المجلس الوطني الدورة ١٩ وحتى الان، وتعيم النتائج على عموم التنظيم باعتبار ان القضية لم تبق في اطار (م.س.) او (ل. م.) وإنما أصبحت متداولة بين عموم التنظيم واطراف الحركة الوطنية والصحافة.
- ٦) نؤكد على ضرورة اعادة تثبيت وتكريس القرارات المتخذة في ايار ١٩٨٩ وما عبر عنه البيان والتعيم الصادر ان بما يعني ذلك من التاكيد على اعادة الاعتبار لمبادرة السلام الفلسطينية وكل الخطوات والانتصارات التي حققها هجوم السلام الفلسطيني وتحمل المسؤولية الكاملة ومن موقع قيادي لكل الحركة السياسية والدبلوماسية لم.ت.ف. والكف عن اقتصار مواقتنا على التعليق والنقد والادانة، اضافة الى ضرورة

التاكيد على إعادة صياغة موقفنا من التحالفات الوطنية على قاعدة التحالف الرئيسي مع فتح، إضافة إلى تصحيح علاقاتنا مع الدول العربية المحيطة على قاعدة الاستقلالية واستثمار هذه الابواب المفتوحة لدعم الانتفاضة ودفع مبادرة السلام الفلسطينية إلى الإمام عبر آلية تمكنا من تحقيق الحرية والاستقلال لشعبنا. إن ذلك يعني أيضاً استثمار هذه الساحات لتعزيز دورنا التنظيمي بما يمكن أن يشكله ذلك من رفد ودعم واسناد لانتفاضة شعبنا.

٧) على ضوء التغييرات الحادثة والتي استلزمت نقل قيادة م.ت.ف. إلى تونس وبده الحوار الأمريكي - الفلسطيني فيها وعلاقة ذلك بالحركة السياسية الفلسطينية الدائرة فإننا نجد ضرورة تواجد الرفيق الأمين العام في تونس لما سيوفره ذلك من دور طليعي لنا على صعيد العلاقة مع قيادة شعبنا وحركته الوطنية وما سيوفره ذلك أيضاً على صعيد وجودنا في مركز الحركة السياسية الفلسطينية وعلاقاتها الدولية والعربية فيما سيمكن حزبنا من الامساك من جديد بالموقف المبادر والطليعي.

٨) نؤكد على ضرورة أن ينبع عن اجتماع (ل.م). وانتخاب (م.س). جديد يكون قادرًا على صياغة وحدة الجبهة وسلمة خطها السياسي والتنظيمي، وهذا يعني بالنسبة لنا وانطلاقاً من كل ما سبق بأن يضم (م.س). الجديد ما لا يقل عن ٤ أعضاء من الداخل.

٩) حيث أن الانتفاضة هي السلاح الوحيد بيد شعبنا وحركته الوطنية فإن كل إشكال الدعم المطلوبية، ونؤكد هنا على الجانب المالي، حيث لا يعقل أن يتم تأخير مالية الداخل لعدة شهور سواء خلال العام الماضي أو العام الحالي الامر الذي يضعنا في أرباكات مالية. ان استمرار ذلك سيعطل بالتأكيد دورنا المبادر في التحركات الوطنية ويضع رفاقنا في السجون والمطاردين والجرحى في ضائقة مستمرة وتحت رحمة الأطراف الأخرى، ناهيك عن وضع رفاقنا المترغبين واحتياجات منظماتنا الجماهيرية. ان هذا يستدعي اقرار سنة ثانية من موازنة الجبهة والمناطق المحتملة بحيث تأخذ بعين الاعتبار التوسعات التنظيمية والجماهيرية لحزبنا والمهام الجديدة التي فرضتها الانتفاضة والتي تتطلب العديد من الالتزامات المالية، وهذا يعني بالملموس موازنة لا تقل عن ٥٠٠ ألف دولار شهرياً للعام القادم تخصص لحزب الداخل علماً بأننا نقوم حالياً بوضع اسس للبناء التحتي لدولتنا المستقبلية وما نؤسسه الآن سيكون قاعدة ثابتة لحزبنا مستقبلاً.

ان دعم (م.م.) يعني أيضاً تسهيل ارسال مخصصات الرفاق متضري الانتفاضة إضافة إلى موازنات المشاريع والاعلام كما تفعل الأطراف الأخرى.

اننا على ثقة بأننا كحزب قادرون على تجاوز الازمة واجراء المراجعات النقدية المطلوبة بما فيها القرارات التي اتخذت بحق الرفاق (ي. ص. م. ا.ع.) اتجاه التراجع عنها. ويجب ان تعلمنا تجربة الاحزاب الشيوعية في العالم الكبير ، فها هو سور برلين يهدم لتفتح ابواب لحرية السفر، والاجراءات النقدية على مستوى كل الاحزاب الشيوعية تجري على قدم وساق من الاتحاد السوفييتي الى بلغاريا والىmania الشرقية وهنغاريا وغيرها. وعليه نقول ليس من حق اي كان ان يركب رأسه، ولكن بالمقابل نقول اننا ننظر للامور بواقعية ونجد انه من الافضل ان ندخل الى (ل. م.) بتقرير واحد وهذا لا يمكن في ضوء الظروف الحالية ان يتم من خلال (م. س.) او (أ. س.)، ولا يمكن تحقيقه الا من خلال تحضير مشترك ما بين الرفيقين الامين العام والامين العام المساعد.

تحياتنا الحارة لكم واننا على ثقة اكيدة بأنكم قدر المسؤولية وكلنا جميماً مدافعين حقيقين عن جبهتنا وخطها الواقعي الثوري ووحدة فكرها وعملها وسلامة خطها و برنامجه السياسي والى الامام.

ملحوظة: تعتبر هذه احد مداخلتنا لاجتماع (ل. م.)

١٩٨٩/١١/١٤

اعضاء (ل. م) في (م. م.)

- ملحوظة من الكاتب: تم نقل الرسالة كما وردت والاحرف الواردة ترمز الى:
- (ي) يرمي الى ياسر عبد ربه و(ق. م) يرمي الى القيادة المركزية.
 - (أ. ع.) يرمي الى ابو العبد عصام عبد اللطيف عضو المكتب السياسي.
 - (ل. م) يرمي الى اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية.
 - (م. و. ف) يرمي الى المجلس الوطني الفلسطيني.
 - (م. م) يرمي الى المناطق الفلسطينية المحتلة.
 - (م. س) يرمي الى المكتب السياسي للجبهة.
 - (أ. س) يرمي الى امانة سر اللجنة المركزية للجبهة.
 - (ي. ص. م. أ. ع) ترمي الى ياسر عبد ربه، صالح رافت، ممدوح توفيق، ابو العبد عصام عبد اللطيف.

المراجع

اولاً: مذكرات خاصة عبر المشاركة المباشرة في هيئات

- اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٧١-١٩٩٩.
- اجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني ١٩٨٢-١٩٩٧.
- اجتماعات القيادة الفلسطينية ١٩٨٨-١٩٩٤.
- اجتماعات المجلس العسكري الاعلى للثورة الفلسطينية ١٩٧٧-١٩٩٤.
- اجتماعات غرفة العمليات الفلسطينية اللبنانية المشتركة ١٩٧٥-١٩٨٢.
- اجتماعات اللجنة العليا للاتفاضة ١٩٨٨-١٩٩٣.
- اجتماعات لجنة العمل اليومي للاتفاضة ١٩٨٨-١٩٩٢.
- اجتماعات اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية ١٩٧٠-١٩٩٠.
- اجتماعات المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية ١٩٧٤-١٩٩٠.
- اجتماعات أمانة سر اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية ١٩٧٨-١٩٩٠.
- اجتماعات القيادة العسكرية للجبهة الديمقراطية ١٩٧٤-١٩٨٨.
- اجتماعات القيادة التنظيمية للجبهة الديمقراطية في لبنان ١٩٨٢-١٩٨٨.
- مشاركة في بعض لقاءات قيادة الجبهة الديمقراطية مع الاحزاب الاشتراكية والعربيّة.
- قيادة الوفد الفلسطيني الموحد للمفاوضات مع حركة امل ١٩٨٦-١٩٨٨.

ثانياً: محاضر اجتماعات، وثائق مؤسسات، ورسائل رسمية

- قرارات القمة العربية: كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٧؛ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٨؛ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١؛ حزيران/يونيو ١٩٨٨.
- دورات المجلس الوطني: الثالثة عشرة، آذار ١٩٧٧؛ الرابعة عشرة، كانون ثاني ١٩٧٩؛ الخامسة عشرة، نيسان ١٩٨١؛ السادسة عشرة، شباط ١٩٨٣؛ السابعة عشرة، تشرين الثاني ١٩٨٤؛ الدورة الثامنة عشرة، نيسان ١٩٨٧؛ الدورة التاسعة عشرة، تشرين الثاني ١٩٨٨.
- اجتماعات المجلس المركزي: تشرين الاول ١٩٧٧؛ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢؛ آب/اغسطس ١٩٨٣؛ نيسان/ابril ١٩٨٩؛ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٨٩.
- اجتماعات قيادة فلسطينية: ١٧ تموز ١٩٨١ اجتماع اللجنة التنفيذية للمجلس المركزي للحركة الوطنية اللبنانيّة والقيادة الفلسطينية واتخاذ قرار بالرد على الغارات الإسرائيليّة.
- اجتماعات الحوار الوطني حول توجهات المجلس الوطني حزيران/تشرين اول ١٩٨٨.
- اجتماع قيادة فلسطينية لمناقشة خطاب ابو عمار في ستراسبورغ، ١٩٨٨/٩/٣.
- اجتماع قيادة فلسطينية لقرار التوجهات الجديدة (اعلان الاستقلال)، ١٩٨٨/١٠/٦.
- اجتماع قيادة فلسطينية لمناقشة خطاب ابو عمار في جنيف، ١٩٨٨/١٢/٨.
- اجتماع قيادة فلسطينية لتقدير زيارة السويد، ١٩٨٨/١٢/٩.
- اجتماع قيادة فلسطينية لمناقشة تطور العلاقات الداخلية في ضوء المستجدات في العلاقة الفلسطينيّة الامريكيّة، ١٢/١/١٩٨٩.
- اجتماعات المجلس العسكري الاعلى، تموز ١٩٨١، كانون الاول ١٩٨٢، آذار ١٩٨٢، نيسان ١٩٨٢.
- محاضر اجتماعات لجنة العمل اليومي للانفاضة ١٩٨٨-١٩٩٠.
- قرار مجلس الامن بشأن وقف القتال على الجبهتين السورية والمصرية، رقم ٣٢٨، اكتوبر ١٩٧٣.
- اتفاق قمة الرياض بشأن تشكيل قوات الردع العربية في لبنان، تشرين الاول/اكتوبر ١٩٧٦.
- قرار تشكيل قوات الردع العربية، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٦.
- قرارا الامم المتحدة رقم ٤٢٥، ٤٢٦ بشأن الانسحاب من جنوب لبنان وارسال قوة دولية، ١٩ آذار ١٩٧٨.
- اتفاقات كامب ديفيد المصرية الاسرائيلية بمشاركة امريكية، ١٧/٩/١٩٧٨.
- ورقة فانس - بيان حول المؤتمر الدولي لحل النزاع العربي الاسرائيلي، ١٠/٥/١٩٧٧.
- ميثاق العمل القومي المشترك السوري - العراقي الذي تم التوصل له في ٢٦/١٠/١٩٧٨.
- اتفاق اطار العمل المشترك الاردني الفلسطيني، ١١/٢/١٩٧٨.
- البرنامج السياسي والتنظيمي الذين اقرهما المجلس الوطني عام ١٩٧٩ في دورته رقم ١٤.
- اتفاق وقف اطلاق نار حرب المدفعية، فيليب حبيب، ٢٤ تموز ١٩٨١.
- ورقة عمل اساس لاستراتيجية فلسطينية، ٢٧/٢/١٩٨٢.

- اتفاق فك الاشتباك السوري الاسرائيلي في لبنان الاول ١١ حزيران ١٩٨٢ والثاني ٢٥ حزيران ١٩٨٢.
- الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي بعد حرب ١٩٨٢ وعرف باتفاق (١٧ آيار ١٩٨٣).
- قرار ابو عمار اجراء تنقلات واسعة للضباط، النصف الاول من ايار ١٩٨٢.
- قرار القيادة السورية حول ابعاد أبو عمار من سوريا، ١٩٨٢/٦/٢٤.
- اتفاق الجبهتين الديمقراطية والشعبية بشأن تشكيل قيادة مشتركة سياسية عسكرية، حزيران ١٩٨٣.
- اتفاق الجبهتين الشعبية والديمقراطية والتحرير الفلسطيني والحزب الشيوعي الفلسطيني على تشكيل التحالف الديمقراطي (اعلان عدن)، ١٩٨٤/٣/٢٣.
- اتفاق عدن - الجزائر بين الاطراف الاربعة المذكورة اعلاه الذي وقع في الجزائر، ١٣ تموز ١٩٨٤.
- اتفاق للتحرك الاردني - الفلسطيني المشترك (اتفاق عمان)، ١١ شباط ١٩٨٥.
- اتفاق دمشق بين حركة امل وجبهة الانقاذ حول وقف اطلاق النار في محيط المخيمات، ١٩٨٦/١٠/٥.
- رسالة بولياكوف الى القيادة الفلسطينية حول اللقاء مع مورفي، ١٩٨٧/٧/١٧.
- اجتماع المجتمع الاسلامي (الاخوان المسلمين) في غزة ويبحث مسألة تشكيل حماس، ١٩٨٧/١٢/٩.
- قرار المجلس الوطني الفلسطيني بالغاء اتفاق عمان، نيسان ١٩٨٧.
- اجتماع المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لبحث الانفاضة، نيسان ١٩٨٨.
- اجتماع وفد م.ت.ف. مع وفد جزب راكا في براغ، ١٩٨٨/١/١٧.
- مبادرة وزير الخارجية الامريكية شولتس الاولى، اواخر شباط ١٩٨٨
- اجتماع شيفنادزه - شولتس حول الوضع في الشرق الاوسط، نيسان ١٩٨٨.
- زيارة وفد م.ت.ف. برئاسة ابو عمار الى موسكو، نيسان ١٩٨٨.
- رسالة القيادة المركزية للجبهة الديمقراطية في الداخل، ١٩٨٨/٥/٢٥.
- تقدير لجنة اقليل لبنان جبهة ديمقراطية حول حرب المخيمات، حزيران ١٩٨٨.
- رسالة ياسر عبد ربه للتنظيم حول الخلافات في الجبهة الديمقراطية، ١٩٨٨/٧/٢٩.
- قرار اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية حول المراجعة السياسية، آب ١٩٨٨.
- لقاءات الوفد الفلسطيني في موسكو حول التوجهات في المجلس الوطني، تشرين الاول/اكتوبر ١٩٨٨.
- رسالة القيادة السوفيتية الى أبو عمار حول المؤتمر الدولي، ١٩٨٨/٨/٩.
- دورة اجتماعات المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية، آب ١٩٨٨.
- لقاء ياسر عبد ربه - بولياكوف في موسكو، ١٩٨٨/٩/١١.
- لقاء شيفنادزه - شولتس، ايلول ١٩٨٨.
- اجتماع اللجنة العليا للانفاضة في تونس بمشاركة حماس، ١٠/٨/١٩٨٨.
- زيارة وفد م.ت.ف. الى موسكو برئاسة ابو مازن، النصف الاول من تشرين الاول ١٩٨٨.

- اجتماع قيادة الجبهة الديمocrاطية مع قيادة حزب الشعب، ١٠/٢٠ ١٩٨٨.
- قمة ثلاثة اردنية - مصرية - فلسطينية في العقبة، ١٠/٢٢ ١٩٨٨.
- رسالة مبارك للملوك والرؤساء العرب، ١٠/٢٤ ١٩٨٨.
- رسالة حركة حماس الى المجلس الوطني الفلسطيني، النصف الاول من نوفمبر ١٩٨٨.
- بيان القيادة الوطنية الموحدة "قام" رقم ٢٨ الموجه للمجلس الوطني حول تطوير البرنامج المرحلي وثيقة اعلان الاستقلال وقيام الدولة الفلسطينية، ١١/١٥ ١٩٨٨.
- خطاب أبو عمار في افتتاح دورة المجلس الوطني، الدورة ١٩ ١١/١٢ ١٩٨٨.
- تقارير الدائرة السياسية والوطن المحتل والانتفاضة التي قدمت لدورة المجلس رقم ١٩.
- قرار المجلس الوطني/ الدورة ١٩ حول تشكيل الحكومة الفلسطينية المؤقتة، تشرين الثاني ١٩٨٨.
- مبادرة السلام الفلسطينية التي اقرها المجلس الوطني في الدورة ١٩.
- اجتماع اعضاء (الكتلة البرلمانية) للجبهة الديمocrاطية في المجلس، ١١/١٦ ١٩٨٨.
- اجتماع قادة التيار الديمocrطي في الجبهة الديمocrاطية في تونس، ١١/١٧ ١٩٨٨.
- قرار المكتب السياسي للجبهة الديمocrاطية حول لقاء ستكمولم، اواخر تشرين ثاني ١٩٨٨.
- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٤٢/٤٢ ١٧٧٦ يدعى الى مؤتمر دولي بمشاركة م.ت.ف.
- قرار الجمعية العام رقم ٤٣/١٧٧٧ باستعمال اسم فلسطين في الأمم المتحدة، متتصف كانون الاول ١٩٨٨ بدلًا من م.ت.ف. اعتبار من ١٥ كانون الاول ١٩٨٨.
- اجتماع قيادة فلسطينية لتقدير زيارة وفد م.ت.ف. الى السويد، ١٢/٩ ١٩٨٨.
- رسالة سوفيتية الى أبو عمار حول نتائج المجلس واتصالاتهم بالامريكان، ١٢/٩ ١٩٨٨.
- رسالة من شولتس الى شامير حول بدء الحوار الامريكي مع م.ت.ف. ١٢/١٤ ١٩٨٨.
- قرار المكتب السياسي للجبهة الديمocrاطية حول الحوار مع الامريكان، كانون اول ١٩٨٨.
- محضر اجتماع قيادة الجبهتين الديمocrاطية والشعبية، ١٢/٢٠ ١٩٨٨.
- ملخص اجتماع مجلس الجامعة العربية لبحث الوضع في لبنان، ١/١٢ ١٩٨٩.
- لقاء بولياكوف مع وفد منظمة التحرير في تونس، ١٥/١ ١٩٨٩.
- محضر لقاء بولياكوف مع وفد قيادة الديمocrاطية في تونس، ١/١٦ ١٩٨٩.
- محضر اجتماع فتح والجبهة الديمocrاطية في تونس، ١/١٦ ١٩٨٩.
- ملخص لقاء ابو عمار مع وفد الترويكا الاوروبي في اسبانيا، ١/٢٧ ١٩٨٩.
- محضر لقاء وفد الديمocratie مع وفد من قيادة الحزب الشيوعي السوري، ١/٢ ١٩٨٩.
- محضر لقاء وفد اللجنة التنفيذية مع شيفر نازرة في القاهرة، ٢٢ شباط ١٩٨٩.
- لقاء وفد فلسطيني برئاسة أبو عمار مع الدكتور عصمت عبد المجيد في القاهرة، ٢/٢٦ ١٩٨٩.

- ملخص لقاء شيفر نادرة - بيكر، ١٩٨٩/٣/٦.
- اجتماع وقد فلسطيني برئاسة ابو مازن مع رئيس الوزراء الاردني في عمان، ١٩٨٩/٣/٧.
- رسالة ابو مازن المفتوحة، الى "الحكيم" جورج حبش، ١٩٨٩/٢/١٤.
- اجتماعات وقد فلسطيني برئاسة أبو عمار مع القيادة المجرية، ١٩٨٩/٣/١٦.
- اجتماع وقد فلسطيني برئاسة ابو مازن مع قد راكح في براغ، ١٩٨٩/٣/١٨.
- اجتماع وقد جبهة ديمقراطية مع قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني في براغ، ١٩٨٩/٣/١٩.
- محضر اجتماع القيادة الفلسطينية، ١٩٨٩/٣/٢٤.
- الجولة الثالثة من الحوار الفلسطيني - الامريكي في تونس، ١٩٨٩/٣/٢٢.
- محضر لقاء مبارك الملك حسين عرفات في الاسماعيلية، ١٩٨٩/٣/٢٥.
- لقاءات وقد فلسطيني برئاسة ابو مازن مع قيادات سوفييتية في موسكو، ١٩٨٩/٣/٢٨.
- رسالة سوفييتية للقيادة الفلسطينية بشأن المحادثات مع بيكر، ١٩٨٩/٥/١٥.
- لقاء وقد الجبهة الديمقراطية في الخارجية السوفيتية، ١٩٨٩/٧/١٩.
- محضر جولة الحوار الفلسطيني - الامريكي الرابعة، ١٩٨٩/٨/١٦.
- محضر وقد الداخل مع جون كيلي مساعد وزير الخارجية الامريكية، رفض مبادرة شامير، ٨٩/٨/١٦.
- النقاط المصرية العشر التي قدمت للادارة الامريكية بموافقة أبو عمار، ايلول ١٩٨٩.
- رسالة القيادة المركزية للجبهة الديمقراطية في الداخل، ١٩٨٩/١١/١٤.
- رد وزير الخارجية الامريكية بيكر على الاستئلة الفلسطينية، ١٩٨٩/١١/١٦.
- رد اللجنة التنفيذية على رد الوزير بيكر، ١٩٨٩/١١/٢٧.
- رسالة مصرية للخارجية الامريكية حول استعداد متف. لمباحثات فلسطينية اسرائيلية، ١٩٨٩/١٢/٣.
- مبادرة الرئيس بوش بشأن تسوية النزاع والمؤتمر الدولي، ١٩٩١/٣/٦.
- رسالة الداخل حول اللقاء مع وزير الخارجية بيكر، ١٩٩١/٣/١٢.
- رسالة شامير الى بوش بشأن مواصلة الاستيطان ورفض اي دور للمنظمة، ١٩٩٠/١/٢٧.
- محضر لقاء فلسطيني مع القيادة العراقية حول التطورات، ١٩٩٠/١١٢/١.

ثالثاً: بيانات منظمة التحرير والدول الأخرى

- بيان الادارة الامريكية حول التدخل السوري في لبنان، أيار ١٩٧٦.
- بيان دول السوق الاوروبية بشأن الشرق الاوسط، ١٩٧٧/٧/٢٩.
- بيان فانس - غروميكو، الاول من تشرين اول/اكتوبر ١٩٧٧.
- اعلان السادات، ٩ تشرين الثاني ١٩٧٧، حول "مواجهة" اسرائيل في الكنيست وزيارة القدس.

- بيان حركة فتح حول زيارة القدس، ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٧.
- بيان فتح حول عملية دير ياسين، كمال عدون، ١١ اذار ١٩٧٨.
- بيان اللجنة التنفيذية حول مفاوضات كامب ديفيد، ١٩٧٨/٩/١٨.
- اعلان اسرائيل عن قيام دولة لبنان الحر، ٤/١٨ ١٩٧٩.
- بيان (البنديقية) صدر عن مجموعة الدول الاوروبية، ٩ حزيران ١٩٨٠.
- تصريحات بیغان حول حرب المدفعية، تموز ١٩٨١.
- خطاب أبو عمار في عاليه في ذكرى استشهاد جنبلاط، اذار ١٩٨٢.
- رسالة بريجنيف الى ریغان بشأن الهجوم الاسرائيلي على لبنان، حزيران ١٩٨٢.
- رسالة ریغان الى بیغان حول وقف الهجوم اطلاق النار على لبنان، ٩ حزيران ١٩٨٢.
- وثيقة سلمها أبو عمار الى عضو مجلس الشيوخ الامريكي حول قبوله جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، تموز ٢٥ ١٩٨٢.
- اتفاق وقف النار وخروج م.ت.ف. من بيروت الذي توصل اليه فيليب حبيب، ١٣ آب ١٩٨٢.
- بيان مجلس النواب اللبناني حول انتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان، ٢٣ آب ١٩٨٢.
- نص مبادرة الرئيس ریغان بعد خروج م.ت.ف. من لبنان، ١٩٨٢/٩/١.
- مهماض الثورة بعد غزو لبنان، منشورات الاعلام، الجبهة الديمقراطية، كانون الاول /ديسمبر ١٩٨٢.
- تقرير اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية حول حرب ١٩٨٢، كانون الثاني /يناير ١٩٨٣.
- تعيم جماعة أبو موسى الى كافة الوحدات والاقاليم، توقيع بسام قيادة قوات العاصفة، أيار ١٩٨٣.
- بيان رسمي سوري حول ابعاد أبو عمار عن الاراضي السورية، ١٩٨٣/٦/٢٤.
- بيان الحزب الشيوعي وجبهة التحرير والجبهتين الديمقراطية والشعبية حول ادانته لاقتال، ١٩٨٣/١١/٥.
- برنامج الجبهتين الديمقراطية والشعبية حول الاصلاح الديمقراطي في م.ت.ف..، تشرين الاول ١٩٨٢.
- بيان الاطراف الاربعة المذكورة اعلاه حول ادانته زيارة عرفات للقاهرة، ١٩٨٣/١٢/٢٥.
- بيان الرئيس الامريكي ریغان حول سحب قوات المارينز الامريكية من لبنان، ٤ شباط ١٩٨٤.
- اعلان الرئيس امين الجميل الغاء اتفاق ١٧ ايار، اذار ١٩٨٤.
- الازمة في م.ت.ف. وتحالفاتها تقرير اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، تشرين الاول /نوفمبر ١٩٨٤.
- بيان الاحزاب الشيوعية العربية ادانة اتفاق عمان، ٨٥/٢/٢٧.
- بيان سوفيتي يرفض اقتراح مصر بدعوة امرיקية لوقف اردني - فلسطيني، ١٩٨٥/٢/٢٧.
- اعلان القاهرة الذي تلاه رئيس اللجنة التنفيذية، ١١/٧ ١٩٨٥.
- بيان قيادة فتح في الداخل باسم المؤسسات، النصف الاول من كانون الاول /ديسمبر ١٩٨٧.
- البيان الاول للقيادة الوطنية الموحدة قائم، بيان رقم ٢، تجاوزاً للخلافات .

- بيان مجلس الامن الاول شجب ممارسة اسرائيل ضد الانتفاضة، ١٩٨٧/١٢/٢٢.
- بيان الاخوان المسلمين بشأن تشكيل حركة المقاومة الاسلامية (حماس)، ١٩٨٨/١/١٤.
- بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير حول استشهاد ابو جهاد، ١٩٨٨/٤/٦.
- بيان الحكومة الاردنية حول الغاء خطة التنمية في الضفة الغربية، ١٩٨٨/٧/٢٨.
- اعلان الملك حسين عن فك الارتباط بالضفة الغربية، ١٩٨٨/٧/٣١.
- نداءات القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة عام ١٩٨٨، ١٩٨٩.
- المؤتمر الصحفي الذي عقده أبو عمار بعد الدورة ١٩ للمجلس الوطني، ١٩٨٨/١١/١٥.
- المؤتمر الصحفي الذي عقده جورج حبش بعد انتهاء الدورة التاسعة عشر، ١٩٨٨/١١/١٥.
- اعلان القيادة المصرية بشأن الاعتراف بالدولة الفلسطينية، ١٩٨٨/١١/٢١.
- بيان الحكومة الاسرائيلية حول الاعلان عن قيام الدولة، ١٩٨٨/١١/١٧.
- بيان الحكومة البريطانية ترحيبا بقرارات المجلس الوطني، ١٩٨٨/١١/١٨.
- بيان الحكومة السوفيتية ترحيبا بقرارات المجلس ودراسة الاعتراف بالدولة، ١٩٨٨/١١/١٩.
- بيان الدول الاروبية ترحيبا بقرارات المجلس الوطني، ١٩٨٨/١١/٢١.
- بيان الخارجية الامريكية حول رفض طلب منح فيزا لابو عمار، ١٩٨٨/١١/٢٣.
- بيان الخارجية الامريكية حول معارضتها نقل اجتماع الجمعية العام الى جنيف، ١٩٨٨/١١/٢٢.
- خطاب غورياتشوف في الامم المتحدة، ١٩٨٨/١٢/٨.
- بيان مشترك عن اللقاء مع ريتا هائزر في ستوكهولم، ١٩٨٨/١٢/٨.
- اعلان ريفان بشأن اعتراف متوقف بالقرار ٢٤٢ واستعداد حكومته للقاء مع عرفات، ١٩٨٨/١٢/١٠.
- تصريح مصدر في المخابرات الاسرائيلية يقيم قرارات المجلس الوطني ايجابا، ١٩٨٨/١٢/١٢.
- خطاب أبو عمار في الجمعية العمومية للامم المتحدة في جنيف، ١٩٨٨/١٢/١٣.
- بيان ياسر عرفات في جنيف تمهيدا للحوار مع الامريكان، ١٤ ديسمبر ١٩٨٨.
- بيان وزير الخارجية الامريكية شولتس حول الحوار مع المنظمة، ١٩٨٨/١٢/١٤.
- بيان الجهاد الاسلامي ضد المؤتمر الدولي والانتخابات في الضفة، ١٩٨٩/٣/٢٠.
- مبادرة رئيس الوزراء الاسرائيلي شامير بشأن الحكم الذاتي، ١٩٨٩/٥/١٤.
- بيان عراقي يتهم الادارة الامريكية بتشجيع اسرائيل على ضرب العراق، ١٩٩٠/٤/٢٠.
- بيان جبهة تحرير فلسطين حول عملية اكري لاورو، ١٩٩٠/٥/٢٠.
- اعلان الادارة الامريكية عن تعليق الحوار مع م.ت.ف، ١٩٩٠/٦/٢٠.
- الرئيس العراقي يتهم الكويت والامارات بمحاصرة العراق والتواطؤ مع امريكا، ١٩٩٠/٧/١٦.
- خطاب الرئيس الامريكي جورج بوش بعد الهجوم على العراق، ٦ مارس ١٩٩١.
- رسالة الدعوة الامريكية السوفيتية لمؤتمر السلام في مدريد، ١٨ اكتوبر ١٩٩١.

رابعاً: وثائق مؤسسات منظمة التحرير وفصائلها
القرارات الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٩١، وفد المقاومات، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٩١.

وثائق فلسطين، مائتان وثمانون وثيقة مختارة ١٩٣٨-١٩٨٧، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٧.

المجلس الوطني الفلسطيني، دورة القدس والشهداء، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٩١.
قضايا التجديد والديمقراطية، الوثائق المقدمة إلى اجتماع اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية، ١٩٩١.
التقرير السياسي والتنظيمي المجاز من المؤتمر الثالث للجبهة الديمقراطية، منتصف أيلول ١٩٩١.

الوثائق الفلسطينية العربية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٧.
١٩٧٨، ١٩٧٩، ١٩٨٠، ١٩٨١، ١٩٨٢.

البرنامج والنظام الداخلي، الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.
البرنامج والنظام الداخلي، الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني "فدا".
ميثاق حركة المقاومة الفلسطينية "حماس"، ١٩٨٨.

حماس: اشراقة أمل في سماء فلسطين، ١٩٨٩/١٢/٩.
اتجاهات عمل الحزب وملامح البناء الديمقراطي، الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني "فدا"، ١٩٩٢/١٢/١.

خامساً: الكتب

أبو عمرو، زياد. **الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع**. عكا: دار الاسوار، ١٩٨٩.

أبو غنيمة، زياد. **الحركة الإسلامية وقضية فلسطين**. عمان: دار الفرقان، ١٩٨٥.

الازعر، محمد خالد. **حكومة عموم فلسطين**. القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٩.

_____. **المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة، ١٩٩١.

_____. **النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين**. رام الله: مواطن، ١٩٩٦.

بقدوسي، كريم. **الوطن الصعب الدولة المستحيلة**. بيروت: دار الجديد، ١٩٩٥.

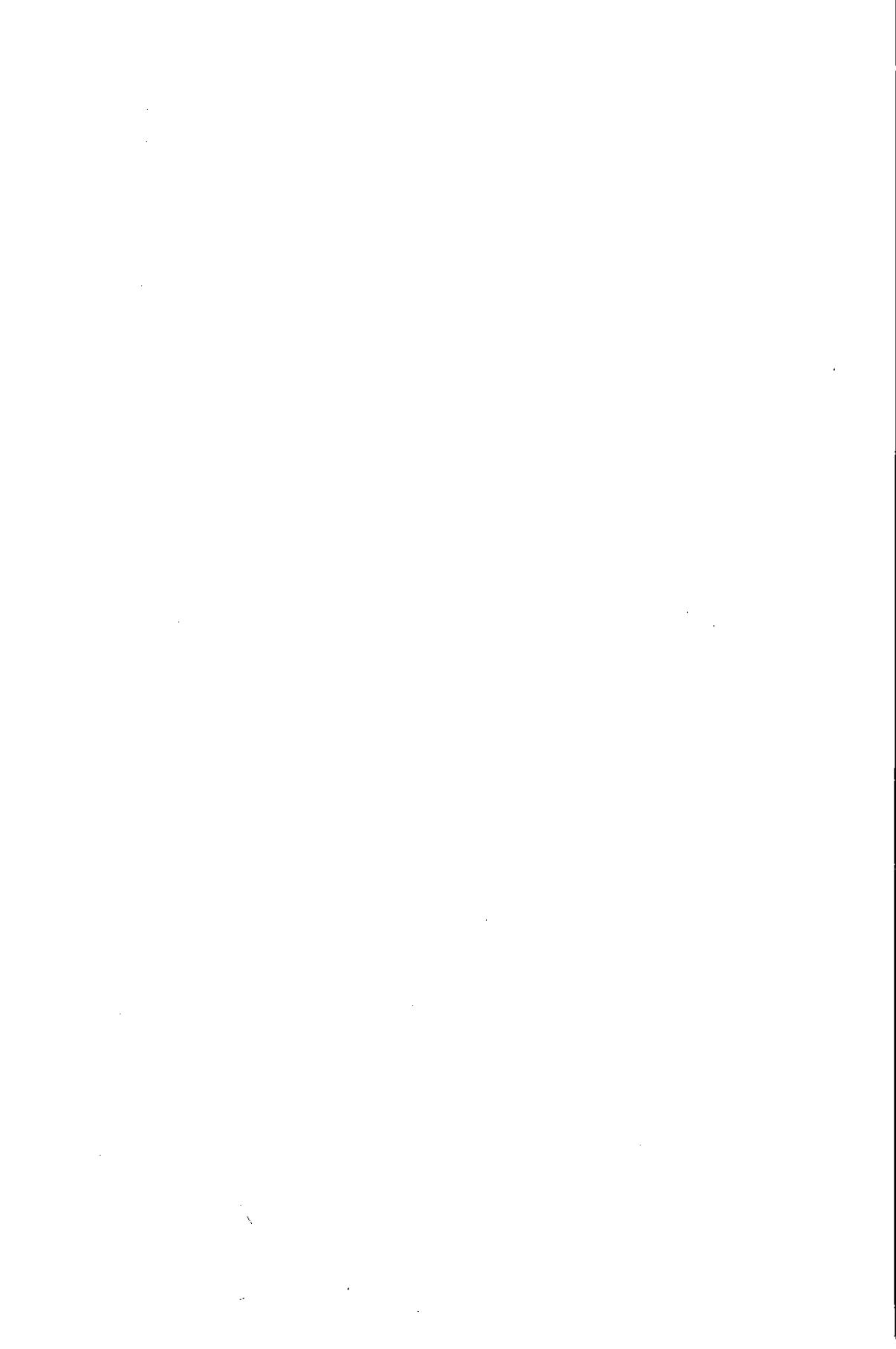
_____. **لعنة وطن**. بيروت: الشرق للنشرات، ١٩٩١.

بن فورات، يشعياهو وأخرون. **التقصير**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٤.

بن كسبيت، وايلان كفير. **ايهود باراك.. الجندي الاول**. عمان: دار الجليل، ١٩٩٩.

بيك، جيمس (مذكرة). **سياسة الدبلوماسية**. ترجمة مجدي شرشش. القاهرة: مكتبة ميدولي، ١٩٩٩.

- الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبنان: اهداف لم تتحقق. عمان: دار الجليل، ١٩٨٤.
- الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبنان: شهادات ميدانية. عمان: دار الجليل، ١٩٨٢.
- الحسن، خالد. الاتفاق الاردني الفلسطيني للتحرك المشترك. عمان: دار الجليل، ١٩٨٥.
- الحوت، شفيق. عشرون عاما في منظمة التحرير ١٩٦٤-١٩٨٤. بيروت: دار الاستقلال للدراسة والنشر، ١٩٨٦.
- حوراني فيصل. جذور الرفض الفلسطيني ١٩٤٨-١٩١٨. نicosia: شرق برس، ١٩٩٠.
- _____ . الفكر السياسي الفلسطيني ١٩٦٤-١٩٧٤. بيروت: مركز الابحاث مت.ف.، ١٩٨٠.
- الدولة الفلسطينية: وجهات نظر اسرائيلية. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠.
- الديك، احمد. مجتمع الانفاضة. بيروت: دار الاداب، ١٩٩٣.
- رياض، محمود. البحث عن السلام.. والصراع في الشرق الاوسط. القاهرة: دار المستقبل، ١٩٩٢.
- سويد، محمود. عملية اللبناني: نظرية استراتيجية. بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٢.
- شبيب، سمير. حكومة عموم فلسطين. نicosia: شرق برس، ١٩٨٨.
- _____ . منظمة التحرير وتفاعلاتها في البيئة الرسمية العربية. نicosia: شرق برس، ١٩٨٨.
- _____ . فلسطين الدولة: جذور المسالة في التاريخ الفلسطيني. نicosia: مركز الابحاث الفلسطيني، ١٩٨٥.
- الشريف، ماهر. البحث عن كيان. نicosia: شركة FKA للنشر، ١٩٩٥.
- شفيق، منير. الفكر الاسلامي المعاصر والتحديات. تونس: دار البراق، ١٩٨٩.
- شفيف، رئيف وايهود يعاري. انفاضة. تل ابيب: دار شوكون للنشر، ١٩٨٥.
- _____ . الحرب المضطلة. عمان: دار الجليل، ١٩٨٥.
- عباس، محمود (ابو مازن). طريق اوسلو. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤.
- كمحي، ديفيد. الخيار الاخير ١٩٦٧-١٩٩١. بيروت: مكتبة بيسان، ١٩٧٩.
- كواتن، وليم. الدبلوماسية الامريكية والنزاع العربي الاسرائيلي. القاهرة: مركز الاهرام للنشر، ١٩٩٤.
- مذكرات اسحق رابين (٢)، شخصيات صهيونية. عمان: دار الجليل، ١٩٩٣.
- نوفل، ممدوح. الانقلاب. عمان: دار الشروق، ١٩٩٦.
- هلال، جميل. النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو. رام الله: مؤسسة مواطن، تموز ١٩٩٤.
- هيلك، محمد حسين. المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦.



منشورات مواطن

سلسلة دراسات وأبحاث:

١. حول الخيار الديمقراطي: دراسات نقدية
برهان غليون، عزمي بشارة، جورج جقمان، سعيد زيداني
٢. مساهمة في نقد المجتمع المدني
عزمي بشارة
٣. بين عالمين: رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات وبناء الكيان الفلسطيني
سارى حنفى
٤. العطب والدلالة: في الثقافة والانسداد الديمقراطي
محمد حافظ يعقوب
٥. إشكالية تغير التحول الديمقراطي في الوطن العربي
وائل المؤتمر المنعقد في القاهرة بتاريخ ٢٩ فبراير - ٢ مارس، ١٩٩٦
٦. التحرر، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث.
وائل مؤتمر مواطن المنعقد في رام الله بتاريخ ٨-٧ تشرين ثاني، ١٩٩٧
٧. المرأة وأسس الديمقراطية في الفكر النسوي الليبي.
رجا بهلول
٨. النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسלו: دراسة تحليلية نقدية
جميل هلال
٩. ما بعد اوسلو: حقائق جديدة، مشاكل قديمة.
تحرير: جورج جقمان، داغ يوغند لوننخ (باللغة الإنجليزية)
١٠. ما بعد الأزمة: التغيرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية، وآفاق العمل
وائل مؤتمر مؤسسة مواطن المنعقد في رام الله بتاريخ ٢٢-٢٣ تشرين أول، ١٩٩٨
١١. النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية.
نادر عزت سعيد
١٢. الحركة الطلابية الفلسطينية، الممارسة والفاعلية.
عماد غياطة
١٣. دولة الدين، دولة الدنيا حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية.
رجا بهلول

سلسلة مداخلات وأوراق نقدية:

١. الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل
ربى الحصري على الخليلي بسام الصالحي
٢. المؤسسات الوطنية، الانتخابات، والسلطة
عزت عبد الهادي، أسامة حلبى، سليم تماري
٣. الديمقراطية الفلسطينية: أوراق نقدية
موسى البديري، جميل هلال، جورج جقمان، عزمي بشارة
٤. المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين
تأليف: زياد أبو عمرو مناقشة: علي الجرباوي وعزمي بشارة
٥. الديمقراطية والتعديدية: أزمة الحزب السياسي الفلسطيني
وقائع مؤتمر مؤسسة مواطن المنعقد في رام الله بتاريخ ١٩٩٥/١١/٢٤
٦. الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى
عزمي بشارة
٧. اليسار الفلسطيني: هزيمة الديمقراطية.
علي جرادات
٨. المسالة الوطنية الديمقراطية في فلسطين
وليد سالم
٩. الحركة الطلابية الفلسطينية، ومهام المرحلة: تجارب وراء
تحرير: مجدى العالكى

سلسلة أوراق بحثية:

١. النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين
محمد خالد الأزرع
٢. البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين
علي الجرباوي
٣. المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين
خولة شخشير صبري
٤. التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الأسرية
خالد الهندي

سلسلة ركائز الديمقراطية:

- محرر السلسلة: جورج جقمان
١. حليم بركات، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
 ٢. فاتح عزام، حقوق الإنسان السياسية والممارسة الديمقراطية
 ٣. أسامة حلبى، سيادة القانون
 ٤. جميل هلال، الدولة والديمقراطية

٥. مثار الشوربجي، الديمقراطية وحقوق المرأة
٦. رجا بلهول، الديمقراطية والتربية
٧. رزق شقير، حماية حقوق الإنسان في أوضاع الطوارئ

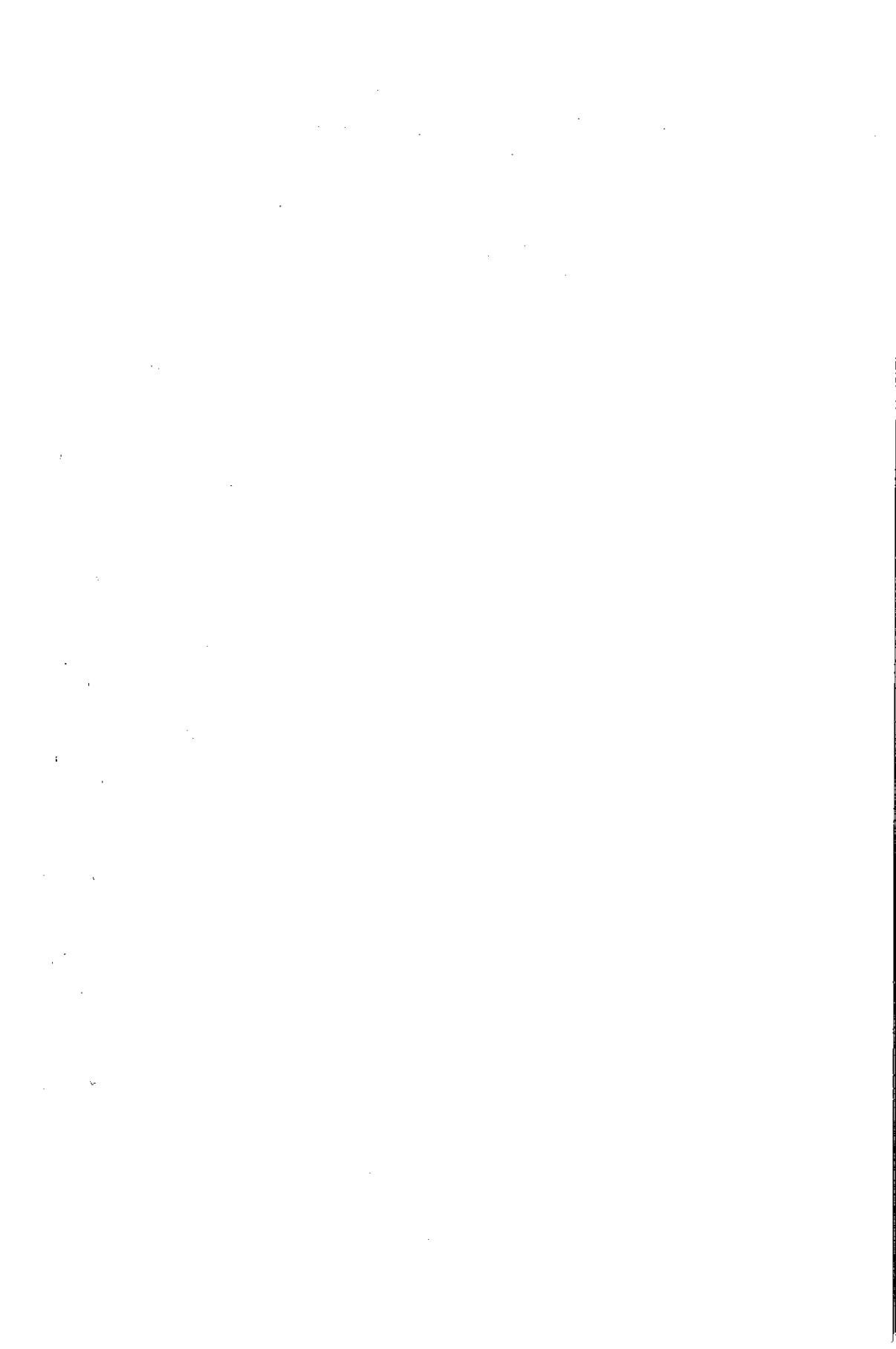
سلسلة مبادئ الديمocrاطية:

إعداد: نبيل الصالح تحرير وإشراف علمي: عزمي بشارة،
استشارة تربوية: ماهر حشوة رسومات: خليل أبو عرفة،

١. ما هي المواطنة؟
٢. فصل السلطات.
٣. سيادة القانون.
٤. مبدأ الانتخابات.
٥. حرية التعبير.
٦. عملية التشريع.
٧. المحاسبة والمساءلة
٨. الحريات المدنية.
٩. التعددية والتسامح.
١٠. الثقافة السياسية.
١١. العمل النقابي.
١٢. الإعلام والديمقراطية.

سلسلة التجربة الفلسطينية:

١. البحث عن الدولة
ممدوح نوبل



هذا الكتاب

يغطي هذا الكتاب فترة عقد من الزمن يمكن اعتبارها من أهم الحقب التي مر بها الشعب الفلسطيني سياسياً. فقد شهدت هذه الفترة خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وانهيار الاتحاد السوفيتي وتاثير ذلك على الساحة السياسية العربية والفلسطينية، واندلاع الانتفاضة في الأرض المحتلة، ومؤتمр مدريد وبداية المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية. وكان المؤلف خلال هذا الفترة في دائرة صنع القرار وعلى اطلاع واسع على تفاصيل الأمور وأليات اتخاذ القرار وأدوار الأطراف العربية والأجنبية.

ويقع هذا الكتاب في تقاطع محاور عدة. فهو يجمع بين السرد التاريخي، والمذكرات الشخصية، وتدوين وقائع أساسية لشاهد عيان ومشارك في الأحداث. فهو إذن وثيقة أساسية للباحث والمؤرخ، ومصدر معرفة واطلاع للقارئ والدارس، وسجل لجوانب من الحياة السياسية للشعب الفلسطيني تركت أثراً هاماً في مساعي البحث عن الدولة.

المؤلف

ولد في مدينة قلقيلية في الضفة الغربية سنة ١٩٤٤. انخرط في العمل الحزبي السياسي مبكراً، وانتوى لحركة القوميين العرب في العام ١٩٦١. والتحق بالعمل الفدائي في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام ١٩٦٧، وساهم في تأسيس الجناح العسكري للجبهة في الأردن في العام ١٩٦٨. ساهم في تأسيس الجبهة الديمقراطية وانشقاقها عن الجبهة الشعبية في شباط/فبراير ١٩٦٩، وتولى قيادة القطاع العسكري. عين عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٧١ ولا يزال، وعضواً في المجلس المركزي الفلسطيني منذ تأسيسه. عين عضواً في المجلس العسكري الأعلى للثورة الفلسطينية منذ تأسيسه في العام ١٩٧٤، وساهم في إعادة تنظيم القوات الفلسطينية في لبنان بعد حرب ١٩٨٢، وتولى مهمة قيادة قوات الثورة هناك سنوات ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٨. ويحمل رتبة عميد في القوات الفلسطينية. عين عضواً في اللجنة العليا لمتابعة المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، وشارك في أعمال مؤتمر مدريد الذي عقد أواخر العام ١٩٩١، مندوباً عنها. ساهم في تأسيس الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني «فدا» الذي تشكل بعد انشقاق الجبهة الديمقراطية.

بعد العودة للوطن في العام ١٩٩٦ ثبت عضواً في المجلس الأعلى للأمن القومي الفلسطيني. صدر له كتاب طبعة أوسلو حول المفاوضات السرية في أوسلو في العام ١٩٩٥. وكتاب الانقلاب حول مفاوضات مدريد - واحتضانه في العام ١٩٩٦، تقديم الأستاذ محمد حسين هيكيل. كتب العديد من الأبحاث والمقالات السياسية في عدد من الصحف الفلسطينية والعربية.